حَرْفُ الغَيْن

٥٢٠

غازي بن زنكي

سيف الدين غازي بن عماد الدين زَنكي بن آق سنقر، صاحب الموصل — وقد تقدم ذكر والده في حرف الزاي[١] — وأنه قتل على حصار قلعة جَعْبَر، فلما قتل وكان معه ألب أرسلان بن السلطان محمود المعروف بالخفاجي السلجوقي، المذكور في ترجمة عماد الدين زنكي، اجتمع أكابر الدولة، وفيهم الوزير جمال الدين محمد[٢] الأصبهاني، المعروف بالجواد، والقاضي كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشهرزوري — وسيأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى — وقصدوا خيمة ألب أرسلان المذكور، وقالوا له: كان عماد الدين زنكي غلامك ونحن غلمانك، والبلاد لك، وطمنوا[٣] الناس بهذا الكلام.

ثم إن العسكر افترق فرقتين: فطائفة منهم[٤] توجهت صحبة نور الدين محمود ابن عماد الدين زنكي — الآتي ذكره إن شاء الله تعالى — إلى الشام، والطائفة الثانية سارت مع ألب أرسلان وعساكر الموصل وديار ربيعة إلى الموصل، فلما انتهوا إلى سنجار تخيل ألب أرسلان منهم الغدر فتركهم وهرب، فلحقه بعض

---

٥٢٠ — أخباره في التاريخ الباهر: ٨٦ — ٩٣ ومرآة الزمان: ٢٠٣ ومفرج الكروب ١: ١١٦ والسلوك ١/١: ٣٨ والنجوم الزاهرة ٥: ٢٨٦ وعبر الذهبي ٤: ١٢٣ والشذرات ٤: ١٣٩ وأماكن متفرقة من الجزء الحادي عشر من تاريخ ابن الأثير؛ وهذه الترجمة شديدة الإيجاز في م، مستوفاة في المسودة، ولم ترد في المختار.

١ المجلد الثاني: ٣٢٧.

٢ ر: أبو الفضل محمد.

٣ يريد: وطمأنوا، وحذف الهمزة للتخفيف.

٤ ل س: منه.

العسكر وردّوه ، فلما وصلوا إلى الموصل وصلهم سيفُ الدين غازي المذكور ، وكان مقيماً بشهرزور لأنها كانت إقطاعه من جهة السلطان مسعود السلجوقي – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – فلما استقر بالموصل قبض على ألب أرسلان المذكور وسيّره إلى بعض القلاع ، وملك الموصل وما كان لأبيه من ديار ربيعة ، وترتبت أحواله ، وأخذ أخوه نور الدين محمود – وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى – حلَبَ وما والاها من بلاد الشام ، ولم تكن دمشق يومئذ لهم .

وكان غازي المذكور منطوياً على خير وصلاح يحب العلم وأهله ، وبنى بالموصل المدرسة المعروفة بالعتيقة ، ولم تطل مدته في المملكة[1] حتى توفي في أواخر جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وقد قارب في العمر أربعين سنة ، ودفن في مدرسته المذكورة ، رحمه الله تعالى ، وتولى بعده أخوه قطب الدين مودود – وسيأتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى .

٥٢١

الغازي ابن مودود

سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زَنكي بن آق سنقر ، صاحب الموصل ، وهو ابن أخي المذكور قبله ؛ تقلد المملكة بعد وفاة أبيه مودود ، وهو والد سنجر شاه صاحب جزيرة ابني عمر ، ولما توفي والده – في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته – بلغ الخبرُ نورَ الدين وهو بتلّ باشر ، فسار من

---

[1] ر : الملك .

٥٢١ – أخباره في التاريخ الباهر : ١٤٦ ، ١٧٥ ، ١٨٠ ومرآة الزمان : ٣٦٣ وصفحات متفرقة من تاريخ ابن الأثير (ج : ١١) ومفرج الكروب (الجزء ١ ، ٢) والنجوم الزاهرة ٦ : ٨٨ والسلوك ١ / ١ : ٥٨ ، ٦١ ، ٧٠ وعبر الذهبي ٤ : ٢٣٠ والشذرات ٤ : ٢٥٧ ؛ وقد سقطت الترجمة من م ، وجاءت كاملة في المسودة ، ولم ترد في المختار .

ليلته طالباً بلاد الموصل فوصل إلى الرقة في المحرم سنة ست وستين وخمسمائة وملكها ، وسار منها إلى نصيبين فملكها في بقية الشهر ، وأخذ سنجار في شهر ربيع الآخر منها ، ثم قصد الموصل وقصد أن لا يقاتلها ، فعبر بعسكره من مخاضة بلد – وهي بُليدة بقرب الموصل – وسار حتى خيّم قُبالة الموصل ، وراسل ابن أخيه سيف الدين المذكور وعرّفه صحة قصده ، فصالحه ودخل الموصل في ثالث عشر جمادى الأولى ، وأقرّ صاحبها فيها وزوجه ابنته وأعطى أخاه عماد الدين زنكي – المذكور في ترجمة جده عماد الدين زنكي[1] – سنجار ، وخرج من الموصل وعاد إلى الشام ودخل حلب في شعبان من السنة المذكورة ، فلما مات نور الدين وملك صلاح الدين دمشق ونزل على حلب يحاصرها سيّر سيف الدين المذكور جيشاً مقدّمه أخوه عز الدين مسعود – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – والتقوا عند قرون حماة ، وسيأتي تفصيل ذلك هناك ، فلما انكسر عز الدين مسعود تجهّز سيف الدين بنفسه وخرج إلى لقائه وتصافّا على تل السلطان ، وهي قرية بين حلب وحماة، وذلك في بكرة الخميس عاشر شوال سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ؛ قال العماد الأصبهاني في « البرق الشامي » وابن شداد في « سيرة صلاح الدين »[2] : إنه انكسرت ميسرة صلاح الدين بمظفر الدين ابن زين الدين ، فإنه كان في ميمنة سيف الدين ثم حمل صلاح الدين بنفسه ، فانهزم جيشُ سيف الدين وعاد إلى حلب ، ثم رحل إلى الموصل ، ومظفر الدين المذكور هو صاحب إربل –وترجمته في حرف الكاف– وأقام غازي في المملكة عشر سنين وشهوراً ، وأصابه مرض مُزمِن[3] وتوفي يوم الأحد ثالث صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ، وتولى بعده أخوه عز الدين مسعود – وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى – وكان مرضه السل ، وطال به ، وعاش مقدار ثلاثين سنة[4] .

---

١ وردت ترجمة عماد الدين زنكي الشهيد في ج ٢ : ٣٢٧ وليس فيها ذكر لما أشار إليه المؤلف هنا ؛ ولعماد الدين زنكي صاحب سنجار ترجمة مستقلة رقم : ٢٤٦ .

٢ سيرة صلاح الدين : ٥٢ .

٣ لي ل ن س بر : مرض السل .

٤ وكان مرضه . . . سنة : سقط من لي ل ن س بر .

٥٢٢

الملك الظاهر صاحب حلب

أبو الفتح وأبو منصور غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، الملقب الملك[1] الظاهر غياث الدين صاحب حلب؛ كان ملكاً مهيباً حازماً متيقظاً كثير الاطلاع على أحوال رعيته وأخبار الملوك ، عالي الهمة حسن التدبير والسياسة باسط العدل محبّاً للعلماء مجيزاً للشعراء ، أعطاه والده مملكة حلب في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة بعد أن كانت لعمه الملك العادل، فنزل عنها وتعوّض غيرها ، كما قد شهر .

ويحكى عن سرعة إدراكه أشياء حسنة : منهـا أنه جلس يوماً لعرض العسكر ، وديوان الجيش بين يديه ، فكان كلما حضر واحد من الأجناد سأله الديوان عن اسمه لينزلوه[2] ، حتى حضر واحد فسألوه[3] فقبل الأرض ، فلم يفطن أحد من أرباب الديوان لما أراد ، فعاودوا سؤاله ، فقال الملك الظاهر : اسمه غازي ، وكان كذلك ، وتأدب الجندي أن يذكر اسمه لما كان موافقاً لاسم السلطان ، وعرَفَ هو مقصوده ، وله من هذا الجنس شيء كثير لا حاجة إلى التطويل فيه .

وكانت ولادته بالقاهرة في منتصف رمضان سنة ثمان وستين وخمسمائة ، وهي السنة الثانية من استقلال أبيه بمملكة الديار المصرية . وتوفي بقلعة حلب ، ليلة

---

٥٢٢ - أخباره في ذيل الروضتين : ٩٤ ومرآة الزمان : ٥٧٩ ومفرج الكروب ٢ : ١٧٨ ، ٣ : ٢٣٧ وصفحات متفرقة من السلوك (ج : ١) ومن تاريخ ابن الأثير (ج : ١٢) والنجوم الزاهرة ٦ : ٢١٦ وعبر الذهبي ٥ : ٤٦ والشذرات ٥ : ٥٥ .

١ الملك : سقطت من س ر .

٢ ر : ليزكوه .

٣ ن : فسألوه عن اسمه .

الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة ، سنة ثلاث عشرة وستمائة ، ودفن بالقلعة ، ثم بنى الطواشي شهاب الدين طغريل الخادم أتابك ولده الملك العزيز مدرسة تحت القلعة وعمّر فيها تربة ونقله إليها ، رحمه الله تعالى . والعجب أنه دخل حلب مالكاً لها في الشهر بعينه واليوم من سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة .

ورثاه شاعره الشرف راجح بن إسماعيل بن أبي القاسم الأسدي الحلي[1] ، وكنيته أبو الوفاء ، بهذه القصيدة ، ومدح ولديه السلطان الملك العزيز محمداً وأخاه الملك الصالح صاحب عين تاب ، وما أقصر فيها ، وهي :

سَل الخطبَ إن أصغى إلى من يخاطبه ... بِمَنْ عَلِقَتْ أنيابُهُ ومخالِبُهْ
نشَدتُكَ عاتِبْهُ على نائباتِهِ ... وإن كان نائي السمعَ عمن يُعاتِبه
لِيَ الله كمْ أرمي بطَرْفي ضَلالةً ... إلى أفْقِ مجدٍ قد تَهاوت كواكبه
فما لي أرى الشَّهْباء قد حال صُبْحُها ... عليَّ دُجًى لا تستنيرُ غَياهبه
أحقّاً حِمى الغازي الغياثِ بن يوسفٍ ... أُبيحَ وعادتْ خائباتٍ مواكبه
نعمْ كُوِّرَت شمسُ المدائحِ وانطَوت ... سماءُ العُلا والنجحُ ضاقَتْ مَذاهبه
فمن مُخبري عن ذلك الطَّوْدِ هل وهَتْ ... قواعِدُهُ أم لانَ للخطبِ جانبه
أجل ضُعضِعَت بعد الثَّبات وزُعزعَت ... بريحِ المَنايا العاصِفاتِ مَناكبه
وغُيِّضَ ذاكَ البحرُ من بعد ما طَمَتْ ... وطَمَّتْ لغيبان[2] البلاد غواربه
فشَلَّتْ يمينُ الخطب أيُّ مُهنّدٍ ... برغم العُلا سلّتْ وفُلّتْ مَضاربه
لئن حبَسَ الغيثُ الغياثي قَطرَهُ ... فقد سحَبَتْ في كل قُطرٍ سحائبه
فأنّى يلذُّ العيشَ بعد ابنِ يوسفٍ ... أخُو أملٍ أكدَتْ عليه مطالبه
فلا أدركَتْ نيلَ المُنى طالباتُهُ ... ولا بركت في أرض يُمنٍ[3] ركائبه

---

١ انظر ترجمة راجح الحلي في الفوات ١ : ٣١٨ والشذرات ٥ : ١٢٣ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٧٥ .
٢ الغيبان : بتخفيف الباء هنا وقد تشدد ، ما لم تصبه الشمس من النبات . وفي ر : الغيبات ، وقد خطأه صاحب التاج .
٣ في هامش المسودة : خ : أمن ؛ وكذلك وردت في لي ن ل .

ولا انتَجَعَت إلا معبّسَ حقبةٍ … من الجدب لا تُثني عليهِ حقائبه

مَضى من أقامَ الناسُ في ظلّ عدلِهِ … وآمنَ من خَطبٍ تَدِبُّ[1] عقاربه

فكم مِن حِمىً صَعْبٍ أباحت سُيوفُهُ … ومِن مُستباحٍ قد حَمَتهُ كَتائِبه

أرَى اليومَ دَسْتَ الملكِ أصبحَ خالياً … أمـا فيكُمُ مِن مخبرٍ أينَ صاحبه

فمن سائلي عن سائلِ الدمعِ لِمْ جَرى … لعل فُؤادي بالوجيب يُجـاوِبه

فكم من نُدوبٍ في قلوبٍ نَضيجةٍ[2] … بنارِ كروبٍ أجّجَتْهـا نوادبه

أيُسلَمُ لم تُحطَمْ صدورُ رِماحهِ … بذَبٍّ ولمْ تُثْلَمْ بضَرْبٍ قواضبه

ولا اصطَدمتْ عندَ الحتوف[3] كُماتُهُ … ولا ازدَحمَت بينَ الصفوفِ جنائبه

ولا سِيمَ أخذَ الثـار يومَ كريهةٍ … تشقُّ مُثارَ النقعِ فيهـا سلاهبه

فيا مُلبسي ثوباً من الحزنِ مُسبلاً … أيحسنُ بي أن التّسلّيَ سـالِبه

خدَمْتكَ، روضُ المجدِ تصفُو ظلالُهُ[4] … عليَّ، وحوضُ الجودِ تصفو مشاربه

وقد كنتَ تُدنيني وترفعُ مَجْلسي … لفروضِ مدحٍ ما تَعَدّاكَ واجبه

فما بالُ إذْني قد تمـادى ولم يكُنْ … إذا جئتُ يَثنيني عن البـابِ حاجبه

أرى الشمسَ أخفتْ يوم فقدِكَ نورَها … فلا كان يومٌ كاسِفُ الوجهِ شاحِبه

فكيفَ نَبا سيفُ اعتزامِكَ أو كَبا … جوادٌ من الحزمِ الذي أنت راكبه

فمَنْ لليتـامى يا غياثُ يُغيثُهم … إذا الغيثُ[5] لم ينقعْ صَدى العامِ ساكبه

ومَنْ لملوكٍ كنت ظِـلاً عليهمُ … ظليلاً إذا مـا الدهر نابت نوائبه

أيا تاركي ألقى العدُوَّ مُسالمـاً … متى ساءني بالجِـدّ قمتُ ألاعبه

سقَتْ قبرَكَ الغرُّ الغَوادي وجادَهُ … من الغيثِ ساريه الملِثُّ وسـاربه

---

١ س : وآمن خطباً أن تدب .

٢ ر : صحيحة .

٣ ر : الحروب .

٤ لي : يصفو جلاله .

٥ ر : الغيم .

فإن يكُ نورٌ من شِهـابكَ قد خَبا فيا طالمـا جلّى دُجى الليلِ ثاقبه
فقد لاحَ بالملكِ العزيزِ محمـدٍ صباحُ هدى كنـا زماناً نراقبه
فتى لم يَفُتْهُ من أبيـهِ وجدّهِ إباءٌ وجدٌ غالَبـا من يُغالبه
ومن كان في المسعى أبوهُ دليلَهُ تدانى له الشأوُ الذي هـو طالبه
وبالصالحِ استعلى صلاحُ رعيـةٍ لها منهُ رَعْيٌ ليس يُقلِـعُ راتِبه
فحسبُ الوَرى من أحمـدٍ ومحمدٍ مليكانِ مَنْ عاداهمـا ذَلَّ جانبه
هما أحرَزا علْيـاء غازي بن يوسفٍ وما ضَيّعـا المجدَ الذي هوَ كاسِبه
فأفْـقُ الوَرى لولاهما كان أظلمتْ مَشارقهُ من بعـدهِ ومغاربه
سيَحْمي على رغمِ الليالي حِماهما عوالي قَناً تُرْدي الأسود ثعـالبه
فكم من مُلمٍّ جَلَّ مَوْقِـعُ خطبه فساءت مبـاديهِ وسَرَّتْ عواقبه
فيا قمرَيْ سعدٍ أطَلّا على الدجى فولى وما ألوَى على الأرضِ[1] هاربه
أيمكثُ في الشّهْبـاءِ عبدُ أبيكمُا وماِدحهُ أم تستقل نجـائبه
فإن شِئتُما بعدَ الغيـاثِ أغثتُما مُصابَ سهامٍ فَوّقَتهـا مصائبه
كأن لم أقفْ أجلو التهـاني أمامَهُ وتضحكُ في وجهِ الأمـاني مَواهبه[2]
فَهُنّيتُما مـا نِلتُما وبَقيتما لإعـلاءِ ملكٍ ساميـاتٍ مراتبه

وهذه القصيدة مع جَوْدتها فيها مواضع مأخوذة من مرثية الفقيه عمارة اليمني للصالح بن رُزّيك ، وبعضها مذكور في ترجمة الصـالح ، وكأنه قد نسج على منوالها ، فإنها على وزنها وإن كان حرف الروي مختلفاً ، فقد استعمل هاء الوصل كما استعمله عمارة ، والظاهر أنه كان قد وقف عليها فقصد مُضاهاتها[3] .

(145) وقام بالأمر ومملكة حلب من بعده : ولَدُهُ الملك العزيز غيـاث الدين أبو المظفر محمد ابن الملك الظاهر ، ومولده يوم الخميس خامس ذي الحجة

---

١ س : الأفق ، وفي الحاشية : خ : الأرض . وقد سقط البيت من لي .
٢ هنا تنتهي الترجمة في م بعد حذف كثير من أبيات القصيدة .
٣ هنا تنتهي الترجمة في بر س ل ن لي بعد ذكر ترجمة راجح الحلي .

سنة عشر وستمائة بقلعة حلب ، وتوفي يوم الأربعاء رابع شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وكنت بحلب في ذلك الوقت ، ودفن بالقلعة .

(146) وترتب مكانه ولده الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف ابن الملك العزيز ، واتسعت مملكته ، فإنه ملك عدة بلاد من الجزيرة الفراتية لما كسر الخوارزمية ، وكان مقدم جيشه الملك المنصور صاحب حمص ، وذلك في أواخر سنة إحدى وأربعين أو أوائل سنة اثنتين وأربعين ، ثم ملك دمشق والبلاد الشامية يوم الأحد سابع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وستمائة ، ومولده بقلعة حلب في تاسع عشر رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة ، وقصده التتَر وملكوا الشام ، فخرج من دمشق في صفر سنة ثمان وخمسين ، وقُتل في الثالث والعشرين من شوال سنة ثمان وخمسين بالقرب من المراغة من أعمال أذربيجان على ما نقل الناقل ، والله أعلم ، وقصته مشهورة .

(147) وتوفي عمه الملك الصالح صلاح الدين أحمد ابن الملك الظاهر صاحب عين تاب في شعبان سنة إحدى وخمسين وستمائة ، وكانت ولادته في صفر سنة ستمائة بحلب ، ومات بعين تاب ، رحمهم الله تعالى أجمعين . وإنما قدموا العزيز وهو الأصغر على أخيه الصالح لأن أمه صفية خاتون بنت الملك العادل بن أيوب ، فقدموه في الملك لأجل جده وأخواله أولاد العادل ، وأما الصالح فإن أمه جارية .

(148) وتوفي الشرف الحلي المذكور في ليلة السابع والعشرين من شعبان سنة سبع وعشرين وستمائة بدمشق ، رحمه الله تعالى ، ودفن بظاهرها في جوار مسجد النارنج شرقي مصلى العيد ، ومولده في منتصف شهر ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة بالحلة ، وهو من مشاهير شعراء عصره .

٥٢٣

ذو الرمة

أبو الحارث غَيْلان بن عُقبة بن بُهَيْش[1] بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ربيعة بن مِلْكان بن عدي بن عبد مناة ابن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، الشاعر المشهور المعروف بذي الرُّمة، أحد فحولة الشعراء؛ ويقال إنه كان ينشد شعره في سوق الإبل، فجاء الفرزدق فوقف عليه، فقال له ذو الرُّمة: كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس؟ فقال: ما أحسن ما تقول! قال: فما لي لا أذكر مع الفحول؟ قال: قَصَّر بك عن غايتهم بكاؤك في الدِّمَنِ، وصفتك للأبعار والعَطَن.

وهو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته مَيَّةُ ابنة مقاتل بن طلبة[2] بن قيس بن عاصم المنقري، وقيس بن عاصم هو الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم فأكرمه، وقال له: أنت سيد أهل الوبر، وقال أبو عبيد البكري[3]: هي مية بنت عاصم بن طلبة بن قيس بن عاصم، والله أعلم بالصواب.

وكان ذو الرمة كثير التشبيب بها في شعره، وإياهما عنى أبو تمام الطائي بقوله في قصيدته البائية:

ما رَبْعُ مَيَّةَ معمُوراً يطيفُ بهِ غَيلانُ أبهى رُباً من رَبْعِها الخرِبِ

---

٥٢٣ – ترجمته في طبقات ابن سلام: ٤٦٥ والشعر والشعراء: ٤٣٧ والأغاني ١٧: ٣٠٤ والموشح: ١٧٠ وسمط اللآلي: ٨١ والشريشي ٢: ٥٣ وتزيين الأسواق ١: ٨٨ والعيني ١: ٤١٢ وشرح شواهد المغني: ٥٢ ومعاهد التنصيص ٣: ٢٦٠ والخزانة ١: ٥٠.

١ كذا في المسودة، واضطرب في سائر النسخ، وفي س: نهيس وكذلك ورد في السمط.

٢ وضع فتحة وكسرة على اللام في المسودة وكتب فوق الكلمة «معاً».

٣ السمط: ٨٢.

وقال ابن قتيبة في كتاب « طبقات الشعراء »[1] : قال أبو ضرار الغنوي[2] : رأيت مية وإذا معها بَنُونَ لها ، فقلت : صفها لي ، قال : مَسنُونة الوجه طويلة الخد شماء الأنف ، عليها وَسْم جمال، قلت : أكانت تنشدك شيئاً مما قال فيها ذو الرمة ؟ قال : نعم . ومكثت مية زماناً تسمع شعر ذي الرمة ولا تراه، فجعلت لله تعالى عليها أن تنحَر بَدَنَة يوم تراه ، فلما رأته رأت رجلا دميماً أسود ، وكانت من أهل الجمال ، فقالت : واسوأتاه ، وابؤساه ! فقال ذو الرمة[3]:

على وجهِ مَيٍّ مِسحة من مَلاحةٍ ... وتحتَ الثيابِ العارُ لو كانَ باديا

ألم تَرَ أنَّ الماءَ يخبُثُ طعمهُ ... وإن كانَ لونُ الماءِ أبيضَ صافيا

فَواضَيعَةَ الشعر الذي لجَّ فانقضى ... بميٍّ ولم أملكْ ضلالَ فُؤادِيا

[ويروى أن ذا الرمة لم يَرَ مية قط إلا في بُرْقُعٍ ، فأحبَّ أن ينظر إلى وجهها فقال :

جَزى اللهُ البراقِعَ من ثيابٍ ... عن الفتيانِ شَرّاً ما بقينا

يُوارينَ الملاحَ فلا نَراها ... ويُخْفينَ القباحَ فيزدهينا

فنزعت البرقع عن وجهها ، وكانت باهرة الحسن ، فلما رآها مسفرة قال :

على وجه ميٍّ مسحةٌ من ملاحة

البيتَ المقدم ، فنزعت ثيابها وقامت عريانة ، فقال :

ألم تر أن الماء يخبث طعمه

البيتَ المذكورَ ، فقالت له : أتحب أن تذوق طعمه ؟ قال : إي والله ، فقالت

---

١ الشعر والشعراء : ٤٣٩ .

٢ الشعر والشعراء : أبو سوار الغنوي .

٣ أكثر المصادر على أن هذه الأبيات موضوعة على لسان ذي الرمة (انظر مثلا الأغاني : ٣٢٧) والمؤلف ينقل هنا عن ابن قتيبة .

له : تذوقُ الموتَ قبل أن تذوقه ، والله أعلم][1] .

ومن شعره السائر فيها[2] :

إذا هبّتِ الأرواح من نحوِ جانبٍ ... به أهلُ مَيٍّ هاجَ قلبي هُبوبُها

هَوًى تذرفُ العينانِ منهُ وإنما ... هَوَى كلِّ نفسٍ حيث كان[3] حبيبُها

وكان[4] ذو الرمة يُشَبِّب[5] بخَرْقاء أيضاً ، وهي من بني البكاء بن عامر بن صعصعة وسببُ تشبيبه بها أنه مر في سفر ببعض البوادي ، فإذا خرقاء خارجة من خباء ، فنظر إليها فوقعت في قلبه ، فخرق إداوته ودنا منها يستطعم كلامها ، فقال : إني رجل على ظهر سفر ، وقد تخرقت إداوتي ، فأصلحيها لي ، فقالت : والله ما أحسن العمل وإني لخرقاء ، والخرقاء التي لا تعمل شغلاً لكرامتها على أهلها ، فشبب بها ذو الرمة وسماها خرقاء ، وإياهـا عنى بقوله وهو في غاية المبالغة[6] :

وما شَنَّتا خرقاءَ واهيتا الكُلى ... سَقى بهما ساقٍ ولم يَتَبَلّلا

بأضْيَعَ من عَينَيكَ للدمع كلما ... تذكرتَ رَبْعاً أو توهمتَ مَنزلا

وقال المفضل الضبي[7] : كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت ، فقال لي يوماً : هل لك أن أريك خرقاء صاحبة ذي الرمة ؟ فقلت له : إن فعلت فقد بررتني ، فتوجهنا جميعاً نريدها ، فعدل بي عن الطريق بقدر ميل ، ثم أتينا

---

١ انفردت ر بما وضعناه بين معقفين .

٢ ديوانه : ٦٦ — ٦٧ .

٣ ر والمختار : حيث حل .

٤ يتابع المؤلف النقل عن ابن قتيبة .

٥ و : تشبب .

٦ أدرج البيتان في ملحقات الديوان : ٦٧١ وقول المؤلف إن الشاعر عنى صاحبته خرقاء بهذين البيتين من التأويل الذي لا داعي له .

٧ الشعر والشعراء : ٤٤٠ .

أبيات شَعر ، فاستفتح بيتاً ففتح له ، وخرجت علينا امرأة طويلة حُسّانة بها قوة ، والحسّانة أشد حسناً من الحسناء ، فسلمت وجلست وتحدثنا ساعة ، ثم قالت لي : هل حججت قط ؟ قلت : غير مرة ، قالت : فما منعك من زيارتي، أما علمت أني مَنْسَكٌ[1] من مناسك الحج ؟ قلت : وكيف ذلك ؟ قالت : أما سمعت قول عمك ذي الرمة[2] :

تَمامُ الحـج أن تَقِفَ المطايا   على خرْقـاء واضعَةَ اللثامِ

وكان ذو الرمة كثير المديح لبلال بن أبي بُرْدة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وفيه يقول مخاطباً ناقته صَيْدَح ، وهذا الاسم علم عليها :

إذا ابنُ أبي مُوسى بلالاً بلغْتِهِ   فقامَ بفأسٍ بين وصْلَيكِ جازِرُ

وقد أخذ هذا المعنى من قول الشماخ في عَرابة الأوسي رضي الله عنه ، وهو أيضاً يخاطب ناقته من جملة أبيات :

إذا بلـغْتِني وحملتِ رَحْلي   عَرابَةَ فاشْرَقي بدم الوتين

وجاء بعدهما أبو نـُواس[3] فكشف عن هذا المعنى وأوضحه بقوله في الأمين محمد بن هارون الرشيد :

وإذا المطيُّ بنا بَلَغْنَ محمداً   فظهورهُنّ على الرجال حرامُ

حتى قال بعض العلماء ، ولا أستحضر الآن مَنْ هو القائل ، لما وقف على بيت أبي نواس : هذا المعنى والله الذي كانت العربُ تحوم حوله فتخطئـه ولا تصيبه فقال الشماخ كذا ، وقال ذو الرمة كذا ، وأنشد بيتيهما المذكورين ، وما أبانه إلا أبو نواس بهذا البيت ، وهو في نهاية الحسن . والأصل في هذا المعنى[4]

١ وضع على السين في المسودة فتحة وكسرة وكتب فوقها « معاً » .
٢ ديوانه (الملحقات) : ٦٧٣ .
٣ ن : أبو نواس بعدهما .
٤ س : البيت .

قول الأنصارية المأسورة بمكة ، وكانت قد نجَتْ على ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما وصلت إليه قالت : يا رسول الله ، إني نذرت إن نجوتُ عليها أن أنحرها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لبئس ما جزَيْتها » . وتفسير هذا المعنى : إني لست أحتاج أن أرحل إلى غيرك ، فقد كفيتني وأغنيتني ، إلا أن الشماخ وعَدَ ناقته بالذبح ، وذا الرمة دعا عليها أيضاً بالذبح ، وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها وأراحها من الكد في الأسفار ، فهو أتم في المقصود ، لكونه أحسن إليها في قُبالة إحسانها إليه ، حيث أوصلته إلى الممدوح .

وكان لذي الرمة إخوة : هشام وأوفى[1] ومسعود ، فمات أوفى ثم مات ذو الرمة بعده ، فقال مسعود يرثيهما — هكذا قال ابن قتيبة ، وقال في « الحماسة» في المراثي خلاف هذا ، والله أعلم بالصواب — والأبيات التي قالها مسعود :

تعزيْتُ عن أوفى بغَيْلان بَعْدَه عَزاءً وجَفْنُ العين ملآن مُترَعُ
ولم يُنسِني أوفى المصيبات بعده ولكن نَكْءَ القرح بالقرح أوجَعُ

وهي من جملة أبيات ؛ وهذا مسعود هو الذي أشار إليه أبو تمام بقوله :

إن كان مَسعُودٌ سقى أطلالَهمْ سَبَلَ الشؤون فلست من مسعودِ

قال أبو القاسم الآمدي صاحب كتاب « الموازنة بين الطائيين » في الكلام على هذا البيت : هذا مسعود أخو ذي الرمة ، وكان يلوم أخاه ذا الرمة على بكائه الطلول ، حتى قال فيه ذو الرمة[2] :

عشيّةَ مسعودٌ يقول وقد جَرى على لِحيَتي من واكِفِ الدمعِ قاطِرُ
أفي الدار تبكي إذ بكيتَ صَبابةً وأنتَ امرؤ قد حلّمَتكَ العشائرُ

---

١ ذكر أبو الفرج أوفى بن دلهم وقال إنه ابن عم لذي الرمة ومسعود ، وكذلك قال التبريزي في شرح الحماسة وغيره ، والأبيات في الحماسة منسوبة لهشام أخي ذي الرمة لا لمسعود (انظر شرح المرزوقي : ٧٩٣) وانظر تحقيق الأستاذ محمود شاكر لهذا الخلاف في هامش ابن سلام : ٤٨٠ .

٢ ديوان ذي الرمة : ٢٤٠ .

فكأن أبا تمام يقول : إن كان مسعود قد رجع عن ذلك المذهب وصار يبكي على الطلول فلست منه ، وهذا أبلغ في التبري منه مما إذا كان هذا شأنه، فصار كقول القائل : إن كان حاتم قد بخل أو السموأل قد غدر فلست منهما ، وهذا أبلغ من قوله : إن كان البخيل قد بخل والغادر قد غدر فلست منهما ، هذا حاصل ما قاله الآمدي ، وإن كان بغير هذه العبارة[1] .

وأخبار ذي الرمة كثيرة ، والاختصار أولى. وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة ، رحمه الله تعالى ، ولما حضرته الوفاة قال : أنا ابن نصف الهرم ، أنا ابن أربعين سنة ، وأنشد[2] :

يا قابضَ الروح عن نفسي إذا احتُضِرَت   وغافرَ الذنب زَحْزِحني عن النار

وإنما قيل له « ذو الرمة » بقوله في الوتد[3] :

أشعث باقي رمة التقليد

والرمة – بضم الراء – الحبل البالي ، وبكسرها العظم البالي .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ختم الشعر بذي الرمة والرجز برؤبة بن العجاج[4]، فقيل له : إن رؤبة حي ، فقال : نعم ، ولكن ذهب شعره كما ذهب مطعمه وملبسه ومنكحه ، فقيل له : فهؤلاء الآخرون ؟ فقال : مرقعون مهدمون ، إنما هم كَلٌّ على غيرهم[5] .

---

١ قد وردت صورة من هذا الخبر ومعها نقل عن الآمدي في ترجمة أبي تمام (٢ : ١١) تختلف عن المثبت هنا ، والذي أورده هنا رغم أنه منقول بالمعنى أقرب إلى ما جاء في الموازنة ؛ قلت : والذي ذكر في ترجمة أبي تمام هنالك من زيادات بعض النسخ وليس هناك ما يدل على أن له وجوداً في مسودة المؤلف .

٢ ملحقات الديوان : ٦٦٧ .

٣ الديوان : ١٥٥ .

٤ في المختار : افتتح الشعر بامرىء القيس وختم بذي الرمة ؛ وهنا تنتهي الترجمة في م .

٥ عند هذا الحد ينتهي القسم الأول الموجود من مسودة المؤلف ، وبه تنتهي الترجمة في بر والنسخ الأخرى ما عدا ر .

[وقال أبو عمرو ، قال جرير : لو خرس ذو الرمة بعد قوله قصيدته التي أولها :

ما بال عينك منها الماء ينسكب

كان أشعر الناس ؛ وقال أبو عمرو : سمعت ذا الرمة يقول : إذا نزل بنا نازل قلنا له : الحليب أحبُّ إليك أم المخيض ؟ فإن قال المخيض ، قلنا : عَبد من أنت ؟ وإن قال الحليب ، قلنا : ابن من أنت ؟ وقال أبو عمرو : شعر ذي الرمة نقط عروس يضمحل عن قليل ، وأبعار ظباء لها شَمٌّ في أول رائحة ، ثم يعود إلى البعر . وبالجملة فقد كان من مشاهير الشعراء في عصره ، وذوي التقدم في النظم في دهره ، رحمه الله تعالى .

وذكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب « اعتلال القلوب » عن محمد ابن سلمة الضبي قال: حججت، فلما صدرت من الحج تيممت مَنْهَلاً من المناهل، وإذا بيت بناحية من الطريق ، فأنخت بفنائه ، فقلت : أنزل ؟ فقالت ربة البيت : نعم ، فقلت : وأدخل ؟ قالت : أجل ، فدخلت فإذا جارية أحسن من الشمس ، فجلست أحدثها وكأنّ الدر ينثر من فيها ، فبينا أنا كذلك إذ خرجت عجوز مؤتزرة بعباءة مشتملة بأخرى، فقالت : يا عبد الله، ما جلوسك هاهنا عند هذا الغَزال النجدي الذي لا تأمن حباله ، ولا ترجو نَواله ؟ فقالت لها الجارية : أي جدة دعيه يتعلل كما قال ذو الرمة[1] :

فإن لا يكن إلا تَعَلُّلَ ساعةٍ قليلاً فإني نافع لي قليلها

قال : فأقمت يومي وانصرفت ، وفي قلبي كجمر الغَضا من حبها][2] .

---

[1] ديوانه : ٥٥٠ .

[2] انفردت ر بما بين معقفين ، ومعظمه في المختار ، وأكثر ما سيرد بين معقفين إنما هو مما تنفرد به ر .



حَرْفُ الفَاء



٥٢٤

فاتك المجنون

أبو شجاع فاتك الكبير المعروف بالمجنون ؛ كان روميـاً ، أخذ صغيراً هو وأخ له وأخت لهما من بلد الروم من موضع قرب حصن يُعرف بذي الكلاع ، فتعلم الخط بفلسطين ، وهو ممن أخذه الإخشيد من سيده بالرملة كَرْهاً بلا ثمن، فأعتقه صاحبه ، وكان معهم حراً في عدة المماليك ؛ وكان كريم النفس بعيـد الهمة شجاعاً كثير الإقدام ، ولذلك قيل له « المجنون » ، وكان رفيق الأستاذ كافور في خدمة الإخشيد ، فلما مات مخدومهما وتقرر كافور في تربيـة[1] ابن الإخشيد – كما سيأتي في ترجمة كافور إن شاء الله تعالى – أنِفَ فاتك من الإقامة بمصر كيلا يكون كافور أعلى رتبة منه ، ويحتاج أن يركب في خدمته ، وكانت الفيوم وأعمالها إقطاعاً له ، فانتقل إليها واتخذها سكناً له ، وهي بلاد وبيئة كثيرة الوخَم ، فلم يصح له بها جسم ، وكان كافور يخافه ويُكرمه فزعاً منه وفي نفسه منه ما فيها ، فاستحكمت العلة في جسم فاتك وأحوجته إلى دخول مصر للمعالجة ، فدخلها وبها أبو الطيب المتنبي ضيفاً للأستاذ كافور ، وكان يسمع بكرم فاتك وكثرة سخائه[2] ، غير أنه لا يقدر على قَصْد خدمته خوفـاً من كافور ، وفاتك يسأل عنه ويراسله بالسلام ، ثم التقيا في الصحراء مُصادفة من غير ميعاد، وجرى بينهما مفاوضات ، فلما رجع فاتك إلى داره حمل لأبي الطيب في ساعته هدية قيمتها ألف دينار ، ثم أتبعها بهدايا بعدهـا ، فاستأذن المتنبي الأستاذ كافوراً في مدحه فأذن له ، فمدحه في التاسع من جمادى الآخرة سنـة

---

٥٢٤ – انظر النجوم الزاهرة ٣ : ٣٢٩ ، ٤ : ٥٦ وعبر الذهبي ٢ : ٢٨٧ والشذرات ٣ : ٥ .

[1] ر : خدمة .

[2] ن : شجاعته .

ثمان وأربعين وثلثمائة بقصيدته المشهورة التي أولها ، وهي من غرّ القصائد[1] :

لا خَيْلَ عندكَ تُهْدِيها ولا مالُ   فليُسْعِدِ النطقُ إن لم يُسْعِدِ الحالُ

وما أحسن قوله فيها :

كَفاتِكٍ ودخولُ الكاف مَنْقَصَةٌ   كالشَّمْسِ قلت وما للشَّمْسِ أمثالُ

ثم توفي فاتك المذكور ليلة الأحد عِشاءً ، لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمسين وثلثمائة بمصر ، فرثاه المتنبي ، وكان قد خرج من مصر ، بقصيدته التي أولها[2] :

الحزن يُقْلِقُ والتجمُّلُ يردع   والدمعُ بينهما عَصِيٌّ طَيِّعُ

وما أرقّ قوله فيها :

إني لأجبُنُ من فراق أحبتي   وتحسّ نفسي بالحِمام فأشجُعُ
ويزيدني غَضَبُ الأعادي قسوةً   ويُلم بي عَتْبُ الصديق فأجْزَع
تَصْفو الحياةُ لجاهل أو غافل   عما مَضى منها وما يُتَوَقَّع
ولمن يغالط في الحقائق نفسَهُ   ويَسُومُها طلبَ المحال فتطمَع
أينَ الذي الهَرَمانِ من بُنيانه   ما قومه ما يومه ما المصرَع
تتخلفُ الآثار عن أصحابها   حيناً فيدركها الفناء فتَتْبَع

وهي من المراثي الفائقة . ثم عمل بعد خروجه من بغداد يذكر مسيره من مصر ويرثي فاتكاً المذكور ، وأنشأها يوم الثلاثاء لتسع خلون من شعبان سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ، وأولها[3] :

حَتّامَ نحن نساري النجم في الظُّلَم   وما سُراه على خُفٍّ ولا قَدَمِ

---

١ ديوان المتنبي : ٥٠٢ .

٢ ديوان المتنبي : ٥٠٦ .

٣ ديوانه : ٥١٠ وفيه أنه أنشدها لسبع خلون من شعبان .

ومنها في ذكر فاتك :

لا فاتكٌ آخرٌ في مصرَ نقصِدُهُ ولا له خَلَفٌ في النـــاس كلهم ِ
من لا تشابهه الأحياء في شِيَمٍ أمسى تشابهه الأموات في الرِّمَم
عدمته وكأنّي سرت أطلبـــه فما تزيدُنِيَ الدنيـــا على العدم

وله فيه شيء آخر[1] ، رحمه الله تعالى .

٥٢٥

صاحب قلائد العقيان

أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القَيْسي الإشبيــلي صاحب كتاب « قلائد العقيان » ؛ له عدة تصانيف منها الكتاب المذكور وقد جمع فيه من شعراء المغرب طائفة كثيرة ، وتكلم على ترجمة كل واحــد منهم[2] بأحسن عبارة وألطف إشارة ، وله أيضاً كتـــاب « مطمح الأنفس ومَسْرَح التأنس في ملح اهل الأندلس » وهو ثلاث نسخ : كــبرى وصغرى ووسطى ، وهو كتاب كثير الفائدة ، لكنه قليل الوجود في هذه البلاد ، وكلامه في هذه الكتب يدل على فضله وغزارة مادته ، وكان كثير الأسفار سريـع التنقلات .

وتوفي قتيلاً سنة خمس وثلاثين وخمسمائة بمدينة مَرّاكُشَ في الفندق[3] .

---

١ ر : أشياء أخر .

٥٢٥ – ترجمته في معجم شيوخ الصدفي : ٣٠٠ والذيل والتكملة ٥ : ٥٢٩ والمغرب ١ : ٢٥٤ ومعجم الأدباء ١٦ : ١٨٦ ونفح الطيب ٧ : ٢٩ والمسالك ١١ : ٣٩٤ والشذرات ٤ : ١٠٧ ؛ وسقطت الترجمة من المختار .

٢ ر : منهم بعينه .

٣ ن : الخندق ، وهو خطأ .

وقال الحافظ أبو الخطاب ابن دحية في كتابه الذي سماه « المطرب من أشعار أهل المغرب »[1] : « إني لقيت جماعة من أصحابه وحدثوني عنه بتصانيفه وعجائبه ، وكان مخلوع[2] العذار في دنياه ، لكن كلامه في تواليفه كالسّحر الحلال والماء الزلال ، قتل ذبحاً في مسكنه بفندق[3] من حضرة مراكش صَدْرَ سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ، وإن الذي أشار بقتله أمير المسلمين أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشِفِينَ » هذا كله لفظه ، والله أعلم بالصواب .

وأمير المسلمين المذكور هو أخو أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشِفِينَ الذي ألف له أبو نصر المذكور « قلائدَ العقيان » وقد ذكره في خطبة الكتاب.

٥٢٦

الشهاب فتيان الشاغوري

الشهاب فتيان بن علي بن فتيان بن ثمال[4] ، الأسدي الحريمي[5] المعروف بالشاغوري المعلم؛ كان فاضلاً وشاعراً ماهراً، خدم الملوك ومدحهم وعلم أولادهم، وله ديوان شعر[6] فيه مقاطيع حسان ، وأقام مدة بالزّبَداني وله فيها أشعار لطيفة ، فمن ذلك قوله في جنة الزبداني ، وهي أرض فيحاء جميلة المنظر تتراكم عليها الثلوج في زمن الشتاء وتُنْبِتُ أنواع الأزهار في زمن الربيع ، ولقد

---

[1] انظر المطرب : ٢٥ .

[2] ر : خليع .

[3] اسمه فندق لبيب ، قال ابن عبد الملك : أحد فنادق مراكش الحنوية .

٥٢٦ – انظر مطالع البدور ١ : ٢٨ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٢٦ والشذرات ٣ : ٦٣ والخريدة (قسم الشام ١ : ٢٤٧) ومعجم البلدان (شاغور) .

[4] كذا في لي ن ر ، وسقطت « ثمال » من س م ، والثاء غير معجمة في ل .

[5] ر : الحنفي الدمشقي ؛ وفي الخريدة : الحزيمي .

[6] نشر ديوانه بدمشق سنة ١٩٦٧ .

أحسن فيها كل الإحسان ، وهي[1] :

قد أجمَدَ الخمرَ كانونٌ بكل قَـدَحْ ... وأخمد الجمر في الكانون حين قدَحْ
يا جنـــة الزبداني أنت مسفرة ... بحسن وجه إذا وجه الزمان كلَح
فالثلج قطنٌ عليكِ السحبُ تندفه ... والجوُّ يحلجه والقوسُ قوسُ قُـزَح

وله وقد دخل إلى حمام ماؤها شديد الحرارة ، وكان قد شاخ [وكبر][2] :

أرى مـــاء حمامكم كالحميم ... نُـكابد منه عنـــاء وبُوسا
وعهدي بكم تسمطون الجِداءَ ... فما بالكم تَسمِطُـون التيُّوسا

[ثم وجدت في كتاب « الخريدة » في ترجمة سعد بن إبراهيم الشيباني الاسعردي الملقب بالمجد الكاتب خمسة أبيات ، قال العماد الأصبهاني صاحب « الخريدة » : أنشدنيها سعد المذكور في ذم حمام ، ولم يقل إنها له ، والبيت الخامس منها :

وقد كان في العرف سمط الجداء ... فلم صرتمُ تسمطون التيوسا

وقال العماد : وهو إلى سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين وخمسمائة مقيم بالعسكر المنصور على عَكّا .

قلت: فقد استعمله فتيان الشاعر تضميناً، فنبهت عليه كيلا يظن أنه لفتيان].

وكان قد تعلق بخدمة الأمير بدر الدين مودود بن المبارك شحنة دمشق، وهو أخو عز الدين فَـرُّوخ[3] شاه ابن أخي السلطان صلاح الدين لأمه ، وكان يعـــلم أولاده الخط ، فكتب إليه شرف الدين بن عنين :

يا مَنْ تلَقَّبَ ظلماً بالشهابِ وإن ... نافى بظلمتهِ في أفقهـــا الشُّهُبا
لا يَغْرُرنَّكَ من مودودَ دولتهُ ... وإن تمسكت من أسبابها سَبَبا

---

١ الأبيات في ديوان فتيان : ٩٤ .

٢ البيتان في ديوانه : ٢٣٨ ؛ وزاد في المختار : وقيل إنها لغيره .

٣ ن لي : فرخ .

« فلَستَ تنبح فيها غيرَ واحدة حتى تلف على خَيشُومك الذنَبا»

وهذا البيت الأخير من أبيات « الحماسة » وقد استعمله تضميناً ، وكانت بينهما مكاتبات ومداعبات يطول شرحها .

[ومولده بعد سنة ثلاثين وخمسمائة ببانياس . ومن شعره :

علامَ تحركي والحظ ساكن وما نَهْنَهتُ في طلبٍ ولكنْ
أرى نذلاً تقدمهُ المساوي على حرٍّ تؤخرهُ المحاسِن

وله ديوان آخر صغير جميع ما فيه دوبيت رأيته بدمشق ونقلت منه :

الورد بوجنتيك زاه زاهر والسحر بمقلتيك واف وافر
والعاشق في هواك ساه ساهر يرجو ويخاف فهو شاك شاكر][1]

وتوفي فتيان المذكور سَحَر الثاني والعشرين من المحرم سنة خمس عشرة وستمائة ، ودفن بمقابر باب الصغير ، رحمه الله تعالى .

والشاغوري : بفتح الشين المعجمة وبعد الألف غين معجمة مضمومة ثم واو ساكنة بعدها راء ، هذه النسبة إلى الشاغور ، وهي عمارة بظاهر دمشق من جملة ضواحيها[2] .

والزبداني : بفتح الزاي والباء الموحدة والدال المهملة وبعد الألف نون مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ، وهي قرية بين دمشق وبعلبك كثيرة الأشجار والمياه ، رأيتها مراراً ، وهي في غاية الحسن والطيبة[3] .

---

١ ما بين معقفين ثبت في ر ، ولم أجد البيتين اللذين بقافية النون في ديوانه .
٢ ر : نواحيها .
٣ ر : والطيب .

٥٢٧

الفضل بن يحيى البرمكي

أبو العباس الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك[1] البرمكي ؛ كان من أكثرهم كرماً مع كرم البرامكة وسعة جودهم ، وكان أكرم من أخيه جعفر المقدم ذكره[2] ، وكان جعفر أبلغ في الرسائل والكتابة منه ؛ وكان هارون الرشيد قد ولاه الوزارة قبل جعفر، وأراد أن ينقلها إلى جعفر فقال لأبيهما يحيى : يا أبت – وكان يدعوه يا أبت – إني أريد أن أجعل الخاتم الذي لأخي الفضل لجعفر ، وكان يدعو الفضل يا أخي ، فإنهما متقاربان في المولد ، وكانت أم الفضل قد أرضعت الرشيد ، واسمها زبيدة من مولدات المدينة ، والخيزران أم الرشيد أرضعت الفضل ، فكانا أخوين من الرضاع ،وفي ذلك قال مروان بن أبي حفصة يمدح الفضل :

كَفى لكَ فَضلاً أن أفضَلَ حرة غذتكَ بثَدْيٍ والخليفةَ واحِدِ
لقد زِنتَ يحيى في المشاهد كلها كما زانَ يحيى خالداً في المشاهِدِ

قال الرشيد ليحيى[3] : وقد احتشمت من الكتاب إليه في ذلك فاكفنيه ، فكتب والده إليه: « قد أمر أمير المؤمنين بتحويل الخاتم من يمينك إلى شمالك» فكتب إليه الفضل « قد سمعت مقالة[4] أمير المؤمنين في أخي وأطمت ، وما

---

٥٢٧ – أخباره في ابن الأثير (ج : ٦) والطبري والوزراء والكتاب ومروج الذهب (ج : ٣) وزهر الآداب ٣٦٤ وتاريخ بغداد ١٢ : ٣٣٤ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٤٠ وعبر الذهبي ١ : ٣٠٩ والشذرات ١ : ٣٣٠ .

[1] زاد في ن : ابن يزيد .
[2] ترجمة جعفر البرمكي في (ج ١ : ٣٢٨) .
[3] والخيزران ... ليحيى : ورد في ر م والمختار .
[4] ر : ما قاله .

انتقلَت عني نعمةٌ صارت إليه ، ولا غربت عني رتبة طلعت عليه » فقال جعفر : لله أخي ما أنفس نفسه ، وأبين دلائل الفضل عليه ، وأقوى منة العقل فيه ، وأوسع في البلاغة ذَرْعَه .

وكان الرشيد قد جعل ولده محمداً في حجر الفضل بن يحيى ، والمأمونَ في حجر جعفر، فاختص كل واحد منهما بمن في حجره ، ثم إن[1] الرشيد قلد الفضل بعمل خراسان ، فتوجه إليها وأقام بها مدة ، فوصل كتاب صاحب البريد بخراسان إلى الرشيد ويحيى جالس بين يديه ومضمون الكتاب أن الفضل بن يحيى متشاغل بالصيد وإدمان اللذات عن النظر في أمور الرعية ، فلما قرأه الرشيد رمى به إلى يحيى ، وقال له : يا أبت ، اقرأ هذا الكتاب واكتب إليه بما يَرْدَعُه عن هذا، فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد: « حفظك الله يا بني وأمتع بك ، قد انتهى إلى أمير المؤمنين مما أنت عليه من التشاغل[2] بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أمور الرعية ما أنكره ، فعاوِدْ ما هو أزين بك، فإنه من عاد إلى ما يَزينه أو يَشينه لم يعرفه أهل دهره إلا به ، والسلام» وكتب في أسفله هذه الأبيات :

انصَبْ نهاراً في طِلاب العُلا ... واصبرْ على فَقدِ لقاء الحبيبْ
حتى إذ الليل أتى مقبلا ... واسْتَتَرَت فيه وجوهُ العيوب
فكابدِ الليلَ بما تشتهي ... فإنما الليل نهارُ الأريب
كم مِنْ فتى تحسِبهُ ناسكا ... يستقبلُ الليلَ بأمر عجيب
غطّى عليه الليلُ أستاره ... فبات في لهوٍ وعَيشٍ خصيب
ولذةُ الأحمَقِ مكشوفَةٌ ... يَسعى بها كلُّ عدو رقيب

والرشيد ينظر إلى ما يكتب[3] ، فلما فرغ قال : أبلَغْتَ يا أبت ، فلما ورد

---

١ وكان الرشيد . . . ثم إن : ورد في ر م والمختار ؛ وجاء في سائر النسخ : وكان الرشيد قد ولاه خراسان وأقام بها مدة . . . الخ .

٢ ر : التغافل .

٣ ن : ما كتب ، وسقطت من لي .

الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد نهاراً إلى أن انصرف من عمله[1] .

ومن مناقبه أنه لما تولى[2] خراسان دخل إلى بلخ وهو وطنهم ، وبها النوبهار وهو بيت النار التي كانت المجوس تعبدها، وكان جَدُّهم برمك خادم ذلك البيت – حسبما هو مشروح في ترجمة جعفر – فأراد الفضل هدم ذلك البيت ، فلم يقدر عليه لإحكام بنائه ، فهدم منه ناحية وبنى فيها مسجداً .

وذكر الجهشياري في « أخبار الوزراء »[3] أن الرشيد ولى جعفر بن يحيى الغرب كله من الأنبار إلى أفريقية في سنة ست وسبعين ومائة ، وقلّد الفضل الشرق كله من شروان[4] إلى أقصى بلاد الترك ، فأقام جعفر بمصر[5] واستخلف على عمله ، وشخص الفضل إلى عمله في سنة ثمان وسبعين ، فلما وصل إلى خراسان أزال سيرة الجور ، وبنى المساجد والحياض والرُّبُطَ وأحرق دفاتر البقايا[6] وزاد الجند ، ووصل الزوار والقواد والكتاب في سنة تسع بعشرة آلاف درهم ، واستخلف على عمله ، وشخص في آخر هذه السنة إلى العراق ، فتلقاه الرشيد وجمع له الناس وأكرمه غاية الإكرام ، وأمر الشعراء بمدحه والخطباء بذكر فضله ، فكثر المادحون له ، ومدحه إسحاق بن إبراهيم الموصلي بأبيات منها :

لو كان بيني وبين الفضل معرفة ... فضل بن يحيى لأعداني على الزمن

هو الفتى الماجد الميمون طائره ... والمشتري الحمدَ بالغالي من الثمن

وكان أبو الهول الحميري[7] قد هجا الفضل ، ثم أتاه راغباً إليه ، فقال له :

---

١ راجع هذه القصة المتقدمة في سرور النفس للتيفاشي ، الورقة : ٤٥ – ٤٦ .

٢ ر : ولي .

٣ الجهشياري : ١٩٠ .

٤ الجهشياري : النهروان .

٥ الجهشياري : بحضرة الرشيد .

٦ هكذا في المطبوعة والجهشياري ، ولعل المعنى : الدفاتر التي تحتوي بقايا مستحقة من الضرائب ، وفي المختار : مراكز البقايا ، وفي ر : مراكز البغايا .

٧ انظر طبقات ابن المعتز : ١٥٣ وتاريخ بغداد ١٢ : ٢٧٣ .

ويلك ! بأي وجه تلقاني؟ فقال : بالوجه الذي ألقى به الله عز وجل وذنوبي إليه أكثر من ذنوبي إليك ، فضحك ووصَلَه[1] .

ومن كلامه : ما سرور الموعود بالفائدة كسروري بالإنجاز .

وقيل له : ما أحسن كرمك لولا تِيهٌ فيك ، فقال : تعلمت الكرم والتيه من عمارة بن حمزة[2] . فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : كان أبي عاملاً على بعض كُوَر بلاد فارس ، فانكسرت عليه جملة مستكثرة ، فحُمل إلى بغداد ، وطولب بالمال ، فدفع جميع ما يملكه ، وبقيت عليه ثلاثة آلاف ألف درهم لا يعرف لها وجهاً ، والطلب عليه حثيث ، فبقي حائراً في أمره ، وكانت بينه وبين عمارة بن حمزة منافرة ومواحشة ، لكنه علم أنه ما يقدر على مساعدته إلا هو ، فقال لي يوماً وأنا صبي : امضِ إلى عمارة وسلم عليه عني وعَرِّفه الضرورة التي قد صرنا إليها واطلب منه هذا المبلغ على سبيل القرض إلى أن يسهّل الله تعالى باليسرة ، فقلت له : أنت تعلم ما بينكما ، وكيف أمضي إلى عدوك بهذه الرسالة وأنا أعلم أنه لو قدر على إتلافك لأتلفك ؟ فقال : لا بد أن تمضي إليه لعل الله يسخره ويوقع في قلبه الرحمة ، قال الفضل : فلم يمكني معاودته[3] ، وخرجت وأنا أقَدِّمُ رجلاً وأؤخر[4] أخرى ، حتى أتيت داره واستأذنت في الدخول عليه ، فأذن لي ، فلما دخلت وجدته في صدر إيوانه متكئاً على مفارِشَ وثيرة ، وقد غلف شعر رأسه ولحيته بالمسك ، ووجهه إلى الحائط وكان من شدة تيهه لا يقعد إلا كذلك ، قال الفضل : فوقفت[5] أسفل الإيوان ، وسلمت عليه فلم يرد السلام ، فسلمت عليه عن أبي وقصصت عليه

---

1 ومن مناقبه ... ووصله : ورد منه جزء يسير في م ، وثبت جميعه في المختار والنسخة ر وسقط من سائر النسخ .

2 انظر عن عمارة بن حمزة ، معجم الأدباء ١٥ : ٢٤٢ والهدايا والتحف : ١٤٣ ومواضع متفرقة من الجهشياري ؛ وقصة الفضل وتشبهه بعمارة في الفرج بعد الشدة ٢ : ٦٥ .

3 ر : مخالفته .

4 ر والمختار : مقدم ... ومؤخر .

5 ن : فمشيت إلى .

القصة ، فسكت[1] ساعة ثم قال : حتى ننظر ، فخرجت من عنده نادماً على نقل خُطاي إليه ، موقناً بالحرمان عاتباً على أبي كونَـهُ كلّفني إذلال نفسي بما لا فائدة فيه ، وعزمت على أن لا أعود إليه غيظاً منه ، فغبت عنه ساعة ثم جئته وقد سكن ما عندي ، فلما وصلت إلى الباب وجدت أبغالاً محملة ، فقلت : ما هذه ؟ فقيل : إن عمارة قد سيّر المال[2] ، فدخلت على أبي ولم أخبره بشيء مما جرى لي معه كيلا أكدر عليه إحسانه ، فمكثنا قليلاً ، وعاد أبي إلى الولاية وحصَلَتْ له أموال كثيرة ، فدفع إلي ذلك المبلغ وقال : تحمله إليه ، فجئت به ودخلت عليه ، فوجدته على الهيئة الأولى ، فسلمت عليه فلم يرد ، فسلمت عليه عن أبي وشكرت إحسانه وعرفته بوصول المال ، فقال لي بحرَدٍ : ويحك أقَسْطاراً كنت لأبيك ؟ اخرج عني لا بارك الله فيك ، وهو لك ، فخرجت ورددت المال إلى أبي وعجبنا من حاله ، فقال لي : يا بني ، والله ما تسمح نفسي لك بذلك ، ولكن خذ ألف ألف درهم واترك لأبيك ألفي ألف درهم ، فتعلمت منه الكرم والتيه .

[وحكى الجهشياري في « أخبار الوزراء »[3] هذه الحكاية ، لكن بين الحكايتين اختلاف قليل ، وذكر أن جملة المال ألف ألف درهم ، وكان ذلك في أيام المهدي ، وكان يحيى قد ضمن فارس فانكسر عليه المال ، وقال المهدي لمن يطالبه بالمال : إن أدى لك المال قبل المغرب من يومنا هذا وإلا فأتني برأسه ، وكان المهدي مُغْضَباً عليه][4] .

والقَسْطار : الصيرفي[5] .

وعمارة المذكور من أولاد عكرمة مولى ابن عباس، وقد تقدم ذكره ، وكان

---

١ ر : وسكت فسكت .

٢ المختار : قد سير إلى يحيى المال .

٣ الجهشياري : ١٩٧ .

٤ ما بين معقفين ورد في ر وحدها .

٥ القسطار : تعريب للفظة اللاتينية quaestor وهو موظف كانت إليه جباية الخراج أو أمانة المال .

كاتب أبي جعفر المنصور ومولاه ، وكان تائهاً معجباً ، كريماً بليغاً فصيحاً ، أعور . وكان المنصور وولده المهدي يقدمانه ، ويحتملان أخلاقه لفضله وبلاغته ووجوب حقه ، وولي لهما الأعمال الكبار ، وله رسائل مجموعة من جملتها رسالة الخميس[1] التي تقرأ لبني العباس .

ويحكى أن الفضل دخل عليه حاجِبُه يوماً فقال له[2] : إن بالباب رجلاً زعم[3] أن له سبباً يمتُّ به إليك ، فقال : أدخله ، فأدخله فإذا هو شاب حسن الوجه رث الهيئة ، فسلم ، فأومأ إليه بالجلوس فجلس ، فقال له بعد ساعة : ما حاجتك ؟ قال ، أعلمتْكَ بها رثاثَةُ ملبسي[4] ، قال . نعم ، فما الذي تمتُّ به إلي ؟ قال : ولادة تقرب من ولادتك ، وجوار يدنو من جوارك ، واسم مشتق من اسمك ، قال الفضل : أما الجوار فيمكن ، وقد يوافق الاسم الاسم، ولكن من أعلمك بالولادة ؟ قال : أخبرتني أمي أنها لما ولدتني قيل لها : قد ولد هذه الليلة ليحيى بن خالد غلام وسمي الفضل ، فسمتني أمي فُضَيْلاً إكباراً لاسمك أن تلحقني به ، وصغرته لقصور قدري عن قدرك ، فتبسم الفضل وقال له : كم أتى عليك من السنين ؟ قال : خمس وثلاثون سنة ، قال : صدقت ، هذا المقدار الذي أعُدُّ ، قال : فما فعلت[5] أمك ؟ قال : ماتت ، قال : فما منعك من اللحاق بنا متقدماً ؟ قال : لم أرضَ نفسي للقائك ، لأنها كانت في عامية معها حَداثة تقعدني عن لقاء الملوك ، وعلق هذا بقلبي منذ أعوام ، فشغلت نفسي بما يصلح للقائك حتى رضيت نفسي[6] ، قال : فما تصلح له ؟ قال : الكبير من الأمر والصغير ، قال : يا غلام ، أعطه لكل عام مضى من سِنّه ألفَ درهم، وأعطه

---

١ س ل : الجيش ، ن : الحسن ؛ ورسالة الخميس هذه مما احتفظ به ابن طيفور في كتابه « المنظوم والمنثور » .

٢ انظر القصة في تمام المتون : ٢٦٥ .

٣ ر : يزعم .

٤ ن : حالي .

٥ ر : عملت .

٦ حتى . . . نفسي : سقط من ر .

عشرة آلاف درهم يجمل بها نفسه إلى وقت استعماله[1] . وأعطاه مركوباً سَرِيّاً.

ثم إن الرشيد لما قتل جعفراً – على ما تقدم في ترجمته – قبض على أبيه يحيى وأخيه الفضل المذكور، وكان عنده، ثم توجه الرشيد إلى الرقة وهما معه وجميع البرامكة في التوكيل غير يحيى، فلما وصلوا إليها وجه الرشيد إلى يحيى أن أقم بالرقة أو حيث شئت ، فوجه[2] إليه : إني أحب أن أكون مع ولدي ، فوجه إليه : أترضى بالحبس ؟ فذكر أنه يرضى به ، فحبس معهم ، ووسع عليهم ، ثم كانوا حيناً يوسع عليهم وحيناً يُضَيَّق عليهم حسبما ينقل إليه عنهم ، واستصفى أموال البرامكة[3] . ويقال : إن الرشيد سير[4] مسروراً الخـــادم إلى السجن ، فجاءه فقال للمتوكل بهما : أخرج إليّ الفضل ، فأخرجه ، فقال له : إن أمير المؤمنين يقول لك : إني قد أمرتك أن تصدقني عن أموالكم[5] ، فزعمت أنك قد فعلت[6] ، وقد صح عندي أنك بقّيت لك أموالاً كثيرة[7] ، وقد أمرني إن لم تطلعني على المال أن أضربك مائتي سوطٍ ، وأرى لك أن لا تؤثر مالك على نفسك ، فرفع الفضل رأسه[8] وقال : والله مـــا كذبت فيما أخبرت به ، ولو خيرت بين الخروج من ملك الدنيا[9] وأن أُضرَبَ سوطاً واحداً لاخترت الخروج، وأمير المؤمنين يعلم ذلك ، وأنت تعلم أنا كنا نصون أعراضنا بأموالنا ، فكيف صرنا نصون أموالنا بأنفسنا ؟ فإن كنت قد أمرت بشيء فامض له ، فأخرج مسرور أسواطاً كانت معه في منديل، وضربه مائتي سوط ، وتولى ضربه الخدم

---

١ ن : اشتغاله .

٢ ر : فأرسل .

٣ ثم إن الرشيد . . . البرامكة : ورد هذا النص بإيجاز شديد في س بر ل ن لي .

٤ ن : أرسل إليه .

٥ ر س : أموالك .

٦ ر : صدقت .

٧ ن لي والمختار : مالا كثيراً .

٨ ربر : رأسه إليه .

٩ ن : أن أخرج من الدنيا ؛ ر : مال الدنيا .

فضربوه أشدّ الضرب ، وهم لا يحسنون[1] الضرب ، فكادوا أن يتلفوه ، وتركوه . وكان هناك رجل بصير بالعلاج فطلبوه لمعالجته ، فلما رآه قال : يكون قد ضربوه خمسين سوطاً ، فقيل : بل مائتي سوط ، فقال : ما هذا إلا أثر خمسين سوطاً لا غير ، ولكن يحتاج أن يَنامَ على ظهره على بارِيّةٍ وأدوس صدره ، فجزع الفضل من ذلك ثم أجاب إليه ، فألقاه على ظهره وداسه ، ثم أخذ بيده وجذبه عن البارية ، فتعلق بها من لحم ظهره شيء كثير ، ثم أقبل يعالجه ، إلى أن نظر يوماً إلى ظهره ، فخر المعالج ساجداً لله تعالى ، فقيل له : ما بالك ؟ فقال : قد برىء وقد نَبتَ في ظهره لحم حي ، ثم قال : ألست قلت هذا ضرب خمسين سوطاً ، أما والله لو ضرب ألف سوط ما كان أثرها بأشدّ من هذا الأثر ، وإنما قلت ذلك حتى تقوى نفسه[2] فيعينني على علاجه[3] .

ثم إن الفضل اقترض من بعض أصحابه عشرة آلاف درهم[4] وسيّرها له[5] ، فردّها عليه ، فاعتقد أنه قد استقلها ، فاقترض عليها عشرة آلاف أخرى وسيّرها فأبى أن يقبلها وقال : ما كنت لآخذ على معالجة فتى من الكرام كراءً ، والله لو كانت عشرين ألف دينار ما قبلتها ، فلما بلغ ذلك الفضل قال : والله إن الذي فعله هذا أبلغ من الذي فعلناه في جميع أيامنا من المكارم ، وكان قد بلغه أن ذلك المعالج كان في شدة وضائقة .

وكان الفضل ينشد وهو في السجن هذه الأبيات ، وأظنها لأبي العتاهية ، ثم وجدتها لصالح بن عبد القدوس من جملة أبيات قالها وهو محبوس ، وقيل إنها لعلي بن الخليل ، وكان هو وصالح المذكور يتهمان بالزندقة ، فحبسهما الخليفة المهدي بن المنصور ، فقال هذه الأبيات[6] :

---

١ ل : يحسبون .

٢ لي : يقوى على نفسه .

٣ لي : معالجته .

٤ ر : درهم أخرى .

٥ ن : وأرسلها إليه .

٦ ثم وجدتها . . . الأبيات : سقط من س ل لي بر .

إلى الله فيما نالنا نرفعُ الشكوى ففي يده كَشفُ المضرة والبَلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلا نحن في الأموات فيها ولا الأحيا
إذا جاءنا السجان يومـــاً لحاجة عجبنا وقلنا : جاء هذا من الدنيا[1]

وقد مدح البرامكة جميع شعراء عصرهم ، فمن ذلـــك قول مروان بن أبي حفصة ، وقيل إنها لأبي الحجناء في الفضل المذكور :

عندَ الملوكِ منـــافعٌ ومضرة وأرى البرامك لا تضرُّ وتنفعُ
إن كان شرٌّ كانَ غيرهمُ له والخير منسوبٌ إليهم أجمـــع
وإذا جهلتَ من امرىء أعراقــه وقديمهُ فانظر إلى مـــا يصنع
إن العروق إذا استسر بها الندى أشب[2] النباتُ بها وطاب المزرع

وغضب الرشيد على العتابي الشاعر فشَفَع له الفضل فرضي عنه ، فقال :

ما زلتُ في غمراتِ الموتِ مُطَّرَحاً يضيقُ عني وسيعُ الرأي والحيلِ
فلم تزل دائمـــاً تَسعى بلطفكَ لي حتى اختلستَ حياتي من يَدَي أجَلي

ومدحه أبو نواس بقصائد ، قال في بعضها :

سأشكو إلى الفضلِ بن يحيى بن خالدٍ هواكِ لعلَّ الفضلَ يجمعُ بينَنـــا

فقيل له : قد أسأت المقال في المخاطبة بهذا القول ، فقـــال : أردت جمع تفضل لا جمع توصل ، وتبعه المتنبي بقوله :

علَّ الأمير يرى ذُلّـي فيشفَعَ لي إلى التي صيَّرَتني في الهوى مَثَلا

وعمل فيه بعض الشعراء بيتاً واحداً وهو :

ما لقينا من جودِ فضل بن يحيى تركَ النـــاس كلهم شعراءَ

---

[1] هذا البيت متقدم على الذي قبله في ر .
[2] ر : أشر .

فاستحسنوا منه ذلك وعابوا عليه كونه مفرداً ، فقال [أبو] العذافر ورد ابن سعد العمى[1] :

علّم المفحمين أن ينظموا الأشـ مارَ منـا والباخلين السخاءَ

فاستحسنوا منه ذلك .

وكان الفضل كثير البر بأبيه ، وكان أبوه يتأذّى من استعمال الماء البارد في زمن الشتاء . فيحكى انهما لما كانا في السجن لم يقدرا على تسخين الماء ، فكان الفضل يأخذ الإبريق النحاس وفيه المـاء فيلصقه إلى بطنه زماناً عساه تنكسر برودته بحرارة بطنه حتى يستعمله أبوه بعد ذلك .

وأخباره كثيرة . وكانت ولادته لسبع بقين من ذي الحجة سنـة سبع[2] وأربعين ومائة [وذكر الطبري في تاريخه في أول خلافة هارون الرشيد أن مولد الفضل بن يحيى سنة ثمان وأربعين ، والله أعلم][3] . وتوفي بالسجن سنـة ثلاث وتسعين ومائة في المحرم غداة جمعة بالرقة ، وقيل إنه توفي في شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين ومائة ، رحمه الله تعالى .

ولما بلغ الرشيدَ موته قال : أمري قريب من أمره ، وكذا كان ، فإنه توفي بطوس سنة ثلاث وتسعين ومائة ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة ، وقيل النصف منه ، وقيل ليلة الخميس النصف من جمادى الأولى ، وقال ابن اللبان الفرضي : في شهر ربيع الآخر ، مع اتفاقهم على السنة وقد تقدم أنه كان قرينه في الولادة أيضاً [وترتّبَ في الخلافة ولدُه الأمين محمد والمأمون صاحب خراسان][3] .

---

١ م : العذافر بن ورد بن سعد القمي وكذلك في المختار بإسقاط «بن سعد» وفي ر : العذافر بن ورد التيمي ، وفي أصول البيان ١ : ١٤٢ العذافر الكندي ، وذكره المرزباني (الموشح : ١٨٥ والمعجم ٥١٢) بكنيته : (أبو العذافر الكندي) وكذلك ذكره البكري (السمط : ٦٩٦ – ٦٩٧) والخبر الذي أورده المؤلف منقول عن الجهشياري : ١٩٥ وفيه : أبو العذافر ورد بن سعد التيمي ، وهو شاعر ترجم له ابن الجراح في الورقة : ٣ وكان قد صحب علي بن عيسى بن ماهان إلى خراسان ثم اتصل بالفضل بن يحيى .

٢ هامش المختار : وقيل ثمان .   ٣ ما بين معقفين انفردت به ر .

٥٢٨

الفضل بن الربيع

أبو العباس الفضلُ بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة ، واسمه كيسان ، مولى عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، وقد تقدم ذكر أبيه في حرف الراء وشيء من أخباره مع المنصور أبي جعفر ، فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة ، كان الفضل بن الربيع يروم التشبه بهم ومعارضتهم ، ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم[1] ، فكان في نفسه منهم إحَنٌ وشَحْناء ، قال عبيد الله بن سليمان بن وهب : إذا أراد الله تعالى هلاك قوم وزوال نعمتهم جعل لذلك أسباباً ، فمن أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرهم بالفضل بن الربيع وسعي الفضل بهم وتمكنه من المجالسة مع الرشيد[2] فأوغر قلبه عليهم ومالأه على ذلك كاتبهُم إسماعيل بن صبيح[3] حتى كان ما كان .

ويحكى أن الفضل المذكور دخل يوماً على يحيى بن خالد البرمكي، وقد جلس لقضاء حوائج الناس ، وبين يديه ولده جعفر يوقّعُ في القصص ، فعرض الفضل عليه عشر رقاع للناس ، فتعالّ يحيى في كل رقعة بعلة ولم يوقّع في شيء منها

---

٥٢٨ – أخباره وترجمته في تاريخ بغداد ١٢ : ٣٤٣ ومعجم المرزباني : ١٨٢ ومواضع متفرقة من الوزراء والكتاب والكامل لابن الأثير (ج : ٦) والنجوم الزاهرة ٢ : ١٨٥ وزهر الآداب : ٥٤١ ، ٥٤٥ وعبر الذهبي ١ : ٣٥٥ والشذرات ٢ : ٢٠ والبداية والنهاية ١٠ : ٢٦٣ وإعتاب الكتاب : ٩٩ ، وهذه الترجمة كما أثبتناها وردت في ر والمختار وهي موجزة في سائر النسخ .

١ ر : لحاقهم .

٢ المختار : وتمكن بالمجالسة من الرشيد .

٣ تجد أخبار إسماعيل في صفحات متفرقة من « الوزراء والكتاب » للجهشياري وإعتاب الكتاب : ١٠٢ .

ألبتة ، فجمع الفضل الرقاع وقال : ارجِعْنَ خائبات خاسئات[1] ، ثم خرج وهو يقول :

عسى وعَسى[2] يَثني الزمان عنانَهُ   بتصريفِ حالٍ والزمانُ عَثُورُ
فتُقضَى لُباناتٌ وتشفى حَسائف   وتحدُثَ من بعد الأمور أمورُ

فسمعه يحيى وهو ينشد ذلك ، فقال له : عزمْتُ عليك يا أبا العباس إلا رجعت ، فرجع فوقّع له في جميع الرقاع . ثم ما كان إلا القليل حتى نُكبوا على يده وتولى بعدهم وزارة الرشيد، وفي ذلك يقول أبو نواس وقيل أبو حزرة[3]:

ما رَعى الدّهرُ آلَ برْمكَ لمّا   أنْ رَمى ملكهم بأمرٍ فظيع
إنّ دَهراً لم يَرْعَ عَهداً ليحيى   غير راعٍ ذِمامَ آل الرّبيع

وتنازع يوماً جعفر بن يحيى والفضل بن الربيع بحضرة الرشيد ، فقال جعفر للفضل : يا لقيط ، إشارة إلى ما كان يقال عن أبيه الربيع : إنه لا يُعْرَف نسبه وأبوه ، حسبما ذكرناه في ترجمته ، فقال الفضل : اشهد يا أمير المؤمنين ، فقال جعفر للرشيد : تراه عند مَنْ يقيمك هذا الجاهل شاهداً يا أمير المؤمنين ، وأنت حاكم الحكام .

ومات الرشيد والفضل مستمر على وزارته [وكان في صحبة الرشيد ، فقرر الأمور للأمين محمد بن الرشيد، ولم يعرج على المأمون وهو بخراسان ، ولا التفتَ إليه ، فعزم المأمون على إرسال طائفة من عسكره لأن يعترضوه في طريقه لما انفصل عن موضع وفاة الرشيد ، وهو طوس حسبما ذكرته في ترجمة الفضل ابن يحيى البرمكي ، فأشار عليه وزيره الفضل بن سهل أن لا يتعرض له ، وخاف عاقبته .

---

١ ر : خاسرات .

٢ في س كتب فوق لفظة عسى الأولى « متى » وإلى جانبها خ ؛ وانظر الفرج بعد الشدة ١ : ٦٥.

٣ ر : أبو حرزة ؛ وفي من عرف بكنيته عند المرزباني (المعجم : ٥٠٩) أبو حزرة المصري ؛ وفي المختار : أبو خرزه .

ثم إن الفضل بن الربيع خاف من المأمون إن انتهت الخلافة إليه ، فزيّنَ للأمين أن يخلع المأمون من ولاية العهد ، ويجعل ولي عهده موسى بن الأمين ، وحصلت الوحشةُ بين الأخوين إلى أن سير المأمون جيشاً من خراسان مُقَدّمه طاهر بن الحسين المقدم ذكره بإشارة وزيره الفضل بن سهل ، وأخرج الأمين من بغداد جيشاً بإشارة وزيره الفضل بن الربيع المذكور ، مُقَدّمه علي بن عيسى ابن ماهانَ ، فالتقيا ، وقتل علي بن عيسى ، وذلك في سنة أربع[1] وتسعين ومائة .

ثم اضطربت أحوال الأمين وقويت شوكة المأمون ، فلما رأى الفضل ابن الربيع الأمور مختلّة استتر في رجب سنة ست وتسعين ومائة ، ثم ظهر لما ادعى إبراهيم بن المهدي الخلافة ببغداد ، كما ذكرتُه في ترجمته ، واتصل به ابن الربيع ، فلما اختلّ حالُ إبراهيم استتر ابن الربيع ثانياً ، وشرحُ ذلك يطول . وخلاصته أن طاهر بن الحسين سأل المأمون الرضا عنه ، فأدخله عليه ، وقيل غير ذلك ، إلا أنه لم يزل بطالاً إلى أن مات ، ولم يكن له في دولة المأمون حظ ، والله أعلم][2] .

وكتب[3] إليه أبو نواس يعزيه في الرشيد ، ويهنئه بولاية ولده الأمين[4] :

تعزَّ أبا العباس عن خيرِ هالكٍ ... بأكرَمِ حيٍّ كان أو هو كائنُ
حوادثُ أيامٍ تدورُ صُرُوفها ... لهنّ مَساوٍ مرّةً ومَحاسن
وفي الحيِّ بالميت الذي غيّبَ الثّرى ... فلا أنتَ مغبونٌ ولا الموت غابن

وفيه أيضاً قال أبو نواس من جملة أبيات :

وليس لله[5] بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

---

١ ر : ست .

٢ ما بين معقفين انفردت به ر : ولم يأت في المختار من هذه الترجمة بعد ذلك سوى بيت أبي نواس « وليس لله . . . الخ » وسقط سائرها .

٣ في جميع النسخ ما عدا ر : فكتب ، لأن النص أصلا : ومات الرشيد والفضل مستمر على وزارته فكتب . . . الخ .

٤ ديوان أبي نواس : ١٣٠ . ٥ ر : ليس على الله .

قال أبو بكر الصولي : ولقد أخذ أحمد بن يوسف الكاتب هذا المعنى وزاد عليه ، وكتبه إلى بعض إخوانه ، وقد ماتت له بَبّغاء ، وله أخ كثير التخلف يسمى عبد الحميد :

أنت تبقى ونحن طُرّاً فِداكا أحسن الله ذو الجلال عَزاكا
فلقد جل خطب دهرٍ أتاكا بمقاديرَ أتلفَتْ بَبّغاكا
عجباً للمنون كيف أتتها وتخطّتْ عبدَ الحميد أخاكا
كان عبدُ الحميد أصلَحَ للمو ت من البَبّغا وأولى بذاكا
شملتنا المصيبتان جميعاً فَقْدُنا هذه ورؤية ذاكا

وقد تقدم في ترجمة ابن الرومي ذكر المقطوعين المقولين في الوزير أبي القاسم عبيد الله وولَدَيه الحي والميت[1] ، وذلك المعنى مأخوذ من هذه الأبيات وأبو نواس هو الذي فتح لهم الباب ، ومنه أخذ الباقون ، وإن كان بينهم مغايرة مّا لكن المادة واحدة .

وكانت وفاة الفضل بن الربيع في ذي القعدة ، سنة ثمان ومائتين وسنه ثمان وستون سنة ، وقيل في شهر ربيع الآخر ، رحمه الله تعالى؛ وفيه يقول أبو نواس أبياته الدالية التي فيها « والخير عادَهْ »[2] .

---

١ انظر ج ٣ : ٣٦٢ .

٢ يشير إلى قوله (ديوانه : ١٠٨) :

أنت يا ابن الربيع ألزمتني النسك وعودتنيه والخير عاده

٥٢٩

الفضل بن سهل

أبو العباس الفضل بن سَهْل السَّرَخْسي أخو الحسن بن سهل – وقد تقدم ذكره في حرف الحاء – ؛ أسلم على يد المأمون في سنة تسعين ومائة ، وقيل إن أباه سهلاً أسلم على يد المهدي ، والله أعلم ، فوزَرَ للمأمون واستولى عليه حتى ضايقه في جارية أراد شراءها .

ولما عزم جعفر البرمكي على استخدام الفضل للمأمون ، وصفه يحيى بحضرة الرشيد ، فقال له الرشيد : أوْصِله إلي ، فلما وصل إليه أدركته حيرة فسكت، فنظر الرشيد إلى يحيى نظر منكر لاختياره ، فقال ابن سهل : يا أمير المؤمنين، إن من أعدل الشواهد على فراهة المملوك أن يملك قلبه هيبة سيده ، فقال الرشيد : لئن كنت سكت لتصوغ هذا الكلام فلقد أحسنت ، وإن كان بديهة إنه لأحسن وأحسن، ثم لم يسأله بعد ذلك عن شيء إلا أجابه بما يصدّقُ وصف يحيى له .

وكانت فيه فضائل، وكان يلقب بذي الرياستين لأنه تقلد الوزارة والسيف .

وكان يتشيع ؛ وكان من أخبر الناس بعلم النّجامة ، وأكثرهم إصابة في أحكامه . حكى أبو الحسين علي بن أحمد السلامي في « تاريخ ولاة خراسان » : أن طاهر بن الحسين، المقدم ذكره ، لما عزم المأمونُ على إرساله إلى محاربة أخيه محمد الأمين نظر الفضلُ بن سهل في مسألته ، فوجد الدليل في وسط السماء ، وكان ذا يمينين ، فأخبر المأمون بأن طاهراً يظفر بالأمين ويلقب بذي اليمينين ،

---

٥٢٩ – أخباره في أماكن متفرقة من « الوزراء والكتاب » والكامل لابن الأثير (ج : ٦) وتاريخ بغداد ١٢ : ٣٣٩ ومروج الذهب ٤ : ٥ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٧٢ وعبر الذهبي ١ : ٣٣٨ والشذرات ٢ : ٤ وله أخبار في ترجمة أخيه الحسن في إعتاب الكتاب : ١٠٧ .

فتعجب المأمون من إصابة الفضل ، ولقب طاهراً بذلك ، وولع[1] بالنظر في في علم النجوم .

وقال السلامي أيضاً : ومما أصاب الفضل بن سهل فيه من أحكام النجوم[2] أنه اختار لطاهر بن الحسين حين سمي للخروج إلى الأمين وقتاً ، فعقد فيه لواءَهُ وسلمه إليه ، ثم قال له : قد عقدت لك لواء لا يحل خمساً وستين سنة ، فكان بين خروج طاهر بن الحسين إلى وَجْهِ علي بن عيسى بن ماهان ، مقدم جيش الأمين ، وقبضِ يعقوب بن الليث الصفار على محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ابن الحسين بنيسابور خمس وستون سنة . وكان قبض يعقوب بن الليث على محمد المذكور يوم الأحد لليلتين خلتا من شوال سنة تسع وخمسين ومائتين .

ومن إصاباته[3] أيضاً ما حكم به على نفسه ، وذلك أن المأمون طالب والدةَ الفضل بما خلفه ، فحملت إليه سلة مختومة مقفلة ، ففتح قفلها ، فإذا صندوق صغير مختوم ، وإذا فيه درج ، وفي الدرج رقعة من حرير مكتوب فيها بخطه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما قضى الفضل بن سهل على نفسه ، قضى أنه يعيش ثمانياً وأربعين سنة ، ثم يقتل ما بين ماء ونار » فعاش هذه المدة ، ثم قتله غالب[4] خال المأمون في حمام بسَرَخْسَ – كما سيأتي إن شاء الله تعالى ؛ وله غير ذلك إصابات كثيرة .

ويحكى أنه قال يوماً لثُمامة بن الأشرس : ما أدري ما أصنع بطلاب الحاجات فقد كثروا علي وأضجروني ؛ فقال له : زُل عن موضعك ، وعليَّ أن لا يلقاك أحد منهم ، فقال : صدقت ، وانتصب لقضاء أشغالهم .

وكان قد مرض بخراسان وأشفى على التلف ، فلما أصاب العافية جلس للناس ، فدخلوا عليه وهَنَّوْه بالسلامة ، وتصرفوا في الكلام ، فلما فرغوا من كلامهم أقبل على الناس وقال[5] : إن في العلل لنعماً لا ينبغي للعقلاء أن

---

١ المختار : وأولع .

٢ ر : الأحكام .   ٣ ر : إصابته .

٤ زاد في هامش المختار : السعودي الأسود .

٥ انظر الفرج بعد الشدة ١ : ٤٠ .

يجهلوهـــا : تمحيص الذنوب ، والتعرض لثواب الصبر ، والإيقاظ من الغفلة ، والإذكار بالنعمة في حال الصحة ، واستدعاء التوبة ، والحض على الصدقة .

وقد مدحه جماعة من أعيان الشعراء[1] ، وفيه يقول إبراهيم بن العباس الصولي، وقد سبق ذكره[2] :

لفضل بن سهلٍ يدٌ تَقاصَرَ عنها المثَلْ
فنــائلهـــا لِلغنى وسَطْوَتُها للأجل
وباطنهـا للنَّـدَى وظاهرُها للقُبَل

ومن هاهنا أخذ ابن الرومي قوله في الوزير القاسم بن عبيد الله من جملة أبيات:

أصبحتُ بين خَصاصة وتجمُّل والحرُّ بينهما يموت هزيـــلا
فامدُدْ إلي يداً تعوّدَ بطنهـــا بذلَ النوال وظَهْرُها التقبيلا

وفيه يقول أبو محمد عبد الله بن محمد ، وقيل ابن أيوب التيميمي[3] :

لعمرك ما الأشرافُ في كل بلدة وإن عظُموا للفضل إلا صنائعُ
ترى عظماءَ الناسِ للفضل خُشّعاً إذا ما بدا ، والفضلُ للهِ خاشع
تواضعَ لمـــا زاده الله رفعةً وكلُّ جليلٍ عنـــدهُ متواضع

وقال فيه مسلم بن الوليد الأنصاري المعروف بصريع الغواني من جملة قصيدة[4]:

أقمتَ خلافةً وأزلتَ أخرى جليلٌ ما أقمتَ ومـــا أزلتا

[وحكى الجهشياري[5] أن الفضل بن سهل أصيب بابن له يقال له العباس، فجزع

١ المختار : الشعراء الأعيان .
٢ الطرائف الأدبية : ١٣٦ .
٣ الجهشياري : ٣٢٠ ، وفي لي ن ل : التيمي .
٤ ديوان مسلم (الملحقات) : ٣٠٧ نقلا عن الوفيات .
٥ لم يرد في المطبوعة من كتاب الجهشياري واستدركه الأستاذ ميخائيل عواد في « نصوص ضائعة من كتابه الوزراء والكتاب » : ٥٣ نقلا عن المؤلف ؛ ولم يرد هذا النص في المختار .

عليه جزعاً شديداً ، فدخل عليه إبراهيم بن موسى بن جعفر العلوي وأنشده :

خيرٌ من العباس أجرُك بعده   والله خيرٌ منكَ للعبـــاس

فقال : صدقت ، ووصله وتعزى له] .

ولما ثقل أمره على المأمون دس عليه خاله غالباً [المسعودي الأسود]، فدخل عليه الحمام بسَرَخْسَ ، ومعه جماعة ، وقتلوه مُغافَصَةً ، وذلك يوم الخميس[1] ثاني شعبان سنة اثنتين ومائتين ، وقيل ثلاث ومائتين ، وعمره ثمان وأربعون سنة ، وقيل إحدى وأربعون سنة وخمسة أشهر ، والله أعلم .

[وذكر الطبري في تاريخه أنه كان عمره ستين سنة ، وقيل سنـــة اثنتين ومائتين يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان . قلت : وهو الصحيح .

ورثاه مسلم بن الوليد ودعبل وإبراهيم بن العباس ، رحمه الله تعالى . ومات والده سهل في سنة اثنتين أيضا ، بعد قتل ابنه بقليل . وعاشت أمه وأم أخيه الحسن حتى أدركت عُرْس بوران على المأمون][2] .

ولما قتل مضى المأمون إلى والدته ليعزيها ، فقال لها : لا تأسَيْ عليه ولا تحزني لفقده ، فإن الله قد أخلف عليك مني ولداً يقوم مقـــامه ، فمها كنت تنبسطين إليه فيه فلا تنقبضي عني منه ، فبكت ثم قـالت : يا أمير المؤمنين ، وكيف لا أحزن على ولد أكسبني ولداً مثلك ؟ .

والسَّرَخْسِي : بفتح السين المهملة والراء وسكون الخاء المعجمة وبعدها سين مهملة ، هذه النسبة إلى سَرَخْسَ ، وهي مدينة بخراسان .

---

١ كذا في ل لي ؛ وفي ر ن س : الجمعة .

٢ انفردت ر بما بين معقفين .

٥٣٠

الفضل بن مروان

أبو العباس الفضل بن مروان بن ماسرخس[١] وزير المعتصم ؛ وهو الذي أخذ له البيعة ببغداد وكان المعتصم يومئذ ببلاد الروم ، فإنه توجه إليها صحبة أخيه المأمون ، فاتفق موت المأمون هناك ، وتولى المعتصم بعده ، واعتد له المعتصم بها يداً عنده [وفَوَّضَ إليه الوزارة يوم دخوله بغداد ، وهو يوم السبت مستهل شهر رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين ، وخلع عليه ، ورد أموره كلها إليه ، فغلب عليه بطول خدمته ، وتربيته إياه][٢] واستقل بالأمور ، وكذلك كان في أواخر ولاية المأمون ، فإنه غلب عليه كثيراً . وكان نصراني الأصل قليل المعرفة بالعلم حسن المعرفة بخدمة الخلفاء ، وله ديوان رسائل وكتاب « المشاهدات والأخبار » التي شاهدها ، ومن كلامه : مَثَلُ الكاتب كالدولاب[٣] إذا تعطل انكسر . وكان قد جلس يوماً لقضاء أشغال الناس ورفعت إليه قصص العامة ، فرأى في جملتها رقعة مكتوباً فيها :

تفَرْعَنْتَ يا فضلُ بنَ مروان فاعتَبِر ... فقبلكَ كانَ الفضلُ والفضلُ والفضلُ
ثلاثة أملاكٍ مَضَوْا لسبيلهم ... أبادَتْهُمُ الأقيادُ والحبس والقتل
وإنك قد أصبحتَ في الناس ظالماً ... ستُودي كما أودى الثلاثةُ من قبل

أراد الفضول الثلاثة الذين تقدم ذكرهم ، وهم : الفضل بن يحيى البرمكي ،

---

٥٣٠ – أخباره في مواضع متفرقة من « الوزراء والكتاب » والكامل لابن الأثير ٣٨ (ج ٦ ، ٧) وإعتاب الكتاب : ١٣٠ والنجوم الزاهرة ٢ : ٢٣٢ والشذرات ٢ : ١٢٢ ؛ وقد اجتزأ في المختار بإيراد قسم يسير من هذه الترجمة .

١ س : ماسرجس ؛ لي : ماسرجين .

٢ انفردت ر بما بين معقفين .

٣ ن : الكاتب مثل الدولاب .

والفضل بن الربيع ، والفضل بن سهل .

وذكر المرزباني في « معجم الشعراء[1] » هذه الأبيات للهيثم بن فراس السامي، من بني سامة بن لؤي ، وكذا ذكرها الزمخشري في كتاب « ربيع الأبرار »[2] .

ومثل هذه القضية ما جرى لأسد بن زريق[3] الكاتب ، فإنه جاء إلى باب أبي عبد الله الكوفي لما قلّد مكان أبي جعفر بن شيرزاد[4] ، وانتقل إلى داره ، وجلس في دسته ، فمنعه البواب من الدخول إليه ، فرجع إلى داره وكتب إليه :

إنا رأينا حِجاباً منك قد عرضا ... فلا يكن ذلنا فيه لك الغَرَضا
اسمع مقالي ولا تغضبْ عليّ فما ... أبغي بذلك لا مالا ولا عَرَضا
الشكر يبقى ويفنى ما سواه ، وكم ... سواك قد نال ملكاً فانقضى ومضى
في هذه الدار في هذا الرواق على ... هذا السرير رأيت العز وانقَرَضا

فلما وقف أبو عبد الله على هذه الأبيات استدعاه واعتذر إليه وقضى حاجته .

وقد سبق نظير هذا في ترجمة عبد الملك بن عمير ، وما جرى له مع عبد الملك ابن مروان الأموي لما حضر بين يديه رأس مصعب بن الزبير ، فلينظر هناك .

ثم إن المعتصم تغيّر على الفضل بن مروان، وقبض عليه في رجب سنة إحدى وعشرين ومائتين ، ولما قبض عليه قال : عصى الله في طاعتي فسلطني عليه ، ثم خدم بعد ذلك جماعة من الخلفاء ، ثم توفي في شهر ربيع الآخر سنة خمسين ومائتين ، وعمره ثمانون سنة ، رحمه الله تعالى .

وقال في كتاب « الفهرست »[5] : عاش ثلاثاً وتسعين سنة ، والله أعلم بالصواب.

[وقال الطبري : كانت نكبته في صفر من السنة المذكورة . وقال الصولي:

---

1 لم يرد في المعجم المطبوع .

2 وذكر المرزباني . . . الأبرار : سقط من س ل لي بر والمختار .

3 س والمختار : رزيق ؛ ن : زيد .

4 هو محمد بن يحيى بن شيرزاد وكان وزيراً لبجكم (انظر أخباره في ج ٨ من تاريخ ابن الأثير وتجارب الأمم) . ل ن لي س بر : شيراز .

5 الفهرست : ١٢٧ .

أخذ المعتصم من داره لما نكبه ألف ألف دينار ، وأخذ أثاثاً وآنية بألف ألف دينار ، وحبسه خمسة أشهر ، ثم أطلقه وألزمه بيته ، واستوزر أحمد بن عمار.
ومن كلامه : لا تتعرض لعدوك وهو مقبل ، فإن إقباله يعينـــه عليك ، ولا تتعرض له وهو مدبر ، فإن إدباره يكفيك أمره][3] .

٥٣١

الفضيل بن عياض

أبو علي الفُضَيْل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطـّالـَقاني الأصل ، الفُنْديني[1]، الزاهد المشهور أحد رجال الطريقة؛ كان في أول أمره شاطراً يقطع الطريق بين أبيوَرْدَ وسَرَخْسَ، وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينا هو يرتقي الجدران إليها سمع تالياً يتلو ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ (الحديد : ١٦) فقال : يا رب قد آن ، فرجع ، وآواه الليل إلى خَرِبَة فإذا فيها رفقة ، فقال بعضهم : نرتحل ، وقال بعضهم : حتى نصبح ، فإن فُضَيلا على الطريق يقطع علينا ، فتاب[2] الفضيل وآمنهم .

وكان من كبار السادات ؛ حدث سفيان بن عيينة قال : دعانا هارون الرشيد فدخلنا عليه ، ودخل الفضيل آخرنا مقنعاً رأسه بردائه ، فقـــال لي :

---

١ ما بين معقفين انفردت به ر .

٥٣١ – ترجمته في طبقات السلمي: ٦ – ١٤ وتذكرة الحفاظ : ٢٤٥ وميزان الاعتدال ٣: ٣٦١ وعبر الذهبي ١ : ٢٩٨ وصفة الصفوة ٢ : ١٣٤ وحلية الأولياء ٨ : ٨٤ والجواهر المضية ١ : ٤٠٩ وتهذيب التهذيب ٨ : ٢٩٤ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٢١، ١٤٣ والشذرات ١ : ٣١٦ .

٢ الفنديني : سقطت من س والمختار ، واضطربت في سائر النسخ ، ولم يرد لها ضبط في خاتمة الترجمة إلا في النسخة ر .

٣ ن س : فبات .

يا سفيان ، وأيهم أمير المؤمنين ؟ فقلت : هذا ، وأومأت إلى الرشيد ، فقال له : يا حسن الوجه ، أنت الذي أمرُ هذه الأمة في يدك وعنقك ؟ لقد تقلدت أمراً عظيماً ، فبكى الرشيد ، ثم أتي كل رجل منا ببدرة ، فكلٌّ قبلها إلا الفضيل ، فقال الرشيد : يا أبا علي إن لم تستحل أخذها فأعطها ذا دَيْنٍ أو أشبع بها جائعاً أو اكس بها عارياً[1] فاستعفاه منها ، فلما خرجنا قلت : يا أبا علي ، أخطأت ، ألا أخذتها وصرفتها في أبواب البر ؟ فأخذ بلحيتي ثم قال : يا أبا محمد، أنت فقيه البلد والمنظور إليه وتغلط مثل هذا الغلط[2] ؟ لو طابت لأولئك لطابت لي .

ويحكى أن الرشيد قال له يوماً[3] : ما أزهدك ! فقال الفضيل : أنت أزهد مني ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأني أزهد في الدنيا ، وأنت تزهد في الآخرة ، والدنيا فانية والآخرة باقية .

وذكر الزمخشري في كتاب « ربيع الأبرار » في آخر باب الطعام أن الفضيل قال يوماً لأصحابه : ما تقولون في رجل في كمه تمر ثم يقعد على رأس الكنيف فيطرحه فيه تمرة تمرة ؟ قالوا : هو مجنون ، قال : فالذي يطرحه في بطنه حتى يحشوه فهو أجن منه ، فإن هذا الكنيف يُملأ من هذا الكنيف .

ومن كلام الفضيل : إذا أحب الله عبداً أكثر غمه ، وإذا أبغض عبداً وسَّع عليه دنياه . وقال : لو أن الدنيا بحذافيرها عُرضت عليَّ على أن لا أحاسب عليها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه . وقال: ترك العمل لأجل الناس هو الرياء ، والعمل لأجل الناس هو الشرك[4] . وقال : إني لأعصى الله تعالى فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي . وقال : لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام ، لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد. وقال : لأن يلاطف الرجل أهل مجلسه ويحسن خلقه معهم خير له من قيام ليله وصيام نهاره .

---

١ ر لي : جيعاناً . . . عرياناً .

٢ لي : هذه الغلطة .

٣ البصائر والذخائر ٤ : ١٨٨ .

٤ زاد في ن : والإخلاص أن يعافيك منهما .

وقال أبو علي الرازي : صَحِبت الفضيل ثلاثين سنة، ما رأيته ضاحكاً ولا متبسماً إلا يوم مات ابنه علي ، فقلت له في ذلك ، فقال : إن الله أحب أمراً فأحببت ذلك الأمر ؛ وكان ولده المذكور شاباً سَرياً من كبار الصالحين . وهو معدود في جملة من قتلتهم محبة الباري سبحانه وتعالى ، وهم مذكورون[1] في جزء سمعناه قديماً ولا أذكر الآن مَنْ مؤلفه .

وكان عبد الله بن المبارك رضي الله عنه يقول: إذا مات الفضيل ارتفع الحزن من الدنيا .

ومناقب الفضيل كثيرة . ومولده بأبيوَرْد ، وقيل بسَمَرْقَنْد ، ونشأ بأبيورد وقدم الكوفة وسمع الحديث بها ، ثم انتقل إلى مكة شرفها الله تعالى وجاور بها إلى أن مات في الحرم سنة سبع وثمانين ومائة ، رضي الله عنه .

والطالَقاني : نسبه إلى طالَقان خراسان ، وقد تقدم الكلام عليها في ترجمة الصاحب بن عباد في حرف الهمزة .

[والفُنْديني : بضم الفاء وسكون النون وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفي آخرها نون ، هذه النسبة إلى فُنْدِينَ ، وهي من قرى مرو][2] .

وأبيوَرْدُ : بفتح الهمزة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الواو وسكون الراء وبعدها دال مهملة ، بُليدة بخراسان .

وسَمَرقَندُ : بفتح السين المهملة والميم وسكون الراء وفتح القاف وسكون النون وبعدها دال مهملة ، أعظم مدينة بما وراء النهر ، قال ابن قتيبة في كتاب « المعارف »[3] في ترجمة شمر بن أفريقش أحد ملوك اليمن : إنه خرج في جيش عظيم ودخل أرض العراق ، ثم توجه يريد الصين فأخذ على فارس وسجستان وخراسان وافتتح المدائن والقلاع ، وقتل وسبى ، ودخل مدينة الصغد فهدمها

---

١ ر : جماعة مذكورون .

٢ انفردت به ر .

٣ المعارف : ٦٢٩ .

فسميت شمركند أي: شمر أخربها ، لأن «كند» بالعجمي معناه بالعربي أخرب[1] ، ثم عربها الناس فقالوا : سمرقند ، ثم أعيدت عمارتها ، فبقي عليها ذلك الاسم[2].

٥٣٢

عضد الدولة

أبو شجاع فَنَّاخُسْرُو ، الملقب عَضُد الدولة بن ركن الدولة أبي علي الحسن ابن بُوَيْه الديلمي — وقد تقدم تمام نسبه في ترجمة عمه معز الدولة أحمد في حرف الهمزة ، فليطلب[3] هناك — ؛ [ولما مرض عمه عماد الدولة بفارس أتاه أخوه ركن الدولة واتفقا على تسليم فارس إلى أبي شجاع فَنَّاخُسْرُو بن ركن الدولة ، ولم يكن قبل ذلك يلقب بعضد الدولة ، فتسلمها بعد عمه ، ثم تلقب بذلك][4] .

---

١ س : خربها . . . خرب .

٢ قلت : عند هذا الموضع بخط مغاير ورد في النسخة ن هذا التعليق : «وليس الأمر كما زعمه ، انما أصل الكلام أن شمر اسم لجارية اسكندر ، وضعت فوصف لها الأطباء أرضاً ذات هواء طيب وأشاروا إليه بظاهر صغد ، فأسكنها إياه ، فلما طابت بنى به مدينة ، وكند بالتركي هو المدينة وكأنه يقول بلد شمر ، وعلى هذا يكون كند اسماً جامداً آخر وهو مضاف على القاعدة التي تقدم بيانها ، وللاحظة هذا التغير قال ابن خلكان فكأنه يقول بلد شمر ، وإلا فموجب ما قدمه من البيان هو القطع بالمعنى المذكور ، ومن كلامه يتبين أن من زعم أن كند بالمعنى الثاني فارسي لم يصب وكذا من فسره بالقرية كمال باشا أيضاً في رسالة التعريب ، سلمه الله . اهـ . وجاء في حاشية س : «ليس معنى كند خرب إنما معناه قلع ومعنى خرب بالعجمي : ثيران كرد» .

٥٣٢ – أخباره في تجارب الأمم وذيله وتكملة الهمذاني وتاريخ ابن الأثير (ج : ٨ : ٩) وانظر اليتيمة ٢ : ٢١٦ والمنتظم ٧ : ١١٣ والنجوم الزاهرة ٤ : ١٤٢ والسلوك ١/١ : ٢١ ، ٢٨ وبغية الوعاة : ٣٧٤ وعبر الذهبي ٢ : ٣٦١ والشذرات ٣ : ٧٨ .

٣ ر : فلينظر .

٤ انفردت به ر .

وقد تقدم أيضاً ذكر والده وعمه الأكبر عماد الدولة أبي الحسن علي وابن عمه عز الدولة بختيار بن معز الدولة ، وهؤلاء كلهم – مع عظم شأنهم وجلالة أقدارهم – لم يبلغ أحد منهم ما بلغه عضد الدولة من سعة المملكة والاستيلاء على الملوك وممالكهم ، فإنه جمع بين مملكة المذكورين كلهم ، وقد ذكرت في ترجمة كل واحد منهم ما كان له من الممالك ، وضم إلى ذلك الموصل وبلاد الجزيرة وغير ذلك ، ودانت له البلاد والعباد[1] ودخل في طاعته كل صعب القياد ، وهو أول من خوطب بالملك في الإسلام ، وأول من خُطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة ، وكان من جملة ألقابه « تاج الملة » ولما صنف له أبو إسحاق الصابي كتاب « التاجي » في أخبار بني بويه أضافه إلى هذا اللقب ، وقد تقدم خبر هذا الكتاب في ترجمته .

وكان فاضلاً محباً للفضلاء مشاركاً في عدة فنون ، وصنّفَ له الشيخ أبو علي الفارسي كتاب « الإيضاح » و « التكملة » في النحو – وقد سبق ذكره في ترجمته – وقَصَدَه فحولُ الشعراء في عصره ، ومدحوه بأحسن المدائح ، فمنهم أبو الطيب المتنبي ، ورَدَ عليه وهو بشيراز في جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وثلثمائة ، وفيه يقول من جملة قصيدته المشهورة الهائية[2] :

وقد رَأيتُ الملوكَ قاطبةً ... وسِرْتُ حتى رأيت مَوْلاها
ومَنْ منـاياهُمُ براحتـه ... يأمرها فيهمُ وينهاها
أبا شجاع بفارسٍ عضد الـ ... ـدولة فَنّاخُسْرو شهنشاها
أساميـاً لم تزده معرفـة ... وإنما لذةً ذكرناها

وهذه القصيدة أول شيء أنشده ، ثم أنشده في هذا الشهر قصيدته النونية التي ذكر فيها شعبَ بَوّانٍ ، ومنها قوله[3] :

يقول بشعب بَوّان حصاني ... أعن هذا يُسار إلى الطعانِ

١ ر : العباد والبلاد .

٢ ديوان المتنبي : ٥٥٤ .

٣ ديوانه : ٥٥٨ .

أبوكم آدمُ سنّ المعـاصي وعلّمكم مفارقةَ الجنانِ
فقلت : إذا رأيت أبا شجاع سلوت عن العباد وذا المكانِ
فإن الناس والدنيا طريقٌ إلى مَنْ ما لَهُ في الناس ثاني

ومدحه بعد ذلك بعدة قصائد ، ثم أنشده قصيدته الكافية يودعه فيها ويَعِده بالعود إلى حضرته ، وذلك صدر شعبان من السنة المذكورة ، وهي آخر شعر المتنبي فإنه قتل في عَوْده من عنده كما سبق في ترجمته ، ومن جملة هذه القصيدة[1] :

أرُوحُ وقد خَتَمْتُ على فؤادي بحُبك أن يحلّ به سواكا
وقد حَمَّلْتني شكراً طويلا ثقيلا لا أطيقُ به حَراكا
أحاذرُ أن يشقّ على المطايا فلا تمشي بنا إلاّ سِواكا[2]
لعل الله يجعله رحيلا يُعين على الإقامة في ذَراكا
فلو أني استطعتُ خفضتُ طرفي فلم أبصر به حتى أراكا
وكيف الصبرُ عنك وقد كفاني نداك المستفيضُ وما كفاكا

وما أحسن قوله فيها :

ومَنْ أعتاض عنك إذا افترقنا وكلُّ الناس زُورٌ ما خلاكا
وما أنا غيرَ سهمٍ في هواءٍ يعُودُ ولم يجد فيه امتساكا

وقصده أيضاً أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي — الآتي ذكره إن شاء الله تعالى — وكان عَيْنَ شعراء العراق ، وأنشده قصيدته البديعة التي منها :

إليك طَوى عرضَ البسيطة جاعل قُصارى المَطايا أن يلوحَ لها القَصْرُ
فكنتُ وعَزْمي في الظلام وصارِمي ثلاثة أشباه[3] كما اجتمعَ النسْر

---

١ ديوانه : ٥٨٤ .
٢ السواك : المشي المضطرب .
٣ المختار : أشياء .

وبَشّرتُ آمالي بمَلْكٍ هو الورى ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

وعلى الحقيقة هذا الشعر هو السحر الحلال كما يقال ، وقد أخذ هذا المعنى القاضي أبو بكر أحمد الأرجاني – المقدم ذكره – وعمل :

يا سائلي عنهُ لما جئتُ أمدَحُهُ هذا هُوَ الرجلُ العاري من العارِ
كم من شُنوفٍ لِطافٍ من محاسنه علّقنَ منه علـى آذان سُمّار
لقيتُهُ فرأيتُ الناسَ في رَجُلٍ والدهرَ في ساعةٍ والأرضَ في دار

ولكن أين الثريا من الثرى ؟ وهذا المعنى موجود في الشطر الأخير من بيت المتنبي وهو[1] :

هي الغَرَضُ الأقصى ورؤيتك المنى ومنزلك الدنيـا وانت الخلائق

ولكنه ما استوفاه ، فإنه ما تعرض إلى ذكر اليوم الذي جعله السلامي هو الدهر ، فليس[2] له طلاوة بيت السلامي .

رجعنا إلى ذكر عضد الدولة :

كتب إليه أبو منصور أفتكين[3] التركي متولي دمشق كتاباً مضمونه أن الشام قد صفا وصار في يدي ، وزال عنه حكم صاحب مصر ، وإن قوّيتني بالأموال والعدد حاربت القوم في مستقرهم ، فكتب عضد الدولة جوابه هذه الكلمات ، وهي متشابهة في الخط لا تقرأ إلا بعد الشكل والنقط والضبط ، وهي « غَرّكَ عِزُّكَ فصار قُصار ذلك ذُلّكَ ، فاخْشَ فاحِشَ فِعْلِكَ فعلّكَ بهذا تُهْدا »[4]

---

١ ديوان المتنبي : ٧٠ .
٢ ر : ومع هذا فليس .
٣ س لي ن بر : الفتكين ، وكلتا الصورتين في أصول ابن الأثير .
٤ ر لي : تهدى بهذا .

ولقد أبدع فيها كلّ الإبداع .

(149) وكان أفتكين المذكور مولى معز الدولة بن بُوَيه فتغلب على دمشق وخرج على العزيز العبيدي صاحب مصر ، وقصده[1] بنفسه والتقى جيشاهما ، وجرت مقتلة عظيمة بينهما[2] وانكسر أفتكين وهرب ، وقطع عليه الطريق دغفل بن الجراح البدوي وحمله إلى العزيز وفي عنقه حبل ، فأطلقه وأحسن إليه ، وأقام يسيراً ، ومات سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ، يوم الثلاثاء لسبع خلون من رجب .

وكانت لعضد الدولة أشعار ، فمن ذلك ما أورده له أبو منصور الثعالبي في كتاب « يتيمة الدهر »[3] وقال: اخترت من قصيدته التي فيها البيت الذي لم يفلح بعده أبياتاً ، وهي :

ليسَ شربُ الراح إلا في المطر وغناء من جَوار في السَّحَرْ
غانيـاتٍ سالبـاتٍ للنهى ناعماتٍ في تضـاعيفِ الوَتَر
مبرزات الكأس من مَطْلِعِها ساقيات الراح مَنْ فاق البشر
عضـد الدولة وابن ركنهـا ملك الأملاك غلاب القدر

فيحكى عنه أنه لما احتضر لم يكن لسانه ينطق إلا بتلاوة ﴿ ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه ﴾ (الحاقة : ٢٨ – ٢٩) ويقال إنه ما عاش بعد هذه الأبيات إلا قليلاً ، وتوفي بعلة الصرع في يوم الاثنين ثامن شوال سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة ببغداد ، ودفن بدار الملك بها ، ثم نقل إلى الكوفة ودفن بمشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وعمره سبع وأربعون سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة أيام ، رحمه الله تعالى .

والبيمارستان العضدي ببغداد منسوب إليه ، وهو في الجانب الغربي ، وغرم عليه مالاً عظيماً ، وليس في الدنيا مثل ترتيبه ، وفرغ من بنائه سنة ثمان وستين

---

١ س ل : فقصده .

٢ بينهما : سقطت من س ل ن لي .

٣ اليتيمة ٢ : ٢١٨ .

وثلثمائة ، وأعد له من الآلات ما يقصر الشرح عن وصفه .

وهو الذي أظهر قبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالكوفة[1] ، وبنى عليه المشهد الذي هناك ، وغرم عليه شيئاً كثيراً ، وأوصى بدفنه فيه ، وللناس في هذا القبر اختلاف كثير ، حتى قيل إنه قبر المغيرة بن شعبة الثقفي ، فإن علياً رضي الله عنه لا يعرف قبره ، وأصح ما قيل فيه : إنه مدفون بقصر الامارة بالكوفة[1] ، والله أعلم .

وفَنّاخُسرُو : بفتح الفاء وتشديد النون وبعد الألف خاء معجمة مضمومة وسين ساكنة وبعدها راء مضمومة ثم واو .

وشِعْبُ بَوّانٍ : بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة وبعدها باء موحدة ، ثم باء ثانية مفتوحة بعدها واو مشددة وبعد الألف نون ، وهو موضع عند شيراز كثير الأشجار والمياه [وهو منسوب إلى بَوّان بن إيران بن الأسود ابن سام بن نوح عليه السلام][2] قال أبو بكر الخوارزمي : مستنزهات الدنيا أربعة مواضع : غُوطَة دمشق ونهر الابلّةِ وشعب بَوّان وصغد سمرقند ، وأحسنها غوطة دمشق ، والله أعلم .

---

١ بالكوفة : سقطت من ر .

٢ انفردت به ر .



حَرْفُ القَافِ



٥٣٣

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق

أبو محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه ، ونسبه معروف فلا حاجة إلى رَفعِهِ ؛ كان من سادات التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وقد تقدم ذكر ستة منهم ، وكان من أفضَل أهل زمانه ، روى عن جماعة من الصحابة ، رضي الله عنهم ، وروى عنه جماعة من كبار التابعين .

قال يحيى بن سعيد : ما أدركنا أحداً نفضله على القاسم بن محمد . وقال مالك : كان القاسم من فقهاء هذه الأمة . وقال محمد بن إسحاق : جاء رجل إلى القاسم بن محمد فقال : أنت أعلم أم سالم ، فقال : ذاك مبارك سالم ؛ قال ابن إسحاق : كره أن يقول هو أعلم مني فيكذب ، أو يقول أنا أعلم منه فيزكي نفسه ، وكان القاسم أعلمها . وكان القاسم بن محمد يقول في سجوده : اللهم اغفر لأبي ذنبَهُ في عثمان .

وقد تقدم في ترجمة[1] زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما أنهما كانا ابنَيْ خالة، وأن القاسم بن محمد والدته ابنة يزدجرد آخر ملوك الفرس، وكذلك زين العابدين وسالم بن عبد الله بن عمر ، والقصة مستوفاة هناك .

وتوفي سنة إحدى أو اثنتين ومائة ، وقيل سنة ثمان ، وقيل اثنتي عشرة ومائة بقُدَيْد ، فقال : كفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها قميصي وإزاري

---

٥٣٣ – ترجمته في طبقات ابن سعد ٥ : ١٨٧ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٣ وحلية الأولياء ٢ : ١٨٣ وصفة الصفوة ٢ : ٤٩ ونكت الهميان : ٢٣٠ وتهذيب التهذيب ٨ : ٣٣٣ والشذرات ١ : ١٣٥ ؛ وهذه الترجمة في م تقع في ثلاثة أسطر ، وهي شديدة الإيجاز في المختار أيضاً.

[1] ر : ترجمة الإمام .

وردائي ، فقال ابنه : يا أبت ألا نزيد ثوبين[1] ، فقال : هكذا كفن أبو بكر في ثلاثة أثواب ، والحي أحوج إلى الجديد من الميت ، وكان عمره سبعين سنة أو اثنتين وسبعين سنة ، رضي الله عنه .

وقُدَيْد : بضم القاف وفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة ، وهو منزل بين مكة والمدينة .

٥٣٤

أبو عبيد القاسم بن سلام

أبو عبيد القاسم بن سَلاّم ، بتشديد اللام ؛ كان أبوه عبداً رومياً لرجل من أهل هَراة ، واشتغل أبو عبيد بالحديث والأدب والفقه ، وكان ذا دين وسيرة جميلة ومذهب حسن وفضل بارع .

وقال القاضي أحمد بن كامل : كان أبو عبيد فاضلاً في دينه وعلمه ، ربانياً متفنناً[1] في أصناف علوم الإسلام من القراءات والفقه والعربية والأخبار ، حسن الرواية صحيح النقل ، ولا أعلم أحداً من الناس طعن عليه في شيء من أمر دينه[2] .

---

١ س : ثوبين هنالك .

٥٣٤ – ترجمته في الفهرست : ٧٠ وتاريخ بغداد ١٢ : ٤٠٣ وطبقات الزبيدي : ٢١٧ ومراتب النحويين : ٩٣ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٦ والتهذيب للأزهري ١ : ٢١ وإنباه الرواة ٣ : ١٢ ومعجم الأدباء ١٦ : ٢٥٤ وطبقات الحنابلة ١ : ٢٥٩ وتذكرة الحفاظ : ٤١٧ وعبر الذهبي ١ : ٣٩٢ وميزان الاعتدال ٣ : ٣٧١ وطبقات السبكي ١ : ٢٧٠ وغاية النهاية ٢ : ١٧ وبغية الوعاة : ٣٧٦ وتهذيب التهذيب ٨ : ٣١٥ والنجوم الزاهرة ٢ : ٢٤١ والشذرات ٢ : ٥٤ وانظر مقدمة كتاب الأجناس تحقيق امتياز علي عرشي (بمبي ١٩٣٨) .

٢ ر : متسعاً .

٣ ر ل لي : أمره ودينه .

قال إبراهيم الحربي : كان أبو عبيد كأنه جبل نفخ فيه الروح يُحْسِن كل شيء . وولي القضاء بمدينة طَرَسُوسَ ثماني عشرة سنة ، وروى عن أبي زيد الأنصاري والأصمعي وأبي عبيدة وابن الأعرابي والكسائي والفراء وجماعة كثيرة غيرهم ، وروى الناس من كتبه المصنفة بضعة وعشرين كتاباً في القرآن الكريم والحديث وغريبه والفقه وله « الغريب المصنف » و « الأمثال » و « معاني الشعر» وغير ذلك من الكتب النافعة .

ويقال إنه أول من صنف في غريب الحديث . وانقطع إلى عبد الله بن طاهر مدة ، ولما وضع كتاب « الغريب » عرضه على عبد الله بن طاهر ، فاستحسنه وقال : إن عقلاً بعث صاحبه على عمل هذا الكتاب حقيق ألا يُحْوَج[1] إلى طلب المعاش ، وأجرى عليه عشرة آلاف درهم في كل شهر . وقال محمد بن وهب المسعري : سمعت أبا عبيد يقول : كنت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة ، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها في موضعها من الكتاب ، فأبيت ساهراً فرحاً مني بتلك الفائدة ، وأحدكم يجيئني فيقيم أربعة خمسة أشهر فيقول : قد أقمت كثيراً .

وقال الهلال بن العلاء الرقي: مَنَّ الله تعالى على هذه الأمة بأربعة في زمانهم: بالشافعي تفقه في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبأحمد بن حنبل ثبت في المحنة ولولا ذلك لكفر الناس ، وبيحيى بن مَعِين نَفى الكذب عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبأبي عبيد القاسم بن سَلاّم فسر غريب الحديث ولولا ذلك لاقتحم الناس الخطأ .

وقال أبو بكر ابن الأنباري : كان أبو عبيد يقسم الليل أثلاثاً فيصلي ثلثه وينام ثلثه ويضع الكتب ثلثه . وقال إسحاق بن راهويه : أبو عبيد أوسعنا علماً وأكثرنا أدباً وأجمعنا جمعاً ، إنا نحتاج إلى أبي عبيد وأبو عبيد لا يحتاج إلينا . وقال ثعلب : لو كان أبو عبيد في بني إسرائيل لكان عجباً .

وكان يخضب بالحناء ، أحمر الرأس واللحية ، وكان له وقار وهيبة . وقدم بغداد فسمع الناس منه كتبه . ثم حج وتوفي بمكة ، وقيل بالمدينة بعد الفراغ

---

1 ر : على أن لا يخرج .

من الحج ، سنة اثنتين او ثلاث وعشرين ومائتين ، وقال البخاري : سنة أربع وعشرين ، وزاد غيره : في المحرم ، وقال الخطيب في « تاريخ بغداد » : بلغني أنه عاش سبعاً وستين سنة . وذكر الحافظ ابن الجوزي أن مولده سنة خمسين ومائة . وقال أبو بكر الزبيدي في كتاب « التقريظ »[1] : إن مولده سنة أربع وخمسين ومائة . وذكر أن أبا عبيد لما قضى حجه وعزم على الانصراف واكترى إلى العراق، رأى في الليلة التي عزم على الخروج[2] في صبيحتها النبيّ صلى الله عليه وسلم في منامه وهو جالس وعلى رأسه قوم يحجبونه وناس يدخلون فيسلمون عليه ويصافحونه ، قال : فكلما دنوت لأدخل مُنِعْت ، فقلت لهم : لم لا تخلُّون بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : لا والله لا تدخل إليه ولا تسلم عليه وأنت خارج غداً إلى العراق، فقلت لهم : إني لا أخرج إذاً، فأخذوا عهدي ، ثم خلّوا بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلت وسلمت عليه وصافحني ، فأصبحت ففسخت الكراء وسكنت بمكة ، ولم يزل بها إلى الوفاة[3] ، ودفن في دور[4] جعفر ، وقيل إنه رأى المنام بالمدينة ومات بها بعد رحيل الناس عنها بثلاثة أيام ، رحمه الله تعالى ، ومولده بهَراة[5] .

وطَرَسوس : بفتح الطاء المهملة والراء وضم السين المهملة وسكون الواو وبعدها سين ثانية، وهي مدينة بساحل الشام عند السيس والمصيصة بناها المهدي ابن المنصور أبي جعفر في سنة ثمان وستين ومائة ، على ما حكاه ابن الجزار في تاريخه .

ومن تصانيفه أيضاً « المقصور والممدود » و « القراءات » و « المذكر

---

١ ذكره ابن خير في فهرسته : ٣٥١ باسم كتاب رسالة التقريظ ، وقد روى الكتاب عن مؤلفه عبادة بن ماء السماء الشاعر الأندلسي ؛ وهذا النص الذي ذكره المؤلف موجود أيضاً في طبقات الزبيدي : ٢١٩ .

٢ ر : على الانصراف والخروج .

٣ ن : إلى أن توفي ؛ المختار : إلى الممات .

٤ لي : بدور .

٥ هنا تنتهي الترجمة في المختار .

والمؤنث » وكتاب « النسب » وكتاب « الأحداث » و« أدب القاضي » و « عدد آي القرآن » و « الأيمان والنذور » و « الحيض » وكتاب « الأموال » وغير ذلك ، رحمه الله تعالى .

٥٣٥

الحريري صاحب المقامات

أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري الحَرامي صاحب المقامات ؛ كان أحد أئمة عصره ، ورزق الحظوة التامة في عمل المقامات ، واشتملت على شيء كثير من كلام العرب : من لغاتها وأمثالها ورموز أسرار كلامها ، ومَنْ عَرَفَها حق معرفتها استدل بها على فضل هذا الرجل وكثرة أطلاعه وغزارة مادته ، وكان سبب وضعه لها[1] ما حكاه ولده أبو القاسم عبد الله قال : كان أبي جالساً في مسجده ببني حَرام فدخل شيخ ذو طِمْرَين عليه أهبة السفر رثُّ الحال فصيح الكلام حسن العبارة ، فسألته الجماعة : من أين الشيخ ؟ فقال : من سَرُوج ، فاستخبروه عن كنيته فقال : أبو زيد ، فعمل[2] أبي المقامة المعروفة بالحرامية ، وهي الثامنة والأربعون ، وعَزاها إلى أبي زيد

٥٣٥ – ترجمته في المنتظم ٩ : ٢٤١ وانباه الرواة ٣ : ٢٣ ونزهة الألباء : ١٦٢ واللباب : (الحريري) ومرآة الزمان : ١٠٩ ومعجم الأدباء ١٦ : ٢٦١ وطبقات السبكي ٤ : ٢٩٥ وعبر الذهبي : ٣٨ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٢٥ والشذرات ٤ : ٥٠٠ وخزانة الأدب ٣ : ١١٧ ومعاهد التنصيص ٣ : ٢٧٢ وبغية الوعاة : ٣٧٨ وشرح الشريشي ١ : ٣ ، وقد أوردت م جزءاً من هذه الترجمة ثم سقط سائرها كما سقطت تراجم كثيرة بعدها لضياع أوراق من المخطوطة .

١ ر : وضعها .

٢ ن : فوضع المقامات وعزاها إلى أبي زيد المذكور واشتهرت فبلغ . . . الخ .

المذكور ، واشتهرت فبلغ خبرها الوزير[1] شرف الدين أبا نصر[2] أنو شروان ابن خالد بن محمد القاشاني وزير الإمام المسترشد بالله ، فلما وقف عليها أعجبته ، وأشار على والدي أن يضم إليها غيرها ، فأتمها خمسين مقـامة[3] ، وإلى الوزير المذكور أشار الحريري في خطبة المقامات بقوله : « فأشار مَنْ إشارتـه حكم ، وطاعته غنم ، إلى أن أنشىء مقامات أتلو فيها تلو البديـع ، وإن لم يدرك الظالع شأو الضليـع » هكذا وجدته في عدة تواريخ ، ثم رأيت في بعض شهور سنـة ست وخمسين[4] وستمائة بالقاهرة المحروسة نسخة مقامات وجميعها بخط مصنفهـا الحريري ، وقد كتب بخطه أيضاً على ظهرها : إنه صنفهـا للوزير جلال الدين عميد الدولة أبي علي الحسن بن أبي العز علي بن صدقة وزير المسترشد أيضاً ، ولا شك أن هذا أصح من الرواية الأولى لكونه بخط المصنف ، وتوفي الوزير المذكور في رجب سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، فهذا كان مستنده في نسبتهـا إلى أبي زيد السروجي .

وذكر القاضي الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني القفطي وزير حلب في كتابه الذي سماه « إنباه الرواة على أنباه النحاة »[5] أن أبا زيد المذكور اسمه المطهر بن سلار ، وكان بصرياً[6] نحوياً لغوياً ، صحب الحريري المذكور ، واشتغل عليه بالبصرة وتخرج به ، وروى عنه القـاضي أبو الفتح محمد بن أحمـد بن المَنْدائي الواسطي « ملحـة الأعراب » للحريري ، وذكر أنه سمعها منه عن الحريري وقال : قدم علينـا واسط في سنة ثمان

---

١ ر ن : إلى الوزير .

٢ ن : أبي نصر ؛ وسقطت من ر .

٣ مقامة : سقطت من ر .

٤ ر : ست وسبعين .

٥ انباه الرواة ٣ : ٢٧٦ (ترجمة المطهر بن سلار) قلت : وقد اضطرب اسم كتاب القفطي في بعض النسخ ، فهو في ر : انباه الرواة على ألباب النحاة ؛ وفي لي : اثبات الرواة على اثبات النحاة .

٦ ل لي بر : بصيراً ، ن : قصيراً .

وثلاثين وخمسمائة ، فسمعتها[1] منه ، وتوجه منها مصعداً إلى بغداد فوصلها وأقام بها مدة يسيرة وتوفي بها ، رحمه الله تعالى [وكذا ذكره السمعاني في في « الذيل » والعماد في « الخريدة » وقال : لقبه فخر الدين ، وتولى صدرية المَشَان ، ومات بها بعد سنة أربعين وخمسمائة][2] .

وأما تسمية الراوي لها بالحارث بن همام فإنما عنى به نفسه ، هكذا وقفت عليه في بعض شروح المقامات ، وهو مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم « كلكم حارث وكلكم همام » فالحارث الكاسب ، والهمام الكثير الاهتمام ، وما من شخص إلا وهو حارث وهمام ، لأن كل واحد كاسب ومهتم بأموره .

وقد اعتنى بشرحها خلق كثير : فمنهم من طوّل ، ومنهم من اختصر[3] .

ورأيت في بعض المجاميع أن الحريري لما عمل المقامات كان قد عملها أربعين مقامة ، وحملها من البصرة إلى بغداد وادعاها ، فلم يصدقه في ذلك جماعة من أدباء بغداد ، وقالوا : إنها ليست من تصنيفه ، بل هي لرجل مغربي من أهل البلاغة مات بالبصرة ووقعت أوراقه إليه فادعاها ، فاستدعاه الوزير إلى الديوان وسأله عن صناعته ، فقال: أنا رجل منشىء، فاقترح عليه إنشاء رسالة في واقعة عيّنها ، فانفرد في ناحية من الديوان ، وأخذ الدواة والورقة ومكث زماناً كثيراً فلم يفتح الله سبحانه عليه بشيء من ذلك ، فقام وهو خجلان ، وكان في جملة من أنكر دعواه في عملها أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر – المقدم ذكره – فلما لم يعمل الحريري الرسالة التي اقترحها الوزير أنشد ابن أفلح ، وقيل إن هذين البيتين لأبي محمد ابن أحمد المعروف بابن جكينا الحريمي البغدادي الشاعر المشهور[4] :

شَيْخٌ لنا من رَبيعَةِ الفَرَسِ يَنْتِفُ عُثْنُونَه من الهَوَسِ
أنطقَهُ الله بالمَشَانِ كَما رَمَاه وسْطَ الديوان بالخَرَسِ

---

[1] ر بر : فسمعنا منه ، وكذلك عند القفطي .

[2] انفردت به ر .

[3] ن : قصر .

[4] وقيل . . . المشهور : وقع هذا بعد البيتين في س .

وكان الحريري يزعم أنه من ربيعة الفَرَس ، وكان مولعاً بنتف لحيته عند الفكرة ، وكان يسكن في مَشان البصرة ، فلما رجع إلى بلده عمل عشر مقامات أُخر وسيّرهنّ ، واعتذر من عيه وحَصَره في الديوان[1] بما لحقه من المهابة .

وللحريري تواليف حسان منها « درة الغواص في أوهام[2] الخواص » ومنها « ملحة الاعراب » المنظومة في النحو ، وله أيضاً شرحها ، وله ديوان رسائل وشعر كثير غير شعره الذي في المقامات ، فمن ذلك قوله وهو معنى حسن :

قال العواذلُ ما هذا الغرام به … أما ترى الشَّعْرَ في خديه قد نَبَتا
فقلتُ والله لو أن المفنّدَ لي … تأمل الرشد في عينيهِ ما ثبتا
ومَنْ أقام بأرضٍ وهي مُجْدِبة … فكيف يرحل عنها والربيع أتى

وذكر له العماد الكاتب في « الخريدة » :

كم ظباءٍ بحاجر … فتنتْ بالمحاجرِ
ونفوسٍ نفائسٍ … خدرت بالمخادر
وتَثَنٍّ لخاطرٍ … هاج وجداً لخاطري
وعِذارٍ لأجله … عاذلي عادَ عاذري
وشجونٍ تضافرتْ … عند كشفِ الضفائر

وله قصائد استعمل فيها التجنيس كثيراً .

ويحكى أنه كان دميماً قبيح المنظر ، فجاءه شخص غريب يزوره ويأخذ عنه شيئاً ، فلما رآه استزرى شكله[3] ، ففهم الحريري ذلك منه ، فلما التمس منه أن يملي عليه قال له : اكتب :

ما أنتَ أول سارٍ غرّه قمرٌ … ورائدٍ أعجبَتْه[4] خضرة الدمَنِ

---

[1] بر : بالديوان .
[2] ن : درة الغواص وإفهام .
[3] ل : بشكله .
[4] لي : خدعته .

فاخترْ لنفسكَ غيري إنني رجل مثل[1] المُعَيْديّ فاسمع بي ولا ترَني

فخجل الرجل منه وانصرف[2] .

وكانت ولادة الحريري في سنة ست وأربعين وأربعمائة . وتوفي سنة ست عشرة ، وقيل خمس عشرة وخمسمائة بالبصرة ، في سكة بني حَرام [وخلف ولدين ، وقال أبو منصور الجواليقي : أجازني المقامات نجم الدين عبد الله وقاضي قضاة البصرة ضياء الإسلام عبيد الله عن أبيهما منشئها][3] .

ونسبته بالحَرامي إلى هذه السكة ، رحمه الله تعالى ، وهي بفتح الحاء المهملة والراء وبعدها ألف بعده ميم ، وبنو حرام : قبيلة من العرب سكنوا في هذه السكة فنسبت إليهم .

والحريري : نسبة إلى الحرير وعمله أو بيعه .

والمَشان : بفتح الميم والشين المعجمة وبعد الألف نون ، بُليدة فوق البصرة كثيرة النخل موصوفة بشدة الوَخَم ، وكان أصل الحريري منها ، ويقال إنه كان له بها ثمانية عشر ألف نخلة ، وإنه كان من ذوي اليسار .

(150) والوزير أنو شروان المذكور[4] كان نبيلاً فاضلاً جليل القدر ، له تاريخ لطيف سماه « صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور » ونقل منه العماد الأصبهاني في كتاب « نصرة الفترة وعصرة الفطرة » الذي ذكر فيه أخبار الدولة السلجوقية نقلاً كثيراً ، وتوفي الوزير المذكور سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

(151) وأما ابن المنداني المذكور فهو أبو الفتح محمد بن أبي العباس أحمد بن بختيار بن علي بن محمد بن إبراهم بن جعفر الواسطي ، المعروف بابن المنداني ، وقد أخذ عنه جماعة من الأعيان كالحافظ أبي بكر الحازمي[5] وغيره ، وكانت

---

١ لي : شبه .

٢ ر بر : وانصرف عنه .

٣ انفردت به ر .

٤ انظر المنتظم ١٠ : ٧٧ والبداية والنهاية ١٢ : ١٩٢ والشذرات ٤ : ١٠١ .

٥ زاد في ر بر : المقدم ذكره .

ولادته في شهر ربيع الآخر سنة سبع عشرة وخمسمائة بواسط ، وتوفي بهـــا في الثامن من شعبان سنة خمس وستمائة ، رحمه الله تعالى .

والمَنْدَائي : بفتح الميم وسكون النون وفتح الدال المهملة ومد الهمزة .

والمُعَيْدي : بضم الميم وفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة مكسورة وياء مشددة ، وقد جاء في المثل « تسمع بالمعيدي لا أن تراه » وجاء أيضاً « تسمع[1] بالمعيدي خير من أن تراه » وقال المفضل الضبي[2] : أول من تكلم به المنذر بن ماء السماء ، قـاله لشقة بن ضمرة التميمي الدارمي ، وكان قد سمع بذكره ، فلما رآه اقتحمته عينه ، فقال له هذا المثل وسار عنه ، فقال له شقة : أبيت اللعن ! إن الرجال ليسوا بجُزُرٍ يراد منها الأجسام ، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فأعجب المنذر ما رأى من عقله وبيانه . وهـذا المثل يضرب لمن له صيت وذكر ولا منظر له ؛ والمعيدي منسوب إلى مَعَدّ ابن عدنان ، وقد نسبوه بعد أن صغروه وخففوا منه الدال .

٥٣٦

القاسم بن الشهرزوري

أبو أحمد القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم الشهرزوري ، والد قاضي الخافقين أبي بكر محمد والمرتضى أبي محمد عبد الله وأبي منصور المظفر ، وهو جد بيت الشهرزوري قضاة الشام والموصل والجزيرة ، وكلهم إليه ينتسبون ؛ كان حاكماً بمدينة إربل مدة ومدينة سنجار مدة ، وكان من أولاده وحفَدَته علماء نجباء كرماء نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك وتحكموا وقَضَوْا ونفقت أسواقهم ، خصوصاً حفيده القاضي كمال الدين محمد ومحيي الدين بن كمال الدين – وسيـأتي

---

١ ر بر : لأن تسمع .

٢ أمثال الضبي : ٩ .

ذكرهما إن شاء الله تعالى – وإلى الآن من نسله جماعة من الأعيان والقضاة بالموصل . وقدم بغداد غير مرة ، وذكره الحافظ أبو سعد السمعاني في كتاب « الذيل » ثم ذكره في كتاب « الأنساب » في موضعين : أحدهما في نسبة الإربلي[1] ، وقال : كان منها – يعني إربل – جماعة من العلماء ، منهم أبو أحمد القاسم المذكور ، وقال : إنه شيباني ، والثاني في نسبة الشهرزوري[2] ، ذكره وذكر ولده قاضي الخافقين المذكور ، وأثنى عليه ، وذكره أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربل »[3] وأورد له شعراً ، فمن ذلك قوله :

همتي دونها السها والزبانى قد علت جهدها فما تتدانى
فأنا مُتعَبٌ مُعنًّى إلى أن تتفانى الأيام أو نتفانى

ورأيت في كتاب « الذيل » للسمعاني هذين البيتين منسوبين إلى ولده أبي بكر محمد المعروف بقاضي الخافقين[4] ؛ والله أعلم لمن هما منهما .

وتوفي القاسم المذكور سنة تسع وثمانين وأربعمائة بالموصل ، ودفن في التربة المعروفة به الآن المجاورة لمسجد جده أبي الحسن بن فرغان ، رحمه الله تعالى .

وأما ولده المرتضى عبد الله فهو والد القاضي كمال الدين – وقد تقدم ذكره في العبادلة[5] ، وأوردت قصيدته اللامية المعروفة بالموصلية .

(152) وأما قاضي الخافقين[6] فقد قال السمعاني : إنه اشتغل بالعلم على أبي إسحاق الشيرازي ، وولي القضاء بعدة بلاد ، ورحل إلى العراق وخراسان والجبال وسمع الحديث الكثير ، وسمع منه السمعاني ، وكانت ولادة قاضي الخافقين بإربل سنة ثلاث ، أو أربع وخمسين وأربعمائة ، وتوفي في جمادى

---

١ الأنساب ١ : ١٥٢ . ٢ تاريخ إربل ، الورقة : ٩٣ .
٣ اللباب : (الشهرزوري) .
٤ كذلك وردا أيضاً عند الصفدي منسوبين إلى قاضي الخافقين .
٥ انظر ج ٣ : ٤٩ .
٦ ترجمة قاضي الخافقين في الخريدة (قسم الشام) ٢ : ٣٢٢ والوافي ٤ : ٣٣٩ وطبقات السبكي ٤ : ٩٥ والمنتظم ١٠ : ١١٢ والشذرات ٤ : ١٢٣ واللباب : (الشهرزوري) .

الآخرة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ببغداد ، ودُفن في باب أبرز ، رحمه الله تعالى ، وإنما قيل له « قاضي الخافقين » لكثرة البلاد التي ولي فيها[1] .

(153) وأما المظفر[2] فإن السمعاني ذكره أيضاً في « الذيل » فقال: ولد بإربل ، ونشأ بالموصل ، وورد بغداد وتفقه بها على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، ورجع إلى الموصل ، ثم ولي قضاء سنجار على كبر سنه وسكنها ، وكان قد أضر . ثم قال : سألته عن مولده فقال : ولدت في جمادى الآخرة – أو رجب – سنة سبع وخمسين وأربعمائة بإربل ، ولم يذكر وفاته .

والشَّهْرُزوري : بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وضم الراء والزاي وسكون الواو وبعدها راء ، هذه النسبة إلى شَهْرُزور ، وهي بلدة كبيرة معدودة من أعمال إربل ، بناها زور بن الضحاك ، وهي لفظة عجمية معناها بالعربي بلدة زور ، ومات بها الإسكندر ذو القرنين عند عوده من بلاد المشرق ، وحكى لي بعضُ أهلها وقد سألته عن قبره فقال : هناك قبر يعرف بقبر إسكندر ، ولا يعرف أهلها مَنْ هو ، وهي مدينة قديمة ، وحكى الخطيب في « تاريخ بغداد » أن الإسكندر جعل المدائن دار إقامته ، أعني مدائن كسرى ، ولم يزل بها إلى أن توفي هناك ، وحُمل تابوته إلى الإسكندرية لأن أمه كانت مقيمة هناك ، ودفن عندها ، والله أعلم .

---

١ ر بر : وليها .
٢ ترجمته في تاريخ إربل : الورقة : ٩٨ .

٥٣٧

الشيخ الشاطبي

أبو محمد القاسم بن فِيُّره بن أبي القاسم خلف بن أحمد ، الرُّعَيْنيُّ الشاطبي الضرير المقرىء صاحب القصيدة التي سماها « حرز الأماني ووجه التهاني » في القراءات، وعدتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتاً، ولقد أبدع فيها كل الإبداع، وهي عمدة قراء هذا الزمان في نقلهم ، فقلّ من يشتغل بالقراءات إلا ويُقَدِّم حفظها ومعرفتها ، وهي مشتملة على رموز عجيبة وإشارات خفية لطيفة ، وما أظنه سُبق إلى أسلوبها ؛ وقد روي عنه أنه كان يقول : لا يقرأ أحد قصيدتي هذه إلا وينفعه الله عز وجل بها ، لأني نظمتها لله تعالى مخلصاً في ذلك . ونظم قصيدة دالية في خمسمائة بيت مَنْ حفظها أحاط علماً بكتاب « التمهيد » لابن عبد البر .

وكان عالماً بكتاب الله تعالى قراءةً وتفسيراً ، وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبرزاً فيه ، وكان إذا قرىء عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ تُصَحَّح النسخ من حفظه ، ويملي النكت على المواضع المحتاج إليها ، وكان أوحداً في علم النحو واللغة ، عارفاً بعلم الرؤيا ، حسن المقاصد، مخلصاً فيما يقول ويفعل.

[وقرأ القرآن الكريم بالروايات على أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أبي العاص النفزي المقري وأبي الحسن علي بن محمد بن هذيل الأندلسي، وسمع الحديث من أبي عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحيم الخزرجي وأبي الحسن ابن هذيل والحافظ أبي الحسن ابن النعمة وغيرهم][1] وانتفع

---

٥٣٧ – ترجمته في التكملة (رقم : ١٩٧٣) والذيل والتكملة ٥ : ٥٤٨ وغاية النهاية ٢ : ٢٠ (نقلا عن رحلة ابن رشيد) والديباج المذهب : ٢٢٤ ومعجم الأدباء ١٦ : ٢٩٣ ونكت الهميان : ٢٢٨ وطبقات السبكي ٤ : ٢٩٧ والشذرات ٤ : ٣٠١ وبغية الوعاة : ٣٧٩ والنفح ٢ : ٢٢ وعبر الذهبي ٤ : ٢٧٣ .

١ انفردت به ر .

به خلق كثير ، وأدركت من أصحابه جمعاً كثيراً بالديار المصرية .

وكان يجتنب فضول الكلام ولا ينطق في سائر أوقاته إلا بما تدعو إليه ضرورة ، ولا يجلس للإقراء إلا على طهارة في هيئة حسنة وتخشع واستكانة ، وكان يعتل العلة الشديدة فلا يشتكي ولا يتأوه ، وإذا سئل عن حاله قال : العافية ، لا يزيد على ذلك . أنشدني بعض أصحابه قال : كان الشيخ كثيراً ما ينشد هذا اللغز ، وهو في نعش الموتى فقلت له : فهل هو له ؟ فقال : لا أعلم ، ثم إني وجدته بعد ذلك في ديوان الخطيب أبي زكريا يحيى بن سلامة الحصكفي – وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى – وهو :

أتعرفُ شيئاً في السماء يطيرُ إذا سار صاح الناسُ حيث يسيرُ

فتلقاه مركوباً وتلقاه راكباً وكل أمير يعتليه أسير

يحض على التقوى ويكره قربه وتنفر منه النفسُ وهو نذير

ولم يستزر عن رغبة في زيارة ولكن على رغم المزور يزور

وكانت ولادته في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وخطب ببلده على فَتاء سنه ، ودخل مصر سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة . وكان يقول عند دخوله إليها: إنهُ يحفظ وقْرَ بعيرٍ من العلوم ، بحيث لو نزل عليه ورقة أخرى لما احتملها ، وكان نزيل القاضي الفاضل ، ورتبه بمدرسته بالقاهرة متصدراً لإقراء القرآن الكريم وقراءاته والنحو واللغة . وتوفي يوم الأحد بعد صلاة العصر ، الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة . ودفن يوم الاثنين في تربة القاضي الفاضل بالقرافة الصغرى ، وزرت قبره مراراً ، رحمه الله تعالى ؛ وصلى عليه الخطيب أبو إسحاق العراقي – المقدم ذكره – خطيبُ جامع مصر .

وفِيُّره : بكسر الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها وتشديد الراء وضمها ، وهو بلغة اللطيني من أعاجم الأندلس ومعناه بالعربي : الحديد .

والرُّعَيْني : بضم الراء وفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، هذه النسبة إلى ذي رُعَيْنٍ ، وهو أحد أقيال اليمن ، نُسب إليه خلق كثير .

والشاطبي : بفتح الشين المعجمة وبعد الألف طاء مكسورة مهملة وبعدها باء موحدة ، هذه النسبه إلى شاطبة[1] ، وهي مدينة كبيرة ذات قلعة حصينة بشرق الأندلس ، خرج منها جماعة من العلماء ، استولى عليها الفرنج في العشر الأخير من شهر رمضان ، سنة خمس وأربعين وستمائة .

وقيل إن اسم الشيخ المذكور أبو القاسم ، وكنيته اسمه ، لكن وجدت في إجازات أشياخه له أبو محمد القاسم كما ذكرته هاهنا .

٥٣٨

أبو دلف العجلي

أبو دُلَف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير بن شيخ[2] بن معاوية ابن خزاعي بن عبد العزى بن دُلف بن جُشَم بن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، العجلي، أحد قواد المأمون ثم المعتصم من بعده – وقد تقدم ذكره في ترجمة علي بن جَبَلَة العَكَوَّك ، وبعض مديح العكوَّك فيه ، وتقدم أيضاً في ترجمة أبي مسلم الخراساني أنه كان تربية جده المذكور ، وتقدم ذكر حفيده الأمير أبي نصر علي بن مـــاكولا ، صاحب كتاب « الإكمال »[3] – .

---

١ شاطبة (Sativa) : كانت تعد من عمل بلنسية ولها حصن منيع ، ويخترق بطاحها واد عليه بساتين جميلة (انظر العذري : ١٨ – ١٩) .

٥٣٨ – ترجمته في تاريخ بغداد ١٢ : ٤١٦ والفهرست : ١١٦ ومروج الذهب ٤ : ٥ ، ٦٢ ومعجم المرزباني : ٢١٦ والأغاني ٨ : ٢٤٦ وسمط اللآلي : ٣٣١ وتاريخ ابن الأثير (ج : ٦) واللباب : (العجلي) وعبر الذهبي ١ : ٣٩٤ والشذرات ٢ : ٥٧ ، وقد ورد النسب كاملا في ر وحدها .

٢ س لي ن : بن شيخ بن عمير .

٣ انظر ج ٣ : ٣٥٠ ، ١٤٥ ، ٣٠٥ .

وكان أبو دلف المذكور كريماً سَرياً جواداً ممدّحاً شجاعاً مقدماً ذا وقائع مشهورة وصنائع مأثورة ، أخذ عنه الأدباء والفضلاء ، وله صنعة في الغناء ، وله من الكتب كتاب « البزاة والصيد » وكتاب « السلاح » وكتاب « النزه »[1] وكتاب « سياسة الملوك » وغير ذلك .

ولقد مدحه أبو تمام الطائي بأحسن المدائح ، وكذلك بكر بن النّطّاح ، وفيه يقول :

يا طالباً للكيمياء وعلمه مَدْحُ ابنِ عيسى الكيمياءُ الأعظَمُ
لو لم يكنْ في الأرض إلا دِرْهمٌ ومدحتَهُ لأتاكَ ذاكَ الدرْهمُ

ويحكى أنه أعطاه على هذين البيتين عشرة آلاف درهم ، فأغفله قليلاً ثم دخل عليه وقد اشترى بتلك الدراهم قرية في[2] نهر الأبُلّةِ ، فأنشده :

بكَ ابتعتُ في نهر الأبُلّةِ قريةً عليها قُصَيْرٌ بالرّخام مَشيدُ
إلى جنبها أختٌ لها يعرضونها وعندكَ مال للهبات عَتيدُ

فقال له : كم ثمن هذه الأخت[3] ؟ فقال : عشرة آلاف درهم ، فدفعها له ثم قال له : تعلم أن نهر الأبلة عظيم وفيه قرى كثيرة ، وكل أخت إلى جانبها[4] أخرى ، وإن فتحت هذا الباب اتسع عليّ الخرق ، فاقنع بهذه ونصطلح عليها ، فدعا له وانصرف .

وقد ألم أبو بكر محمد بن هاشم ، أحد الخالديين ، بمعنى قول بكر بن النطاح المذكور في البيتين الأولين ، فقال :

وتيقّنَ الشعراء أنّ رَجاءهم في مأمن بكَ من وقوع الياسِ
ما صَحّ علم الكيمياء لغيرهم فيمن عرفنا من جميع الناس

---

١ س : النزهة . ٢ بر : عند .
٣ ر : فقال : وكم ثمن أختها هذه .
٤ ر : جنبها .

تعطيهم الأموال في بـــدَرٍ إذا   حملوا الكلام إليك في قرطاس

وكان أبو دلف قد لحق أكراداً قطعوا الطريق في عمله[1] ، فطعن فارســاً فنفذت الطعنة إلى أن وصلت إلى فارس آخر وراءه رَدِيفه ، فنفذ فيه السنان فقتلهما ، وفي ذلك يقول بكر بن النطاح المذكور :

قالوا وينظم فارسَين بطعنــة   يوم الهياج ولا تراه كليــلا
لا تعجبوا فلو أن طول قنـــاته   ميل إذاً نَظَم الفوارسَ ميلا

وكان أبو عبد الله أحمد بن أبي فنن[2] صالح مولى بني هاشم ، أسود مشوه الخلق ، وكان فقيراً ، فقالت له امرأته : يا هذا ، إن الأدب أراه قد سقط نَجْمُه وطاش سَهْمُه ، فاعمد إلى سيفك ورمحك وقوسك ، وادخل مع الناس في غزواتهم ، عسى الله أن ينفلك من الغنيمة شيئاً ، فأنشد :

مالي ومالَكِ قد كَلَّفْتِني شَطَطاً   حملَ السلاح وقولَ الدارعين قِفِ
أمِنْ رجـــال المنايا خلتني رجلاً   أمسي وأصبحُ مشتاقـــاً إلى التلف
تمشي المنايا إلى غيري فأكرَهُهـــا   فكيف أمشي إليها بارزَ الكتِف
ظننتِ أن نزال القرن من خلقي[3]   أو أن قلبيَ في جَنْبَيْ أبي دُلَف

فبلغ خبره أبا دلف ، فوجه إليه ألف دينار . وكان أبو دلف لكثرة عطائه قد ركبته الديون ، واشتهر ذلك عنه ، فدخل عليه بعضهم وأنشده :

أيا ربَّ المنـــائح والعطـــايا   ويا طَلْقَ المحيّـــا واليدينِ
لقد خبِّرْتُ أن عليك دينـــا   فزِدْ في رقم دَينك واقضِ دَيني[4]

---

[1] ن لي بر : وكان أبو دلف قد شهد مصافاً .
[2] فنن : سقط من ن ؛ بر : أبو عبيد أحمد . . .
[3] تاريخ بغداد : أم هل حسبت سواد الليل شجعني .
[4] فدخل . . . ديني : سقط من ل .

فوصله وقضى دينه . ودخل عليه بعضُ الشعراء فأنشده :

الله أجْرَى من الأرزاق أكثرها على يديك تَعَلَّمْ يا أبا دُلفِ
ما خَطَّ « لا » كاتباه في صحيفته كما تخطط « لا » في سائر الصحف
بارى الرياحَ فأعطى وهي جارية حتى إذا وقَفَتْ أعطى ولم يَقِفِ

ومدائحه كثيرة . وله أيضاً أشعار حسنة ، ولولا خوف التطويل لذكرت بعضها .

وكان أبوه قد شرع في عمارة مدينة الكَرَجِ وأتمها هو ، وكان بها أهله وعشيرته وأولاده ، وكان قد مدحه وهو بها بعضُ الشعراء ، فلم يحصل له منه ما في نفسه ، فانفصل عنه وهو يقول — وهذا الشاعر هو منصور بن باذان ، وقيل هو بكر بن النطاح والله أعلم — :

دَعِيني أجُوبُ الأرضَ في فلَواتِها فما الكَرَجُ الدُّنيا ولا الناسُ قاسِمُ

وهذا مثل قول بعضهم ، ولا أدري أيهما أخذ من الآخر :

فإنْ رَجَعْتم[1] إلى الإحسانِ فَهوَ لَكُمْ عَبدٌ كما كانَ ، مِطواعٌ[2] ومِذْعانُ
وإنْ أبَيتمْ فأرْضُ اللهِ واسِعَةٌ لا الناس أنتم ولا الدنيا خُراسانُ

ثم وجدت هذين البيتين قد ذكرهما السمعاني في كتاب « الذيل » ، في ترجمة أبي الحسن علي بن محمد بن علي البلخي ، فقال : أنشدني القاضي علي بن محمد البلخي بدورق متمثلاً للأمير أبي الحسن علي بن المنتجب ، ولعله سمع منه، وأنشد البيتين[3] .

وروي أن الأمير علي بن عيسى بن ماهان صنع مأدبة لما قدم أبو دلف من

---

١ لي : رحلتم .
٢ س : إن تكرموني فإني غرس نعمتكم ، مهما حييت نمطواع ، وذكر في الهامش الرواية التي أثبتت هنا .
٣ ثم وجدت . . . البيتين : سقط من س والمختار .

الكَرَج ودعاه إليها ، وكان قد احتفل بها غاية الاحتفـــال ، فجاء بعض الشعراء ليدخل دار عليّ بن عيسى فمنعه البواب ، فتعرض الشاعر لأبي دلف وقد قصد دار علي بن عيسى، وبيده جُزازة فناوله إياها ، فإذا فيها مكتوب :

قلْ لهُ إنْ لَقيتهُ متأنّ بِـــلا وَهَجْ
جئتَ في ألفِ فارس لِغداء مِن الكَرَج
ما على الناس بعدَها في الدّنيّات من حَرَج

فرجع أبو دلف ، وحلف أنه لا يدخل الدار ولا يأكل شيئاً من الطعام ، ورأيت في بعض المجاميع أن هذا الشاعر هو عبـــاد بن الحريش[1] ، وكانت المأدبة ببغداد .

ورأيت في بعض المجاميع أيضاً أن أبا دلف لما مرض مرض موته حجب الناس عن الدخول عليه لثقل مرضه ، فاتفق أنه أفاق في بعض الأيام ، فقال لحاجبه : مَنْ بالباب من المحاويج ؟ فقال : عشرة من الأشراف ، وقد وصلوا من خراسان، ولهم بالباب عدة أيام لم يجدوا طريقاً، فقعد على فراشه واستدعاهم، فلما دخلوا رَحَّبَ بهم وسألهم عن بلادهم وأحوالهم وسبب قدومهم ، فقالوا : ضاقت بنا الأحوال ، وسمعنا بكرمك فقصدناك ، فأمر خازنه بإحضار بعض الصناديق ، وأخرج منه عشرين كيساً في كل كيس ألف دينار ، ودفع لكل واحد منهم كيسين ، ثم أعطى كل واحد مؤونة طريقه ، وقال لهم : لا تمسوا الأكياس حتى تصلوا بها سالمة إلى أهلكم ، واصرفوا هذا في مصالح الطريق . ثم قال : ليكتب لي كل واحد منكم خطه : أنه فلان بن فلان حتى ينتهي إلى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، ويذكر جدته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ليكتب : يا رسول الله إني وجدت إضاقةً وسوء حال في بلدي وقصدتُ أبا دلف العجلي ، فأعطاني ألفي دينار كرامة لك ، وطلباً لمرضاتك ، ورجاء لشفاعتك ، فكتب كل واحد منهم ذلك ، وتسلم الأوراق . وأوصى من

---

١ انظر نفح الطيب ٣ : ٣٢١ ؛ وهذا الخبر سقط من بر ل س لي .

يتولى تجهيزه إذا مات أن يضع تلك الأوراق في كفَنِه، حتى يلقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرضها عليه .

ومع هذا فقد حكي أنه قال يوماً : من لم يكن مغالياً في التشيع فهو ولد زنا ، فقال له ولده : إني لست على مذهبك ، فقال له أبوه : لما وطئت أمك وعلقَتْ بكَ ما كنت بعدُ قد استبرأتها ، فهذا من ذاك ، والله أعلم .

ومع هذا فقد حكى جماعة من أرباب[1] التواريخ أن دُلفَ بن أبي دُلفَ قال : رأيت في المنام آتياً أتاني فقال لي : أجب الأمير، فقمت معه ، فأدخلني داراً وَحْشَةً وَعْرَةً سوداء الحيطان مقلعة السقوف والأبواب وأصعدني على درج منها ، ثم أدخلني غرفة في حيطانها أثر النيران وفي أرضها أثر الرماد ، وإذا بأبي وهو عُرْيان واضع رأسه بين ركبتيه ، فقال لي كالمستفهم : دلف ؟ قلت : دلف : فأنشأ يقول :

أبلغَنْ أهلنا ولا تُخْفِ عنهم ... ما لقينا في البرزخ الخَنّاقِ
قد سُئِلْنا عن كل ما قد فعلنا ... فارحموا وَحْشَتي وما قد ألاقي

ثم قال : فهمت ؟ قلت : نعم ، ثم أنشد[2] :

فلو كُنا إذا متنا تُركنا ... لكانَ الموتُ راحةَ كلِّ حَيِّ
ولكنا إذا مُتنا بُعِثنا ... ونُسْأل بعده عن كل شيٍّ

ثم قال : أفهمت ؟ قلت : نعم ، وانتبهت .

وكانت وفاته سنة ست وعشرين ، وقيل خمس وعشرين ومائتين[3] ببغداد ، رحمه الله تعالى .

ودُلَفُ : بضم الدال المهملة وفتح اللام وبعدها فـاء ، وهو اسم علم لا ينصرف ، لاجتماع العلمية والعدل ، فإنه معدول عن دالفٍ .

---

١ ر : أهل .
٢ فأنشأ يقول . . . ثم أنشد : سقط من ن .
٣ وقيل . . . ومائتين : سقط من ن ر .

والمجلي : قد تقدم الكلام عليه .

والأبُلّة : بضم الهمزة والباء الموحدة واللام المشددة المفتوحة وبعدها هاء ساكنة ، وهي بلدة قديمة على أربعة فراسخ من البصرة ، وهي اليوم من البصرة ، وهي من جِنان الدنيا ، وإحدى المستنزهات الأربع ، وقد سبق ذكرها في ترجمة عضد الدولة بن بُوَيه مع شعب بَوّان وغيره .

والكَرَج : بفتح الكاف والراء وبعدها جيم ، وهي مدينة بالجبل[1] ، بين[2] أصبهان وهمذان .

والجبل : إقليم كبير بين بلاد العراق وخراسان ، والعامة تسميه عراق العجم ، وفيه مدن كبار منها : همذان وأصبهان والري وزنجان ، وغير ذلك .

٥٣٩

شمس المعالي قابوس

الأمير شمس المعالي أبو الحسن قابوس بن أبي طاهر وشمكير بن زيار بن وردانشاه الجيلي ، أميرُ جُرْجان وبلاد الجيل وطبرستان .

قال الثعالبي في « اليتيمة »[3] : أنا أختم هذا الجزء بذكر خاتم الملوك ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والإحسان ، ومن جمع الله سبحانه له إلى عزة العلم بسطة القلم ، وإلى فصل الحكمة فصل الحكم » . ثم قال : ومن مشهور ما ينسب إليه من الشعر قوله :

---

١ لي ن بر : بالجبال . ٢ ر س : من .

٥٣٩ – أخباره في صفحات متفرقة من ذيل تجارب الأمم وابن الأثير (ج ٨ ، ٩) وتاريخ ابن العبري ، وانظر المنتظم ٧ : ٢٦٤ ومعجم الأدباء ١٦ : ٢١٩ والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٣٣ ، وكنيته في بر : أبو الحسين ، ر : أبو الخير ؛ والترجمة شديدة الإيجاز في المختار .

٣ اليتيمة ٤ : ٥٩ .

قل للذي بصُروف الدهرِ عَيَّرَنا هل حاربَ الدهرُ إلا من له خَطَرُ
أما ترى البحرَ تعلو فوقه جيفٌ وتستقر بـأقصى قعره الدرر
فإن تكن عبثت أيدي الزمان بنا ومَسَّنا من تمادي بؤسه ضرر
ففي السماء نجومٌ ما لهـا عددٌ وليس يكسف إلا الشمس والقمر

وينسب إليه أيضاً :

خطراتُ ذكركِ تستثيرُ مودتي فأحس منهـا في الفؤاد دبيبا
لا عضو لي إلا وفيـه صبابة فكأن أعضـائي خُلقن قلوبا

وذكر له جملة من النثر أيضاً .

وكان خطه في نهاية الحسن . وكان الصاحب بن عباد إذا رأى خطه قال : هذا خط قابوس ، أم جناح طاووس ، وينشد قول المتنبي[1] :

في خطه مِن كل قلب شهوة حتى كأن مـداده الأهواءُ
ولكل عينٍ قرة في قربـه حتى كأنّ مغيبـه الأقذاءُ

وكان الأمير المذكور صاحب جرجان وتلك البلاد ، وكانت من قَبْله لأبيه. وكانت وفاة أبيه في المحرم سنة سبع وثلاثين وثلثمائة بجرجان ، ثم انتقلت مملكة جرجان عنهم إلى غيرهم ، وشرح ذلك يطول . ومَلَكها قابوس المذكور في شعبان سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ، وكانت المملكة قد انتقلت إلى أبيه من أخيه مرداويج بن زيار بن وردانشاه الجيلي ، وكان ملكاً جليل القدر بعيد الهمة . وكان عماد الدولة أبو الحسن عليّ بن بُويه – المقدم ذكره[2] – من أحد أتباعه ومقدمي أمرائه ، وبسببه ترقى إلى درجة الملك ، وشرح حديثه يطول ، وهو أول من ملك من بني بويه ، وهو أكبر الإخوة – وقد سبق ذكر ذلك كله .

وكان قابوس من محاسن الدنيا وبهجتها ، غير أنه كان ، على ما خص به من

---

١ ديوانه : ١١٦ .
٢ انظر ج ٣ : ٣٩٩

المناقب والرأي البصير بالعواقب مُرّ السياســة ، لا يُساغ كأسه ، ولا يؤمن مجال سطوته وبأسه ، يقابل زلة القدم ، بإراقة الدم ، لا يذكر العفو عنــد الغضب ؛ فما زال على هذا الخلق حتى استوحشت النفوس منه ، وانقلبت القلوب عنه ، فأجمع أعيان عسكره على خَلعه ونزع الأيدي عن طاعته ، فوافق هذا التدبير منهم غيبَتَه عن جرجان إلى المعسكر[1] ببعض القلاع ، فلم يشعر بهذا التدبير لذلك ولم يحسّ بهم إلا وقد قصدوه وأرادوا قبضه ، ونهبوا أمواله وخيله ، فحامى عنه مَنْ كان في صحبته من خواصه ، فرجعوا إلى جرجان وملكوها ، وبعثوا إلى ولده أبي منصور منوجهر ، وهو بطبرستان ، يستحثونه على الوصول إليهم لعقد البيعة له ، فأسرع في الحضور ، فلما وصل إليهم أجمعوا على طاعته إن خلع أباه ، فلم يسعه في تلك الحال إلا المداراة والإجابة خوفاً على خروج المُلك عن بيتهم .

ولما رأى الأمير قابوس صورة الحال توجّه إلى ناحية بسطــام بمن معه من الخواص لينتظر ما يستقر عليه الأمر ، فلمــا سمع الخارجون عليه انحيازه إلى تلك الجهــة حملوا ولده منوجهر على قصده وإزعاجه من مكانه ، فسار معهم مضطراً ، فلما وصل إلى أبيه اجتمع به وتباكـيا وتشاكيا ، وعرض الولد نفسه أن يكون حجاباً بينه وبين أعاديه ، ولو ذهبت نفسه فيه ، ورأى الوالد أن ذلك لا يجدي ، وأنه أحق بالملك من بعده ، وسلم خاتم المملكة إليه ، واستوصــاه خيراً بنفسه ما دام في قيد الحياة ، واتفقا على أن يكون في بعض القلاع إلى أن يأتيه أجله ، فانتقل إلى تلك القلعــة . وشرع الولد في الإحسان إلى الجيش ، وهم لا يطمئنون خشية قيام الوالد ، ولم يزالوا حتى قتل ، وذلك في سنة ثلاث وأربعمائة ، ودفن بظاهر جرجان ، رحمه الله تعالى ، وقيل إنه لما حبس في القلعة مُنع من الغطاء والدثار ، وكان البرد شديداً فمات من ذلك .

والجيلي : بكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام ، هذه النسبة إلى جيل ، وهو اسم رجل كان أخا ديلم ، وقد نسب إلى كل واحد منهما. وهذه النسبة غير نسبة الجيلي إلى الإقليم الذي وراء طبرستان ، فليعلم ذلك ، فقد يقع

---

[1] ر بر : العسكر .

فيه الالتباس ، فلهذا نبهت عليه . وقد تقدم الكلام على جرجان فلا حاجة إلى إعادته .

٥٤٠

مجاهد الدين قايماز الزيني

أبو منصور قايماز بن عبد الله الزيني ، الملقب مجاهد الدين الخادم ؛ كان عتيق زين الدين أبي سعيد علي بن بكتكين[١] والد الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل ، وهو من أهل سجستان[٢] ، أخذ منها صغيراً ، وكان أبيض اللون ، وكانت مخايل النجابة لائحة عليه ، فقدمه مُعتِقُه وجعله أتابك أولاده ، وفوض إليه أمور إربل في خامس شهر رمضان سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، فأحسن السيرة وعدل في الرعية ، وكان كثير الخير والصلاح ، بنى بإربل مدرسة وخانقاه وأكثر وقفها ، ثم انتقل إلى الموصل في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة وسكن قلعتها وتولى أمور تدبيرها[٣] وراسل الملوك وراسلوه ، وكان يبلغ منهم بكتبه ما لا يبلغ سواه ، وفوض إليه الأتابك سيف الدين غازي بن مودود – المقدم ذكره – صاحب الموصل الحكم في سائر بلاده لما رآه من حسن مقاصده ، واعتمد عليه في جميع أحواله ، وكان نائبه وهو السلطان في الحقيقة ، وكان يحمل إليه أكثر أموال إربل ، وأثر بالموصل آثاراً جميلة ، منها أنه بنى بظاهرها جامعاً كبيراً ومدرسة وخانقاه ، والجميع متجاورة ، ووقف أملاكاً كثيرة على خبز

---

٥٤٠ – أخباره في ذيل الروضتين : ١٤ ومرآة الزمان : ٣٣٨ وأماكن متفرقة من تاريخ ابن الأثير (ج ١١ ، ١٢) والتاريخ الباهر ومفروج الكروب ٢ : ١٥٣ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٤٤ .

١ س : بلتكين .

٢ ن ل : سنجار ؛ س : سبختان ؛ المختار : شبختان .

٣ ر : تدبير أمورها ، وما هنا مشبه لما في المختار وسائر النسخ .

الصدقات ، وأنشأ مكتباً للأيتام ، وأجرى لهم جميع ما يحتاجون إليه ، ومد على شط الموصل جسراً غير الجسر الأصلي ، ووجد الناس به رفقاً كثيراً لعدم كفايتهم بالجسر الأصلي، وله شيء كثير من وجوه البر؛ ومدحه جماعة من الشعراء منهم حَيْصَ بَيْصَ وسِبْطُ ابن التعاويذي – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – بقصيدته التي أولها[1] :

عليلُ الشّوْقِ فيك متى يصحُّ وسكران بحُبّك كيف يَصْحُو

وبين القلب والسُّلْوان حَرْبٌ وبين الجفن والعَبَرات صُلْحُ

وهي من قصائده المختارة ، وسيّرها إليه من بغداد فأجازه جائزة سنيّة ، وسيّر له[2] معها بغلة ، فوصلت إليه وقد هُزلت من تعب الطريق، فكتب إليه[3]:

مجاهِدَ الدين دُمْتَ ذُخْراً لكل ذي فاقـةٍ وكَنْزا

بعَثْتَ لي بَغْـلةً ولكن قد مُسِخَت في الطريق عَنْزا

ومدحه بهاء الدين أبو المعالي أسعد بن يحيى السنجاري – المقدم ذكره – بقصيدته المشهورة التي يتغنى بها ، ومن جملتها :

يا قلب تَبّاً لكَ من صاحب كان البلا مِنكَ ومن ناظري

لله أيامي على رامَـةٍ وطيب أوقـاتي على حاجر

تكادُ بالسُّرْعة في مَرّهـا أولهـا يعـثر بالآخر[4]

[وعمل له أبو المعالي أسعد بن علي الحظيري – المقدم ذكره – كتابَ « الإعجاز في حل الأحاجي والألغاز برسم الأمير مجاهد الدين قايماز » وحمله إليه لما كان بإربل ، وأقام عنده مدة ، فاشتاق إلى أهله بالحظيرة فقال :

---

١ ديوان سبط ابن التعاويذي : ١٠٢ .

٢ ن : وأرسل إليه .

٣ ديوان سبط ابن التعاويذي : ٢٣٦ .

٤ لم يرد في المختار بعد هذا من هذه الترجمة سوى ذكر الوفاة .

ألا من لِصَبٍّ قليل العَزاء غريبٍ يحنُّ إلى المـــنزلِ
يُنادي بإربل أحبــابه وأنّى الحظيرةُ من إربِلِ]

وكان يحب الأدب والشعر ، أنشدني بعض أصحابنا قال : كثيراً مـا كان ينشد أبياتاً من جملتها :

إذا أدْمَتْ قوارصُكم فؤادي صبرْتُ على أذاكم وانطويتُ
وجئْتُ إليكمُ طَلْقَ المحيّا كأنّي ما سمعتُ وما رأيتُ

[وهذان البيتان من جملة أبيات لأسامة بن منقذ[1] - المقدم ذكره] وقد تقدم في ترجمة العلم أبي علي الحسن بن سعيد الشاتاني ذكر بيتين عملها فيه لما قبض عليه[2] وبالجملة فآثاره مشهورة .

وكان مجد الدين أبو السعادات المبارك بن الأثير الجزري صاحب « جـــامع الأصول » كاتباً بين يديه ومنشئاً عنه إلى الملوك ، وكان قد مات الأتابك سيف الدين وتولى أخوه عز الدين مسعود ، فسعى أهل الفساد إليه في حقه ، وكثر ذلك منهم فقبض عليه في سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، ثم ظهر له فساد رأيه في ذلك ، فأطلقه وأعاده إلى ما كان عليه .

واستمر على ذلك إلى أن توفي في منتصف شهر ربيع الأول،وقيل في سادسه ، وقال ابن المستوفي في « تاريخ إربل » : في صفر سنة خمس وتسعين وخمسمائـــة بقلعة الموصل . وكان شروعه في عمارة جامعه بالموصل في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

---

١ ديوان أسامة : ١١٥ .

٢ وقد تقدم . . . عليه : سقط من س ر ؛ وترجمة الشاتاني ٢ : ١١٣ ولم يرد فيها البيتان المشار إليهما ، ولا وردا في المسودة .

٥٤١

قتادة السدوسي

أبو الخطاب قَتادة بن دِعامة بن عزيز بن عمرو بن[1] ربيعة بن عمرو بن الحارث ابن سَدُوس ، السَّدُوسي البصري الأكمه ؛ كان تابعياً وعالماً كبيراً ، قال أبو عبيدة : ما[2] كنا نفقد في كل يوم راكباً من ناحية بني أميـــة يُنيخُ على باب قَتادة فيسأله عن خبر أو نسب أو شعر ، وكان قتادة أجمع الناس . وقـال معمر : سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله تعالى : ﴿ ومـــا كنا له مُقْرِنينَ ﴾ (الاسراء : ١٧) فلم يجبني ، فقلت : إني سمعت قتادة يقول : مُطيقين ، فسكت ، فقلت له : ما تقول يا أبا عمرو؟ فقال : حَسبُكَ قتادة ، فلولا كلامه في القَدَر – وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا ذكر القدر فأمسكوا » – لما عدلْتُ به أحداً من أهل دهره . وقال أبو عمرو: كان قتادة من أنسب الناس، كان قد أدرك دَغْفَلا ، وكان يدور البصرة أعلاها وأسفلَها بغير قائد؛ فدخل مسجد البصرة ، فإذا بعمرو بن عبيد ونفر معه قد اعتزلوا من حلقـــة الحسن البصري وحلقوا وارتفعت أصواتهم ، فأمهم وهو يظن أنها حلقة الحسن ، فلما صار معهم عرف أنها ليست هي ، فقال : إنما هؤلاء المعتزلة ، ثم قام عنهم ، فمذ يومئذ سموا « المعتزلة » .

وكانت ولادته سنة ستين للهجرة . وتوفي سنة سبع عشرة ومائة بواسط ،

---

٥٤١ – ترجمته في طبقات ابن سعد ٧ : ٢٢٩ والمعارف : ٤٦٢ والجرح والتعديل ٣ / ٢ : ١٣٣ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٥ ومعجم الأدباء ١٧ : ٩ ونكت الهميان : ٢٣٠ وتذكرة الحفاظ : ١٢٢ وميزان الاعتدال ٣ : ٣٨٥ وعبر الذهبي ١ : ١٤٦ وتهذيب التهذيب ٨ : ٣٥١ والشذرات ١ : ١٥٣ وانظر جمهرة ابن حزم : ٣١٨ .

[1] ر : ابن عمرو بن دعامة بن عمرو بن ربيعة . . . وسقط النسب بعد « دعامة » الأولى في س .

[2] ما : سقطت من ر .

وقيل ثماني عشرة ، رضي الله عنه[1] .

والسَّدُوسي : بفتح السين المهملة وضم الدال المهملة وسكون الواو وبعدها سين ثانية ، هذه النسبة إلى سدوس بن شيبان ، وهي قبيلة كبيرة كثيرة العلماء وغيرهم .

(154) ودَغْفَل : بفتح الدال المهملة وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء ثم لام ، هو ابن حَنْظلة السَّدُوسي النسابة ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئاً ، وقدم على معاوية ، وكان أنسب العرب ، وقتلته الأزارقة [وقيل إنه غرق بدُجَيْل في وقعة دولاب ، وهو الأصح][2] .

٥٤٢

قتيبة بن مسلم

أبو حفص قتيبة بن أبي صالح مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخير بن قضاعي بن هلال بن سلامة بن ثعلبة بن وائل بن مَعْن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عَيْلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، الباهلي أمير خراسان زمن عبد الملك بن مروان من جهة الحجاج بن يوسف الثَّقَفي لأنه كان أمير العراقين ، وكل من كان يليهما كانت خراسان مضافة إليه ، وأقام بها ثلاثَ عشرَةَ سنةً ، وكان من قَبْلها على الري [وتولى خراسان بعد يزيد

١ بواسط . . . عنه : سقط من س .

٢ زيادة من ر .

٥٤٢ – أخباره في الكتب التاريخية التي تتناول الفتوحات زمن الوليد بن عبد الملك كالطبري وابن الأثير وابن خلدون ، وانظر معجم المرزباني: ٢١٢ ونوادر المخطوطات ١ : ١٩٣ والمعارف : ٤٠٦ وخزانة الأدب ٣ : ٦٥٧ وصفحات متفرقة من البيان والتبيين وثمار القلوب والكامل للمبرد وعبر الذهبي ١ : ١١٤ والشذرات ١ : ١١١ .

ابن المهلب بن أبي صُفْرة وفي ترجمة يزيد شرح ذلك][1] وهو الذي افتتح خوارزم وسمرقند وبخارى ، وقد كانوا كفروا . وكان شَهْماً مقداماً نجيباً ، وكان أبوه مسلم كبير القدر عند يزيد بن معاوية ، وهو صاحب الحرون[2] ، وكان الحرون من الفحول المشاهير يضرب به المثل . ثم فتح قتيبة فَرْغـانة في سنة خمس وتسعين في أواخر أيام الوليد بن عبد الملك [وقال أهل التاريخ : بلغ قتيبة بن مسلم في غزو الترك والتوغّل في بلاد ما وراء النهر وافتتاح القلاع واستباحـة البلاد وأخذ الأموال وقَتْل الفُتّاك ما لم يبلغه المهلب بن أبي صُفْرة ولا غيره، حتى إنه فتح بلاد خوارزم وسمرقند في عام واحد ، ولما فتح هـاتين المدينتين الجليلتين عادت السُّغْد وحملت الاتاوة . ودعا قتيبة لما تمت له هذه الأحوال نَهار بن تَوْسِعة شاعر المهلب بن أبي صفرة وبنيه ، وقال له : أين قولك في المهلب لما مات :

ألا ذهَبَ الغَزْوُ المقرِّبُ للغِنى ... ومات النَّدى والجودُ بعدَ المهلّبِ

أفغزوٌ هذا يا نهار ؟ قال : لا بل هذا حشرٌ . ثم قال نهار وأنا القائل :

ولا كان مُذْ كنا ولا كان قَبْلَنا ... ولا هو فيما بعـدنا كابن مسلم

أعم لأهل الترك قَتْلاً بسيفـه ... وأكثر فينـا مقسماً بعد مقسم

ثم إنه لما بلغ الحجاج ما فعل قتيبة من الفتوحات والقتل والسبي قال: بعثت قتيبة فتى غِرّاً فما زدته باعا إلا زادني ذراعا][3] .

فلما مات الوليد في سنة ست وتسعين وتولى الأمر أخوه سليمان بن عبد الملك وكان يكره قتيبة لأمر يطول شرحه ، فخاف منه قتيبة وخلع بيعة سليمان وخرج عليه وأظهر الخلاف ، فلم يوافقه على ذلك أكثر الناس ، وكان قتيبة قد عزل وكيع بن حسان بن قيس [بن يوسف بن كلب بن عوف بن مـالك بن

---

١ انفردت به ر .

٢ انظر أنساب الخيل : ١١٧ — ١٢٧ .

٣ انفردت به ر وكذلك كل ما يرد بين معقفين في هذه الترجمة .

غدانة واسم غدانة أشرس] وكنية وكيع أبو المطرف الغُداني[1] عن رياسة بني تميم ، فحقد وكيع عليه وسعى في تأليب الجند سراً وتقاعد عن قتيبة متمارضاً ، ثم خرج عليه وهو بفَرْغانَةَ فقتله مع أحد عشر من أهله، وذلك في ذي الحجة سنة ست وتسعين للهجرة ، وقيل سنة سبع وتسعين . ومولده سنة تسع وأربعين ، وتولى خراسان تسع سنين وسبعة أشهر ، هكذا قال السلامي في « تاريخ ولاة خراسان » وهو خلاف ما قيل أولاً [وقال الطبري : تولى خراسان سنة ست وثمانين] وفي قتله يقول جرير :

ندمتم على قَتل الأغر ابن مسلم　　وأنتم إذا لاقيتم الله أنْدَمُ
لقد كنتمُ من غزوه في غنيمة　　وأنتم لمن لاقيتم اليوم مَغْنَم
على أنه أفضى إلى حور جنةٍ　　وتُطبِق بالبلوَى عليكُمْ جهنم

[وقتل أبوه مسلم بن عمرو[2] مع مصعب بن الزبير في سنة اثنتين وسبعين للهجرة] .

(155) وقتيبة المذكور جد [أبي عمرو] سعيد بن سَلم[3] بن قتيبة بن مُسلم، وكان سعيد المذكور سيداً كبيراً ممدّحاً ، وفيه يقول عبد الصمد بن المعذّل يرثيه[4] :

كم يتيمٍ نَعَشْتَه بعد يُتْمٍ　　وفقيرٍ أغنيتَهُ بعد عُدْمِ
كلما عَضَّتِ النوائبُ نادى　　رضيَ الله عن سعيد بن سَلْمِ

وتولى سعيد أرمينية والموصل والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة ، وتوفي سنة سبع عشرة ومائتين ، ومن أخباره أنه قال[5] : لما كنت والياً بأرمينية

---

١ ل س ن لي بر : عزل وكيع بن أبي سود الغداني .
٢ انظر أخبار مسلم بن عمرو في المعارف : ٤٠٦ وأنساب الخيل : ١١٧ وما بعدها وأماكن متفرقة من تاريخ ابن الأثير (ج : ٤) والكامل ٣ : ٩ والأمالي .
٣ وردت بعض أخبار سعيد في المعارف : ٤٠٧ والبيان والتبيين ٢ : ٤٠ ، ٢٥٤ وتاريخ ابن الأثير (ج : ٦) .
٤ الكامل ٣ : ٧ .
٥ انظر الخبر في البيان والتبيين ٢ : ٢٠٠ .

أتاني أبو دهمان الغِلابي[1] فقعد على بابي أياماً فلما وصل إليّ جلس قدامي بين السماطين ، وقال : والله إني لأعرف أقواماً لو علموا أن سَفَّ التراب يقيم أوَد أصلابهم لجعلوه مسكة لأرماقهم إيثاراً للتنزه عن عيش رقيق الحواشي ، أما والله إني لبعيد الوثبة ، بطيء العطفة ، إنه والله[2] ما يَثنيني عليك إلا مثل ما يصرفك عني ، ولأن أكون مقلاً مقرباً أحب إلي من أن أكون مكثراً مبعداً ، والله ما نسأل عملاً لا نضبطه ، ولا مالاً إلا ونحن أكثر منه ، إن هذا الأمر الذي صار في يديك قد كان في يد غيرك فأمسوا والله حديثاً إنْ خيرا فخير وإن شراً فشر ، فتحبب إلى عباد الله بحسن البشر ولين[3] الحجاب ، فإن حب عباد الله موصول بحب الله[4] ، وهم شهداء الله على خلقه ، ورقباؤه على من اعوجَّ عن سبيله ، والسلام .

ولما مات ولده عمرو بن سعيد المذكور رثاه أبو عمرو أشجع بن عمرو السُّلَمي الرقي نزيل البصرة الشاعر المشهور بقوله :

مضى ابنُ سعيدٍ حين لم يَبْقَ مشرقٌ ... ولا مغربٌ إلا لهُ فيهِ مادحُ
وما كنتُ أدري ما فَواضلُ كفه ... على الناسِ حتى غَيَّبَتْهُ الصفائح
وأصبَحَ في لَحْدٍ من الأرض ضيقٍ ... وكانتْ به حياً تضيقُ الصَّحاصح
سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تَغِض ... فحسبكَ مني ما تُجِنُّ الجوانح
فما أنا من رُزْءٍ وإن جلَّ جازعٌ ... ولا بسرُور بعدَ موتكَ فارِح
كأن لم يَمُتْ حَيٌّ سِواكَ ولم يقم ... على أحدٍ إلا عليكَ النوائح
لئن حَسُنَتْ فيكَ المراثي وذكرها ... لقَدْ حَسُنَتْ من قبلُ فيك المدائح

وهذه المرثية من محاسن المراثي ، وهي في كتاب « الحماسة »[5] والبيت الأخير

---

١ س ن بر : الغلاني ؛ وأخبار أبي دهمان في الأغاني ٢٢ : ٢٦٩ .
٢ ل : أما والله .
٣ ن : ويمن ؛ البيان : ولين الجانب .
٤ زاد في ر : وبغضهم موصول ببغضه ، وكذلك ثبت في البيان .
٥ الحماسية رقم : ٢٨٠ (شرح المرزوقي : ٨٥٦) .

منها مثل قول مُطيع بن إياس في يحيى بن زياد من جملة أبيات :

يا خير من يَحْسُنُ البكاء له الـ يومَ ومن كان أمْس ِ للمــدح

وهذه الأبيات في « الحماسة »[١] في باب المراثي .

وأخباره كثيرة . وقد تقدم الكلام على الباهلي في ترجمة الأصمعي، وأن هذه النسبة إلى أي شيء هي ، وكانت العرب تستنكف من الانتساب إلى هذه القبيلة حتى قال الشاعر :

وما ينفَعُ الأصلُ من هاشم ٍ إذا كانت النفسُ من باهـلهْ

وقال الآخر :

ولو قيــلَ للكلب يا باهِــليُّ عَوَى الكلبُ من لؤم هذا النسبْ

وقيل لأبي عبيدة : يقال إن الأصمعي دعيٌّ في نسبه إلى باهلة ، فقال : هذا ما يمكن ، فقيل : ولمَ ؟ فقال : لأن الناس إذا كانوا من باهلة تبرأوا منهـــا ، فكيف يجيء مَنْ ليس منها وينتسب إليها ؟ ورأيت في بعض المجاميع أن الأشعث ابن قيس الكندي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أتتكافأ دماؤنا ؟ فقال : « نعم ، ولو قتلت رجلاً من باهلة لقتلتك به » . وقال قتيبة بن مسلم المذكور لهبيرة بن مسروح : أي رجل أنت لو كان أخوالك من غير سَلُول؟ فلو بادلت بهم ، فقال : أصلح الله الأمير ، بادل بهم من شئت من العرب وجَنِّبْني باهلة. ويحكى أن أعرابياً لقي شخصاً في الطريق فسأله : ممن أنت ؟ فقال : من باهلة، فرثى له الأعرابي ، فقال ذلك الشخص : وأزيــدك أني لست من صميمهم ، ولكن من مواليهم ، فأقبل الأعرابي عليه يقبّل يَدَيْه ورجليه ، فقال له : ولمَ ذاك ؟ فقال : لأن الله تبارك وتعالى ما ابتلاك بهذه الرزية في الدنيـــا إلا ويعوضك الجنة في الآخرة . وقيل لبعضهم : أيسرك أن تدخل الجنة وأنت

١ شرح المرزوقي : ٨٥٣ .

باهلي ؟ فقال : نعم ، بشرط ألا يعلم أهل الجنة أني باهلي ، والأخبار في ذلك كثيرة ، رحمهم الله أجمعين .

وسئل حسين بن بكر الكلابي النسابة عن السبب في اتّضاعِ باهلة وغَنيّ عند العرب، فقال : لقد كان بينهما غناء وشرف ، ولم يضعهما إلا إشراف أخويهما فَزارة وذبيان عليهما بالمآثر ، فدَنُؤَا[1] بالإضافة إليهما [ذكر ذلك الوزير أبو القاسم المغربي في كتاب « أدب الخواص »] وقد تقدم الكلام على قتيبة في ترجمة عبد الله بن مسلم بن قتيبة[2] .

٥٤٣

بهاء الدين قَراقوش

أبو سعيد قَراقُوشُ بن عبد الله الأسدي ، الملقب بهاء الدين ؛ كان خادم صلاح الدين ، وقيل خادم أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين ، فأعتقه – وقد تقدم ذكره في ترجمة الفقيه عيسى الهَكّاري[3] . ولما استقلّ صلاحُ الدين بالديار المصرية جعله زمام القصر ، ثم ناب عنه مدة بالديار المصرية ، وفوّض أمورها إليه واعتمد في تدبير أحوالها عليه ، وكان رجلاً مسعوداً وصاحب همة عالية ، وهو الذي بنى السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما وبنى قلعة الجبل ، وبنى القناطر التي بالجيزة على طريق الأهرام ، وهي آثار دالة على علو الهمة ، وعَمَّرَ بالمَقْس رباطاً ، وعلى باب الفتوح بظاهر القاهرة خان سبيل .

---

١ قد تقرأ في المختار « فدقا » .   ٢ انظر ج ٣ : ٤٣ .

٥٤٣ – ترجمته في مرآة الزمان : ٥٠٤ وذيل الروضتين : ١٩ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٧٦ والسلوك ١ / ١ : ١٥٨ والشذرات ٤ : ٣٣١ وعبر الذهبي ٤ : ٢٩٨ ويجب ألا يخلط بينه وبين شرف الدين قراقوش التقوي المظفري الذي قام بمغامرات كثيرة في طرابلس الغرب وإفريقية .

٣ انظر ج ٣ : ٤٩٧ .

وله وقف كثير لا يعرف مَصْرِفه ، وكان حسن المقاصد جميل النية . ولما أخذ صلاح الدين مدينة عكا من الفرنج سلمها إليه ، ثم لما عادوا واستولَوْا عليها حَصَلَ أسيراً في أيديهم ، ويقال إنه افتكّ نفسه بعشرة آلاف دينار [وذكر شيخنا القاضي بهاء الدين بن شداد في « سيرة صلاح الدين »[1] أنه انفكّ من الأسر في يوم الثلاثاء حادي عشر شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، ومَثَلَ في الخدمة الشريفة السلطانية، ففرح به فرحاً شديداً ، وكان له حقوق كثيرة على السلطان وعلى الإسلام والمسلمين ، واستأذن في المسير إلى دمشق ليحصّل مال القطيعة ، فأذن له في ذلك ، وكان – على ما ذكر – ثلاثين ألفاً][2] والناس ينسبون إليه أحكاماً عجيبة في ولايته ، حتى إن الأسعد بن مَمّاتي – المقدم ذكره[3]– له جزء لطيف سماه « الفاشوش في أحكام قراقوش » وفيه أشياء[4] يبعد وقوع مثلها منه ، والظاهر أنها موضوعة ، فإن صلاح الدين كان معتمداً في أحوال المملكة عليه ، ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ما فوّضها إليه .

وكانت وفاته في مستهلّ رجب سنة سبع وتسعين وخمسمائة بالقاهرة ، ودفن في تربته المعروفة به بسفح المقطم[5] بقرب البئر والحوض اللذين أنشأهما على شفير الخندق ، رحمه الله تعالى .

وقَراقُوش : بفتح القاف والراء وبعد الألف قاف ثانية ثم واو وبعدها شين معجمة ، وهو لفظ تركي تفسيره بالعربي العُقاب ، الطائر المعروف ، وبه سمي الإنسان ، والله أعلم[6] .

---

١ سيرة صلاح الدين : ٢٣٩ .

٢ سيرة صلاح الدين : ثمانين ألفاً ؛ والمحصور بين معقفين من ر وحدها .

٣ انظر ج ١ : ٢١٠ .

٤ ر : وذكر أشياء .

٥ عند هذا الحد في س : قوبل معارضة بالكبرى ، وسقطت بقية النص حتى آخر الترجمة .

٦ وقراقوش . . . أعلم : سقط من ل ن لي بر .

٥٤٤

قطري بن الفجاءة

أبو نعامة قَطَري بن الفُجاءة ، واسمه جعونة ، بن مازن بن يزيد بن زياد ابن خنثر بن كابية[١] بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مُرّ ، المازني الخارجي ؛ خرج زمن مصعب بن الزبير لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله بن الزبير وكانت ولاية مصعب في سنة ست وستين للهجرة فبقي قَطَري عشرين سنة يقاتل ويُسَلَّم عليه بالخلافة ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفي يسيّر إليه جيشاً بعد جيش وهو يستظهر عليهم .

وحكي عنه أنه خرج في بعض حروبه وهو على فرس أعْجَفَ وبيده عمود خشب ، فدعا إلى المبارزة ، فبرز إليه رجل ، فحَسَرَ له قَطَري عن وجهه ، فلما رآه الرجل ولّى عنه ، فقال له قَطَري : إلى أين ؟ فقال : لا يستحي الإنسان أن يفر منك .

وقد ذكر أبو العباس المبرد في كتاب « الكامل »[٢] من أخبارهم ومحارباتهم قطعة كبيرة .

ولم يزل الحال بينهم كذلك حتى توجّه إليه سفيان بن الأبرد الكلبي ، فظهر عليه وقتله في سنة ثمان وسبعين للهجرة ، وكان المباشر لقتله سودة بن أبجر[٣]

---

٥٤٤ – أخباره في تاريخ الطبري وابن الأثير وأنساب الأشراف والأخبار الطوال : ٢٧٠ والكامل للمبرد ، وانظر سمط اللآلي : ٥٩٠ والبيان والتبيين ١ : ٣٤١ والنجوم الزاهرة ١ : ١٩٧ وأمالي المرتضى ١ : ٦٣٦ وعبر الذهبي ١ : ٩٠ والشذرات ١ : ٨٦ ومجموعة شعر الخوارج : ٤١ – ٥٠ .

١ اضطربت أعلام هذا النسب في النسخ ، ففي س : كايبة ؛ ر : زيد مناة بن جبير بن كاتبه ، وسقط من ل ن لي ما بعد مازن حتى مازن الثانية . وانظر جمهرة ابن حزم : ٢١٢ .

٢ انظر الكامل ٣ : ١٦٣ وما بعدها .

٣ ن : الحر .

الدارمي ، وقيل إن قتله كان بطبرستان في سنة تسع وسبعين ، وقيل عثر به فرسه فاندقّت فخذه فمات ، فأخذ رأسه فجيء به إلى الحجاج .

قلت[1] : هكذا قال أهل التاريخ والله أعلم أنه أقام عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وتاريخ خروجه وقتله بخلاف ذلك فتأمله .

ولا عقب لقطري ؛ وإنما قيل لأبيه « الفُجاءَة » لأنه كان باليمن ، فقدم على أهله فجاءة ، فسمي به وبقي عليه ، وقَطَرِيٌّ هو الذي عناه الحريري في المقامة السادسة بقوله[2] : « فقَلَّدوه في هذا الأمر الزعامة ، تقليدَ الخوارج أبا نعامة » وكان رجلا شجاعاً مقداماً كثير الحروب والوقائع ، قَوِيٌّ النفس لا يهاب الموت ، وفي ذلك يقول مخاطباً لنفسه[3] :

أقول لها وقد طارت شَعاعاً	من الأبطال ويحك لا تراعي
فإنك لو سألتِ بقاءَ يَوْمٍ	على الأجل الذي لك لم تُطاعي
فصبراً في مجال الموت صبراً	فما نيلُ الخلود بمستطاع
ولا ثوبُ الحياة[4] بثوب عزٍّ	فيطوى عن أخي الخَنَع اليَراع
سبيلُ الموت غايةُ كل حيٍّ	وداعيه لأهل الأرض داعي
ومن لا يُغْتَبَطْ يسأم ويَهْرَمْ	وتُسْلمه المنون إلى انقطاع
وما للمرء خير في حياة	إذا ما عُدَّ من سَقَطِ المتاع

وهذه الأبيات مذكورة في « الحماسة » في الباب الأول ، وهي تشجع أجبن خلق الله ، وما أعرف في هذا الباب مثلها ، وما صدرت إلا عن نفس أبيّة وشهامة عربية .

وهو معدود في جملة خطباء العرب المشهورين بالبلاغة والفصاحة .

---

١ قلت : سقطت من س ل ن لي .

٢ مقامات الحريري : ٦٠ — ٦١ .

٣ شعر الخوارج : ٤٢ — ٤٣ وتخريجها ص : ١٦٢ .

٤ هامش س : خ : البقاء .

روي أن الحجاج قال لأخيه : لأقتلنك ، فقال : لمَ ذلك ؟ قال : لخروج أخيك ، قال : فإن معي كتاب أمير المؤمنين أن لا تأخذني بذنب أخي ، قال : هاتِهِ ، قال : فمعي ما هو أوكد منه ، قال : ما هو ؟ قال : كتاب الله عز وجل ، حيث يقول ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ (الأنعام : ١٦٤ ، والإسراء : ١٥ ، وفاطر : ١٨ ، والزمر : ٧) فعجب منه وخَلّى سبيله .

وفي قَطَرِيٍّ قال حصين بن حفصة السعدي من أبيات[1] :

وأنت الذي لا نستطيع فراقَهُ حياتك لا نفعٌ وموتك ضائرُ

وقد ضبطت أسماء أجداده ضبطاً يغني عن التقييد ، ففيه تطويل ، فمن كتبه فليعتمد على هذا الضبط ففيه كفاية ، وكذلك الألفاظ التي في الأبيات مضبوطة[2] .

وقد قيل : إن قولهم « قَطَرِي » ليس باسم له ، ولكنه نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان ، وهو اسم بلد كان منه أبو نَعامة المذكور ، فنُسب إليه ، وقيل إنه هو قصبة عمان ، والقصبة هي كرسي الكورة .

---

١ شعر الخوارج : ٤٠ .

٢ قلت : يشير المؤلف هنا إلى ما صنعه في نسخته ، وليس ذلك متيسراً ، ولم يرد مثل هذا الضبط في المختار .

حَرْفُ الكَافِ



٥٤٥

كافور الإخشيدي

أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيدي — وقد سبق شيء من خبره في ترجمة فاتك — ؛ وكان كافور[١] عبداً لبعض أهل مصر ، ثم اشتراه أبو بكر محمد ابن طغج الإخشيد — الآتي ذكره إن شاء الله تعالى — في سنة اثنتي عشرة وثلثمائة بمصر من محمود بن وهب بن عباس وترقّى عنده إلى أن جعله أتابك ولديه. وقال محمد وكيل الأستاذ كافور : خدمت الأستاذ[٢] والجراية التي يُطلقها ثلاث عشرة جراية في كل يوم ، ومات وقد بلغت على يدي ثلاثة عشر ألفاً في كل يوم .

ولما توفي الإخشيد في التاريخ المذكور في ترجمته تولى مملكة مصر والشام ولده الأكبر وهو أبو القاسم أنوجور ، ومعناه بالعربي محمود ، بعَقْد الراضي له ، وقام كافور بتدبير دولته أحسن قيام إلى أن توفي أنوجور يوم السبت لثمان [وقيل اسبع][٣] خلون من ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، وحُمل إلى القدس ودفن عند أبيه . وكانت ولادته بدمشق يوم الخميس لتسع خلون من ذي الحجة سنة تسع عشرة وثلثمائة ، رحمه الله تعالى . وتولى بعده أخوه أبو الحسن علي ، وملك الرومُ في أيامه حلَبَ والمصيصة وطرسوس وذلك الصقع أجمع ، فاستمر كافور على نيابته وحسن إيالته ، إلى أن توفي علي المذكور في سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وقيل بل توفي لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة أربع وخمسين ،

---

٥٤٥ — انظر أخباره في المغرب (قسم مصر) : ١٩٩ وصفحات متفرقة من تاريخ ابن الأثير (ج : ٨) والولاة والقضاة : ٢٩٧ وابن خلدون ٤ : ٣١٤ والنجوم الزاهرة ٤ : ١ — ١٠ وديوان المتنبي : ٤٣٦ — ٤٣٨ والكواكب السيارة : ١٩٩ .

١ ر بر : كافور المذكور .   ٢ المختار : كافوراً .

٣ ما بين معقفين لم يرد في النسخ الخطية .

وكانت ولادته يوم الثلاثاء لأربع بقين من صفر سنة ست وعشرين وثلثمائة بمصر ، رحمه الله تعالى .

ثم استقل كافور بالمملكة من هذا التاريخ وأشير عليه بإقامة الدعوة لولد أبي الحسن علي بن الإخشيد ، فاحتج بصغر سنه ، وركب بالمطارد ، وأظهر خلعاً جاءته من العراق وكتاباً بتكنيته ، وركب بالخلع [يوم الثلاثاء لعشر خلون من صفر سنة خمس وخمسين وثلثمائة][1] وكان وزيره أبا الفضل جعفر بن الفرات – المقدم ذكره[2] – .

وكان كافور يرغب في أهل الخير ويعظمهم ، وكان أسود اللون شديد السواد بَصّاصاً ، واشتراه الإخشيد بثمانية عشر ديناراً على ما نُقِل ، وقد سبق في ترجمة الشريف ابن طَباطَبا شيء من خبره معه . وكان أبو الطيب المتنبي قد فارق سيفَ الدولة بن حَمْدان – المقدم ذكره[3] – مُغاضِباً له ، وقصد مصر وامتدح كافوراً بأحسن المدائح ، فمن ذلك قوله في أول قصيدة أنشأها له في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلثمائة ، وقد وصَفَ فيها الخيلَ ثم قال[4] :

قواصِدُ كافورٍ توارِكُ غيره ومَنْ قصد البحرَ استَقَلَّ السواقيا
فجاءت بنا إنسانَ عين زمانه وخَلَّتْ بياضاً خَلْفَها ومآقيا

ولقد أحسن في هذا غاية الإحسان . وأنشده أيضاً في شوال سنة سبع وأربعين قصيدتَه البائية التي يقول فيها[5] :

وأخلاقُ كافور إذا شئتُ مَدْحه وإن لم أشأ تُملي علي فأكتبُ
إذا تَرَكَ الإنسانُ أهلاً وراءه ويَمَّمَ كافوراً فما يتَغَرَّبُ

ومن جملتها :

يُضاحِكُ في ذا العيد كلٌّ حبيبهُ حِذائي وأبكي من أُحبُّ وأندُبُ

---

١ لم يرد في النسخ الخطية .
٢ انظر ج ١ : ٣٤٦ .
٣ انظر ج ٣ : ٤٠١ .
٤ ديوان المتنبي : ٤٣٩ .
٥ ديوانه : ٤٦٥ .

أحِنُّ إلى أهلي وأهوى لقاءهمْ وأينَ من المشتاق عَنْقاء مُغْرِب
فإن لم يكن إلا أبو المسك أو هُمُ فإنَّكَ أحلى في فؤادي وأعذب
وكل امرىء يُولي الجميـلَ محببٌ وكل مكان يُنْبتُ العزَّ طيِّب

[وحكي عن المتنبي أنه قال: كنت إذا دخلت على كافور أنشده يضحك إلي ويبش في وجهي، إلى أن أنشدته[1]:

ولما صارَ وُدُ الناس خِبأً جَزَيْتُ على ابتسامٍ بابتسامِ
وصرتُ أشكُ فيمن أصطَفِيه لعِلمِي أنهُ بعضُ الأنـامِ

قال: فما ضحك بعدها في وجهي إلى أن تفرّقنا، فعجبتُ من فطنته وذكائه][2].
وآخر شيء أنشده في شوال سنة تسع وأربعين ولم يلقَهُ بعدهـا قصيدتـُه البائية وشابَها بطرف من العتب، ومنها[3]:

أرى لي بقربي منك عيناً قريرةً وإن كان قُرباً بالبعاد يُشابُ
وهل نافعي أن تـُرْفع الحجْبُ بيننا ودون الذي أملـْتُ منك حجاب
أقلُّ سلامي حب ما خفَّ عنكم وأسكت كيما لا يكون جواب
وفي النفس حاجات وفيك فـَطانة سكوتي بيانٌ عندَها وخِطاب
وما أنا بالباغي على الحب رشوةً ضعيفُ هَوًى يُبْغى عليه ثواب
وما شئت إلا أن أدُلَّ عواذلي على أن رأيي في هواك صَواب
وأعلم قَوماً خالفوني فشَرَّقـُوا وغَـرَّبْتُ أني قد ظفرت وخابوا
جرى الخلف إلا فيك أنك واحد وأنك لَـيْثٌ والملوك ذئـاب
وأنك إن قويست صَحَّفَ قارىء ذئاباً ولم يخطىء فقـال ذباب
وإن مديح الناس حق وباطلٌ ومدحك حق ليس فيه كِذاب
إذا نلتُ منك الود فالمالُ هينٌ وكلُّ الذي فوق التراب تراب

---

1 ديوان المتنبي: ٤٧٦. 2 لم يرد إلا في المختار.
3 ديوانه: ٤٨١.

وما كنت لولا أنت إلا مهاجراً   له كلّ يوم بلدةٌ وصِحـاب
ولكنكَ الدنيـا إليّ حبيبةً   فما عنك لي إلا إليك ذهـاب

وأقام المتنبي بعد إنشاده هذه القصيدة بمصر سنةً لا يلقَى كافوراً غضباً عليه لكنه يركب في خدمته خوفاً منه ولا يجتمع به ، واستعد للرحيل في الباطن ، وجهز جميع ما يحتاج إليه ، وقال في يوم عرفة سنة خمسين وثلثمائة قبل مفارقته مصر بيوم واحد قصيدته الدالية التي هجا كافوراً فيها ، وفي آخر هذه القصيدة:

من علّمَ الأسْوَدَ المخصيَّ مكرمةً   أقومهُ البيضُ أم آباؤه الصِّيدُ
[أم أُذنهُ في يدِ النخّاسِ داميةٌ   أم قَدْرُهُ وهْوَ بالفلسين مردود]
وذاك أن الفحولَ البيض عاجزة   عن الجميل فكيف الخِصيَةُ السود

وله فيه أهاج كثيرة تضمنها ديوانه ، ثم فارقه بعد ذلـك ، ورحل إلى عضد الدولة بن بويه بشيراز — حسبما تضمنه ترجمته[٢] .

ورأيت في بعض المجاميع قال بعضهم : حضرت مجلس كافور الإخشيدي ، فدخل رجل ودعا له وقال في دعائه : أدام الله أيامِ مَوْلانا ، بكسر الميم من أيام ، فتحدث جماعة من الحاضرين في ذلك وعابوه عليه ، فقام رجل من أوساط الناس وأنشد مرتجلا وهو أبو إسحـاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن حشيش النَّجيرمي اللغوي الاخباري كاتب كافور[٣] ، والذي دعـا لكافور ولحن هو أبو الفضل ابن عياش[٤] :

لا غَرْوَ أن لَحنَ الداعي لسيدنا   أو غَصّ من دَهَشٍ بالريقِ أو بَهَر
فتلك هيبتهُ حالت جلالَتُهـا   بين الأديب وبين القـول بالحَصَر

---

١ ديوان المتنبي : ٤٨٧ .

٢ ورد هنا في ر عبارة : وأخبار كافور كثيرة ، وستأتي بعد النص التالي .

٣ ترد هذه الأبيات في ترجمة النجيرمي النحوي في معجم الأدباء ١ : ١٩٩ وانباه الرواة ١ : ١٧١ وفي البغية « جسنس » موضع « حشيش » .

٤ في ياقوت وبغية الوعاة : الفضل بن عباس ؛ وأثبتنا ما في انباه الرواة ومطبوعة وستنفيلد .

فإن يكن خَفَضَ الأيام من غَلَطٍ   في مَوْضع النَّصْبِ لا عن قلة النظر

فقد تفاءلتُ في هذا لسيدنا   والفألُ مأثورةٌ عن سيدِ البشر

بأن أيامه خَفْضٌ بلا نَصَبٍ   وأن أوقاته صَفْوٌ بلا كَدَر

وأخبار كافور كثيرة .

[ولما كثرت الزلازل بمصر في أيام كافور أنشده محمد بن عاصم قصيدة يقول فيها :

ما زلزلت مصر من سوء يراد بها   لكنها رقصت من عدله فرَحا

فأمر له بألف دينار ، وقيل إن عطاءه ذلك حثّ المتنبي على المسير إلى مصر .

ودخل على كافور غلام فقال : ما اسمك ؟ قال : كافور ، فقال : نعم ما كل من اسمه محمد نبي .

وله مع الشيخ عبد الله بن جابار الصوفي الزاهد شيخ البقاعي ، رحمهما الله تعالى، وكان من كبار المشايخ، قصة عجيبة هي من غرر مناقبه ؛ ذكر المسبحي في تاريخه قال : حدثني أبو الدابه كاتب أبي بكر القمي عن أبي الحسن البغدادي قال : وردت إلى مصر مع والدي وأنا صبي دون البلوغ في أيام كافور ، وكان أبو بكر المحلي يتولى نفقات مصالحه وخواص خدمه ، وقد نتجت بينه وبين أبي مودة ، وكان يزوره ويصله ، قال : فجاءه ذات يوم فتذاكرا أخبار كافور وطريقته وما هو عليه من الخشوع ، فقال أبو بكر لأبي وأنا أسمع : هذا الأستاذ كافور له في كل عيد أضحى عادة ، وهي أن يسلّم إليّ بغلا محملا ذهباً وورِقاً وجريدة تتضمن أسماء قوم من حد القرافة إلى المنامة وما بينهما، ويمضي معي صاحب الشرطة ونقيب يعرف المنازل ، وأطوف من بعد العشاء الآخرة إلى آخر الليل حتى أسلم ذلك إلى من جعل له وتتضمن اسمَهُ الجريدة ، وأطوف منزلَ كلّ إنسان ما بين رجل وامرأة وأقول : الأستاذ أبو المسك كافور يهنيك بعيدك ويقول لك : اصرف هذا في منفعتك ، فادفع إليه ما جعل له ؛ فلما كان في هذا العيد جريت على العادة ورأيته زادني في الجريدة « الشيخ أبو عبد الله ابن جابار مائة دينار » فأنفقت المال في أربابه ولم يبقَ إلا الصرة ، فجعلتها في كمي

وسرت مع النقيب حتى أتينا منزله بظاهر القرافة ، فطرقت الباب فنزل إلينا شيخ عليه أثر السهر فسلمت عليه فلم يرد علي وقال : ما حاجتك ؟ قلت : الأستاذ أبو المسك كافور يخص الشيخ بالسلام ، فقال : والي بلدنا ؟ قلت : نعم ، قال : حفظه الله ، الله يعلم أنني أدعو له في الخلوات وأدبار الصلوات وللمسلمين بما الله سامعه ومجيبه ، قلت : وقد أنفذ معي هذه الصرة وهو يسألك قبولها لتصرفها في مؤونة هذا العيد المبارك فقال : نحن رعيته ونحن نحبه في الله تعالى وما نفسد هذا بعلة ، فراجعته القول فتبيّن لي الضجر في وجهه والقلق والتلهف واستحييتُ من الله تعالى أن أقطعه عما هو عليه فتركته وانصرفت ؛ قال : فجئت فوجدت الأمير قد تهيأ للركوب وهو ينتظرني فلما رآني قال : هيه يا أبا بكر ، فقلت له : أرجو أن يستجيب الله تعالى فيك كل دعوة صالحة دعيت لك في هذه الليلة وفي هذا اليوم الشريف ، فقال : الحمد لله الذي جعلني سبباً لإيصال الراحة إلى عياله ، ثم أخبرته بامتناع ابن جابار فقال : نعم هو بذلك جدير ، لم يجر بيننا وبينه معاملة قبل هذا اليوم ، ثم قال لي : عد إليه واركب دابة من دواب النَّوْبة فلست أشك فيما لقيت دابتك في هذه الليلة من التعب ، ثم امض إليه واطرق بابه فإذا نزل إليك فإنه سيقول : ألم تكن عندنا ؟ فلا ترد عليه جواباً ثم استفتح واقرأ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. إلا تذكرةً لمن يخشى. تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العُلى. الرحمن على العرش استوى ، له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ﴾ (طه : ١ — ٦) يا ابن جابار ، يقول لك كافور : ومن كافور العبد الأسود ومن مولاه ومن الخلق؟ أبقي لأحد مع الله تعالى ملكة أو شركة ؟ تلاشى الناس كلهم ؛ هاهنا تدري مَن معطيك وعلى من رددتَ أنت ما سألت ، هو أرسل إليك يا ابن جابار ، ما تفرق بين السبب والمسبب ! قال : فركبت وسرت فطرقت منزله فنزل إلي وقال لي مثل لفظ كافور ، فأضربت عن الجواب وقرأت طه ثم قلت له ما قال كافور ، فبكى ابن جابار وقال : أين ما حملت ؟ فأخرجت له الصرة فأخذها وقال : علـَّمَنا الأستاذ كيف التصوف ، قل له : أحسنَ الله جزاءك ؛ قال : فعدت إليه فأخبرته فسر بذلك ثم سجد لله تعالى شكراً وقال:

الحمد لله الذي جعلني سبباً لإيصال الراحة إلى عباده ، ثم ركب حينئذ][1] .

ولم يزل مستقلاً بالأمر بعد أمور يطول شرحها إلى أن توفي يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الأولى سنة ست وخمسين وثلثمائة بمصر ، وقيل إنه توفي يوم الأربعاء ، وقيل توفي سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وقيل سنة سبع وخمسين [وهو قول القضاعي في كتاب الخطط ، والله أعلم ، وكذا قال الفرغاني في تاريخه أيضاً ، رحمه الله تعالى][2] والأول أصحّ ؛ ودفن بالقرافة الصغرى ، وقبته مشهورة هناك[3] ، ولم تَطُلْ مدته في الاستقلال على ما ظهر من تاريخ موت علي بن الإخشيد إلى هذا التاريخ .

وكانت بلاد الشام في مملكته أيضاً مع مصر[4] وكان يُدعى له على المنابر بمكة والحجاز جميعه والديار المصرية وبلاد الشام من دمشق وحلب وأنطاكية وطرسوس والمصيصة وغير ذلك ، وكان تقدير عمره خمساً وستين سنة على ما حكاه الفرغاني في تاريخه ، والله أعلم .

[وكانت أيامه سديدة جميلة ، ووقع الخلفُ فيمن يُنَصَّب للأمر بعده ، إلى أن تقرر الأمر وتراضت الجماعة بولد أبي الحسن علي بن الإخشيد ، وكانت ولاية كافور سنتين وثلاثة أشهر إلا سبعة أيام ، وخطب لأبي الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين ، وبقيةُ خبرهم مذكورة في ترجمة جده محمد الإخشيد][5] .

---

١ انفردت ر بما بين معقفين ، وفي النص بعض اضطراب .

٢ زيادة من ر .

٣ زاد في ر : ولما دفن كتب على قبره بالقرافة الصغرى بقبة هناك مشهورة :

انظر إلى عبر الأيام ما صنعت ... أفنت أناساً بها كانوا وما فنيت

دنياهم ضحكت أيام دولتهم ... حتى إذا فنيت ناحت لهم وبكت

وانظر النجوم الزاهرة ٤ : ١٠ وفيه أن تابوته حمل إلى القدس فدفن به .

٤ هنا تنتهي الترجمة في ر .

٥ ما بين معقفين سقط من النسخ الخطية وأثبتناه من المطبوعة ؛ وفي هامش س حكاية ليست من الأصل وهي : «قيل كان في دار كافور قهرمانة بغدادية ما تهدأ من البكاء على ابنة لها خلفتها ببغداد بنت سبع سنين فقال لها كافور : منذ كم غبت عنها ؟ فقالت : من ثمان سنين ، فأرسل=

٥٤٦

كثير عزة

أبو صخر كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن أبي جُمْعة الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي، أحد عشاق العرب المشهورين به [وقال ابن الكلبي في «جمهرة النسب»: هو كثيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عويمر بن مَخْلَد بن سعيد بن سبيع بن خثعمة[1] بن سعد بن مليح بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، وبقيـــة

=كافور أمراً إلى صاحب له ببغداد وأمره بتحصيلها وإنفاذها، فحملت الصبية إلى مصر وقد صارت بنت ست عشرة سنة وحسنت؛ فلما صارت في دار كافور قال للجواري: أخرجنها علي في جوار يعرضن للبيع ولا تعلم القهرمانة، وتكون هي التي تخرجهن فجاءت إليه القهرمانة فقالت: يا مولاي، قد جاؤوا بالجواري فأعرضهن عليك؟ فقال: افعلي، فاخرجتهن وبنتها فيهن ولا تعلم، فلما عرضن قال كافور للقهرمانة: ما فيهن إلا هذه الصبية، وأراها مليحة، فأيش عندك؟ فقالت القهرمانة: نعم يا مولاي، هي والله مليحة حلوة، فقال لها: ويحك هي ابنتك، أرسلت إلى بغداد وتلطفت في أمرها حتى حملت إليك من بغداد، فقبلت الأرض بين يديه وبكت بكاء شديداً فكأنها القائل في بعض شعره:

هجم السرور علي حتى إنه ... من عظم ما قد سرني أبكاني

يا عين صار الدمع عندك عادة ... تبكين في فرح وفي أحزان

ثم ضمت بنتها إليها واشتد بكاؤهما وبكى كافور لبكائهما لما رأى من شوق كل واحدة منهما إلى الأخرى.

٥٤٦ – ترجمته في الأغاني ٩: ٤، ١٢: ١٧٠، ١٥: ٢٢٤ والمؤتلف: ١٦٩ وطبقات ابن سلام: ٤٥٧ والموشح: ١٤٣ والشعر والشعراء: ٤١٠ وسمط اللآلي: ٦١ ومعجم المرزباني: ٢٥٠ ومروج الذهب ٣: ٤٠١ والعقد ٢: ٨٨ وعيون الأخبار ٢: ١٤٤ وشذرات الذهب ١: ١٣١ ومعاهد التنصيص ٢: ١٣٦ وشرح شواهد المغني: ٢٤ والخزانة ٢: ٣٨١ وتزيين الأسواق ١: ٤٣.

[1] جمهرة ابن حزم: جعثمة؛ وفي النسب اختلاف عما هنا.

النسب معروفة ، وربيعة بن حارثة هو لُحَيٌّ ، وابنه عمرو بن لُحَيٍّ هو الذي رآه النبي صلى الله عليه وسلم يجر قُصْبَه[1] في النار ، وهو أول من سَيَّب السوائب وبَحَّر البَحِيرة وغَيَّرَ دينَ إبراهيم عليه السلام ، ودعا العربَ إلى عبادة الأصنام ، وهذا الحي وأخوه أفصى ابنا حارثة هما خُزاعة ، ومنهما تفرقت ، وإنما قيل لهم خزاعة لأنهم انقطعوا عن الأزد لما تفرقت الأزد من اليمن أيام سَيْل العَرِم وأقاموا بمكة ، وسار الآخرون إلى المدينة والشام وعمان .

وقال ابن الكلبي أيضاً قبل هذا بقليل : والأشيم وهو أبو جمعة بن خالد بن عبيد بن مبشر بن رباح ، وهو جد كثيِّر بن عبد الرحمن صاحب عزة أبو أمه إليه يُنْسَب][2] .

وهو صاحب عزة بنت جميل بن حفص بن إياس بن عبد العزى بن حاجب[3] ابن غفار بن مليل بن ضمرة [بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وقال السمعاني : جميل ابن وقاص بن حفص بن إياس ، والله أعلم][4] . وله معها حكايات ونوادر وأمور مشهورة ، وأكثر شعره فيها .

وكان يدخل على عبد الملك بن مروان وينشده ، وكان رافضياً شديد التعصب لآل أبي طالب ؛ حكى ابن قتيبة في « طبقات الشعراء »[5] أن كثيِّراً دخل يوماً على عبد الملك فقال له عبد الملك : بحق علي بن أبي طالب هل رأيت أحداً أعشق منك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، لو نشدتني بحقك أخبرتك ، قال : نشدتك بحقي إلا ما أخبرتني ، قال : نعم ، بينا أنا أسير في بعض الفَلَوات إذا أنا برجل قد نصب حبالة ، فقلت له : ما أجلسك هاهنا ؟ قال : أهلكني وأهلي الجوع ، فنصبت حبالتي هذه لأصيد لهم شيئاً ولنفسي ما يكفينا ويعصمنا يومنا هذا ،

---

١ القصب : الأمعاء .
٢ ورد بعضه في المختار فقط بإيجاز .
٣ لي ن ل س ر بر : حفص من بني حاجب ؛ وما أثبتناه موافق لما في جمهرة ابن حزم ومطبوعة وستنفيلد .
٤ ما بين معقفين في ر وحدها .
٥ الشعر والشعراء : ٤١٦ .

قلت : أرأيتَ إن أقمتُ معك فأصبتَ صيداً تجعل لي منه جزءاً ؟ قال : نعم، فبينا نحن كذلك إذ وقعت ظبية في الحبالة ، فخرجنا نبتدر ، فبدرني إليها فحلّها وأطلقها ، فقلت له : ما حملك على هذا ؟ قال : دخلتني لها رقة لشبهها بليلى ، وأنشأ يقول :

أيا شبْهَ ليلى لا تُراعي فإنني لكِ اليوم من وَحْشيةٍ لصديقُ
أقول وقد أطلَقتُها من وَثاقها فأنت لليلى مـا حييتُ طليقُ

ولما عزم عبد الملك على الخروج إلى محاربة مُصْعب بن الزبير ناشدته زوجته[1] عاتكة بنت يزيد بن معاوية أن لا يخرج بنفسه ، وأن يستنيب غيره في حربه ولم تزل تلحُّ عليه في المسألة وهو يمتنع من الإجابة ، فلما يئست أخذت في البكاء حتى بكى من كان حولها من جواريها وحشمها ، فقال عبد الملك : قاتل الله ابن أبي جمعة – يعني كثيّراً – كأنه رأى موقفَنا هذا حين قال :

إذا ما أراد الغزو لم يَثْنِ عَزْمَهُ حَصانٌ عليها نظم درٍّ يَزِينُها
نَهتْهُ فلما لم ترَ النهيَ عـاقهُ بكَتْ فبكى مما شجاها قَطينُها

ثم عزم عليها أن تُقصر فأقصرت وخرج لقصده .

ويقال إن عزة دخلت على أم البنين ابنة عبد العزيز ، وهي أخت عمر ابن عبد العزيز وزوجة الوليد بن عبد الملك : فقالت لها : أرأيت قول كثيّر :

قضى كلُّ ذي دين فوفّى غريمَهُ وعزة ممطول مُعَنًّى غريمُها

ما كان ذلك الدين ؟ قالت : وعدته قبلة فحَرِجت منها ، فقالت أم البنين : أنجزيها وعلي إثمها . [ثم ندمت أم البنين فاستغفرت الله تعالى وأعتقت عن هذه الكلمة أربعين رقبة][2] .

---

[1] ر : امرأته .

[2] بعد هذه الزيادة من ر جاء فيها : وكانت أم البنين عند هشام (كذا) ابن عبد الملك فهي ابنة عبد العزيز بن مروان ، وقد سقط من هذه النسخة قوله فيما تقدم : وهي أخت . . . عبد الملك .

وكان لكثيّر غلام عطار بالمدينة ، وربما باع نساء العرب بالنسيئة ، فأعطى عزة وهو لا يعرفها شيئاً من العطر، فمطلته أياماً، وحضرت إلى حانوته في نسوة فطالبها : فقالت له : حباً وكرامة ، ما أقرب الوفاء وأسرعَهُ، فأنشد متمثلاً:

قضى كل ذي دين فوفّى غريمه   وعزة ممطول معنًّى غريمها

فقالت النسوة : أتدري مَنْ غريمتك ؟ فقال : لا والله ، فقلن : هي والله عزة فقال : أشهدُكن الله أنها في حل مما لي قبلها، ثم مضى إلى سيده فأخبره بذلك ، فقال كثيّر: وأنا أشهد الله أنك حُرٌّ لوجهه ، ووهبه جميع ما في حانوت العطر، فكان ذلك من عجائب الاتفاق .

ولكثيّر في مطالها[1] بالوعد شعرٌ كثير ، فمن ذلك قوله :

أقول لها عُزَيزَ مطَلْتِ ديني   وشر الغانيات ذوو المطالِ
فقالت وَيْحَ غيرك كيف أقضِي   غريماً ما ذهبتُ له بمالِ[2]

ولـه :

وقد زعمت أني تغيرْتُ بعدها   ومن ذا الذي يا عَزَّ لا يتغيرُ
تغيرَ جسمي والخليقَةُ كالذي   عَهِدْتِ ولم يُخْبِرْ بسرِّكِ مخبرُ

ولما قتل يزيد بن المهلب بن أبي صُفْرة وجماعة من أهل بيته بعَقْرِ بابِلَ – وسيأتي خبر ذلك في ترجمته إن شاء الله تعالى – وكانوا يكثرون الإحسان إلى كثيّر ، فلما بلغه ذلك قال : ما أجلَّ الخطب ! ضَحّى بنو حربٍ[3] بالدين يوم الطف وضحى بنو مروان بالكَرَم يوم العَقرِ ، وأسبلت عيناه بالدموع .

---

١ ر : ولكثير المذكور في مطالبتها .
٢ بعد هذا الموضع وردت في ر زيادة وقد أثبتناها في ملحقات الجزء الأول على ترجمة جميل منقولة من ص (انظر ج ١ : ص ٤٨٠) .
٣ ر : بنو أبي سفيان .

وحدث[1] أبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب « الأغاني »[2] أن كثيراً خرج من عند عبد الملك بن مروان وعليه مُطْرَفٌ ، فاعترضته عجوز في الطريق اقتبست ناراً في روثة ، فتأفف كثيّر في وجهها ، فقالت : من أنت ؟ قال : كثيّر عزة ، فقالت : ألست القائل :

فما روضة زهراءُ طيبةُ الثَّرى يمُجُّ الندى جَثْجاثُها وعَرارُها
بأطيبَ من أردان عزة مَوْهِناً إذا أوقِدَتْ بالمندل الرطب نارها

فقال لها كثيّر : نعم ، فقالت : لو وضع المندل الرطب على هذه الروثة لطَيَّبَ رائحتها ، هلا قلت كما قال امرؤ القيس :

ألمْ ترَياني كلما جئتُ طارقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيب

فناولها المطرف وقال : استري عليّ هذا .

[وسمعت بعض مشايخ الأدب في زمن اشتغالي بالأدب يقول : إن النصف الثاني من البيت الثاني من تتمة أوصاف الروضة أيضاً ، فكأنه قال : إن هذه الروضة الطيبة الثرى التي يمج الندى جثجاثها وعرارها إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها ما هي بأطيب من أردان عزة وعلى هذا لا يبقى عليه اعتراض ، لكنه يبعد أن يكون هذا مقصوده][3] .

وكان كثيّر[4] ينسب إلى الحمق، ويروى أنه دخل يوماً على يزيد بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، ما يعني الشماخ بقوله :

إذا الأرْطى توسَّد أبرَدَيْــه خدود جوازىءٍ بالرمل عينِ[5]

١ ر : وقال . ٢ الأغاني ١٥ : ٢٢٥ .

٣ ما بين معقفين لم يرد إلا في المختار ، وقد أثبتناه كذلك للتنبيه إليه وإلا فإنه من أصل المؤلف ، ولا بد .

٤ الشعر والشعراء : ٤١٠ .

٥ الأرطى : نوع من الشجر ؛ أبرداه : ظله وفيئه ؛ الجوازيء : التي جزأت بالرطب عن الماء ؛ العين : ذوات الأعين النجل ، يصف بقر وحش جزأت بالرطب عن الماء .

فقال يزيد : وما يضرني أن لا أعرف ما عنى هذا الأعرابي الجلف ؟ واستحمقه وأمر بإخراجه .

ودخل[1] كثيّر على عبد العزيز بن مروان والد عمر يعوده في مرضه ، وأهله يتمنون أن يضحك ، وكان يومئذ أمير مصر ، فلما وقف عليه قال : لولا أن سرورك لا يتم بأن تسلم وأسقم لدعوتُ الله ربي أن يصرف ما بك إلي ، ولكني أسأل الله تعالى لك العافية ولي في كنَفَكَ النعمة ، فضحك عبد العزيز ، وأنشد كثيّر :

ونعود سيّدَنا وسيّد غيرنا ليتَ التشَكّيَ كان بالعُوّادِ
لو كان يقبل فدية لفديته بالمصطَفى من طارفي وتلادي

ومما يستجاد من شعر كثيّر قصيدته التائية التي يقول من جملتها[2] :

وإني وتَهيامي بِعزة بعد ما تسليتُ من وَجْدٍ بها وتَسَلّتِ
لكالمرتَجي ظلّ الغمامة كلما تَبَوّأ منها للمقيل اضْمَحَلّتِ

[وقال أبو علي القالي[3] : أنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن عرفة المعروف بنفطويه لكثيّر :

ألا تلك عزة قد أقبلت تقلب للهجر طرفاً غضيضا
تقول مرضت فما عدتني وكيف يعود مريضٌ مريضا

ومن شعره أيضاً :

---

١ قارن بما في الشعر والشعراء : ٤٢٢ .
٢ وردت هذه القصيدة التائية في مخطوطة منتهى الطلب وأمالي القالي والخزانة ٢ : ٣٧٩ — ٣٨١ وبعضها في شرح شواهد المغني : ٢٧٥ وتزيين الأسواق ١ : ٤٩ والعيني ٢ : ٤٠٨ والحماسة البصرية ، الورقة ١٥١ وصفوة الأدب ، الورقة : ٧٢ وشواهد الكشاف : ٥٥ والأغاني ٩ : ٢٩ وزهر الآداب : ٣٥٤ .
٣ الأمالي ١ : ٣٠ .

رهبان مدين والذين عهدتهم   يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها   خرّوا لعزّة ركّعاً وسجودا][1]

[وبلغ كثيّراً أن عزة مريضة وانها تشتاقه فخرج يريدها ، فلما صار ببعض الطريق لقيه أعرابي من نهد فقال : يا أبا صخر ، أين تريد ؟ قال : أريد عزة ، قال : فهل رأيت في وجهك شيئاً ؟ قال : لا ، إلا اني رأيت غراباً ساقطاً فوق بانة ينتف ريشه ، قال : توافي مصر وقد ماتت عزة ، فانتهره كثيّر ثم مضى وعاد كثيّر إلى مصر فوافاها والناس منصرفون من جنازة عزة فقال :

رأيت غراباً ساقطاً فوق بانة   ينتف أعـــلى ريشه ويطايره
<فقلت ولو أني أشاء زجرته   بنفسي للنهدي هل أنت زاجره>
فقال غراب لاغتراب وفرقـــة   وبان فبين من حبيب تعاشره
فما أعيفَ النهديّ لا درّ دره   وازجره للطير لا عزّ ناصره][2]

وكان كثيّر بمصر وعزة بالمدينة ، فاشتاق إليها فسافر نحوها ، فلقيها في الطريق وهي متوجهة إلى مصر ، وجرى بينهما كلام يطول شرحه ، ثم إنهـــا انفصلت عنه وقدمت إلى مصر ، وعاد كثيّر إلى مصر فوافاها والناسُ ينصرفون من جنازتها فأتى قبرها وأناخ راحلته عنده ، ومكث ساعة ، ثم رحـــل وهو ينشد أبياتاً منها :

أقول ونِضْوي واقف عند قبرها   عليكِ سلام الله والعين تَسْفَحُ
وقد كنت أبكي من فراقِكِ حيةً   فأنتِ لعمري اليوم أنأى وأنزَحُ[3]

---

١ ما بين معقفين زيادة من ر لم ترد في المختار وكذلك لم ترد في المطبوعة .

٢ زيادة من ر لم ترد في المختار والمطبوعة ، وقد وقع قبلها : « قال الزبير بن بكار وكان كثير بمصر وعزة بالمدينة فاشتاق إليها فسافر فلقيها في الطريق وهي متوجهة إلى مصر » وقد حذفناه لأنه سيأتي بعد هذا النص ؛ وانظر زهر الآداب : ٤٧٩ والمحاسن والمساوىء : ٣٣١ والموشى : ١٣٤ وقد زدنا البيت الثاني لتمام المعنى .

٣ فأتى قبرها . . . وأنزح : لم يرد إلا في المختار . وانظر المحاسن والمساوىء : ٣٣١ ومصارع العشاق ١ : ١٢٦ وتزيين الأسواق ١ : ٥١ وزهر الآداب : ٤٠٨ .

وأخبارهما كثيرة[1] .

وتوفي كثيّر عزة في سنة خمس ومائة، رحمه الله تعالى؛ وروى محمد بن سعد عن الواقدي عن خالد بن القاسم البيّاضي قال: مات عكرمة مولى ابن عباس وكثيّر عزة في يوم واحد في سنة خمس ومائة ، فرأيتهما جميعاً صُلي عليهما في موضع واحد بعد الظهر ، فقال الناس : مات أفقه الناس وأشعر الناس ، وكان موتهما بالمدينة[2] ، وقد تقدم ذكر عكرمة والخلاف في تاريخ موته ، فلينظر هناك في ترجمته[3] .

وقد تقدم الكلام على الخزاعي .

وكُثيّر : تصغير كَثِير وإنما صغّر لأنه كان حقيراً شديد القصر . وكان إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول : طأطىء رأسك لئلا يؤذيك السقف، يمازحه بذلك؛ وكان يلقب « زب الذباب » لقصره، وقال بعضهم: رأيت كثيّراً يطوف بالبيت ، فمن أخبرني أن طوله كان أكثر من ثلاثة أشبار فقد كذب[4] .

٥٤٧

مظفر الدين صاحب إربل

أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين[5] بن محمد[6] ، الملقب الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل .

---

١ ر : وأخبار كثير كثيرة .

٢ وكان . . . بالمدينة : سقط من س ل ن ر ؛ ونص ابن سعد كله ساقط من المختار .

٣ انظر ج ٣ : ٢٦٥ .

٤ وكان يلقب . . . فقد كذب : لم يرد إلا في المختار .

٥٤٧ – أخباره في أماكن متفرقة من مرآة الزمان : والباهر وسيرة صلاح الدين وذيل الروضتين : ١٦١ ، والنجوم الزاهرة ٦ : ٢٨٢ وعبر الذهبي ٥ : ١٢١ والشذرات ٥ : ١٣٨ .

٥ ل : بلتكين ؛ ر : سبكتكين .   ٦ ابن محمد : سقطت من س ل ر والمختار .

(156) كان والده زين الدين علي المعروف بكجك صاحب إربل ، ورزق أولاداً كثيرة ، وكان قصيراً ، ولهذا قيل له « كجك » وهو لفظ أعجمي معناه بالعربي صغير : أي صغير القدر ، وأصله من التركمان ، وملَكَ إربل وبلاداً كثيرة في تلك النواحي ، وفرقها على أولاد أتابك قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل ولم يبق له سوى إربل، والشرحُ يطول ، وعمّر طويلا ، يقال إنه جاوز مائة سنة وعمي في آخر عمره ، وانقطع بإربل إلى أن توفي بها ليلة الأحد حادي عشر ذي القعدة سنة ثلاث وستين وخمسمائة [وقال ابن شداد في « سيرة صلاح الدين »[1] : مات في ذي الحجة من السنة][2] ودفن في تربته المعروفة به المجاورة للجامع العتيق داخل البلد رحمه الله تعالى، وكان موصوفاً بالقوة المفرطة والشهامة ، وله بالموصل أوقاف كثيرة مشهورة من مدارس وغيرها .

[قال شيخنا الحافظ عز الدين أبو الحسن علي المعروف بابن الأثير الجَزَري في تاريخه الصغير الذي عمله لبني أتابك ملوك الموصل[3] : إن زين الدين المذكور سار عن الموصل إلى إربل سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، وسَلَّم جميع ما كان بيده من البلاد والقلاع إلى أتابك قطب الدين ، فمن ذلك سنجار وحران وقلعة عَقْر الحميدية وقلاع الهَكّارية جميعها وتِكريت وشهرزور وغير ذلك ، وما ترك لنفسه سوى إربل ، وكان قد حج هو وأسد الدين شيركوه بن شاذي في سنة خمس وخمسين وخمسمائة][4] .

ولما توفي ولي موضعَهُ ولدُهُ مظفر الدين المذكور وعمره أربع عشرة سنة ، وكان أتابكه مجاهد الدين قايماز — المذكور في حرف القاف — فأقام مدة ، ثم تعصب مجاهد الدين عليه ، وكتب محضراً أنه ليس أهلاً لذلك ، وشاور الديوان العزيز في أمره واعتقله ، وأقام أخاه زين الدين أبا المظفر يوسف مكانه ، وكان أصغر منه ، ثم أخرج مظفر الدين من البلاد ، فتوجه إلى بغداد فلم يحصل له بها

---

١ سيرة صلاح الدين : ٣٩ .
٢ ما بين معقفين لم يرد في النسخ الخطية .
٣ الباهر : ١٣٥ .
٤ لم يرد في النسخ الخطية التي اعتمدناها .

مقصود، فانتقل إلى الموصل ومالكها يومئذ سيف الدين غازي بن مودود – المقدم ذكره في حرف الغين – ، فاتصل بخدمته ، وأقطعه مدينة حران ، فانتقل إليها وأقام بها مدة ، ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين ، وحَظِيَ عنده ، وتمكن منه ، وزاده في الاقطاع الرها [في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وأخذ صلاح الدين الرها من ابن الزعفراني وأعطاها مظفر الدين مع حرّان، وأخذ الرقة من ابن حسان وأعطاها ابن الزعفراني، والشرح في ذلك يطول، ثم أعطاه][1] سُمَيساط، وزوّجه أخته الست ربيعة خاتون بنت أيوب ، وكانت قَبْله زوجة سعد الدين مسعود بن معين الدين صاحب قصر معين الدين الذي بالغَوْر ، وتوفي سعد الدين المذكور سنة إحدى وثمانين وخمسمائة. وشهد مظفر الدين مع صلاح الدين مواقف كثيرة وأبان فيها عن نجدة وقوة نفس وعزمة ، وثبت في مواضع لم يثبت فيها غيره على ما تضمنته تواريخ العماد الأصبهاني وبهاء الدين بن شداد وغيرهما، وشهرة ذلك تغني عن الإطالة فيه ، ولو لم يكن له إلا وقعة حطّينَ لكفته ، فانه وقف هو وتقي الدين صاحب حَماة – المقدم ذكره – وانكسر العسكر بأسره، ثم لما سمعوا بوقوفهما تراجعوا حتى كانت النصرة للمسلمين ، وفتح الله سبحانه عليهم . ثم لما كان السلطان صلاح الدين منازلاً عكا[2] بعد استيلاء الفرنج عليها وردت عليه ملوك الشرق تنجده وتخدمه ، وكان في جملتهم زين الدين يوسف أخو مظفر الدين ، وهو يومئذ صاحب إربل ، فأقام قليلاً ثم مرض ، وتوفي في الثامن والعشرين[3] من شهر رمضان سنة ست وثمانين وخمسمائة بالناصرة – وهي قرية بالقرب من عكا يقال إن المسيح عليه الصلاة والسلام وُلد بها على الاختلاف الذي في ذلك – فلما توفي التمس مظفر الدين من السلطان أن ينزل عن حران والرها وسُمَيساط ، ويعوّضه إربل ، فأجابه إلى ذلك وضم إليه شهرزور ، فتوجه إليها ودخل إربلَ في ذي الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة ، هذه خلاصة أمره .

---

١ لم يرد في النسخ وهو ملخص في المختار بإيجاز .

٢ ر : نازلا على عكا .

٣ ر : ثامن عشري .

وأما سيرته فلقد كان له في فعل الخيرات[1] غرائب لم يسمع أن أحداً فعل في ذلك ما فعله ، لم يكن في الدنيا شيء أحبّ إليه من الصَّدَقة ، كان له كل يوم قناطير مقنطرة من الخبز يفرقها على المحاويج في عدة مواضع من البلد يجتمع في كل موضع خلق كثير يفرق عليهم في أول النهار ، وكان إذا نزل من الركوب يكون قد اجتمع عند الدار خلق كثير فيدخلهم إليه ويدفع لكل واحد كسوة على قدر الفصل من الشتاء والصيف[2] أو غير ذلك،ومع الكسوة شيء من الذهب من الدينار والاثنين والثلاثة وأقل وأكثر ، وكان قد بنى أربع خانقاهات للزَّمْنى والعُمْيان وملأها من هذين الصنفين ، وقرر لهم ما يحتاجون إليه كل يوم ، وكان يأتيهم بنفسه في كل عصرية اثنين وخميس ويدخل عليهم ، ويدخل إلى كل واحد في بيته ،ويسأله عن حاله ويتفقده بشيء من النفقة ، وينتقل إلى الآخر ، وهكذا حتى يدور على جميعهم ، وهو يُباسطهم ويمزح معهم ويجبر قلوبهم ، وبنى داراً للنساء الأرامل ، وداراً للصغار الأيتام[3] ، وداراً للملاقيط رتب[4] بهم جماعة من المراضع ، وكل مولود يُلتقط يحمل إليهن فيُرْضِعنه ، وأجْرى على أهل كل دار ما يحتاجون إليه في كل يوم ، وكان يدخل إليها في كل وقت ويتفقد أحوالهم ويعطيهم النفقات زيادة على المقرر لهم ، وكان يدخل إلى البيمارستان ويقف على مَريضٍ مريضٍ ويسأله عن مَبِيته وكيفية حاله وما يشتهيه وكان له دار مضيف يدخل إليها كل قادم على البلد من فقيه أو فقير أو غيرهما ، وعلى الجملة فما كان يمنع منها كل من قصد الدخول إليها ، ولهم الراتب الدارُّ في الغداء والعشاء ، وإذا عزم الإنسان على السفر أعْطَوْه نفقةً على ما يليق بمثله ، وبنى مدرسة رتّبَ فيها فقهاء الفريقين من الشافعية والحنفية ، وكان كل وقت يأتيها بنفسه ، ويعمل السماط بها ويبيت بها ويعمل السماع ، فإذا طاب وخلع شيئاً من ثيابه ، سيّر للجماعة بكرة شيئاً من الانعام ، ولم يكن له

---

١ ر بر : فقد . . . الخير .

٢ من هنا تبدأ النسخة : ت .

٣ ت : والأيتام ؛ المختار : للضعفاء الأيتام .

٤ س والمختار : ورتّب .

لذة سوى السماع ، فإنه كان لا يتعاطى المنكر، ولا يمكّن من إدخاله إلى البلد، وبنى للصوفية خانقاهين[1] فيهما خلق كثير من المقيمين والواردين ، ويجتمع في أيام المواسم فيهما من الخلق ما يعجب الإنسان من كثرتهم ، ولهما أوقاف كثيرة تقوم بجميع ما يحتاج إليه ذلك الخلق ، ولا بد عند سفر كل واحد من نفقة يأخذها ، وكان ينزل بنفسه إليهم ويعمل عندهم السماعات في كثير من الأوقات. وكان يُسَيِّر في كل سنة دفعتين جماعة من أمنائه إلى بلاد الساحل ومعهم جملة مستكثرة من الناس يفتكّ بها أسرى المسلمين من أيدي الكفار ، فإذا وصلوا إليه أعطى كل واحد شيئاً ، وإن لم يصلوا فالأمناء يعطونهم بوصية منه في ذلك. وكان يقيم في كل سنة سبيلاً للحاج ، ويسير معه جميع ما تدعو حاجة المسافر إليه في الطريق ، ويسير صحبته أميناً معه خمسة أو ستة آلاف دينار ينفقها بالحرمين على المحاويج وأرباب الرواتب ، وله بمكة ، حرسها الله تعالى ، آثار جميلة وبعضها باق إلى الآن ، وهو أول من أجرى الماء إلى جبل عرفات ليلة الوقوف : وغرم عليه جملة كثيرة ، وعمّر بالجبل مصانع للماء ، فإن الحجاج كانوا يتضررون من عدم الماء ، وبنى له تربة أيضاً هناك .

وأما احتفاله بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به ، لكن نذكر طرفاً منه : وهو أن أهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاده[2] فيه ، فكان في كل سنة يصل إليه من البلاد القريبة من إربل – مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم وتلك النواحي – خلق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء ، ولا يزالون يتواصلون من المحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول ، ويتقدم مظفر الدين بنَصْب قباب من الخشب كل قبة أربع أو خمس طبقات ، ويعمل مقدار عشرين قبة وأكثر ، منها قبة له[3] ، والباقي للأمراء وأعيان دولته لكل واحد قبة ، فإذا كان أول صفر زينوا تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة المستجملة ، وقعد في كل قبة جوق من المغاني وجوق

---

١ ر : خانقاهيتين ، ت : خانقاهتين ، بر : خانقين .

٢ ت بر : اعتماده .

٣ ت : عشرين قبة وأكبر قبة له .

من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي ، ولم يتركوا طبقة من تلك الطباق في كل قبة[1] حتى رتبوا فيها جوقاً ، وتبطل معايش الناس في تلك المدة ، وما يبقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم ؛ وكانت القباب منصوبة من باب القلعة إلى باب الخانقاه المجاورة للميدان ، فكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف على قبة قبة إلى آخرها ، ويسمع غناءهم ، ويتفرج على خيالاتهم وما يفعلونه في القباب ، ويبيت في الخانقاه ويعمل السماع ويركب عقيب صلاة الصبح يتصيد ، ثم يرجع إلى القلعة قبل الظهر ، هكذا يعمل كل يوم إلى ليلة المولد ، وكان يعمله سنة في ثامن الشهر ، وسنة في الثاني عشر[2] ، لأجل الاختلاف الذي فيه ، فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئاً كثيراً زائداً عن الوصف وزفها بجميع ما عنده من الطبول والمغاني والملاهي حتى يأتي بها إلى الميدان ، ثم يشرعون في نحرها ، وينصبون القدور ويطبخون الألوان ؛ المختلفة فإذا كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد أن يصلي المغرب في القلعة ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير ، وفي جملتها شمعتان أو أربع – أشك في ذلك – من الشموع الموكبية التي تحمل كل واحدة منها على بغل ، ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل حتى ينتهي إلى الخانقاه ، فإذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة إلى الخانقاه على أيدي الصوفية ، على يد كل شخص منهم بقجة ، وهم متتابعون كل واحد وراء الآخر ، فينزل من ذلك شيء كثير لا أتحقق[3] عدده ، ثم ينزل إلى الخانقاه وتجتمع الأعيان والرؤساء وطائفة كبيرة من بياض الناس ، وينصب كرسي للوعاظ[4] ، وقد نصب لمظفر الدين برج خشب له شبابيك إلى الموضع الذي فيه الناس والكرسي ، وشبابيك أُخر للبرج أيضاً إلى الميدان ، وهو ميدان كبير في غاية الاتساع ، ويجتمع فيه الجند[5] ويعرضهم ذلك النهار ، وهو تارة ينظر

---

١ في كل قبة : زيادة من ت .

٢ ن : ثاني عشر .

٣ س : لا يتحقق .

٤ ت : للوعظ .

٥ ت : ويجمع الجند .

إلى عرض الجند وتارة إلى الناس والوعاظ ، ولا يزال كذلك حتى يفرغ الجند من عرضهم، فعند ذلك يقدم السماط في الميدان للصعاليك ، ويكون سماطاً عاماً فيه من الطعام والخبز شيء كثير لا يحد ولا يوصف ، ويمد سماطاً ثانياً[1] في الخانقاه للناس المجتمعين عند الكرسي ، وفي مدة العرض ووعظ الوعاظ يطلب واحداً واحداً[2] من الأعيان والرؤساء والوافدين لأجل هذا الموسم ممن قدمنا ذكره من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء ، ويخلع على كل واحد ثم يعود إلى مكانه ، فإذا تكامل ذلك كله ، حضروا السماط وحملوا منه لمن يقع التعيين على الحمل إلى داره ، ولا يزالون على ذلك إلى العصر أو بعدها ، ثم يبيت تلك الليلة هناك ، ويعمل السماعات إلى بكرة، هكذا يعمل في كل سنة ، وقد لخصت صورة الحال فإن الاستقصاء يطول ، فإذا فرغوا من هذا الموسم تجهز كل إنسان للعود إلى بلده ، فيدفع لكل شخص شيئاً من النفقة[3] ، وقد ذكرت في ترجمة الحافظ أبي الخطاب ابن دحية في حرف العين وصوله إلى إربل وعمله لكتاب « التنوير في مولد السراج المنير » لما رأى من اهتمام مظفر الدين به ، وأنه اعطاه ألف دينار غير ما غرم عليه مدة إقامته من الإقامات الوافرة .

وكان رحمه الله متى أكل شيئاً استطابه لا يختص بـه ، بل إذا أكل من زبدية لقمة طيبة قال لبعض الجنادرة[4] : احمل هذا إلى الشيخ فلان أو فلانة ممن هم عنده مشهورون بالصلاح ، وكذلك يعمل في الفاكهة والحلوى وغير ذلك من المطاعم .

وكان كريم الأخلاق كثير التواضع حسن العقيدة سالم البطانة شديد الميل إلى أهل السنة والجماعة لا ينفق عنده من أرباب العلوم سوى الفقهاء والمحدثين ومن عداهما لا يعطيه شيئاً إلا تكلفاً ، وكذلك الشعراء لا يقول بهم ولا يعطيهم إلا إذا قصدوه فما كان يضيّع قصدهم ولا يخيّب أمل من يطلب بِرّه ، وكان

---

١ ن : سماط ثان ؛ ت س لي ن : سماط ثاني .

٢ ت : كل واحد .

٣ قوله : لكن نذكر طرفاً منه . . . النفقة : سقط هذا النص الطويل من النسخة ر .

٤ ن : أجناده .

يميل إلى علم التاريخ ، وعلى خاطره منه شيء يذاكر به ، ولم يزل ، رحمه الله تعالى ، مؤيداً[1] في مواقفه ومصافاته مع كثرتها ، لم ينقل أنه انكسر في مصاف قط[2] ، ولو استقصيت في تعداد محاسنه لطال الكتاب ، وفي شهرة معروفه غنية[3] عن الإطالة وليعذر الواقف على هذه الترجمة ففيها تطويل ، ولم يكن سببه إلا ما له علينا من الحقوق التي لا نقدر على القيام بشكر بعضها ، ولو عملنا مهما عملناه ، وشكر المنعم واجب ، فجزاه الله عنا أحسن الجزاء ، فكم له علينا من الأيادي ، ولأسلافه على أسلافنا من الإنعام ، والإنسان صنيعة الإحسان ، ومع الاعتراف بجميله فلم أذكر عنه شيئاً على سبيل المبالغة ، بل كل ما ذكرته عن مشاهدة وعيان ، وربما حذفت بعضه طلباً للإيجاز .

وكانت ولادته بقلعة الموصل ليلة الثلاثاء السابعة والعشرين من المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة . وتوفي وقت الظهر ليلة الجمعة رابع عشر شهر رمضان سنة ثلاثين وستمائة بداره في البلد التي كانت لمملوكه شهاب الدين قراطايا ، فلما قبض عليه في سنة أربع عشرة وستمائة أخذها وصار يسكنها بعض الأوقات ، فمات بها ، ثم نقل إلى قلعة إربل ودفن بها ، ثم حمل بوصية منه إلى مكة ، شرفها الله تعالى ، وكان قد أعد له بها قبة تحت الجبل في ذيله يدفن فيها ، وقد سبق ذكرها ، فلما توجه الركب إلى الحجاز سنة إحدى وثلاثين سيّروه في الصحبة ، فاتفق أن رجع الحاج تلك السنة من لِينَة ، ولم يصلوا إلى مكة ، فردوه ودفنوه بالكوفة بالقرب من المشهد ، رحمه الله تعالى وعوضه خيراً وتقبل مَبارّه وأحسن مُنقَلبه.

(157) وأما زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب فإنها توفيت في شعبان سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وغالبُ ظني أنها جاوزت ثمانين سنة ، ودفنت في

---

[1] ر : مؤيداً منصوراً .

[2] جاء في المختار بعد هذه اللفظة : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد : قد اختصرت هذه الترجمة مع المبالغة في الاختصار مع أن والدي قدس الله روحه قال فيها إنه ذكر أحواله ملخصة مختصرة وأنه لو فصلها لطال الشرح ، واعتذر عن طولها مع الاختصار بكثرة ما كان للمذكور عليه وعلى سلفه من الإحسان والحقوق . . . » .

[3] ر : تغني .

مدرستها الموقوفة على الحنابلة بسَفْح قاسِيُون، وكانت وفاتها بدمشق، وأدركت من محارمها من الملوك من إخوتها وأولادهم أكثرَ من خمسين رجلاً غير محارمها من غير الملوك ولولا خوف الإطالة لذكرتهم مفصلاً ، فإن إربل كانت لزوجها المذكور ، والموصل لأولاد بنتها ، وخلاط وتلك الناحية لابن أخيها[1] الملك الأوحد نجم الدين أيوب ابن الملك العادل ، وبلاد الجزيرة الفراتية للأشرف ابن أخيها ، وبلاد الشام لأولاد إخوتها ، والديار المصرية والحجازية واليمن لإخوتها وأولادهم ، ومن تأمل ذلك عرف الجميع .

وكُوكُبُوري : بضم الكافين بينهما واو ساكنة ثم باء موحدة مضمومة ثم واو ساكنة وبعدها راء ، وهو اسم تركي معناه بالعربي ذئب أزرق .

وبُكْتِكِين : بضم[2] الباء الموحدة وسكون الكاف وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وهو اسم تركي أيضاً .

ولِينَة : بكسر اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون وبعدها هاء ساكنة ، منزلة في طريق الحجاز من جهة العراق ، وكان الركب في تلك السنة قد رجع منها لعدم الماء وقاسوا مشقة عظيمة .

---

١ ر : لابن اختها .

٢ ر ت بر : بفتح

٥٤٨

العَتّـــابي

كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر المشهور ؛ كان شاعراً خطيباً بليغاً مجيـداً ، وهو من أهل قنسرين وقدم بغداد ومدح هارون الرشيد وغيره من الخلفـاء ، وله رسائل مستحسنة ، وكان يتجنب غشيان السلطان قناعة وصيانة وتنزهاً وتعززاً ، وكان يلبس الصوف ويظهر الزهد ؛ مترسلٌ بليـغ مطبوع متصرف في فنون من الشعر مقدم في الخطابة والرواية حسن العارضة والبديهة ؛ من شعراء الدولة العباسية ، وكان يقول بالاعتزال ، فاتصل بالرشيد وكثر عليه من أمره فأمر فيه بأمر غليظ فهرب إلى اليمن وكان مقيماً بها ، فاحتال يحيى بن خالد إلى أن حمل للرشيد من خطبه ورسائله فاستحسن الرشيد ذلك وسأل عن الكلام لمن هو فقال يحيى : هو للعتابي ، ولو حضر حتى يسمع منه الأمين والمأمون هذا الكلام ويصنع لهما خطباً لكان في ذلك صلاح ، فأمر بإحضاره ، فأخذ له يحيى الأمان واتصل الخبر بالعتابي فقال :

ما زلت في غمرات الموت منطرحاً قد غاب عني وجوه الأمر من حيلي

---

٥٤٨ – ترجمته وأخباره في تاريخ بغداد ١٢ : ٤٨٨ وطبقات ابن المعتز : ٢٦١ والأغاني ١٣ : ١٠٧ والشعر والشعراء : ٧٤٠ ومروج الذهب ٤ : ١٤ والفهرست : ١٨١ وكتاب بغداد ٦٩ ، ٨٧ – ٨٩ ومعجم المرزباني : ٣٥١ والوزراء والكتاب : ١٨١ والموشح : ٤٤٩ والبيان والتبيين ١ : ٥١ ومعجم الأدباء ١٧ : ٢٦ واللباب ٢ : ١١٨ ؛ وذكر له الكتبي ترجمة في الفوات (رقم : ٣٥٩) مع أنه استدراك على المؤلف ، وقد انفردت النسخة ر بهذه الترجمة ، ولم ترد في المختار أو في المطبوعة ، ومعظم الترجمة يعتمد على ما جاء في تاريخ الخطيب ؛ قلت : وقد صرح المؤلف في ترجمته لأبي منصور العتابي (رقم : ٦٦٩ عند وستنفيلد ؛ ٦٣٠ في مطبوعة الشيخ عبد الحميد) أنه لم يترجم للعتابي الشاعر قال : «وكان ينبغي ذكره في هذا الكتاب وإنما أخللت به لأني لم أظفر له بوفاة ، ومبنى هذا الكتاب على من عرفت وفاته» . فهذه من الزيادات التي لا سند للنسخة (ر) في إيرادها .

فلم تزل دائبــاً تسعى لتنقذني حتى استللتَ حياتي من يَدَيْ أجَلي

وكان العتابي منقطعاً إلى البرامكة ، ومنصور النمري راويته وتلميذه .

قال أبو دعامة الشاعر : كتب طوق بن مالك إلى العتابي يستزيره ويدعوه إلى أن يصل القرابة بينه وبينه ، فرد عليه : إنّ قريبك مَن قرب منك خيره وابن عمك من عَمَّك نَفْعُه وإن عشيرك مَن أحسن عشرتــك وإن أحبّ الناس إليك أجراهم بالمنفعة عليك ، ولذلك أقول :

ولقد بلوت النـاس ثم سبرتهم وخبرت ما وصلوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرّب قاطعــاً وإذا المودة أكــبر الأنساب

قيل للعتابي : انك تلقى العامة ببشر وتقريب فقال : رفع ضغينة بأيسر مؤنة واكتساب إخوان بأهون مبذول .

ولما قدم العتابي مدينة السلام على المأمون أذن له فدخل وعنــده إسحاق الموصلي ، وكان العتابي شيخاً جليلاً نبيلاً ، فسلّم فردّ عليه وأدناه وقرّبه حتى قرب منه فقبّل يده ، ثم أمره بالجلوس فجلس ، ثم أقبل عليه يسأله عن حاله وهو يجيبه بلسان طلق ، فاستطرف المأمون ذلك منه فأقبل عليه بالمداعبــة بالمزح ، فظن الشيخ أنه استخفّ به فقال : يا أمير المؤمنين ، الإينــاس قبل الإبساس ، فاشتبه على المأمون قوله فنظر إلى إسحاق مبتسماً فأومأ إليه بعينه وغمزه على معناه حتى فهمه ثم قال : يا غلام ، ألف دينار ، فأتي بذلك فوضعه بين يدي العتابي وأخذوا في الحديث ، ثم غمز المأمون إسحاق بن إبراهيم عليه ، فجعل العتابي لا يأخذ في شيء إلا عارضه فيه إسحاق بن إبراهيم ، فبقي العتابي متعجباً ثم قال : يا أمير المؤمنين ، اتأذن لي في مسألة هـذا الشيخ عن اسمه ؟ قال : نعم سله ، فقال إسحاق : يا شيخ ، من أنت وما اسمك ؟ قال : أنا من الناس واسمي كُلْ بَصَل ، فتبسم العتابي ثم قال : أما النسب فمعروف وأما الاسم فمنكر ، فقال له إسحاق : ما أقل انصافك ! أتنكر أن يكون اسمي كُلْ بَصَل واسمك كُلْ ثوم ؟ وما كلثوم من الأسماء ؟ أوَليسَ البصل أطيب من الثوم ؟ فقال له العتابي : لله درك ما أحجّك ، أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن

أصلِه بما وصلتني به ؟ فقال له المأمون : بل ذلك موفّر عليك ونأمر له بمثله ، فقال له إسحاق : أما إذ أقررت بهذه فتوهمني تجدني ، فقال له : ما أظنك إلا إسحاق الموصلي الذي تناهى إلينا خبره ، فقال : أنا حيث ظننت ، فأقبل عليه بالتحية والسلام ، فقال المأمون وقد طال الحديث بينهما : أما إذا اتفقتا على المودة فانصرِفا ، فانصرف العتابي إلى منزل إسحاق فأقام عنده .

كتب المأمون في إشخاص العتابي فلما دخل عليه قال له : يا كلثوم بلغتني وفاتك فساءتني ثم بلغني وفادتك فسرتني ، فقال له العتابي : يا أمير المؤمنين ، لو قسمت هاتان الكلمتان على أهل الأرض لوسعتهم فضلاً وإنعاماً وقد خصصتني منها بما لا يتسع له أمنية ولا ينبسط لسواه أمل ، لأنه لا دين إلا بك ولا دنيا إلا معك ، قال : سلني ، قال : يدك بالعطاء أطلق من لساني بالمسألة ، فوصله صلة سنية وبلغ به من التقديم والإكرام أعلى محل .

قال الأصمعي : كتب كلثوم بن عمرو العتابي إلى رجل :

ان الكريم ليخفي عنك عسرته ... حتى تراه غنياً وهو مجهودُ
وللبخيل على أمواله علل ... زرق العيون عليها أوجه سود
بُثّ النوال ولا يمنعك قلّته ... فكلُّ ما سدّ فقراً فهو محمود

قال : فشاطره ماله حتى بعث إليه بنصف خاتمه وفرد نعله .

قال مالك بن طوق للعتابي: يا أبا عمرو، رأيتك كلمتَ فلاناً فأقللت كلامك، قال : نعم كانت معي حيرة الداخل وفكرة صاحب الحاجة وذل المسألة وخوف الرد مع [شدة الطمع] .

وقيل للعتابي: قد فلح (؟) ابن مسلم الخلق، قال: لعله أكل من شعره. ومثل ذلك اجتمع قوم من الشعراء على فالوذجة حارة فقال أحدهم يخاطب شخصاً منهم : كأنها مكانك من النار ، قال له : أصلِحْها ببيت من شعرك .

قيل : كان مروان بن السمط يرمى في شعره بالبرد ، وكانت له بغلة بالبصرة لا يفارق ركوبها فقال الجمّاز يهجوه ...

حَرْفُ اللَّامِ



٥٤٩

الليث بن سعد

أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن إمام أهل مصر في الفقه والحديث؛ كان مولى قيس بن رفاعة ، وهو مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفَهْمي وأصله من أصبهان ، وكان ثقة سَرياً سخياً ، قال الليث : كتبت من علم محمد ابن شهاب الزهري علماً كثيراً ، وطلبت ركوب البريد إليه إلى الرصافة ، فخفت أن لا يكون ذلك لله تعالى فتركته .

وقال الشافعي رضي الله عنه : الليث بن سعد أفقه من مالك ، إلا أن أصحابه لم يقوموا به . وكان ابن وهب تُقرأ عليه مسائل الليث ، فمرت به مسألة فقال رجل من الغرباء : أحْسَنَ والله الليثُ ، كأنه كان يسمع مالكاً يجيب فيجيب هو ، فقال ابن وهب للرجل : بل كان مالك يسمع الليث يجيب فيجيب هو ، والله الذي لا إله إلا هو ما رأينا أحداً قطُّ أفقَهَ من الليث .

وكان من الكرماء الأجواد ، ويقال إن دَخْله كان في كل سنة خمسة آلاف دينار[1] ، وكان يفرقها في الصلات وغيرها . وقال منصور بن عمار : أتيت الليث فأعطاني ألف دينار وقال : صُنْ بهذه الحكمةَ التي آتاك الله تعالى . ورأيت في بعض المجاميع أن الليث كان حنفي المذهب ، وأنه وليَ القضاء بمصر ، وأن الإمام مالكاً أهدى إليه صينية فيها تمر ، فأعادها مملوءةً ذهباً ؛ وكان يتخذ لأصحابه الفالوذج ، ويعمل فيه الدنانير ليحصل لكل من أكل كثيراً أكثرُ من صاحبه .

---

٥٤٩ – ترجمته في تاريخ بغداد ١٣ : ٣ ومروج الذهب ٣ : ٣٤٩ وصفة الصفوة ٤ : ٢٨١ والجواهر المضية ١ : ٤١٦ وحلية الأولياء ٧ : ٣١٨ وتذكرة الحفاظ : ٢٢٥ وميزان الاعتدال ٣ : ٤٢٣ وعبر الذهبي ١ : ٢٦٦ والنجوم الزاهرة ٢ ، ٨٢ : ٢ وتهذيب التهذيب ٨ : ٤٥٩ وصبح الأعشى ٣ : ٣٩٩ ، ٤٠٠ والشذرات ١ : ٢٨٥ .

[1] هامش بر : في طبقات الحنفية للشيخ عبد القادر : ثمانين ألف دينار .

وكان قد حج سنة ثلاث عشرة ومائة وهو ابن عشرين سنة ، وسمع من نافع مولى ابن عمر ، رضي الله عنهما .

وكان الليث يقول ، قال لي بعض أهلي : ولدت سنة اثنتين وتسعين للهجرة والذي أوقن سنة أربع وتسعين في شعبان . وتوفي يوم الخميس – وقيل الجمعة – منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ودفن يوم الجمعة بمصر في القرافة الصغرى ، وقبره أحد المزارات ، رضي الله عنه . وقال السمعاني : ولد في شعبان سنة أربع وعشرين ومائة ، والأول أصح . وقال غيره : ولد سنة ثلاث وتسعين ، والله أعلم بالصواب .

وقال بعض أصحابه : لما دَفَنّا الليث بن سعد سمعنا صوتاً وهو يقول :

ذهبَ الليثُ فلا ليثَ لكُم ومَضَى العلم قريباً وقُبِرْ

قال فالتفتنا فلم نر أحداً .

ويقال : إنه من أهل قَلْقَشَنْدَة ، وهي بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة ، وهي قرية من الوجه البحري من القاهرة ، بينها وبين القاهرة مقدار ثلاثة فراسخ .

والفَهْمي : بفتح الفاء وسكون الهاء وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى فَهْم وهو بطن من قَيْس عَيْلانَ خرج منها جماعة كثيرة[1] .

---

١ كتب ابن المؤلف في المختار في نهاية ترجمة الليث : «آخر ما نقلته من المجلد الثاني من وفيات الأعيان ويتلوه ما نقلته من الجزء الثالث» (وأوله ترجمة مالك بن أنس) .

٥٤٩ ب

الليث بن سعد

أبو الحارث الليث ... سرياً سخياً .

ولد بقلقشندة سنة أربع وتسعين ، وسمع علماء المصريين والحجازيين وروى عن عطاء بن أبي رباح وابن أبي مليكة وابن شهاب الزهري ونافع مولى ابن عمر وغيرهم ، وحدث عنه هشيم بن بشير وعبد الله بن المبارك وعبد الوهاب بن وهب وعبد الله بن عبد الحكم ويحيى بن بكير وغيرهم . وقدم بغداد وحدث بها . قال الليث: كتبت من علم ابن شهاب الزهري علماً كثيراً وطلبت ركوب البريد إليه إلى الرصافة فخفت أن لا يكون ذلك لله تعالى فتركته .

قال الخطيب صاحب « تاريخ بغداد »[1]: خرج الليث إلى العراق سنة إحدى وستين ومائة وخرج في شوال وشهد الأضحى ببغداد .

وقال الشافعي ... أفقه من الليث .

قال أبو الحسن الخادم : كنت غلاماً لزبيدة وأتي يوماً بالليث بن سعد ، فكنت واقفاً على رأس زبيدة خلف الستارة فسأله هارون الرشيد فقال: حلفت أن لي جنتين ؟ فاستحلفه الليث ثلاثاً انك تخاف الله فحلف له ، فقال له الليث: قال الله تعالى ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ (الرحمن : ٤٦) ؛ قال : فأقطعه قطائع كثيرة بمصر .

قال الليث بن سعد : قال لي أبو جعفر : تلي لي مصر ؟ قلت : لا يا أمير المؤمنين إني أضعف عن ذلك ، إني رجل من الموالي ، فقال : ما بك ضعف

---

٥٤٩ ب – قد رأينا أن نفرد هنا الترجمة التي وردت في ر لأنها تختلف عما في سائر النسخ ، وقد حذفنا المشترك بين الترجمتين وأبقينا ما يدل على مواضع النصوص المحذوفة؛ وأكثر هذه الترجمة عن تاريخ الخطيب .

[1] تاريخ بغداد ١٣ : ٤ .

معي ، ولكن ضعفت نيتك في العمل عن ذلك لي .

وحج الليث سنة ثلاث عشرة فسمع من ابن شهاب وغيره بمكة في هذه السنة.

وقال الليث : حججت سنة ثلاث عشرة وأنا ابن عشرين سنة .

وقال يحيى بن بكير : ما رأيت أحداً أكمل من الليث بن سعد ، كان فقيه البدن عربي اللسان يحسن القرآن والنحو ويحفظ الشعر والحديث حسن المذاكرة — وما زال يذكر خصالاً جميلة ويعقد بيده حتى عقد عشرة — لم أرَ مثله .

قال سعيد بن أبي أيوب : لو أن مالكاً والليث اجتمعا لكان مالك عند الليث أبكم ولباع الليث مالكاً في من يزيد .

وقال ابن وهب : كل ما كان في كتب مالك « وأخبرني من أثق به[1] من أهل العلم » فهو الليث بن سعد ؛ وقال ابن وهب : لولا مالك والليث بن سعد لضلّ الناس .

وقال عثمان بن صالح : كان أهل مصر ينتقصون عثمان حتى نشأ فيهم الليث ابن سعد فحدثهم بفضائل عثمان فكفوا عن ذلك ، وكان أهل حمص ينتقصون علياً حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش فحدثهم بفضائله فكفوا عن ذلك .

وقال ابن وهب : كان الليث بن سعد يصل مالك بن أنس بمائة دينار في كل سنة ، فكتب إليه مالك : إنّ عليّ ديناً ، فبعث إليه بخمسمائة دينار ؛ وكتب إليه مالك: إني أريد أن أدخل ابنتي على زوجها فأحبّ أن تبعث إلي شيئاً من عصفر ، فبعث إليه ثلاثين حملاً من عصفر فصبغ لابنته وباع منه بخمسمائة دينار وبقي عنده فضلة .

وقال قتيبة بن سعيد : كان الليث يستغل عشرين ألف دينار في كل سنة .

وقال : ما وجبت علي زكاة قط .

وقال محمد بن رمح : كان دخل الليث بن سعد في كل سنة ثمانين ألف دينار وما أوجب الله عليه زكاة درهم قط .

قال منصور بن عمار : أتيت الليث بن سعد فأعطاني ألف دينار وجارية

---

[1] تاريخ بغداد : من أرضى .

تسوى ثلاثمائة دينار وقال صنْ بهذه الحكة .

وجاءت امرأة إلى الليث فقالت : يا أبا الحارث ، إن ابناً لي عليل واشتهى عسلاً ، فقال : يا غلام ، اعطها مرطاً من عسل ، والمرط عشرون ومائة رطل؛ وقال غيره : سألت المرأة مَنّاً من عسل فأمر لها بزق فقال له كاتبه : إنما سألت منّاً فقال : إنها سألتني على قدرها فأعطيناها على قدر السعة .

وقال الحارث بن مسكين : اشترى قوم من الليث بن سعد ثمرة فاستغلوها فاستقالوه فأقالهم ثم دعا بخريطة فيها أكياس فأمر لهم بخمسمائة دينار[1] ، فقال له الحارث ابنه في ذلك فقال : اللهم غفراً ، إنهم كانوا أملوا فيه أملاً فأحببت أن أعوضهم من أملهم بهذا .

وقال شعيب بن الليث : خرجت مع أبي حاجاً فقدم المدينة فبعث إليه مالك بن أنس بطبق رطب فجعل على الطبق ألف دينار وردّه إليه .

قال أشهب بن عبد العزيز : كان لليث بن سعد كل يوم أربعة مجالس يجلس فيها ، أما أولها فيجلس ليأتيه السلطان في نوائبه وحوائجه ، وكان الليث يغشاه السلطان فإن أنكر من القاضي أمراً أو من السلطان كتب إلى أمير المؤمنين فيأتيه العزل ؛ ويجلس لأصحاب الحديث ، وكان يقول : [نجحوا] أصحاب الحوانيت فإن قلوبهم معلقة بأسواقهم ؛ ويجلس للمسائل يغشاه الناس فيسألونه ؛ ويجلس لحوائج الناس لا يسأله أحد من الناس فيرده ،كبرتْ حاجته أو صغرت؛ قال: وكان يطعم الناس في الشتاء الهرائس بعسل النحل وسمن البقر، وفي الصيف سويق اللوز بالسكر .

قال أبو رجاء قتيبة : قفلنا مع الليث بن سعد من الإسكندرية وكان معه ثلاث سفائن : سفينة فيها مطبخه ، وسفينة فيها عياله ، وسفينة فيها أضيافه .

وقال ابن بكير : سمعت الليث بن سعد كثيراً ما يقول : أنا أكبر من ابن لهيعة ، والحمد لله الذي متعنا بعقلنا . وكان الليث أكبر من ابن لهيعة ولكن إذا نظرت إليهما تقول ذا ابن وذا أب ، يعني ابن لهيعة الأب .

---

١ تاريخ بغداد : بخمسين ديناراً .

وقيل لليث بن سعد : ما صلاح بلدك يا أبا الحارث ؟ قال : جري نيلها وعدل واليها ومن رأس العين يأتي الكدر .

وقال أبو محمد ابن أبي القاسم : قلت لليث : أمتع الله بك يا أبا الحارث ، إنّا نسمع منك الحديث ليس في كتبك ، قال : أو كلُّ ما في صدري في كتبي؟ لو كتبتُ ما في صدري ما وسعه هذا المركب .

ورأيت في بعض المجاميع ... وقبره أحد المزارات رضي الله عنه .

قال محمد بن عبد الرحمن : كنت جالستُ الليثَ بن سعد وشهدتُ جنازته وأنا مع أبي ، فما رأيت جنازة أعظم منها ولا أكثر من أهلها ، ورأيت كلهم عليهم الحزن والناس يعزي بعضهم بعضاً ويبكون ، فقلت لأبي : يا أبتِ ، كل واحد من الناس صاحب الجنازة ، فقال لي: يا بني كان عالماً سعيداً كريماً حسنَ الفعل كثير الأفضال ؛ يا بني لا ترى مثله أبداً .

ويقال إنه من أهل قلقشندة ... جماعة كثيرة .

حَرْفُ المِيمِ



٥٥٠

الإمام مالك

الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس [بن مالك][1] بن أبي عـــامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان – بغين معجمة وياء تحتها نقطتان – ويقال عثمان – بعين مهملة وثاء مثلثة – ابن جثيل – بجيم وثاء مثلثة وياء ساكنة تحتها نقطتان – وقال ابن سعد : هو خثيل بخاء معجمة ، ابن عمرو بن ذي أصبح[2] الأصبحي المدني إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام . أخذ القراءة عَرْضـاً عن نافع بن أبي نعيم ، وسمع الزهري ونافعاً مولى ابن عمر ، رضي الله عنهما ، وروى عنه الأوزاعي ويحيى بن سعيد ، وأخذ العلم عن ربيعة الرأي – وقد تقدم ذكره[3] – ثم أفتى معه عند السلطان. وقال مالك : قلّ رجلٌ كنت أتعلم منه ومات[4] حتى يجيئني ويستفتيني . وقال ابن وهب : سمعت منادياً ينادي بالمدينة : ألا لا يفتي الناس إلا مالك بن أنس وابن أبي ذئب .

وكان مالك إذا أراد أن يحدّثَ توضأ وجلس على صدر فراشه وسرّح لحيته وتمكن في جلوسه بوَقار وهيبة ثم حدث ، فقيل له في ذلك فقال : أحب أن

---

٥٥٠ – ترجمته في ترتيب المدارك ١ : ١٠٢ – ٢٥٤ وطبقات الشيرازي : ٦٧ وحلية الأولياء ٦ : ٣١٦ والانتقاء : ٩ وصفة الصفوة ٢ : ٩٩ وتهذيب التهذيب ١٠ : ٥ والمعارف : ٤٩٨ والفهرست : ١٩٨ والديباج المذهب : ١٧ وعبر الذهبي ١ : ٢٧٢ والشذرات ١ : ٢٨٩ ؛ وليس في الإمكان حصر الكتب التي ألفت في سيرته أو ترجمت له في هذا المجال .

١ زيادة لم ترد في النسخ الخطية .

٢ زاد في ر : واسمه الحارث ، وسيرد هذا في موضعه .

٣ انظر جـ ٢ : ٢٨٨ .

٤ ن : فما مات .

أعظّمَ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحدث به إلا متمكناً على طهارة ؛ وكان يكره أن يحدث على الطريق أو قائماً أو مستعجلاً ويقول : أحب أن أتفهم ما أحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان لا يركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنه ، ويقول : لا أركب في مدينة فيها جُثّة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفونة .

وقال الشافعي ، قال لي محمد بن الحسن : أيها أعلم صاحبنا أم صاحبكم ؟ يعني أبا حنيفة ومالكاً ، رضي الله عنهما ، قال : قلت : على الإنصاف ؟ قال : نعم ، قال : قلت : ناشدتك الله مَنْ أعلمْ بالقرآن صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال : اللهم صاحبكم ، قال : قلت : ناشدتك الله مَن أعلم بالسنة صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال : اللهم صاحبكم ، قال : قلت : ناشدتك[1] الله من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المتقدمين صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال : اللهم صاحبكم ، قال الشافعي : فلم يبقَ[2] إلا القياس ، والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء ، فعلى أي شيء يقيس[3] ؟

وقال الواقدي : كان مالك يأتي المسجد ، ويشهد الصلوات والجمعة والجنائز ، ويعود المرضى ويقضي الحقوق ويجلس في المسجد[4] ويجتمع إليه أصحابه ، ثم ترك الجلوس في المسجد فكان يصلي وينصرف إلى مجلسه ، وترك حضور الجنائز فكان يأتي أصحابها فيعزيهم ، ثم ترك ذلك كله فلم يكن يشهد الصلوات في المسجد ولا الجمعة ولا يأتي أحداً يعزيه ولا يقضي له حقاً ، واحتمل الناس له ذلك حتى مات عليه ، وكان ربما قيل له في ذلك فيقول : ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره[5] .

---

١ بر : فأنشدك .　　　٢ بر : فلم يبق شيء .

٣ ن : نقيس ؛ وفي هامش ل : الذي أجمع عليه سائر العلماء أن الإمام أبا حنيفة لم يماثله أحد من الأئمة وغيرهم في الفقه ، وهذا قول الإمام الشافعي ، وكان الإمام مالك رضي الله عنه إذا حضر مع أبي يوسف تلميذ أبي حنيفة في مجلس (. . . .) أبو يوسف وكلمه دون (أبي حنيفة) رضي الله عنه .　　　٤ س : المجلس .

٥ هامش ل : وإنما كان تخلف عن المسجد لأنه سلس بوله فقال عند ذلك : لا يجوز أن أجلس في مسجد الرسول (ص) وأنا على غير طهارة ، فيكون ذلك استخفافاً ، كذا وجد في نسخة بخط المصنف .

وسُعِي به إلى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العبـــاس رضي الله عنهما وهو ابن عم أبي جعفر المنصور ، وقالوا له : إنه لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء ، فغضب جعفر ودعا به وجَرَّده وضربه بالسيـــاط ، ومدت يده حتى انخلعت كتفـــه وارتكب منه أمراً عظيماً ، فلم يزل بعد ذلك الضرب في علو ورفعة وكأنما كانت تلك السياط حلياً حلي[1] به . وذكر ابن الجوزي في « شذور العقود » في سنة سبع وأربعين ومائة : وفيها ضرب مالك بن أنس سبعين سوطاً لأجل فتوى لم توافق غرض السلطان[2] ، والله أعلم .

وكانت ولادته في سنة خمس وتسعين للهجرة ، وحُمل به ثلاث سنين . وتوفي في شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة ، رضي الله عنه ، فعاش أربعـــاً وثمانين سنة ؛ وقال الواقدي : مات وله تسعون سنة [والله أعلم بالصواب][3] وقال ابن الفرات في تاريخه المرتب على السنين : توفي مـــالك بن أنس الأصبحي لعشر مضين من شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة ، وقيل إنــه تـُوفي سنة ثمان وسبعين ومائة ، وقيل إن مولده سنة تسعين للهجرة ، وقال السمعاني في كتاب « الأنساب » في ترجمة الأصبحي[4] : إنه ولد في سنة ثلاث أو أربع وتسعين ، والله أعلم بالصواب .

وحكى الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب « جذوة المقتبس » قال : « حدث[5] القعنبي قال[6] : دخلت على مالك بن أنس في مرضه الذي مات فيه ، فسلمت عليه ، ثم جلست فرأيته يبكي ، فقلت : يا أبا عبد الله ، ما الذي يبكيك ؟ قال فقال لي : يا ابن قَعْنَب ، وما لي لا أبكي ؟ ومَنْ أحق بالبكاء مني ؟ والله لوددت أني ضربت لكلّ مسألة أفتيت فيها برأيي بسوط سوط ، وقد كانت لي

---

١ ن : تحلى .

٢ س بر ن والمختار : السلاطين .

٣ زيادة من لي بر س ن .

٤ الأنساب ١ : ٢٨١ .

٥ لي : حدثني .

٦ هو عبد الله بن مسلمة القعنبي ، وقد ترجم له ابن خلكان (رقم : ٣٢٦) ، وانظر الجذوة : ٣٢٥ .

السّعة فيما قد سُبقت إليه ، وليتني لم أفت بالرأي ، أو كما قال » .

وكانت وفاته بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ودفن بالبَقيع [جوار إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم][1] وكان شديد البياض إلى الشقرة ، طويلاً عظيم الهامة أصلع ، يلبس الثياب العَدَنية الجياد[2] ، ويكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المُثْلَة ، ولا يغير شيبه .

ورثاه أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج — وقد سبق ذكره[3] — بقوله:

سقى جَدَثاً ضم البقيعُ لمالك ... من المزن مِرْعادُ السحائب مِبراقُ

إمامٌ موطاه الذي طبقت به ... أقاليم في الدنيا فِساحٌ وآفاق

أقام به شرعَ النبي محمد ... له حذر من أن يُضام وإشفاق

له سَنَدٌ عالٍ صحيح وهَيْبَة ... فللكل منه حين يرويه إطراق

وأصحابُ صدقٍ كلهم عَلَم فسَلْ ... بهم إنهم إن أنت ساءلتَ حذاق

ولو لم يكن إلا ابن إدريس وحده ... كفاه ألا إن السعادة أرزاق

والأصبحي : بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة وبعدها حاء مهملة ، هذه النسبة إلى ذي أصبَحَ ، واسمه الحارث بن عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة ، وهو من يعرب بن قحطان ، وهي قبيلة كبيرة باليمن ، وإليها تنسب السياط الأصبحية[4] . وقال هشام بن الكلبي في « جمهرة النسب »: ذو أصبح هو الحارث بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن عدي ابن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن هميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، واسمه يقطن ، بن عابر بن شالخ

---

١ زيادة من ل س .

٢ ت : الجدد .

٣ انظر ١ : ٣٥٧ .

٤ إلى هنا تنتهي الترجمة في ت ر ن لي س بر ، وورد ما بعده في هامش ل .

ابن إرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ، والذي ذكرناه أولاً ذكره الحازمي في كتاب « العجالة »[1] والله أعلم بالصواب .

٥٥١

مالك بن دينار

أبو يحيى مالك بن دينار البصري ، وهو من موالي بني سامَـــةَ بن لؤي القرشي ؛ كان عالماً زاهداً كثير الورع قنوعاً لا يأكل إلا من كَسْبه ، وكان يكتب المصاحف بالأجرة ، وروي عنه أنه قال : قرأت في التوراة أن الذي يعمل بيده طوبى لمحياه ومماته . وكان يوماً في مجلس وقد قَصّ فيه قاصٌ ، فبكى القوم، ثم ما كان بأوشَكَ من أن أتوا برؤوس فجعلوا يأكلون منها، فقيل لمالك : كل ، فقال : إنما يأكل الرؤوسَ مَنْ بكى ، وأنا لم أبكِ ، فلم يأكل.

وله مناقب عديدة وآثار شهيرة : فمن ذلك ما حكاه أبو القاسم خلف بن بَشْكُوال الأندلسي –المقدم ذكره[2]– في كتابه الذي سماه « كتاب المستغيثين[3] بالله تعالى » ، فإنه قال : بينما مالك بن دينار يوماً جالس إذ جاءه رجل فقال : يا أبا يحيى، ادع الله لامرأة حبلى[4] منذ أربع سنين وقد أصبحت في كرب شديد، فغضب مالك وأطبق المصحف ثم قال : ما يرى هؤلاء القوم إلا أننا أنبياء ، ثم قرأ ثم دعا فقال : اللهم هذه المرأة إن كان في بطنها جارية فأبدلها بها غلاماً فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، ثم رفع مالك يده ورفع الناس أيديهم ، وجاء رسول إلى عند الرجل[5] وقال : أدرك امرأتك ؛ فذهب الرجل

---

١ انظر العجالة : ١٧ .

٥٥١ – ترجمته في حلية الأولياء ٢ : ٣٥٧ وصفة الصفوة ٣ : ١٩٧ وتهذيب التهذيب ١٠ : ١٤ .

٢ انظر ج ٢ : ٢٤٠ . ٣ ل ن : المستعينين .

٤ ر : حامل . ٥ ر : إلى الرجل .

فما حط مالك يده حتى طلع الرجل من باب المسجد ، على رقبتـه غلام جَعْد قَطَط ابن أربع سنين قد استوت أسنانه ، ما قطعت سَرارُه[١] .

وكان من كبار السادات . وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائة بالبصرة ، قبل الطاعون بيسير ، رحمه الله تعالى .

وقد أذكرني مالك بن دينار أبياتاً أنشدنيها[٢] لنفسه صاحبنا جمال الدين محمود ابن عبد عملها في بعض الملوك ، وقد حارب ملكاً آخر فانتصر الملك الذي عمل فيه الأبيات على عدوه ، وغنم أمواله وخزائنه وأسر رجاله وأبطاله ، فلما صار الجميع في قبْضته فرّقَ الأموال على الناس[٣] واعتقل الأجناد ، فمدحه ابن عبد المذكور بقصيدة أجاد فيها كل الإجادة ، ووصف هذه الواقعة ، واستعمل لفظة مالك بن دينار وحصل له فيها التورية العجيبة ، والموضع المقصود منها قوله :

أعتقت من أموالهم ما استعبدوا ... ومَلَكتَ رقّهمُ وهمْ أحرارُ
حتى غَدا من كان منهم مالكاً ... متمنّياً لو أنــه دينـارُ

وهذا في نهاية الحسن ، فلهذا ذكرتها[٤] .

---

١ ر : قطع سرره .
٢ ن : أنشدها .
٣ على الناس : سقطت من ر .
٤ زاد في المختار بعد هذا : « قلت أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : الممدوح هو الملك الجواد . . . . بن أيوب ولي عهد الملك العادل ابن الكامل بدمشق ، والذي انكسر واستولى الجواد على أمواله ورجاله وأبطاله الملك الناصر داود بن المعظم صاحب الكرك ، وكانت الوقعة بظهر حمار من أعمال نابلس ، وكان الناصر يلقب بين الملوك بالفقيه . ولابن عبد المذكور في الواقعة المذكورة أيضاً :

يـا فقيهـاً أخطا سبيل الرشاد ... ليس يغني الجلال يوم الجلاد
كيف ينجي ظهر الحمار هزيماً ... مـن جواد من فوق ظهر جواد

وقد أجاد في معنى هذين البيتين أيضاً فلهذا ذكرتها »

٥٥٢

مجد الدين ابن الأثير الجزري

أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب مجد الدين.

قال أبو البركات ابن المستوفي في «تاريخ إربل» في حقه: أشهر العلماء ذكراً، وأكبر النبلاء قدراً، وأحد الأفاضل المشار إليهم، وفرد الأماثل المعتمد في الأمور عليهم، أخذ النحو عن شيخه أبي محمد سعيد بن المبارك الدهان – وقد سبق ذكره[1] – وسمع الحديث متأخراً، ولم تتقدم روايته.

وله المصنفات البديعة والرسائل الوسيعة، منها: «جامع الأصول في أحاديث الرسول» جمع فيه بين الصحاح الستة، وهو على وضع كتاب رُزَين، إلا أن فيه زيادات كثيرة عليه، ومنها كتاب «النهاية في غريب الحديث» في خمس مجلدات، وكتاب «الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف» في تفسير القرآن الكريم، أخذه من تفسير الثعلبي والزمخشري، وله كتاب «المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار» وله كتاب لطيف في صنعة الكتابة، وكتاب «البديع في شرح الفصول في النحو لابن الدهان» وله ديوان رسائل، وكتاب[2] «الشافي في شرح مسند الإمام الشافعي» وغير ذلك من التصانيف[3].

وكانت ولادته بجزيرة ابني عمر في أحد الربيعين سنة أربع وأربعين وخمسمائة ونشأ بها، ثم انتقل إلى الموصل [في سنة خمس وستين وخمسمائة ثم عاد إلى الجزيرة ثم عاد إلى الموصل وتنقل في الولايات بها][4] واتصل بخدمة الأمير مجاهد

---

٥٥٢ – ترجمته في انباه الرواة ٣ : ٢٥٧ وذكر المحقق في الحاشية مصادر أخرى.

١ انظر ج ٢ : ٣٨٢.

٢ ر س : وله كتاب.

٣ ن : المصنفات.

٤ زيادة من ل وبعضه في المختار.

الدين قايماز بن عبد الله الخادم الزيني – المقدم ذكره في حرف القاف[1] – وكان نائب المملكة ، فكتب بين يديه منشئاً إلى أن قبض عليه – كما سبق ذكره – فاتصل بخدمة عز الدين مسعود بن مودود صاحب الموصل وتولى ديوان رسائله وكتب له إلى أن توفي ، ثم اتصل بولده نور الدين أرسلان شاه – وقد سبق ذكره[2] – فحظي عنده وتوفرت حرمته لديه وكتب له مدة .

ثم عرض له مرض كف يديه ورجليه فمنعه من الكتابة مطلقاً ، وأقام في داره يغشاه الأكابر والعلماء ، وأنشأ رباطاً بقرية من قرى الموصل تسمى « قصر حرب » ووقف أملاكه عليه وعلى داره التي كان يسكنها بالموصل[3] ، وبلغني أنه صنف هذه الكتب كلها في مدة العطلة ، فإنه تفرغ لها ، وكان عنده جماعة يعينونه عليها في الاختيار[4] والكتابة .

وله شعر يسير ، من ذلك ما أنشده للأتابك صاحب الموصل وقد زَلَّتْ به بغلته :

إن زلَّتِ البغلة من تَحْتِهِ ... فإن في زلتها عذرا
حمَّلها من علمه شاهقاً ... ومِنْ نَدَى راحته بحرا

وهذا معنى مطروق وقد جاء في الشعر كثيراً .

وحكى أخوه عز الدين أبو الحسن علي أنه لما أُقعِدَ جاءهم رجل مغربي ، والتزم أنه يداويه ويبرئه مما هو فيه ، وأنه لا يأخذ أجراً إلا بعد برئه ، فملنا[5] إلى قوله ، وأخذ في معالجته بدهن صنعه ، فظهرت ثمرة صنعته ولانت رجلاه وصار يتمكن من مدهما ، وأشرف على كمال البرء فقال لي : أعط هذا المغربي شيئاً يرضيه واصرفه فقلت له : لماذا وقد ظهر نُجْح مُعاناته[6] ؟ فقال : الأمر

---

١ انظر ما تقدم ص : ٨٢ .   ٢ ج ١ : ١٩٣ .
٣ ل لي بر : في الموصل .
٤ ر : الاختيارات .
٥ س ل لي بر : قال فملنا .
٦ س ر والمختار : معافاته .

كما تقول ، ولكني في راحة مما كنت فيــــه من صحبة هؤلاء القوم والالتزام بأخطارهم[1] : وقد سكنت روحي إلى الانقطاع والدعة ، وقد كنت بالأمس وأنا معافى أذل نفسي بالسعي إليهم ، وها أنا اليوم قاعد في منزلي ، فإذا طرأت لهم أمور ضرورية جاءوني بأنفسهم لأخذ رأيي ، وبين هذا وذاك كثير ، ولم يكن سبب هذا إلا هذا المرض ، فما أرى زواله ولا معالجته ، ولم يبق[2] من العمر إلا القليل ، فدعني أعيش[3] باقيه حراً سليماً من الذل وقد أخذت منه بأوفر حظ ، قال عز الدين : فقبلت قوله وصرفت الرجل بإحسان .

وكانت وفاة مجد الدين المذكور بالموصل ، يوم الخميس[4] سلخ ذي الحجة سنة ست وستمائة ، ودفن برباطه بدرب دراج داخل البلد[5] ، رحمه الله تعالى . وقد سبق ذكر أخيه عز الدين علي[6] ، وسيأتي ذكر أخيه ضياء الدين نصر الله ، إن شاء الله تعالى[7] .

وجزيرة ابني عمر : مدينة فوق الموصل على دجلتها ، سميت جزيرة لأن دجلة محيطة بها ، قال الواقدي : بناها رجل من أهل بَرْقَعِيدَ يقال له عبد العزيز بن عمر .

---

١ ن : والالزام بإحضارهم .
٢ س : ولا يبقى .
٣ س لي بر : أعش .
٤ ن : الاثنين .   ٥ بر : الموصل .
٦ انظر ج ٣ : ٣٤٨ .
٧ هنا تنتهي الترجمة في ن س لي ت بر ؛ والتعريف بجزيرة ابني عمر قد مر مفصلا في الترجمة رقم : ٤٦٠ (ج ٣ : ٣٤٨) ؛ وترد في النسخ ما عدا بر « جزيرة ابن عمر » .

٥٥٣

المبارك بن منقذ

أبو الميمون المبارك بن كامل بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني، الملقب سيف الدولة مجد الدين ؛ كان من أمراء الدولة الصلاحية ، وشادّ الديوان بالديار المصرية ، وهو من بيت كبير – وقد سبق ذكر جده سديد الدولة علي ، وابن عمه أسامة بن مرشد[١] .

ولما سيّر السلطان صلاح الدين أخاه شمس الدولة توران شاه – المقدم ذكره[٢] – إلى بلاد اليمن وتملكها رتب ابن منقذ المذكور نائباً عنه في زبيد ، ولما رجع شمس الدولة إلى الشام فارق ابن منقذ اليمن واستناب أخاه حطان باذن شمس الدولة ، ووصل إلى دمشق ، ثم رجع شمس الدولة إلى مصر وابنُ منقذ معه ، وقيل لصلاح الدين عنه : إنه قتل جماعة من أهل اليمن وأخذ أموالهم ، فلما مات شمس الدولة حبسه صلاح الدين ، وأخذ منه ثمانين ألف دينار وعروضاً بعشرين ألف دينار ، وذلك في سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، ثم توجه سيف الإسلام طغتكين – المقدم ذكره – إلى اليمن فتحصن حطان في بعض القلاع ، فاستنزله بالمهادنة والخداع ، وقبض عليه واستصفى أمواله ، وسجنه في بعض القلاع ، وكان آخر العهد به ، ويقال إنه قتله ، وقيل إنه أخذ منه سبعين غلاف زردية مملوءة ذهباً ، والله أعلم[٣] .

ولم يزل سيف الدولة المذكور مقدماً في الدولة كبير القدر نبيه الذكر رئيساً عالي الهمة ، وكانت فيه فضيلة وكان يحب أربابها ، ومدحه جماعة من مشاهير

---

٥٥٣ – في الروضتين ومرآة الزمان طرف من أخباره ، وانظر النجوم الزاهرة ٦ : ٧٩ .

١ انظر ج ٣ : ٤٠٩ ، ج ١ : ١٩٥ .

٢ انظر ج ١ : ٣٠٦ .

٣ ولما سير السلطان . . . أعلم : لم يرد إلا في ل .

الشعراء ، ومن جملة مداحه القاضي الوجيه رضي الدين أبو الحسن علي بن أبي الحسن يحيى بن الحسن بن أحمد المعروف بابن الذَّرَوي[1] مدحه بقصيدته الذالية التي سارت مسير المثل ، وأولها :

لكَ الخير عرِّج بي على رَبعهِم فَذِي ربوعٌ يفوحُ المسكُ من عَرْفِها الشَّذي
وذا ، يا كليمَ الشوق ، وادٍ مقدّسٌ لدى الحبِّ فاخلع لَيْسَ يمشيه محتذي

ومن جملتها[2] :

وبي ظبي إنسٍ كمّلَ الله حسنه وقال لأفواه الخلائق عَوِّذي
جلا تحت ياقوتِ اللّمَى ثغر جوهر رطيب وأبدى شارباً من زمرذ
ولي عُذَّلٌ أبدي التشاغل عنهم إذا أخذوا في عذلهم كل مأخذ
يقولون من هذا الذي مُتَّ في الهوى به كمداً يا رب لا عرفوا[3] الذي
ورُبَّ أديب لم يجد في ارتحاله جواداً إذا ما قال هاتِ يَقُلْ خُذِ
أقول له إذ قام يرحل مصعباً يكلفه طول السفار وقد حذي[4]
مبارك وفد العيس باب مبارك وهل منقذ القصاد إلا ابن منقذ

ومن مديحها وفيه صناعة بديعة :

وألين عند السلم من بطن حَيَّة وأخشن يوم الروع من ظهر[5] قنفذ

وهي قصيدة نفيسة اقتصرت منها على هذه الأبيات حذراً من التطويل .
ولأبي الميمون المذكور شعر ، فمن ذلك قوله في البراغيث :

---

١ بر : بالذروي .
٢ ن لي : ومنها .
٣ ن ل لي : لا علموا .
٤ سقط البيت من ن .
٥ بر : مس .

ومعشر يستحل النـاسُ قتلهمُ   كما استحلوا دَمَ الحجاج في الحرَمِ
إذا سفكتُ دماً منها فما سفكت   يداي من دمها المسفوكِ غيرَ دمي
أصطاد هذا فيبقى ذا فيلسعني   فينقضي الليل في صيدي ولسعهم[1]

(158) هكذا رواها[2] عنه عز الدين أبو القاسم عبد الله بن أبي علي الحسين ابن أبي محمد عبد الله بن الحسين بن رواحة بن إبراهيم بن عبد الله بن رواحة بن عبيد بن محمد بن عبد الله بن رواحة الأنصاري الحموي. ومولد ابن رواحة بساحل صقلية سنة ستين وخمسمائة، ومات سنة ست وأربعين وستمائة في جباب التركمان، المنزلة التي بين حلب وحماة، وهو راكب على الجمل، فكانت ولادته في مركب، ومات على جمل[3] .

وكانت ولادة سيف الدولة المذكور بقلعة شَيْزر سنة ست وعشرين وخمسمائة. وتوفي بالقاهرة ثامن شهر رمضان يوم الثلاثاء سنة تسع وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى .

والذَرَوى : بفتح الذال المعجمة والراء وبعدها واو ، هذه النسبة إلى ذروى وهي قرية بصعيد مصر .

---

١ سقط البيت من النسخ الخطية ، وجميع الأبيات الميمية لم ترد في ت ؛ وعند آخر هذه الأبيات تنتهي الترجمة في المختار .
٢ س ل لي بر : رواهما .
٣ ومات سنة . . . جمل : سقط من ن مس لي بر .

٥٥٤

شرف الدين ابن المستوفي

أبو البركات المبارك بن أبي الفتح أحمد بن المبارك بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمي ، الملقب شرف الدين ، المعروف بابن المستوفي الإربلي ؛ كان رئيساً جليل القدر كثير التواضع واسع الكرم ، لم يصل إلى إربل أحد من الفضلاء إلا وبادر إلى زيارته وحمل إليه ما يليق بحاله ، ويقرب إلى قلبه بكل طريق ، وخصوصاً أرباب الأدب فقد كانت سوقهم لديه نافقة . وكان جم الفضائل عارفاً بعدة فنون ، منها الحديث وعلومه وأسماء رجاله وجميع ما يتعلق به ، كان إماماً فيه . وكان ماهراً في فنون الأدب من النحو واللغة والعروض والقوافي وعلم البيان وأشعار العرب وأخبارها وأيامها ووقائعها وأمثالها . وكان بارعاً في علم الديوان وحسابه وضبط قوانينه على الأوضاع المعتبرة عندهم .

وجمع لإربل تاريخاً في أربع مجلدات ، وقد أحلْتُ عليه في هذا الكتاب في مواضع عديدة ، وله كتاب « النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام » في عشر[1] مجلدات ، وكتاب « إثبات المحصل في نسبة أبيات المفصل » في مجلدين تكلم فيه على الأبيات التي استشهد بها الزمخشري في « المفصل » وله كتاب « سر الصنعة » وله كتاب سماه « أبا قماش » جمع فيه أدباً كثيراً ونوادر وغيرها .

وسمعت منه كثيراً ، وسمعت بقراءته على المشايخ الواردين على إربل شيئاً كثيراً فإنه كان يعتمد القراءة بنفسه ، وله ديوان شعر أجاد فيه ، فمن شعره بيتان فضل فيهما البياض على السمرة ، وهما :

لا تخدَعَنْكَ سُمْرة غَرّارة[2] ما الحسنُ إلا للبياض وجِنسِه

---

٥٥٤ – في مرآة الزمان : ٦٤٤ طرف من أخباره ، وانظر الحوادث الجامعة : ١٣٥ وبغية الوعاة ٣٨٤ وعبر الذهبي ٥ : ١٥٥ والشذرات ٥ : ١٨٦ .

١ س ل بر : عشرة . ٢ ر : بعذاره .

فالرمحُ يقتل بعضُه من غـيره   والسيفُ يقتل كلُّه من نفسهِ

وقد أخذ هــذا المعنى من قول أبي الندى حسان بن نمير الكلبي المعروف بالعرقلة الدمشقي الشاعر المشهور ، وهو[1] :

إن كنتَ بالأسمر الزيتي مُفتَتِناً   فسَلْ عن الأبيض الفضيّ بلَبالي
إن كان في الرمح شِبرٌ قاتلٌ أبداً   ففي المُهَنّدِ شبرٌ غير قتّالِ

ولما نظم شرف الدين بيتيه هذين قال بعض الأدباء : لو قال إن بعض الرمح الذي يقتل به هو من جنس السيف كان أتم في المعنى ، فعمـل بعض المتأدبين – ولا أعلم هل هو شرف الدين نفسه أم غيره – بيتين نَبّه فيهما على هــذه الزيادة ، وهما :

البيضُ أقتَلُ مضرباً   وبمهجتي منها الحسان
والسمرُ إن قتلت فمن   بيضٍ يُصاغ لها السنان[2]

ومن أشعاره التي يتغنى بها قوله[3] :

يا ليلة حتى الصباح سهرتُها   قابلت فيها بَدْرَها بأخيهِ
سمح الزمان بها فكانت ليلة   عَذُبَ العتاب بها لمجتذبيه
أحييتها وأمتُّها عنْ حاسدٍ   ما همُّهُ إلا الحديث يَشيه
ومُعانِقي حُلو الشمائل أهْيَف   جُمِعَتْ ملاحة كل شيء فيه
يختال معتدلاً فإن عبث[4] الصبا   بقوامِــهِ متعرضاً يثنيه
نَشوان تهجم بي عليه صَبابتي[5]   ويردني وَرَعِي فأستحييــه

١ ترجمة العرقلة وأشعاره في الخريدة (قسم الشام) ١ : ١٧٨ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى .
٢ ولما نظم . . . السنان : سقط من جميع النسخ ما عدا ل .
٣ ن ر : ومن شعره الذي يغنى به (يتغنى) .
٤ ر : لعب .
٥ ر : صبابة .

علقت يدي بعذاره وبخده هذا أقبله وذا أجنيه
لو لم تخالط زفرتي أنفاسه كانت تنم بنا إلى واشيه
حَسَدَ الصباحُ الليلَ لما ضمنا غيظاً ففرق بيننا داعيه

وله :

رعى الله ليلات تَقَضَّتْ بقربكم قصاراً وحيّاها الحيا وسقاها
فما قلت إيهٍ بعدَها لمسامرٍ من الناس إلا قال قلبيَ آها

وهذان البيتان يوجدان في أثناء قصيدة لصاحبنا الحسام الحاجري — المقدم ذكره في حرف العين[1] — لكن رأيت أكثر أصحابنا يقولون : إنهما لشرف الدين المذكور ، والله أعلم .

وكان قد خرج من مسجد بجواره ليلاً ليجيء إلى داره فوثب عليه شخص وضربه بسكين قاصداً فؤاده ، فالتقى الضربة بعضده فجرحته جراحة متسعة فأحضر في الحال المزين وخاطها ومرّخها وقمّطها باللفائف ، فكتب إلى الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل يطالعه بما تم عليه في هذه الأبيات ، وغالب ظني أن ذلك كان في سنة ثماني عشرة وستمائة ، وأذكر القضية[2] وأنا يومئذ صغير ، والأبيات :

يا أيها الملك الذي سَطَواتُهُ من فعلها يتعجّبُ المريخ
آيات جودك محكمٌ تنزيلها لا ناسخ فيها ولا منسوخ
أشكو إليك وما بليت بمثلها شنعاء ذكْرُ حديثها تاريخ
هي ليلة فيها ولدت وشاهدي فيما ادعيت القمط والتمريخ

وهذا معنى بديع جداً . وكان يقول : عملت في نومي بيتين وهما :

وبتنا جميعاً وبات الغيورُ يعضُّ يديه علينا حَنَقْ

---

١ انظر ج ٣ : ٥٠١ .

٢ ت : القصة ؛ بر : القصيدة .

نود غراماً لَوَ أنّـــا نُباع   سَواد الدجى بسَواد الحَدَق

وكان قد وصل إلى إربل بعض الشعراء وهو الشرف عبـــد الرحمن بن أبي الحسن بن عيسى بن علي بن يعرب البوازيجي الشاعر في سنة ثمان وعشرين وستمائة وشرف الدين يومئذ وزير ، فسير له مثلوماً على يد شخص كان في خدمته يقال له الكمال بن الشعّار الموصلي صاحب التاريخ[1] — والمثلوم : عبارة عن دينــــار تُقْطَع منه قطعة صغيرة وقد جرت عادتهم في العراق وتلك البلاد أن يفعلوا مثل هذا ، لأنهم يتعاملون بالقطع الصغار ، ويسمونها القُراضة ، ويتعاملون أيضاً بالمثلوم ، وهو كثير الوجود بأيديهم في معاملاتهم — فجاء الكمال إلى ذلك الشاعر وقال له : الصاحبُ يقول لك : أنفق السّاعة هذا حتى يجهز لك شيئاً يصلح لك ، فتوهم ذلك الشاعر أن يكون الكمال قد قرض القطعة[2] من الدينار ، وأن شرف الدين ما سيره[3] إلا كاملاً ، وقصد استعلام الحال من جهة شرف الدين ، فكتب إليه :

يا أيهـــا المولى الوزير ومن به   في الجود حقاً تُضْرَبُ الأمثال

أرسلت بدر التم عند كمـــالِهِ   حسناً فوافى العبدَ وهو هلال

ما غاله النقصان إلا أنــــه   بَلَغَ الكمال ، كذلك الآجـــال

فأعجب شرف الدين بهذا[4] المعنى وحسن الاتفاق ، وأجـــاز الشاعر وأحسن إليه .

وكنت خرجت من إربل في سنة ست وعشرين وستمائة وشرف الدين مستوفي الديوان ، والاستيفاء في تلك البلاد منزلة عليّة ، وهو تلو الوزارة ، ثم بعد ذلك تولى الوزارة في سنة تسع وعشرين وستمائة ، وشُكرت سيرته فيها ، ولم

---

١ هو صاحب عقود الجمان الذي نشير إليه في التعليقات .

٢ ن لي : تلك القطعة .

٣ ن : أرسل .

٤ ن ر بر : هذا .

يزل عليها إلى أن مات مظفر الدين في التاريخ المذكور في ترجمته في حرف الكاف[1] رحمه الله تعالى ، وأخذ الإمام المستنصر إربل في منتصف شوال من السنة المذكورة فبطل شرف الدين وقعد في بيته ، والناس يلازمون خدمته على ما بلغني ، ومكث كذلك إلى أن أخذ التتر مدينة إربل في سابع عشرين شوال سنة[2] أربع وثلاثين وستمائة ، وجرى عليها وعلى أهلها ما قد اشتهر ، فكان شرف الدين في جملة من اعتصم بالقلعة وسلم منهم ، ولما انتزح التتر عن القلعة انتقل إلى الموصل وأقام بها في حرمة وافرة ، وله راتب يصل إليه ، وكان عنده من الكتب النفيسة شيء كثير . ولم يزل على ذلك حتى توفي بالموصل يوم الأحد لخمس خلون من المحرم سنة سبع وثلاثين وستمائة ، ودفن بالمقبرة السابلة خارج باب الجصاصة . ومولده في النصف من شوال سنة أربع وستين وخمسمائة بقلعة إربل . وهو من بيت كبير كان فيه جماعة[3] من الرؤساء الأدباء. وتولى الاستيفاء بإربل والده وعمه صفي الدين أبو الحسن علي بن المبارك .

(159) وكان عمه المذكور فاضلاً وهو الذي نقل « نصيحة الملوك » تصنيف حجة الإسلام أبي حامد الغزالي من اللغة الفارسية إلى العربية ، فإن الغزالي لم يضعها إلا بالفارسية ، وقد ذكر ذلك شرف الدين في تاريخه ، وكنت أسمع ذلك أيضاً عنه أيام كنت في تلك البلاد ، وكان ذلك مشهوراً بين الناس .

(160) ولما مات شرف الدين رثاه صاحبنا الشمس أبو العز يوسف بن النفيس الإربلي المعروف بشيطان الشام ، ومولد شيطان الشام سنة[4] ست وثمانين وخمسمائة بإربل ، وتوفي بالموصل سادس عشر شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، ودفن بمقبرة باب الجصاصة ، وفيه يقول :

أبا البركات لو درَتِ المنايا ... بأنك فرد عصرك لم تصبكا

---

١ انظر ما تقدم ص : ١١٣ .

٢ ت : في بعض شهور سنة ؛ وفي المختار : في سابع عشر شوال سنة . . . الخ .

٣ ت ر : باربل .

٤ ر : ومولده سنة .

كفى الإسلامَ رزأ فقدُ شخص   عليه بأعين الثقلين يُبْكَى[1]

ولولا خوف الإطالة لذكرت كثيراً من وقائعه وأخباره وماجراياته وتفاصيل أحواله وما مدح به ، ولقد كان ، رحمه الله ، من محاسن وقته ، ولم يكن في آخر الوقت في ذلك البلد مثله في فضائله ورياسته[2] .

وقد سبق الكلام على اللَّخْمي فلا حاجة إلى إعادته .

٥٥٥

الوجيه ابن الدهان

أبو بكر المبارك بن أبي طالب المبارك بن أبي الأزهر سعيد، الملقب الوجيه، المعروف بابن الدهان ، النحوي الضرير الواسطي ؛ ولد ببلده ونشأ به ، وحفظ القرآن هناك وقرأ القراءات ، واشتغل بالعلم وسمع بها من أبي سعيد نصر بن محمد بن سالم الأديب وأبي الفرج العلاء بن علي المعروف بابن السوادي الشاعر – وقد تقدم ذكره[3] – وغيرهما ، ثم قدم بغداد واستوطنها ، وكان يسكن بالظفريّة[4]، وجالس أبا محمد ابن الخشاب النحوي وصحب أبا البركات ابن الأنباري – المقدم ذكرهما[5] – ولازم أبا البركات ، وجُلُّ ما أخذ عنه ، وسمع الحديث من أبي زُرْعَةَ طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي ، وتفقه على مذهب أبي حنيفة بعد أن كان حنبلياً ، ثم شَغَر منصب تدريس النحو بالمدرسة النظامية ، وشرط

---

١ هنا تنتهي الترجمة في المختار .

٢ ورياسته : سقطت من ن .

٥٥٥ – ترجمته في مرآة الزمان ٢ : ٥٧٣ وانباه الرواة ٣ : ٢٥٤ وفي الحاشية ثبت بمصادر أخرى .

٣ انظر ج ٣ : ٤٨١ .

٤ ر : بالظاهرية ؛ والظفرية : محلة بشرقي بغداد (ياقوت) .

٥ انظر ج ٣ : ٤٨١ .

الواقف أن[1] لا يفوض إلا إلى شافعي المذهب،فانتقل الوجيه المذكور إلى مذهب الشافعي وتولاه ، وفي ذلك يقول المؤيد أبو البركات بن زيد التكريتي[2] :

ومن مُبْلِغٌ عني الوجيهَ رسالةً ... وإن كان لا تُجْدي إليه الرسائلُ
تَمَذهَبْتَ للنعمان بعدَ ابنِ حنبلٍ ... وذلكَ لمــا أعوزتكَ المآكل
وما اخترتَ قولَ الشافعي تديناً ... ولكنما تهوى الذي منه حاصل
وعما قليلٍ أنت لا شكَّ صائرٌ ... إلى مالكٍ فافطنْ لما أنا قائل

وللوجيه المذكور تصنيف في النحو، وأقرأ القرآن الكريم كثيراً، وكان كثير الهذر، وفيه شَرَهٌ نفس وتوسع في القول، وكان كثير الدعاوى، وله شعر فمنه[3]:

لستُ استقبحُ اقتضاءك بالوعـ ... ـدِ[4] وإن كنتَ سيدَ الكرماءِ
فإلَهُ السماء قد ضَمِنَ الرز ... قَ عليهِ ويقتضي بالدعـــاءِ

وكانت ولادته سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بواسط. وتوفي ليلة الأحد السادس والعشرين من شعبان سنة اثنتي عشرة وستمائة ببغداد،ودفن من الغد بالوَرْدية[5]، رحمه الله تعالى[6] .

---

١ ل والمختار : أنه ؛ وسقطت من لي .

٢ هو محمد بن أحمد بن زيد التكريتي (ذيل الروضتين : ٣٦ وفيه الأبيات) .

٣ س بر : فمنه قوله .

٤ س : للوعد ؛ لي : في الوعد ، وما هنا موافق لما في الانباه وسائر النسخ .

٥ الوردية : مقبرة ببغداد بعد باب أبرز من الجانب الشرقي قريبة من باب الظفرية (ياقوت) .

٦ تتفق هذه الترجمة مع ما ورد في انباه الرواة في سياقها العام .

٥٥٦

القاضي مجلي صاحب « الذخائر »

أبو المعالي مجلي بن جُمَيع بن نجا ، القرشي المخزومي الأرْسُوفي الأصل ، المصري الدار والوفاة ، الفقيه الشافعي ؛ كان من أعيان الفقهاء المشار إليهم في وقته ، وصنف في الفقه كتاب « الذخائر » وهو كتاب مبسوط جمع[1] من المذهب شيئاً كثيراً ، وفيه نقل غريب ربما لا يوجد في غيره ، وهو من الكتب المعتبرة المرغوب فيها ، وتولى أبو المعالي المذكور القضاء بمصر في سنة سبع وأربعين وخمسمائة بتفويض من العادل أبي الحسن علي بن السلار – المقدم ذكره في حرف العين[2] – فإنه كان صاحب الأمر في ذلك الزمان ، ثم صرف[3] عن القضاء في أوائل سنة تسع وأربعين وخمسمائة، قيل في العشر الأخير من شعبان من السنة[4]. وتوفي في ذي القعدة سنة خمسين وخمسمائة ، ودفن بالقرافة الصغرى ، رحمه الله تعالى .

والأرسوفي : بضم الهمزة وسكون الراء وضم السين المهملة وسكون الواو وبعدها فاء ، هذه النسبة إلى أُرْسُوف ، وهي بُليدة بالشام على ساحل البحر، كان بها جماعة من العلماء والمرابطين، وهي اليوم بيد الفرنج، خذلهم الله تعالى[5].

---

٥٥٦ – ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ٣٠٠ وحسن المحاضرة ١ : ١٧٠ وعبر الذهبي ٤ : ١٤١ والشذرات ٤ : ١٥٧ وقد رآه ابن العربي في رحلته ببيت المقدس (انظر مجلة الأبحاث ، بيروت ١٩٦٨ ص ٥٩ – ٩١) ؛ وقد أسقط صاحب المختار ترجمة مجلي وبدأ بتعريف أرسوف ، وجاء بسياق التاريخ كما ثبت في ر أيضاً .

١ ن : جمع فيه .

٢ انظر ج ٣ : ٤١٦ .

٣ ر : وقيل انه صرف .

٤ ر : السنة المذكورة .

٥ إلى هنا تنتهي الترجمة في ت ن لي س بر وما بعده زيادة من هامش ل وقد ثبت أكثره في ر =

(161) قلت : ثم انتزعها السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي النجمي من أيديهم في ثاني عشرين رجب من شهور سنة ثلاث وستين وستمائة بعد أن ملك قيسارية وخربها وعفى آثارها مع كثير من البلاد الساحلية التي تجاورها مثل يافا وغيرها ، فامتلكها وبقي بها بعد ذلك[1] .

والملك الظاهر المذكور هو أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل ابن الملك العادل ابن أيوب – وسيأتي ذكر والده في محله – وتولى المملكة بعد قتل الملك المظفر سيف الدين قطز بن عبد الله المعزي في سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وكان قتل المظفر وهو عائد من كسرة التتر المخذولين ، وهي الكسرة المشهورة على عين جالوت بالقرب من بيسان ، وقتل بمنزلة القصير من الرمل ، وتولى الظاهر بعده باتفاق الأمراء عليه وتوجّهَ لليلته ووصل القلعة في اليوم الثاني لمسيره ودخلها ، وكنت يومئذ بالقاهرة .

وكان ملكاً عالي الهمة شديد البأس ، لم نرَ في هذا الزمان ملكاً مثله في عزمه وهمته وسعادته ، وفتح من حصون الفرنج والإسماعيلية ما أعيا من تقدمه من ملوك الإسلام[2] وذلك في مدة مملكته. وكسر التتر دفعات آخرها في أواخر سنة خمس[3] وسبعين وستمائة بحدود بلاد الروم، ودخل الروم ووصل إلى قيسارية

= ووستنفيلد أيضاً وأخلت به المطبوعة المصرية ؛ وهذه الزيادة من عمل المؤلف ، وسوف يحيل عليها في تراجم لاحقة .

1 زاد هنا في المختار قوله : «قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : والذي فتح الملك الظاهر المذكور من البلاد من أيدي الفرنج ، خذلهم الله تعالى، غير أرسوف ويافا المذكورتين : قيسارية المجاورة لأرسوف ، والقرين الحصن المقارب لعكا، وصفا والشقيف وحصن عكار وحصن الأكراد وحلبا وعرقا والقليعات وصافيتا وأنطاكية وقصير أنطاكية ، وأغار على طرابلس فقطع أشجار بساتينها وخرب قناتها ، وبذلك انقطع الماء عنها ، وأغار على عكا وشعث قراها وفتك بأبطالها وأسر جماعة من ملوك البحر فيها ومن فرسانها ، تغمده الله برحمته» .

2 زاد هنا في المختار : «قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : «وفتح صهيون وبلاطنس وما جاورهما من الحصون واستقصى فتح حصون الإسماعيلية بالشام ، وفتح دنقلة كرسي بلاد النوبة وما جاورها من بلادهم ، وفتح بلاد السيس دفعتين ، وأسر ابن ملكها ثم من عليه من الديار المصرية ، قدس الله روحه» .

3 ل : اربع .

وجلس على سرير الملك بها ثم عاد إلى دمشق وأقام بهـــا إلى أوائل سنة ست وسبعين وستمائة ، فتوفي بها في يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم من سنة ست المذكورة بقصر الميدان ، ونقل ليومه إلى القلعة وكتم موته ، وقام مملوكه وعتيقه الأمير بدر الدين بيلبك المعروف بالخازندار بتدبير الأمور والعســاكر وتوجه بهم إلى مصر ودخلها في شهر صفر من السنــة ووطّـد قواعد السلطنة لولده السعيد ناصر الدين محمد بركة قان ، واستمرت المملكة .

ثم توفي بدر الدين الخازندار في شهر ربيع الأول من السنــة المذكورة . وفي أثناء هذه السنة أظهر موت الملك الظاهر ودفن بالتربة المجاورة للمدرسة التي أنشأها ولده الملك السعيد المذكور بدمشق المحروسة شمالي الجامع قبـــالة المدرسة العادلية الكبيرة .

(162) وأقام ولده الملك السعيد في المملكة إلى سنة ثمان وسبعين وستمائة . وفي هذه السنة وصل إلى دمشق وزار قبر والده المذكور وأقام بدمشق مــدة يسيرة . وجرت أسباب أوجبت تغيُّر قلوب الأمراء ، وانفصل أكثر العساكر عنه[1] وفارقوه وتوجهوا طالبين الديار المصرية وتبعهم هو فيمن بقي من عسكره وفيمن عنده من مماليك أبيه وعسكر الشام ومعه من الأمراء الكبار شمس الدين سنقور الأشقر العلائي والأمير علم الدين سنجر الحلبي الكبير وغيرهما ؛ ثم جرت أمور يطول شرحها ، خلاصتها انه شق جموعهم بنفسه ودخل قلعـة مصر في العشر الأواخر من ربيع الأول من السنة ، ثم حاصروه بها وأنزلوه منها وأعطوه قلعة الكرك ، وهي قلعة حصينة بين الشام ومصر على فم البرية الحجـازية ، فأقام بها إلى أن توفي في يوم الجمعة حادي عشر ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وستمائة ودفن بالكرك مدة ثم نُـقل إلى دمشق المحروسة في شهر جمادى من سنة ثمانين وستمائة ودفن على والده في التربة المجاورة للمدرســـة المذكورة التي أنشأها . وهذه المدرسة على الفريقين أصحاب الإمام الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما ، وافتـُتح بذكر الدرس فيها يوم الأربعاء سابع عشر صفر سنة سبع

---

1 زاد في ر هنا : « في العشر الآخر من شهر ربيع الآخر من السنة » وهو مخالف لما سيأتي .

وسبعين وستمائة ، وكنت حاضره يومئذ[1] ، وحضر نائب المملكة بدمشق يومذاك ، وهو الأمير عز الدين ايدمر بن عبد الله الظاهري ، وهي من مشاهير المدارس

---

١ زاد في المختار قوله : «قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : وحضرت الدرس المذكور ، وكان مدرس الشافعية الشيخ رشيد الدين إسماعيل المعروف بالفارقي العالم الفاضل الأديب المنشىء المشهور ، وهو من أصحاب والدي وأهل وده ، وله فيه مدائح كثيرة منها ما كتبه إلى والدي عند قدومه من مصر في المحرم سنة سبع وسبعين وستمائة حاكماً بدمشق والشام ، وذلك بعدما أقام بدمشق سبع سنين :

أنت في الشام مثل يوسف في مصـ ـر وعندي بين الكرام جناس
ولكل سبع شداد وبعد الـ ـسبع عام فيه يغاث الناس

وكان مولده على ما نقلته من خط والدي في سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، وكان هو يخفي تاريخ مولده بالكلية . وقرأت عليه مختصراً في علم البيان للرماني ، وآخر في العلم المذكور للقيرواني ، وكان بيني وبينه صحبة واجتماعات كثيرة ، وكتب إلي يستدعيني إليه بهذين البيتين وقال : لا يعززا بثالث وهما :

ممكن أن يزورني أوحد الشا م وعهدي بـه عهودي راعي
أو لـه شاغل فأسعى إليـه مع ضعف القوى كسعي يراعي

وتوفي (. . . . . . .) المحرم سنة تسع وثمانين وستمائة قتيلا بالمدرسة المذكورة وهو مستمر على تدريسها ، وكان مجرداً من الأهل والزوجة ، خنقه ابن سعد الدين أسعد المنشيء الفارقي ، وسعد الدين المذكور ابن اخت الشيخ رشيد الدين ، وذلك بسبب ذهب كثير اطلع عليه أنه في حاصله ، ودفن من يومه بسفح قاسيون رحمه الله تعالى .

وكان مدرس الحنفية الشيخ صدر الدين سليمان الحنفي قاضي القضاة بالديار المصرية – كان العالم المشهور ، وكان قد استعفى من الحكم بمصر واختار المقام بمصر ، فأجابه السلطان إلى ذلك ، ولي منه إجازة بجميع مصنفاته ومسموعاته . ثم لما توفي مجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين ابن العديم الحلبي بدمشق بالجوسق المعروف بهم المطل على الوادي ، غربي زاوية الحريري في (. . . . .) ودفن بالتربة التي أنشأها تجاه الجوسق المذكور في القبلة على طريق المزة ، وكان قاضي القضاة لمذهبه بدمشق عند وفاته ، وحضرت جنازته ، وكان صاحبنا ، ولي منه إجازة كالأولى : وكان مولده (. . . . .) رحمه الله ، أضيف قضاء دمشق لمذهبه إلى سليمان المذكور فباشره إلى أن توفي (. . . . .) ودفن بتربته المعروفة بجبل الصالحيين بالقرب من رباط الناصر وحضرت جنازته ، وكان مولده (. . . . .) وهو من أهل حوران ، رحمه الله تعالى .

وكبارها يومئذ بدمشق المحروسة ، حماها الله تعالى وسائر بلاد المسلمين .

(163) [ولما نزل الملك السعيد من قلعة الجبل انتهى رأي أكابر الأمراء على أن يقيموا أخاه سيف الدين سلامش ، وكان صغيراً ، تقدير عمره دون عشر سنين ، وأن يُلقبوه بالملك العادل فوضعوه مكانه في السلطنة ، وأن يكون أتابك العساكر ومتولي التدبير الأمير سيف الدين قلاون الصالحي المعروف بالألفي الكبير ، فجرى الأمر على ذلك ، واستمر هذا الحال كذلك إلى أواخر شهر رجب من السنة ، فاستقلّ الأمير سيف الدين قلاون المذكور بالسلطنة وركب بأبهتها في حادي عشرين رجب المذكور ، ولقب بالملك المنصور ، وخلفه الأمراء والناس ، ودخل أهل جميع الممالك في طاعته ، ولم يبق إلا الملك السعيد بالكرك. ثم ان الأمراء أرسلوا إلى الملك السعيد بالكرك أخوة سلامش المذكور وعامة أهل بيت الملك الظاهر ، فانقطعت مملكتهم من الديار المصرية وغيرها ، ولم يبقَ لهم إلا قلعة الكرك وما هو مضاف إليها ، والله متولي الأمور ، وبمشيئته يجري كل مقدور][1] .

[وكان سبب وفاة الملك السعيد أنه خرج إلى الصيد فتقنطر به الفرس ، فحمل إلى قلعة الكرك فبقي يويمات قلائل مريضاً ، ثم توفي في التاريخ المذكور][2] .

---

١ انفردت النسخة ل بما بين معقفين .

٢ زيادة من المختار .

٥٥٧

أبو علي التنوخي

القاضي أبو علي المحسّنُ بن أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم ابن تميم التّنُوخي – وقد سبق ذكر أبيه في حرف العين وإيراد شيء من أخباره وشعره[1] – وذكرهما الثعالبي في باب واحد وقدّم ذكر الأب ، ثم قال في حق أبي علي المذكور : « هلال ذلك القَمَر ، وغصن هاتيك الشجر ، والشاهد العدل بمجد أبيه وفضله ، والفرع المسند لأصله ، والنائب عنه في حياته ، والقائم مقامه بعد وفاته . وفيه يقول أبو عبد الله بن الحجاج الشاعر :

إذا ذُكر القضاة وهم شيوخٌ تخيرت الشّبابَ على الشيوخِ
ومَنْ لم يرضَ لم أصفعْهُ إلا بحضرة سيّدي القاضي التنوخي

وله كتاب « الفرج بعد الشدة » وذكر في أوائل هذا الكتاب أنه كان على العيار في دار الضرب بسوق الأهواز في سنة ست وأربعين وثلثمائة ، وذكر بعد ذلك بقليل أنه كان على القضــــاء بجزيرة ابني عمر[2] ، وله ديوان شعر أكبر من ديوان أبيه ، وكتاب « نشوار[3] المحاضرة » وله كتاب « المستجاد من فَعَلات الأجواد » .

وسمع بالبصرة من أبي العباس الأثرم وأبي بكر الصــولي والحسين بن محمد بن

---

٥٥٧ – ترجمته في تاريخ بغداد ١٣ : ١٥٥ واليتيمة ٢ : ٣٤٦ ومعجم الأدباء ١٧ : ٩٢ والجواهر المضية ٢ : ١٥١ والمنتظم ٧ : ١٧٨ وعبر الذهبي ٣ : ٢٧ والنجوم الزاهرة ٤ : ١٦٨ والشذرات ٣ : ١١٢ .

١ انظر ج ٣ : ٣٦٦ .

٢ وذكر . . . عمر : سقط من س ن لي ت .

٣ ل ر : نشوان .

يحيى بن عثمان النسوي[1] وطبقتهم ، ونزل ببغداد وأقام بها ، وحدث إلى حين وفاته وكان سماعه صحيحاً ، وكان أديباً شاعراً أخبارياً ، وكان أول سماعه الحديث في سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة،وأول ما تقلّد القضاء من قبل أبي السائب عتْبَة بن عبيد الله بالقصر وبابل وما والاهما في سنة تسع وأربعين ، ثم ولاه الإمام المطيع لله القضاء بعسكر مكرم وإيدج ورامهرمز ، وتقلد بعد ذلك أعمالاً كثيرة في نواح مختلفة .

ومن شعره في بعض المشايخ وقد خرج يستسقي وكان في السماء سحاب ، فلما دعا أصْحَتِ السماء ، فقال أبو علي التنوخي :

خرجنا لنستسقي بيُمْنِ دعائه وقد كاد هُدْبُ الغَيم أن يَلحف[2] الأرضا
فلما ابتدا يدعو تكشفت السما فما تم إلا والغمامُ قد انفَضّا

ولبعضهم في المعنى وهو أبو الحسين سليمان بن محمد بن الطراوة النحوي الأندلسي المالقي[3] في هذا المعنى :

خرجوا ليستسقوا وقد نجمت غربية قَمِنٌ بها السَّحُّ
حتى إذا اصطفوا لدعوتهم وبدا لأعينهم بها رشْح
كُشِفَ السحابُ إجابةً لهمُ فكأنهم خرجوا ليستصحوا

ومن المنسوب إليه أعني القاضى التنوخي[4] :

قل للمليحةِ في الخمار المذْهَبِ أفسدْتِ نسكَ أخي التقي المترهبِ
نور الخمار ونور خدكِ تحته عَجَباً لوجهِك كيف لم يتلَهَّب

---

١ ل س لي : الفسوي ؛ ر : الفسولي ؛ بر : القسموي .
٢ المختار ؛ بر : يلحق .
٣ ل ر والمختار : المالكي ؛ وانظر ترجمة ابن الطراوة في المقتضب من التحفة : ١١ والمغرب ٢ : ٢٠٨ والتكملة لابن الأبار (رقم : ١٩٧٩) وبغية الوعاة : ٢٦٣ والنفح ٣ : ٣٨٤ وبغية الملتمس رقم : ٢٩٠ .
٤ أعني القاضي التنوخي : زيادة من ر ل ؛ وهي زيادة لازمة .

وجمعت بين المذهبين فلم يكن للحسن عن ذهبيها من مذهب
وإذا أتَتْ عينٌ لتسرق نظرةً قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي

وما ألطف قوله « اذهبي لا تذهبي » . وقد أذكرتني هذه الأبيات في الخمار المذهب حكايةٌ وقفت عليها منذ زمان بالموصل ، وهي أن بعض التجار قــدم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه حمل من الخُمُرِ السود ، فلم يجد لها طالباً ، فكسدت عليه وضاق صدره ، فقيل له : ما ينفّقـُها لك إلا مسكين الدارمي ، وهو من مجيدي الشعراء الموصوفين بالظرف والخلاعــة ، فقصَدَهُ فوجده قد تزهد وانقطع في المسجد ، فأتاه وقص عليه القصة ، فقال : وكيف أعمل وأنا قد تركت الشعر وعكفت على هذه الحال؟ فقال له التاجر : أنا رجل غريب ، وليس لي بضاعة سوى هذا الحمل ، وتضرع إليه ، فخرج من المسجد وأعاد لباسه الأول وعمل هذين البيتين وشهرهما وهما :

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا أردتِ بناسكٍ متعبد
قد كان شمَّر للصلاة ثيابَهُ حتى قعدتِ له بباب المسجد[1]

فشاع بين الناس أن مسكيناً الدارمي قد رجع إلى ما كان عليه ، وأحبّ واحدة ذات خمار أسود ، فلم يبق بالمدينة ظريفة إلا وطلبت خماراً أسود ، فباع التاجر الحمل الذي كان معه بأضعاف ثمنه ، لكثرة رغباتهم فيه ، فلما فرغ منه عاد مسكين إلى تعبده وانقطاعه .

وكتب القاضي أبو علي التـَّنـُوخي المذكور إلى بعض الرؤساء في شهر رمضان:

نلتَ في ذا الصِّيام ما تَشْتَهيه وكفــاك الإله ما تَتَّقيهِ
أنتَ في الناس مثلُ شهركَ في الأشـ ـهر ، بَلْ مثلُ ليلةِ القَدْر فيه

---

١ زاد في ن بيتاً ثالثاً وهو :

ردي عليه ثيابــه ووقاره لا تقتليه بحق آل محمد

ولذلك قال قبل الأبيات : وعمل هذه الأبيات الثلاثة وأشهرهم .

وله أشياء فائقة .

وكانت ولادته ليلة الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين وثلثمائة بالبصرة . وكانت وفاته ليلة الاثنين ، لخمس بقين من المحرم سنة أربع وثمانين وثلثمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى .

(164) وأما ولده أبو القاسم علي بن المحسّن بن عليّ التّنُوخي فكان أديباً فاضلاً له شعر لم أقف منه على شيء ، وكان يصحب أبا العلاء المعري وأخذ عنه كثيراً ، وكان يروي الشعر الكثير ، وهم أهل بيت كلهم فضلاء أدباء ظرفاء ، وكانت ولادة الولد المذكور في منتصف شعبان سنة خمس وستين وثلثمائة بالبصرة ، وتوفي في يوم الأحد مستهل المحرم سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ، وكانت بينه وبين الخطيب أبي زكرياءَ التبريزي مؤانسة واتحاد بطريق أبي العلاء المعري وذكره الخطيب في « تاريخ بغداد »[1] وعَدّد شيوخه الذين روى عنهم ، ثم قال : وكتبت عنه ، وذكر مولده ووفاته كما هو هاهنا ، لكنه قال : إن وفاته كانت ليلة الاثنين ثاني المحرم ، ودفن يوم الاثنين في داره بدرب التل ، وإنه صلى على جنازته ، وإن أول سماعه كان في شعبان سنة سبعين ، وكان قد قبلت شهادته عند الحكام في حداثته ، ولم يزل على ذلك مقبولاً إلى آخر عمره ، وكان متحفظاً في الشهادة محتاطاً صدوقاً في الحديث ، وتقلد قضاء نواح عدة ، منها المدائن وأعمالها ودورنجان[2] والبردان وقرميسين وغير ذلك .

وقد سبق الكلام على التنوخي .

والمحسّن : بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر السين المهملة المشددة ، وبعدها نون .

وإليه كتب أبو العلاء المعري قصيدته التي أولها :

هاتِ الحديثَ عن الزوراء أو هِيتا[3]

---

١ تاريخ بغداد ١٢ : ١١٥ . ٢ ر وهامش ل : أذربيجان .

٣ شروح السقط : ١٥٩٣ ، وعجز البيت : وموقد النار لا تكرى بتكريتا ؛ وكان أبو القاسم هذا قد حمل إلى أبي العلاء وهو ببغداد جزءاً من شعر تنوخ فخلفه المعري حين عاد إلى بلده عند =

٥٥٨

الإمام الشافعي

الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، القرشي المطلبي الشافعي، يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد منـــاف المذكور، وباقي النسب إلى عدنان معروف؛ لقي جدُّه شافعٌ رسول الله صلى الله عليـــه وسلم وهو مترعرع، وكان أبوه السائب صاحب راية بني هاشم يوم بدر، فأسِر وفَـدَى نفسه ثم أسلم، فقيل له: لمَ لم تسلم قبل أن تفدي نفسك؟ فقال: ما كنت أحرم المؤمنين مطمعاً لهم فيّ.

وكان الشافعي كثير المناقب جم المفاخر منقطع القرين، اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله وسنـّة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة رضي الله عنهم وآثارهم، واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة والعربية والشعر – حتى إن الأصمعي مع جَلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه أشعار الهُذَليين – ما لم يجتمع في غيره، حتى قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه: ما عرفـْتُ ناسخَ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي؛ وقال أبو عبيد القاسم بن سَلاَّم: ما رأيت رجلاً قط أكمل من الشافعي؛ وقال عبد الله بن أحمد

= عبد السلام البصري خازن دار العلم، ثم خشي أن يكون عبد السلام قد غفل عن رد الجزء إلى صاحبه فكتب إلى أبي القاسم هذه القصيدة.

٥٥٨ – تكاد مصادر ترجمته لا تحصر، ولكن نشير منها إلى طبقات السبكي (ج ١)؛ وطبقات الشيرازي: ٧١ ومعجم الأدباء ١٧: ٢٨١ وحلية الأولياء ٩: ٦٣ وتاريخ بغداد ٢: ٥٦ وطبقات الحنابلة ١: ٢٨٠ والفهرست: ٢٠٩ والديباج: ٢٢٧ وترتيب المدارك ١: ٣٨٢ وطبقات ابن هداية الله: ٢ وحسن المحاضرة ١: ١٢١ وتذكرة الحفاظ: ٣٦١ وتهذيب التهذيب ٩: ٢٥ وغاية النهاية ٢: ٩٥ وصفة الصفوة ٢: ١٤٠؛ وقد ألفت في سيرته كتب كثيرة.

ابن حنبل : قلت لأبي : أي رجل كان الشافعي ؟ فإني سمعتك تكثر من الدعاء له ، فقال : يا بني ، كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن ، هل لهذين من خلف أو عنهما من عِوَض ؟ وقال أحمد : ما بتُّ منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له ؛ وقال يحيى بن معين : كان أحمد بن حنبل ينهانا عن الشافعي ، ثم استقبلته يوماً والشافعي راكب بغلة وهو يمشي خلفه ، فقلت : يا أبا عبد الله ، تنهانا عنه وتمشي خلفه ؟ فقال : اسكت ، لو لزمت البغلة انتفعت.

وحكى الخطيب في « تاريخ بغداد » عن ابن عبد الحكم قال : لما حَمَلَتْ أم الشافعي به رأت كأن المشتري خرج من فرجها حتى انقَضَّ بمصر ، ثم وقع[1] في كل بلد منه شَظِيَّة ، فتأوّل أصحاب الرؤيا أنه يخرج منها[2] عالم يخص علمه أهل مصر ثم يتفرق في سائر البلدان .

وقال الشافعي : قدمت على مالك بن أنس وقد حفظت « الموطأ » فقال لي: أحضر من يقرأ لك ، فقلت : أنا قارىء ، فقرأت عليه الموطأ حفظاً ، فقال : إن يَكُ أحد يفلح فهذا الغلام . وكان سفيان بن عيينة إذا جاءه شيء من التفسير أو الفتيا التفت إلى الشافعي فقال : سلوا هذا الغلام . وقال الحميدي : سمعت زنجي[3] بن خالد - يعني مسلماً - يقول للشافعي : أفتِ يا أبا عبد الله فقد والله آن[4] لك أن تفتي ، وهو ابن خمس عشرة سنة[5] . وقال محفوظ بن أبي توبة البغدادي : رأيت أحمد بن حنبل عند الشافعي في المسجد الحرام ، فقلت : يا أبا عبد الله ، هذا سفيان بن عُيَينة في ناحية المسجد يحدّث ، فقال : إن هذا يفوت وذاك لا يفوت . وقال أبو حسان الزيادي : ما رأيت محمد بن الحسن يعظم أحداً من أهل العلم تعظيمَهُ للشافعي ، ولقد جاءه يوماً فلقيه وقد ركب

---

١ ن : فوقع .

٢ منها : ثبتت في ن وحدها .

٣ ن ر والمختار : الزنجي .

٤ ن : آن والله .

٥ علق الخطيب (٢ : ٦٤) على ذلك بقوله : وليس ذلك بمستقيم لأن الحميدي كان يصغر عن إدراك الشافعي وله تلك السن ؛ والحميدي المذكور هو عبد الله بن الزبير الحميدي .

محمد بن الحسن[1] ، فرجع محمد إلى منزله وخلا به يومه إلى الليل ، ولم يأذن لأحد عليه .

والشافعي أوّل من تكلم في أصول الفقه وهو الذي استنبطه ، وقال أبو ثور: من زعم أنه رأى مثلَ محمد بن إدريس في علمه وفصاحته ومعرفته وثباته وتمكنه فقد كذب ، كان منقطع القرين في حياته ، فلما مضى لسبيله لم يُعْتَضْ منه . وقال أحمد بن حنبل : ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي في رقبته مِنّةٌ . وكان الزعفراني يقول: كان أصحاب الحديث رُقوداً حتى جاء الشافعي فأيقظهم فتيقظوا . ومن دعائه : اللهم يا لطيفُ أسألك اللطفَ فيما جرت به المقادير ؛ وهو مشهور بين العلماء بالإجابة ، وأنه مجرب[2] . وفضائله أكثر من أن تعدد .

ومولده سنة خمسين ومائة ، وقد قيل إنه ولد في اليوم الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة[3] ، وكانت ولادته بمدينة غزة ، وقيل بعَسْقَلانَ ، وقيل باليمن ، والأوّل أصح ، وحمل من غزة إلى مكة وهو ابن سنتين فنشأ بها وقرأ القرآن الكريم ، وحديثُ رحلته إلى مالك بن أنس مشهور فلا حاجة إلى التطويل فيه ، وقدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة فأقام بها سنتين ، ثم خرج إلى مكة ، ثم عاد إلى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة فأقام بها شهراً ، ثم خرج إلى مصر ، وكان وصوله إليها في سنة تسع وتسعين ومائة ، وقيل سنة إحدى ومائتين . ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين ، ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى ، وقبره يزار بها بالقرب من المقطم ، رضي الله عنه .

قال الربيع بن سليمان المُرادي : رأيت هلال شعبان وأنا راجع من جنازته ؛ وقال : رأيته في المنام بعد وفاته فقلت : يا أبا عبد الله ، ما صنع الله بك ؟ فقال : أجلسني على كرسي من ذهب ، ونثر علي اللؤلؤ الرطب . وذكر الشيخ

---

١ ن : ولقد جاءه يوماً الشافعي فلقي محمد بن الحسن وقد ركب .

٢ ومن دعائه . . . مجرب : سقط من ن لي س بر .

٣ بهامش المختار : ولا يصح ، بل ولد في السنة التي توفي بها .

أبو إسحاق الشيرازي في كتاب «طبقات الفقهاء» ما مثاله : وحكى الزعفراني عن أبي عثمان ابن الشافعي قال : مات أبي وهو ابن ثمان وخمسين سنة[1] .

وقد اتفق العلماء قاطبة من أهل الحديث والفقه والأصول[2] واللغة والنحو وغير ذلك على ثقته وأمانته وعدالته وزهده وورَعِهِ ونزاهة عِرْضه وعفة نفسه وحسن سيرته وعلوّ قدره وسخائه .

وللإمام الشافعي أشعار كثيرة ، فمن ذلك ما نقلته من خط الحافظ أبي طاهر السِّلَفي رحمه الله تعالى :

إن الذي رُزِقَ اليَسار ولم يُصبْ ... حمداً ولا أجراً لَغَيرُ موفقِ
الجد يُدْني كلّ أمر شاسع ... والجد يفتح كل باب مغلق
وإذا سمعت بأن مجدوداً حوى ... عوداً فأثمر في يديه فصَدّق
وإذا سمعت بأن محروماً أتى ... ماء ليشربه فغاض فحقّق[3]
لو كانَ بالحِيلِ الغنى لوجدتني ... بنجومِ[4] أقطارِ السماءِ تَعَلُّقي
لكنّ من رُزِقَ الحجا حُرِمَ الغنى ... ضِدّانِ مفترقانِ أيّ تفرُّق
ومنَ الدليلِ على القضاءِ وكونِهِ ... بؤسُ اللبيبِ وطيبُ عَيشِ الأحمق

ومن المنسوب إليه أيضاً[5] :

ماذا يخبرُ ضَيفُ بيتكَ أهْلَهُ ... إن سِيلَ كيف معادُه ومعاجُهُ

---

١ وذكر الشيخ . . . سنة: سقط من ن لي س ت بر والمختار ، وانظر طبقات الشيرازي: ٧٢ .
٢ ر : العلم والفقه والحديث .
٣ هذا البيت مقدم على الذي قبله في ر مع تبادل في القافيتين .
٤ ل : بتخوم .
٥ لم ترد الأبيات في ر والمختار ؛ وعلق عليها بهامش س بقوله : حاش لله أن ينسب مثل هذا الشعر للإمام الشافعي أو إلى غيره من أئمة المسلمين ، وقد أنشده ابن السمعاني في الذيل لشخص يعرف بكنية غريبة لا استحضرها الآن ، ورد على حضرة الصاحب ابن عباد فلم ير منه براً فكتبه إليه فجاه واعتذر إليه وبره .

أيقولُ جاوزْتُ الفراتَ ولم أنَلْ ريّاً لديْهِ وقد طَغَتْ أمواجه
ورقيتُ في درجِ العُلا فتَضايقت عمّا أريدُ شِعــابُه وفِجاجه
ولَتُخبرَنَّ خصاصتي بتَمَلُّقي والماءُ يُخْبرُ عن قَذاهُ زُجاجه
عندي يواقيتُ القَريضِ ودُرُّهُ وعليَّ إكليلُ الكَـلامِ وتاجه
تربي على روْضِ الربا أزهارُهُ ويرفُّ في نادي النَّدى ديباجه
والشاعرُ المنطِيقُ أسودُ سالخ والشعرُ منْهُ لعابُــه ومُجاجه
وعـداوةُ الشعراءِ داءٌ معضلٌ ولقَدْ يَهُونُ على الكريمِ علاجه

ومن المنسوب إليه أيضاً :

رامَ نَفْعاً فضَرَّ من غيرِ قَصْدٍ ومن البرِّ مـا يكونُ عقُوقا

ومن المنسوب إلى الشافعي :

كلمـا أدبَني الدهـ رُ أراني نقصَ عقلي
وإذا ما ازْدَدْتُ علماً زادني علمـاً بجهْلي

وهو القائل :

ولوْلا الشّعرُ بالعلمــاءِ يُزري لكنتُ اليومَ أشعَرَ من لَبيدِ

وقال الشافعي رضي الله عنه : تزوجت امرأة من قريش بمكة ، وكنت أمازحها فأقول :

ومن البَلِيَّةِ أن تحـ ـبَّ فلا يحبُّك من تحبُّهْ

فتقول هي :

ويَصُدُّ عنكَ بوجهِـ ـهِ وتلجُّ أنتَ فلا تَغِبُّه[1]

وأخبرني أحد المشايخ الأفاضل أنه عمل في مناقب الشافعي ثلاثة عشر تصنيفاً.

---

[1] وقال الشافعي . . . تغبه : سقط من ت .

ولما مات رثاه خلق كثير، وهذه المرثية منسوبة إلى أبي بكر محمد بن دُرَيْد صاحب المقصورة، وقد ذكرها الخطيب في «تاريخ بغداد» وأولها:

[بملتفتيه للمشيب طوالعُ ... زواجرُ عن ورد التصابي روادعُ
تصرّفه طَوْعَ العنان وربما ... دعاه الصّبا فاقتاده وهو طائع
ومن لم يَزَعْهُ لبُّه وحياؤُهُ ... فليس له من شيبِ فَوْديه وازع
هل النافر المدعوُّ للحظّ راجعٌ ... أم النصحُ مقبولٌ أم الوعظ نافع
أم الهَمِكُ المغمومُ بالجمع عالمٌ ... بأنّ الذي يُوعي من المالِ ضائع
وأن قصاراه على فرط ضَنّه ... فراقُ الذي أضحى له وهو جامع
ويخمل ذكر المرء ذي المال بعده ... ولكنّ جمعَ العلم للمرء رافع][1]
ألم تر آثار ابن إدريس بعدَهُ ... دلائلُها في المشكلات لوامع
معالمُ يَفْنى الدّهرُ وهي خوالدٌ ... وتنخفضُ الأعلامُ وهي فوارِع
مناهجُ فيها للهدى مُتَصَرَّفٌ ... مواردُ فيها للرشادِ شرائع
ظواهِرُها حُكمٌ ومُستبطَناتُها[2] ... لِما حَكَمَ التفريقُ فيه جوامع
لرأي ابن إدريسَ ابن عم محمدٍ ... ضياءٌ إذا ما أظلمَ الخطبُ ساطِع
إذا المفْظِعات المشكلات تشابهت ... سَما منه نورٌ في دجاهنّ لامع
أبى الله إلا رَفْعَهُ وعُلُوَّهُ ... وليسَ لما يُعْليه ذو العرش واضع
توخّى الهدى واستنقذته يد التقى ... من الزيغِ إن الزيغَ للمرءِ صارع
ولاذَ بآثار الرسولِ فحكمُهُ ... لحكم رسول الله في الناسِ تابع
وعوّلَ في أحكامِهِ وقضائِهِ ... على ما قضى في الوحي والحق ناصع
[بطيء عن الرأي المخوف التباسه ... إليه إذا لم يخشَ لبساً مسارع
وأنشا له منشيه من خيرِ معدنٍ ... خلائقَ هنّ الباهراتُ البوارع][3]

---

1 ما بين معقفين زيادة من ر؛ وفي النسخ «فمنها قوله» بدل «أولها» – كما في المختار –.

2 بر لي ن ت، والمختار: ومستنبطاتها.

3 البيتان زيادة من ر؛ وموضعهما في النسخ الأخرى «ومنها».

تَسَرْبَلَ بالتقوى وليداً وناشِئاً وخُصَّ بلُبٍّ الكهل مُذْ هُو يافع
وهذَّبَ حتى لم تُشِرْ بفضيلة إذا التمَسَتْ إلا إليه الأصابع
فمن يكُ علمُ الشافعي إمامَهُ فمرتَعُهُ في ساحة العلم واسِع
سلامٌ على قبرٍ تَضَمَّنَ جِسْمَهُ وجادت عليه المدْجِناتُ الهَوامِع
لقد غيبَتْ أثراؤُهُ جسمَ ماجدٍ جليلٍ إذا التفتْ عليه المجامِع
لئن فجَعَتْنا الحادثاتُ بشخصه لهنّ لما حكمن فيه فواجِع
فأحكامُه فينا بدورٌ زواهرٌ وآثارُهُ فينا نجومٌ طوالِع

وقد يقول القائل : إن ابن دُرَيْد لم يدرك الشافعي ، فكيف رثاه ؟ لكنه يجوز أن يكون رثاه بعد ذلك ، فما فيه بُعْدٌ ، فقد رأينا مثل هذا في حق غيره ، مثل الحسين ، رضي الله تعالى عنه ، وغيره .

٥٥٩

محمد بن الحنفية

أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، المعروف بابن الحنفية؛ أمه الحنفية خَوْلَةُ بنت جعفر بن قيس بن سلمة بن ثعلبة بن يَرْبُوع بن ثعلبة ابن الدول بن حنيفة بن لُجَيم ، ويقال بل كانت من سبي اليمامة ، وصارت إلى علي رضي الله عنه ، وقيل بل كانت سندية سوداء ، وكانت أمة لبني حنيفة ولم تكن منهم ، وإنما صالحهم خالد بن الوليد على الرقيق، ولم يصالحهم على أنفسهم. وذكر البغوي في كتاب « شرح السنة » في باب قتال مانعي الزكاة أن طائفة

٥٥٩ – ترجمته في طبقات ابن سعد ٥ : ٩١ وأنساب الأشراف ٥ : ٢١٤ – ٢٢٣ ، ٢٦٠ – ٢٧٣ وحلية الأولياء ٣ : ١٧٤ وطبقات الشيرازي: ٦٢ والبدء والتاريخ ٥ : ٧٥ والمعارف : ٢١٦ وصفة الصفوة ٢ : ٤٢ .

ارتدوا عن الدين وأنكروا الشرائع وعادوا إلى مـــا كانوا عليه من الجاهلية ، واتفقت الصحابة على قتالهم وقتلهم، ورأى أبو بكر رضي الله عنه سبي دراريهم ونسائهم ، وساعده على ذلك أكثر الصحابة ، واستولد علي رضي الله عنه جارية من سبي بني حنيفة فولدت له محمد بن علي الذي يدعى محمد بن الحنفية ، ثم لم ينقرض عصر الصحابة حتى أجمعوا[1] على أن المرتد لا يُسبى[2] .

وأما كنيته بأبي القاسم فيقال إنها رخصة من رسول الله ، صلى الله عليـه وسلم ، وإنه قال لعلي رضي الله عنه : سيولد لك بعدي غلام وقد نَحَلْته اسمي وكنيتي ولا تحل لأحد من أمتي بعده . وممن يسمّى محمداً ويكنى أبا القاسم : محمد بن أبي بكر الصديق ، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن عبد الرحمن بن عوف ، ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ، ومحمد بن حاطب بن أبي بَلْتَعَةَ ، ومحمد بن الأشعث بن قيس .

وكان محمد المذكور كثير العلم والورع، وقد ذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في « طبقات الفقهاء »[3]. وكان شديد القوّة، وله في ذلك أخبار عجيبة ، منها ما حكاه المبرد في كتاب « الكامل »[4] أن أباه علياً ، رضي الله عنه ، استطال دِرْعاً كانت له ، فقال : لينقص منها كذا وكذا حلقة ، فقبض محمد إحدى يديه على ذيلها والأخرى[5] على فضلها ، ثم جَذَبَها فقطع من الموضع الذي حده أبوه. وكان عبد الله بن الزبير إذا حُدّث بهذا الحديث غضب واعتراه إفكل، وهو الرعدة، لأنه كان يحسده على قوّته ، وكان ابن الزبير أيضاً شديدَ القوى .

ومن قوّته أيضاً ما حكاه المبرد[6] في كتابه أن ملك الروم في أيام معـاوية وجه إليه : إن الملوك قبلك كانت تُراسل الملوك منا ، ويجهد بعضهم أن

---

[1] المختار : اجتمعوا .

[2] وذكر البغوي . . . لا يسبى : سقط من س ن لي ت بر .

[3] انظر طبقات الشيرازي : ٦٢ .

[4] الكامل ٣ : ٢٦٦ .

[5] الكامل : بإحدى . . . وبالأخرى ، وهو موافق لما في ن .

[6] الكامل ٢ : ١١٤ .

يُغْرِب على بعض ، أفتأذن في ذلك ؟ فأذن له ، فوجه إليه برجلين أحدهما طويل جسيم ، والآخر أيّدٌ ، فقال معاوية لعمرو بن العاص : أما الطويل فقد أصبنا كفؤه ، وهو قيس بن سعد بن عُبادة رضي الله عنه ، وأما الآخر الأيّد فقد احتجنا إلى رأيك فيه ، فقال عمرو : هاهنا رجلان كلاهما إليك بَغيضٌ : محمد بن الحنيفة وعبد الله بن الزبير ، فقال معاوية : من[1] هو أقرب إلينا على كل حال ، فلما دخل الرجلان وجّهَ إلى قيس بن سعد بن عبادة يعلمه ، فدخل قيس ، فلما مثل بين يدي معاوية نزع سراويله ، فرمى بها إلى العلج فلبسها فبلغت ثَنْدُوَتَه[2] ، فأطرق مغلوباً ، فقيل إن قيساً لاموه في ذلك ، وقيل له: لِمَ تبذّلْتَ هذا التبذل بحضرة معاوية ؟ هلا وجهت إليه غيرها ؟ فقال :

أردت لكيما يعلم الناس أنها سراويلُ قيس والوفودُ شهودُ
وأن لا يقولوا غابَ قَيسٌ وهذهِ سراويلُ عاديٍّ نَمَتْهُ ثمود
وإني من القوم اليمانين سيدٌ وما الناس إلا سيدٌ ومسود
وبَذّ جميع الخلق أصلي ومنصبي وجسمٌ به أعلو الرجالَ مَديد

ثم وجه معاوية إلى محمد بن الحنفية فحضر ، فخبر بما دعي له ، فقال : قولوا له إن شاء فليجلس وليعطني يده حتى أقيمه أو يقعدني ، وإن شاء فليكن القائم وأنا القاعد ، فاختار الرومي الجلوس فأقامه محمد ، وعجز الرومي عن إقعاده ، ثم اختار أن يكون محمد هو القاعد ، فجذبه محمد فأقعده ، وعجز الرومي عن إقامته ، فانصرفا مغلوبين .

وكانت راية أبيه يوم صفين[3] بيده ، ويحكى أنه توقف أول يوم في حَمْلها لكونه قتال المسلمين ، ولم يكن قبل ذلك شهد مثاله[4] ، فقال له علي رضي الله عنه : هل عندك شك في جيش مقدمه أبوك ؟ فحملها . وقيل لمحمد : كيف كان

---

[1] س : مر من .
[2] الثندوة : ما اسود حول الحلمة .
[3] ر والمختار : يوم الجمل .
[4] ر ن ت بر : مثله .

أبوك يُقحِمك المهالك ويولجك المضايق دون أخويك الحسن والحسين ؟ فقال : لأنهما كانا عينيه ، وكنتُ يديه ، فكان يقي عينيه بيديه .

ومن كلامه : ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بُدّاً حتى يجعل الله له فرجاً .

ولما دعا ابن الزبير إلى نفسه وبايعه أهل الحجاز بالخلافة دعا عبد الله بن العباس ومحمد بن الحنفية رضي الله عنهما إلى البيعة ، فأبَيا ذلك وقالا : لا نبايعك حتى تجتمع لك البلاد ، ويتفق الناس ، فأساء جوارهم وحَصَرهم وآذاهم ، وقال لهم[1] : لئن لم[2] تبايعا أحرقتكما بالنار ، والشرحُ في ذلك يطول .

وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وتوفي رحمه الله في أول المحرم سنة إحدى وثمانين للهجرة ، وقيل سنة ثلاث وثمانين ، وقيل سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين بالمدينة ، وصلى عليه أبانُ بن عثمان بن عفان ، وكان والي المدينة يومئذ ، ودفن بالبقيع ، وقيل إنه خرج إلى الطائف هارباً من ابن الزبير فمات هناك ، وقيل إنه مات ببلاد أيلة .

والفرقة الكَيْسانية تعتقد إمامته وأنه مقيم بجبل رَضْوَى ، وإلى هذا أشار كُثَيّر عزة بقوله من جملة أبيات ، وكان كيساني الاعتقاد[3] :

وسِبْطٌ لا يذوقُ الموتَ حتّى ... يقودَ الخيلَ يقدمها اللواءُ
تَغَيّبَ لا يُرى فيهم زماناً ... برَضْوَى عندَه عَسَلٌ وماءُ

وكان المختار بن أبي عُبَيد الثقفي يدعو الناس إلى إمامة محمد بن الحنفية ، ويزعم أنه المهدي ، وقال الجوهري في كتاب « الصحاح »[4] : كَيسان لقب

---

١ كذا في جميع النسخ ما عدا بر ، بصيغة الجمع .
٢ س لي ل : والله إن لم .
٣ نسب البيتان لكثير في أكثر المصادر (عيون الأخبار ٢ : ١٤٤ والشعر والشعراء : ٤٢٣ والأغاني ٩ : ١٤ ومروج الذهب ٣ : ٨٧ وغيرها) وقال أبو الفرج في الأغاني ٧ : ٢٣٨ الأبيات للسيد الحميري وأضاف : وهذه الأبيات بعينها تروى لكثير .
٤ الصحاح ٢ : ٩٧٠ (كيس) .

المختار المذكور ، وقال غيره : كيسان مولى علي رضي الله عنه . والكيسانية يزعمون أنه مقيم برضوى في شعب منه ولم يمت ، دخل إليه ومعه أربعون من أصحابه ، ولم يُوقَفْ لهم على خبر وهم أحياء يرزقون ، ويقولون إنه مقيم في هذا الجبل بين أسد ونمر ، وعنده عينان نَضّاختان تجريان عسلاً وماء ، وإنه يرجع إلى الدنيا فيملؤها عدلاً[1] .

وكان محمد يخضب بالحناء والكَتَم وكان يتختم في اليسار ، وله أخبار مشهورة ، رضي الله عنه ، وانتقلت إمامته إلى ولده أبي هاشم عبد الله ومنه إلى محمد بن علي والد السفاح والمنصور ، كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى[2] .

ورَضْوَى : بفتح الراء وبعدها ضاد معجمة وبعد الواو ألف ؛ قال ابن جرير الطبري في تاريخه الكبير في سنة أربع وأربعين ومائة : رضوى جبل جهينة ، وهو في عمل ينبع ، وقال غيره : بينهما مسيرة يوم واحد ، وهو من المدينة على سبع مراحل ميامنة طريق المدينة ومياسرة طريق البر لمن كان مُصْعِداً إلى مكة وهو على ليلتين من البحر ، والله أعلم . ومن رضوى تحمل حجارة المسن إلى سائر الأمصار ، قاله ابن حوقل في كتابه « المسالك والممالك »[3] .

وذكر أبو اليقظان[4] في كتاب « النسب » أن ابن الحنفية له ابن اسمه الهيثم[5] وكان مُؤَخَّذاً عن مسجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لا يقدر أن يدخله ، والأخيذ في اللغة : الأسير ، والأُخْذَة - بضم الهمزة - رقية كالسحر ، فكأنه كان مسحوراً .

---

١ وكان المختار . . . عدلا : سقط من ن س لي ت بر .

٢ إلى هنا تنتهي الترجمة في ن س لي ت بر .

٣ صورة الأرض : ٤٠ ؛ وقد وقعت هذه العبارة « من رضوى . . . والممالك » في آخر الترجمة في ر .

٤ قيل إن اسمه عامر بن حفص ولقبه سحيم ولذلك يقال في الرواية عنه : حدثنا أبو اليقظان وإذا قيل سحيم بن حفص وعامر بن حفص وعامر بن أبي محمد وعامر بن الأسود وسحيم بن الأسود وعبيد الله بن حفص وأبو إسحاق فكل ذلك يشير إليه (انظر الفهرست : ٩٤) .

٥ المختار : اسمه القاسم .

٥٦٠

محمد الباقر

أبو جعفر محمد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، الملقب الباقر ؛ أحد الأئمة الاثني عشر في اعتقاد الإمامية ، وهو والد جعفر الصادق — وقد تقدم ذكره[1] .

كان الباقر عالماً سيداً كبيراً ، وإنما قيل له الباقر لأنه تبقّر في العلم ، أي توسع ، والتبقر : التوسع ، وفيه يقول الشاعر :

يا باقر العلمِ لأهـلِ التقى   وخيرَ مَنْ لبّى على الأجْبُلِ

ومولده يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة سبع وخمسين للهجرة ، وكان عمره يوم قتل جده الحسين ، رضي الله عنه ، ثلاث سنين ، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه . وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومائة ، وقيل في الثالث والعشرين من صفر سنة أربع عشرة ، وقيل سبع عشرة ، وقيل ثمان عشرة بالحُمَيْمةِ . ونقل إلى المدينة ودفن بالبقيع في القبر الذي فيه أبوه وعم أبيه الحسن بن علي رضي الله عنهم ، في القبة التي فيها قبر العباس رضي الله عنه .

وقد تقدم الكلام على الحميمة في ترجمة علي بن عبد الله بن العباس .

---

٥٦٠ — انظر الأئمة الإثنا عشر : ٨١ ومصادر ترجمته في الصفحة المقابلة .

١ انظر ج ١ : ٣٢٧ .

٥٦١

محمد الجواد

أبو جعفر محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر المذكور قبله ، المعروف بالجَواد ، أحد الأئمة الاثني عشر أيضاً . قدم إلى بغداد وافداً على المعتصم ، ومعه امرأته أم الفضل ابنة المأمون ، فتوفي بها ، وحملت امرأته إلى قصر عمها المعتصم فجعلت مع الحرم .

وكان يروي مسنداً عن آبائه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ، فقال لي وهو يوصيني : يا علي ، ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ، يا علي ، عليك بالدُّلجَة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ، يا علي اغدُ باسم الله فإن الله بارك لأمتي في بكورها . وكان يقول : من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة .

وقال جعفر بن محمد بن مزيد[1] : كنت ببغداد فقال لي محمد بن منده بن مهريزد : هل لك أن أدخلك على محمد بن علي الرضا ؟ فقلت : نعم ، قال : فأدخلني عليه ، فسلمنا وجلسنا ، فقال له : حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فاطمة رضي الله عنها أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار ، قال: ذلك خاص بالحسن والحسين رضي الله عنهما . وله حكايات وأخبار كثيرة .

وكانت ولادته يوم الثلاثاء خامس شهر رمضان ، وقيل منتصفه ، سنة خمس وتسعين ومائة . وتوفي يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي الحجة سنة عشرين ومائتين ، وقيل تسع عشرة ومائتين ببغداد ، ودفن عند جده موسى بن جعفر ، رضي الله عنهم أجمعين ، في مقابر قريش ، وصلى عليه الواثق بن المعتصم .

---

٥٦١ — ترجمته في الأئمة الاثنا عشر : ١٠٣ ومصادر ترجمته مثبتة على الصفحة المقابلة .

١ بر : مرثد ؛ ن : يزيد .

٥٦٣

أبو القاسم المنتظر

أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد المذكور قبله ؛ ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الامامية ، المعروف بالحُجَّة ، وهو الذي تزعم الشيعة أنه المنتظر والقائم والمهدي ، وهو صاحب السَّرْداب عندهم، وأقاويلهم فيه كثيرة ، وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب بسُرَّ من رأى . كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ، ولما توفي أبوه – وقد سبق ذكره[١] – كان عمره خمس سنين ، واسم أمه خمط ، وقيل نرجس ، والشيعة يقولون : إنه دخل السرداب في دار أبيه وأمُّه تنظر إليه ، فلم يعدْ يخرج إليها ، وذلك في سنة خمس وستين ومائتين ، وعمره يومئذ تسع سنين .

وذكر ابن الأزرق في « تاريخ مَيّافارقين » أن الحجة المذكور ولد تاسع شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائتين، وقيل في ثامن شعبان سنة ست وخمسين، وهو الأصح ، وأنه لما دخل السرداب كان عمره أربع سنين ، وقيل خمس سنين، وقيل إنه دخل السرداب سنة خمس وسبعين ومائتين وعمره سبع عشرة سنة ، والله أعلم أي ذلك كان ، رحمه الله تعالى .

---

٥٦٢ – انظر الأئمة الاثنا عشر : ١١٧ والصفحة المقابلة .

١ انظر ج ١ : ٩٤ .

٥٦٣

الزهــري

أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبـــد الله بن الحارث بن زُهْرَةَ الزهري أحد الفقهاء والمحدثين ، والأعلام التابعين بالمدينة ، رأى عشرة من الصحابة رضوان الله عليهم ، وروى عنه جماعة من الأئمة: منهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري . وروي عن عمرو بن دينار أنه قال : أي شيء عند الزهري ؟ أنا لقيت ابن عمر ولم يلقه ، وأنا لقيت ابن عباس ولم يلقه ، فقدم الزهري مكة فقال عمرو: احملوني إليه ، وكان قد أُقعد، فحمل إليه ، فلم يأت إلى أصحابه إلا بعد ليل ، فقالوا له : كيف رأيت ؟ فقال : والله ما رأيت مثل هذا الفتى القرشي قط . وقيل لمكحول : مَنْ أعلم من رأيت ؟ قال : ابن شهاب ، قيل له : ثم من ؟ قال : ابن شهاب ، قيل له : ثم من ؟ قال : ابن شهاب . وكان قد حفظ علم الفقهاء السبعة . وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى الآفاق : عليكم بابن شهاب ، فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه .

وحضر الزهري يوماً مجلس هشام بن عبد الملك وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذَكْوان فقال له هشام : أي شهر كان يخرج العطاء فيه لأهل المدينة ؟ فقال الزهري: لا أدري، فسأل أبا الزناد عنه فقال : في المحرم ، فقال هشام للزهري: يا أبا بكر ، هذا علم استفدتَهُ اليوم ، فقال : مجلسُ أمير المؤمنين أهل أن يستفاد منه العلم . وكان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله ، فيشتغل بها عن

---

٥٦٣ – ترجمته في المعارف : ٤٧٢ وحلية الأولياء ٣ : ٣٦٠ وطبقات الشيرازي : ٦٣ ومعجم المرزباني : ٣٤٥ وصفة الصفوة ٢ : ٧٧ وميزان الاعتدال ٤ : ٤٠ وتهذيب التهذيب ٩ : ٤٤٥ وغاية النهاية ٢ : ٢٦٢ والشذرات ١ : ١٦٢ .

كل شيء من أمور الدنيا ، فقالت له امرأته يوماً : والله لَهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر .

وكان أبو جده عبد الله بن شهاب شهد مع المشركين بَدْرا، وكان أحد النفر الذين تعاقدوا يوم أحد لئن رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلُنَّه أو ليقتَلُنَّ دونه ؛ وروي أنه قيل للزهري : هل شهد جدك بدراً ؟ فقال : نعم، ولكن من ذلك الجانب ، يعني أنه كان في صف المشركين . وكان أبوه مسلم مع مصعب بن الزبير ، ولم يزل الزهري مع عبد الملك ثم مع هشام بن عبد الملك ، وكان يزيد بن عبد الملك قد استقضاه .

وتوفي ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة ، وقيل ثلاث وعشرين ، وقيل خمس وعشرين ومائة[1] ، وهو ابن اثنتين – وقيل ثلاث – وسبعين سنة ؛ وقيل مولده سنة إحدى وخمسين للهجرة، والله أعلم ، ودفن في ضيعته أداميَ – بفتح الهمزة والدال المهملة وبعد الألف ميم مفتوحة وياء مفتوحة أيضاً – وقيل : أدمي ، مثل الأول لكنها بغير ألف ، وهي خلف شَغْب وبدا ، وهما واديان – وقيل قريتان – بين الحجاز والشام في موضع هو آخر عمل الحجاز وأول عمل فلسطين . وذكر في كتاب « التمهيد » أنه مات في بيته بنَعْف ، وهي قرية عند القرى المذكورة ، وماتت بها أيضاً أم حَزْرة زوجة جرير ، فقال من أبيات :

نعم القرين وكنتِ عِلْقَ مَضِنّةٍ واري بنَعْفِ بليَّةَ الأحجارُ

وقبره على الطريق ليدعو له كل من يمر عليه ، رضي الله عنه .

والزهري : بضم الزاي وسكون الهاء وبعدها راء ، هذه النسبة إلى زهرة ابن كلاب بن مرة ، وهي قبيلة كبيرة من قريش ، ومنها آمنة أمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلق كثير من الصحابة وغيرهم ، رضي الله عنهم[2] .

وشَغْب : بفتح الشين المعجمة وسكون الغين المعجمة وبعدها باء موحدة .

---

1 س ن ت لي بر : وقيل خمس ومائة .

2 هنا تنتهي الترجمة في ت .

وبَدا : بفتح الباء الموحدة والدال المهملة وبعدها ألف ، وفيهما يقول كثيّر عزة[1] :

وأنتِ الّتي حبّبْتِ شَغْباً إلى بَدا ... إليّ وأوطاني بلادٌ سواهما

إذا ذرَفَتْ عيناي أعتلُ بالقَذى ... وعَزّةُ لو يدري الطبيب قَذاهُما

وحَلّتْ بهذا حلة ثم أصبحت ... بهذا ، فطاب الواديان كلاهما

وهذا الشعر يدل على أنهما واديان ، لا قريتان والله أعلم .

٥٦٤

محمد بن أبي ليلى

محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار – ويقال داود بن بلال بن أحَيحة ابن الجُلاح الانصاري الكوفي – وقد سبق ذكر أبيه في حرف العين[2] ؛ كان محمد المذكور من أصحاب الرأي ، وتولى القضاء بالكوفة وأقام حاكماً ثلاثاً وثلاثين سنة ، ولي لبني أمية ثم لبني العباس وكان فقيهاً مفنّناً ، وقال : لا أعقل من شأن أبي شيئاً غير أني أعرف أنه كانت له امرأتان، وكان له حبان أخضران، فينبذ[3] عند هذه يوماً وعند هذه يوماً . وتفقه محمد بالشعبي، وأخذ عنه سفيان الثوري، وقال الثوري: فقهاؤنا ابن أبي ليلى وابن شبرمة. وقال محمد المذكور:

---

١ وردت الأبيات في ياقوت ٣ : ٣٠٢ والمغانم المطابة : ٢٠٥ وحماسة التبريزي ٣ : ١٤١ وشواهد المغني : ١٥٨ .

٥٦٤ – ترجمته في طبقات ابن سعد ٦ : ٣٥٨ والمعارف : ٤٩٤ وطبقات الشيرازي : ٨٤ والفهرست : ٢٠٢ والوافي ٣ : ٢٢١ وتذكرة الحفاظ : ١٧١ وميزان الاعتدال ٣ : ٦١٣ وغاية النهاية ٢ : ١٦٥ وتهذيب التهذيب ٩ : ١٠٣ والشذرات ١ : ٢٢٤ .

٢ انظر ج ٣ : ١٢٦ .

٣ ل س ن : فيبيت .

دخلتُ على عطاء فجعل يسألني، فانكر بعضُ مَنْ عنده وكلّمه في ذلك فقال: هو أعلم مني .

وكانت بينه وبين أبي حنيفة رضي الله عنه وَحْشَـة يسيرة ، وكان يجلس للحكم في مسجد الكوفة ؛ فيحكى أنه انصرف يوماً من مجلسه ، فسمع امرأة تقول لرجل : يا ابن الزانيين ، فأمر بها فأخذت ورجع إلى مجلسه ، وأمر بها فضربت حدين وهي قائمة . فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال : أخطأ القاضي في هذه الواقعة في ستة أشياء : في رجوعه إلى مجلسه بعد قيامه منه ، ولا ينبغي له أن يرجع بعد أن قام منه، وفي ضربه الحد في المسجد، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إقامة الحدود في المساجد ، وفي ضربه المرأة قائمة ، وإنما تضرب النساء قاعدات كاسيات[1] ، وفي ضربه إياها حدين ، وإنما يجب على القاذف إذا قذف جماعة بكلمة واحدة حد واحد ، ولو وجب أيضاً حدان لا يُوالي بينهما ، بل يضرب أولاً ثم يترك حتى يبرأ من ألم الأول[2] ، وفي إقامة الحد عليها بغير طالب[3] . فبلغ ذلك محمدَ بن أبي ليلى ، فسيّر إلى والي الكوفة وقال : هاهنا شاب يقال له أبو حنيفة يُعارضني في أحكامي ويُفتي بخلاف حكمي ويشنع[4] علي بالخطأ ، فأريد أن تزجره عن ذلك ، فبعث إليه الوالي ومنعه عن الفتيـــا ، فيقال إنه كان يوماً في بيته وعنده زوجته وابنه حماد وابنته ، فقالت له ابنته : إني صائمة وقد خرج من بين أسناني دم وبصقته حتى عاد الريق أبيض لا يظهـر عليه أثر الدم ، فهل أفطر إذا بلعت الآن الريق ؟ فقال لها : سلي أخاكِ حماداً فإن الأمير منعني من الفتيا. وهذه الحكاية معدودة في مناقب أبي حنيفة وحسن تمسكه بامتثال إشارة رب الأمر، فإن إجابته طاعة ، حتى إنه أطاعه في السر، ولم يردّ على ابنته جواباً ، وهذا غاية ما يكون من امتثال الأمر .

---

١ س ن ل لي ت بر : قعوداً كاسين .

٢ لي : من الألم الأول .

٣ في هامش ن تعليق يستفاد منه أن المترض على حكم ابن أبي ليلى هو امرأة مجنونة يقال لها أم عمران .

٤ ت بر : ويشيع .

وكانت ولادة محمد المذكور سنة أربع وسبعين للهجرة ؛ وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة بالكوفة ، وهو باق على القضاء ، فجعل أبو جعفر المنصور ابنَ أخيه مكانه ، رضي الله عنه .

٥٦٥

محمد بن سيرين

أبو بكر محمد بن سِيرين البصري ؛ كان أبوه عبداً لأنس بن مالك، رضي الله عنه ، كاتَبَهُ على أربعين ألف درهم ، وقيل عشرين ألفاً ، وأدّى المكاتبة . وكان من سبي مَيْسان ، ويقال من سبي عين التمر . وكان أبوه سيرين من أهل جَرْجَرايا ، وكنيته أبو عمرة[1] ، وكان يعمل قدور النحاس ، فجاء إلى عين التمر يعمل بها ، فسباه خالد بن الوليد رضي الله عنه في أربعين غلاماً مختتنين[2] ، فأنكرهم ، فقالوا : إنا كنا أهل مملكة ، ففرقهم في الناس . وكانت أمه صفية مولاة أبي بكر الصديق ، رضي الله عنـه ، طيبها ثلاث من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ودَعَوْن لها ، وحضر إملاكها ثمانية عشر بَدْريّاً فيهم أبيّ ابن كعب يدعو وهم يؤمنون . وروى محمد المذكور عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعمران بن حُصَيْن وأنس بن مالك ، رضي الله عنهم ، وروى عنه قتادة بن دعامة وخالد الحذاء وأيوب السختياني وغيرهم من الأئمة ،

---

٥٦٥ – ترجمته في طبقات ابن سعد ٧ : ١٩٣ وحلية الأولياء ٢ : ٢٦٣ والمعارف : ٤٤٢ وطبقات الشيرازي : ٨٨ وتاريخ بغداد ٥ : ٣٣١ وصفة الصفوة ٣ : ١٦٤ والوافي ٣ : ١٤٦ وتهذيب التهذيب ٩ : ٢١٤ والشذرات ١ : ١٣٨ .

١ لي ل س ن بر : أبو عمرو .

٢ كذا في ن ؛ ل س : مخثين ؛ لي بر : محنثين ؛ تاريخ بغداد : مختفين؛ المطبوعة المصرية : مجنبين ؛ وسقطت اللفظة من المختار .

وهو أحد الفقهاء من أهل البصرة ، والمذكور بالورع في وقته .

وقدم المدائن على عبيدة السلماني وقال : صليت معه ، فلما قضى صلاته دعا بغَداء، فأتي بخبز ولبن وسمن فأكل وأكلنا معه، ثم جلسنا حتى حضرت العصر، ثم قام عبيدة فأذن وأقام، ثم صلى بنا العصر ولم يتوضأ لا هو ولا أحد ممن أكل معنا فيما بين الصلاتين .

وكان محمد المذكور صاحب الحسن البصري ثم تهاجرا في آخر الأمر ، فلما مات الحسن لم يشهد ابنُ سيرين جنازتَه . وكان الشعبي يقول : عليكم بذلك الرجل الأصم ، يعني ابن سيرين ، لأنه كان في أذنه صَمَمٌ . وكانت له اليد الطُّولى في تعبير الرؤيا . وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ؛ وتوفي تاسع شوال يوم الجمعة سنة عشر ومائة بالبصرة ، بعد الحسن البصري بمائة يوم ، رضي الله عنهما .

وكان بزازاً ، وحُبس بدَيْنٍ كان عليه ، وولد له ثلاثون ولداً من امرأة واحدة عربية[1] ولم يبق منهم غير عبد الله، ولما مات كان عليه ثلاثون ألف درهم ديناً فقضاها ولده عبد الله ، فما مات عبد الله حتى قُوِّم ماله بثلثمائة ألف درهم.

وكان محمد المذكور كاتب أنس بن مالك بفارس . وكان الأصمعي يقول : الحسن البصري سيد سَمْح وإذا حدّث الأصم بشيء – يعني ابن سيرين – فاشدد يديك ، وقتادة حاطبُ ليل . قال ابن عوف : لما مات أنس بن مالك أوصى أن يصلي عليه ابن سيرين ويغسله ، قال : وكان ابن سيرين محبوساً ، فأتوا الأمير – وهو رجل من بني أسد – فأذن له ، فخرج فغسله وكفنه وصلى عليه في قصر أنس بالطّفّ ، ثم رجع فدخل كما هو إلى السجن ، ولم يذهب إلى أهله .

قلت : وذكر عمر بن شبة في كتاب « أخبار البصرة » أن الذي غسّل أنس بن مالك هو قطن بن مدرك الكلابي والي البصرة ، وكذلك قال أبو اليقظان[2] .

---

١ زاد في المطبوعة المصرية : وإحدى عشرة بنتاً ؛ ولم ير ذلك في النسخ الخطية .

٢ قال ابن عوف ... اليقظان : ورد في ر ، وبشيء يسير من الإيجاز في المختار .

ومَيْسان : بفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وبعد الألف نون ، وهي بُليدة بأسفل أرض البصرة .
وعين التمر : قد سبق الكلام عليها .

٥٦٦

ابن أبي ذئب

أبو الحارث محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب ، واسمه هشام ، بن شعبة بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ابن عامر بن لؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[1]، القرشي العامري المدني؛ أحد الأئمة المشاهير ، وهو صاحب الإمام مالك رضي الله عنه وكانت بينهما ألفة أكيدة ومودة صحيحة . ولما قدم مالك على أبي جعفر المنصور سأله : مَنْ بقي بالمدينة من المشيخة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين، ابن أبي ذئب وابن أبي سلمة وابن أبي سبرة . وكان أبوه قد أتى قيصر فسُعي به ، فحبسه حتى مات في حبسه .

وتوفي أبو الحارث المذكور في سنة تسع وخمسين ، وقيل ثمان وخمسين ومائة بالكوفة ، رضي الله عنه ؛ ومولده في المحرم سنة إحدى وثمانين للهجرة ، وقيل سنة ثمانين ، وهي سنة سيل الجحاف .

والحِسْل : ولد الضب ، وجمعه حُسُول .

ولؤي : مَنْ هَمَزه قال هو تصغير لأى ، وهو الثور ، ومن لم يهمزه قال هو تصغير لِوَى الرمل ؛ والفِهْر : الحَجَر ، والله أعلم .

---

٥٦٦ – ترجمته في المعارف : ٤٨٥ وطبقات الشيرازي : ٦٧ والوافي ٣ : ٢٢٣ وميزان الاعتدال ٣ : ٦٢٠ وتذكرة الحفاظ : ١٩١ وتهذيب التهذيب ٩ : ٣٠٣ والشذرات ١ : ٢٤٥ .

١ بن نصر . . . عدنان : سقط من كل النسخ ما عدا ر .

٥٦٧

محمد بن الحسن الحنفي

أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد ، الشيباني بالوَلاء الفقيه الحنفي ؛ أصله من قرية على باب دمشق في وسط الغُوطَة اسمها حَرَسْتا، وقدم أبوه من الشام إلى العراق ، وأقام بواسط فولد له بها محمد المذكور ، ونشأ بالكوفة ، وطلب الحديث ، ولقي جماعة من أعلام الأئمة ، وحضر مجلس أبي حنيفة سنتين ، ثم تفقه على أبي يوسف صاحب أبي حنيفة .

وصنف الكتب الكثيرة النادرة، منها « الجامع الكبير » و « الجامع الصغير » وغيرهما . وله في مصنفاته المسائل المشكلة خصوصاً المتعلقة بالعربية . ونشر علم أبي حنيفة ، وكان من أفصح الناس ، وكان إذا تكلم خيل لسامعه أن القرآن نزل بلغته . ولما دخل الإمام الشافعي رضي الله عنه بغداد كان بها ، وجرى بينهما مجالس ومسائل بحضرة هارون الرشيد . وقال الشافعي : ما رأيت أحداً يُسأل عن مسألة فيها نظر إلا تبينت الكراهة في وجهه ، إلا محمد بن الحسن ؛ وقال أيضاً : حملت من علم محمد بن الحسن وقر بعير . وقال الربيع بن سليمان المُرادي : كتب الشافعي إلى محمد بن الحسن وقد طلب منه كتباً له لينسخها ، فتأخرت عنه :

قل لمن[1] لم تَرَ عـ ـين من رآه مثلَه
ومن كأنّ من رآ ه قد رأى من قبلَه
العلم ينهى أهلَه أن يمنعوه أهلَه
لعلَّه يَبْذُلُه لأهلِه لعلَّه

٥٦٧ – ترجمته في الفهرست : ٢٠٣ وتاريخ بغداد ٢ : ١٧٢ وطبقات الشيرازي : ١٣٥ والمعارف : ٥٠٠ والجواهر المضية ٢ : ٤٢ ولسان الميزان ٥ : ١٢١ والشذرات ١ : ٣٢١ .

١ كذا في أكثر المصادر ؛ وفي هامش نسخة شهيد علي من طبقات الشيرازي : صوابه « قل للذي » .

فأنفذ إليه الكتب من وقته . ورأيت هذه الأبيات في ديوان منصور بن إسماعيل الفقيه المصري – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – وقد كتبها إلى أبي بكر بن قاسم . والذي ذكرناه أولاً حكاه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في « طبقات الفقهاء »[1]. وروي عن الشافعي أنه قال: ما رأيت سميناً ذكياً إلا محمد ابن الحسن . وكان الرشيد قد ولاه قضاء الرقة ثم عزله عنها ، وقدم بغداد .

وحكى محمد بن الحسن قال : أتوا[2] أبا حنيفة في امرأة ماتت وفي جوفها ولد يتحرك ، فأمرهم فشقوا جوفها واستخرجوا الولد[3] وكان غلاماً ، فعاش حتى طلب العلم وكان يتردد إلى مجلس محمد بن الحسن ، وسمي ابن أبي حنيفة .

ولم يزل محمد بن الحسن ملازماً للرشيد حتى خرج إلى الري خَرْجته الأولى ، فخرج معه ، ومات بِرَنْبَوَيْهِ قرية من قرى الري في سنة تسع[4] وثمانين ومائة . ومولده سنة خمس وثلاثين ، وقيل إحدى وثلاثين ، وقيل اثنتين وثلاثين ومائة . وقال السمعاني : مات محمد بن الحسن والكسائي في يوم واحد بالري ، رحمهما الله تعالى ، وقيل إن الرشيد كان يقول : دفنت الفقه والعربية بالري .

ومحمد بن الحسن المذكور ابن خالة الفَرّاء صاحب النحو واللغة .

وقد تقدم الكلام على الشيباني .

وحَرَسْتا : بفتح الحاء المهملة والراء وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها ألف مقصورة .

ورَنْبَوَيْهِ[5] : بفتح الراء وسكون النون وفتح الباء الموحدة والواو وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها هاء ساكنة .

---

١ انظر ص : ١٣٦ والأبيات في ترتيب المدارك ١ : ٣٩٤ والجواهر المضية .

٢ ت ل لي س ن بر : أتي .

٣ ن : وأخرجوه ؛ لي : وأخرجوا الولد .

٤ س ن بر : سبع .

٥ هذا الضبط لم يرد إلا في ر .

٥٦٨

محمد بن علي العباسي

أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ، وهو والد السفاح والمنصور الخليفتين – وقد تقدم ذكر والده في حرف العين[١] – ؛ قال ابن قتيبة[٢] : كان محمد المذكور من أجمل الناس وأعظمهم قدراً ، وكان بينه وبين أبيه في العمر أربع عشرة سنة ؛ وكان علي يخضب بالسواد ومحمد يخضب بالحمرة ، فيظن من لا يعرفهما أن محمداً هو علي .

[قال يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج بن يوسف الثقفي ، سمعت الحجاج يقول : بينا نحن عند عبد الملك بن مروان بدُومَة الجندل في منتزه له ومعه قائِفٌ يحادثه ويسائله ، إذ أقبل علي بن عبد الله بن العباس ومحمد ابنه ، فلما رآه عبد الملك مقبلاً حرك شفتيه وهمس بهما وانتقع لونه وقطع حديثه ، قال الحجاج : فوثبت نحو علي لأرده ، فأشار إليّ عبد الملك أن كُفَّ عنه ، وجاء علي فسلم فأقعده إلى جانبه ، وجعل يمس ثوبه ، وأشار إلى محمد أن اقعد ، وكلمه وساءله ، وكان عليٌّ حلو المحادثة ، وحضر الطعام فأتي بالطست ، فغسل يده وقال : أَدْنِ الطست من أبي محمد ، فقال : أنا صائم ، ثم وثب ، فأتبعه عبد الملك بصره حتى كاد يخفى عن عينيه ، ثم التفت إلى القائف فقال : أتعرف هذا ؟ فقال : لا ، ولكن أعرف من أمره واحدة ، قال : وما هي ؟ قال : إن كان الفتى الذي معه ابنه فإنه يخرج من عقبه فراعنة يملكون الأرض ولا يناويهم مُناوٍ إلا قتلوه ، قال : فارْبَدّ لون عبد الملك ، ثم قال : زعم راهب

٥٦٨ – ترجمته في الوافي ٤ : ١٠٣ والشذرات ١ : ١٦٦ وله ذكر في تاريخ الطبري (حوادث ١٠٠، ١٢٠، ١٢٦) وابن خلدون ٣ : ١٧٢ ، وق. وضعنا ما انفردت به ر بين معقفين .

١ انظر ج ٣ : ٢٧٤ .

٢ المعارف : ١٢٤ .

إيليا – ورآه عندي – أنه يخرج من صلبه ثلاثة عشر ملكاً، وصفهم بصفاتهم] .
وكان سبب انتقال الأمر إليه أن محمد بن الحنفية – وقد سبق ذكره – كانت الشيعة تعتقد إمامته بعد أخيه الحسين، رضي الله عنه، فلما توفي محمد بن الحنفية انتقل الأمر إلى ولده أبي هاشم – وقد سبق ذكره أيضاً في ترجمة أبيه[1] – وكان عظيم القدر، وكانت الشيعة تتوالاه ، فحضرته الوفاة بالشام في سنة ثمان وتسعين للهجرة ولا عقب له ، فأوصى إلى محمد بن علي المذكور وقال له : أنت صاحب هذا الأمر، وهو في ولدك، ودفع إليه كتبهُ وصرف الشيعة نحوه. ولما حضرت محمداً المذكور الوفاة بالشام أوصى إلى ولده إبراهيم المعروف بالإمام ؛ فلما ظهر أبو مسلم الخراساني بخراسان دعا الناس إلى مبايعة إبراهيم بن محمد المذكور ، فلذلك قيل له « الإمام ». وكان نصر بن سيار نائب مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية يومئذ بخراسان ، فكتب إلى مروان يعلمه بظهور أبي مسلم يدعو لبني العباس ، فكتب مروان إلى نائبه بدمشق بأن يحضر إبراهيم من الحميمة موثقاً ، فأحضره وحمله إليه وحبسه مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية بمدينة حران ، فتحقق أن مروان يقتله ، فأوصى[2] إلى أخيه السفاح ، وهو أول من ولي الخلافة من أولاد العباس ، هذه خلاصة الأمر ، والشرح فيه تطويل[3] وبقي إبراهيم في الحبس شهرين ، ومات ، وقيل قتل .
وكانت ولادة محمد المذكور سنة ستين للهجرة ، هكذا وجدته منقولاً ، وهو يخالف ما تقدم من أن بينه وبين أبيه في العمر أربع عشرة سنة ، فقد تقدم في تاريخ أبيه أنه ولد في حياة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أو في ليلة قتل عليّ ، على الاختلاف فيه ، وكان قتل عليّ في رمضان سنة أربعين ، فكيف يمكن أن يكون بينهما أربع عشرة سنة ؟ بل أقل ما يمكن أن يكون بينهما عشرون سنة. [وذكر ابن حمدون في كتاب « التذكرة » أن محمداً المذكور مولده في سنة اثنتين وستين للهجرة] ؛ وتوفي محمد المذكور في سنة ست وعشرين ،

[1] المختار : كما سبق في ترجمته .
[2] ل س ن ت لي : فلما حبسه مروان . . . وتحقق . . . أوصى .
[3] ل : يطول .

وقيل اثنتين وعشرين ومائة ، وفيها ولد المهدي بن أبي جعفر المنصور ، وهو والد هارون الرشيد، وقيل سنة خمس وعشرين ومائة بالشراة ، [وقال الطبري في تاريخه : توفي محمد بن علي مستهلّ ذي القعده سنة ست وعشرين ومائة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة] رحمه الله تعالى .

وقد تقدم الكلام على الشراة في ترجمة أبيه[1] علي بن عبد الله .

وقال الطبري في تاريخه[2]: في سنة ثمان وتسعين للهجرة قدم أبو هاشم عبد الله ابن محمد بن الحنفية على سليمان بن عبد الملك بن مروان فأكرمه ، وسار أبو هاشم يريد فلسطين ، فأنفذ سليمان مَنْ قعد له على الطريق بلبن مسموم، فشرب منه أبو هاشم فأحسّ بالموت ، فعدل إلى الحُمَيْمة واجتمع بمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس وأعلمه أن الخلافة في ولده عبد الله بن الحارثية — قلت : وهو السفاح — وسلم إليه كتبَ الدعاة وأوقفه على ما يعمل بالحُمَيمة ، هكذا قال الطبري ، ولم يذكر إبراهيم الإمام ، وجميعُ المؤرخين اتفقوا على إبراهيم ، إلا أنه ما تم له الأمر ، والله أعلم .

٥٦٩

البخاري

أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف يَزْدِبه [وقال ابن ماكولا : هو يزدزبه] الجُعْفي بالولاء ، البخاري الحافظ

---

١ إلى هنا تنتهي الترجمة في جميع النسخ ما عدا ر .

٢ هذا النص نقل في المختار عند الحديث السابق عن أبي هاشم .

٥٦٩ – ترجمته في تاريخ بغداد ٢ : ٤ – ٣٦ وطبقات السبكي ٢ : ٢ وطبقات الحنابلة ١ : ٢٧١ والوافي ٣ : ٢٣٢ وتذكرة الحفاظ : ٥٥٥ وتهذيب التهذيب ٩ : ٤٧ والشذرات ٢ : ١٣٤ .

الإمام في علم الحديث ، صاحب الجامع الصحيح والتاريخ ؛ رحل في طلب الحديث إلى أكثر محدثي الأمصار ، وكتب بخراسان والجبال ومدن العراق والحجاز والشام ومصر ، وقدم بغداد ، واجتمع إليه أهلها واعترفوا بفضله وشهدوا بتفرّده في علم الرواية والدراية ؛ وحكى أبو عبد الله الحميدي في كتاب « جذوة المقتبس » والخطيب في « تاريخ بغداد »[1] أن البخاري لما قدم بغداد سمع به أصحابُ الحديث ، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا مَتنَ هذا الإسناد لإسناد آخر ، ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث ، وأمروهم إذا حضروا المجلس يُلقُون ذلك على البخاري ، وأخذوا الموعد للمجلس ، فحضر المجلسَ جماعةٌ من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين ، فلما اطمأنّ المجلس بأهله انتدب إليه واحد من العشرة ، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث ، فقال البخاري : لا أعرفه ، فسأله عن آخر فقال : لا أعرفه ؛ فما زال يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته ، والبخاري يقول : لا أعرفه ؛ فكان الفقهاء[2] ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون : الرجل فهم ، ومن كان منهم ضدّ ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم . ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة ، فقال البخاري : لا أعرفه ؛ فسأله عن آخر فقال : لا أعرفه ؛ فلم يزل يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته ، والبخاري يقول : لا أعرفه ؛ ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة ، والبخاري لا يزيدهم على قوله : لا أعرفه ؛ فلما علم البخاري أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال : أما حديثك الأوّل فهو كذا ، وحديثك الثاني فهو كذا ، والثالث والرابع على الولاء ، حتى أتى على تمام العشرة ، فردّ كلّ متنٍ إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه ، وفعل بالآخرين كذلك ، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها ، فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل .

---

١ الجذوة : ١٢٨ وتاريخ بغداد ٢ : ٢٠ .

٢ الجذوة : العلماء ؛ المختار : الفهماء .

وكان ابن صاعد إذا ذكره يقول : الكبش النطاح ؛ ونقل عنه محمد بن يوسف الفرَبْري أنه قال : ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين . وعنه أنه قال : صنفت كتابي الصحيح لست عشرة سنة ، خرجته من ستمائة ألف حديث ، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله عز وجلّ . وقال الفرَبْري : سمع صحيح البخاري تسعون ألف رجل ، فما بقي أحد يروي عنه غيري . وروى عنه أبو عيسى الترمذي .

وكانت ولادته يوم الجمعة بعد الصلاة ، لثلاث عشرة ، وقيل لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ، وقال أبو يعلى الخليلي في كتاب « الإرشاد » : إن ولادته كانت لاثنتي عشرة ليلة خلت من الشهر المذكور . وتوفي ليلة السبت بعد[1] صلاة العشاء ، وكانت ليلة عيد الفطر ، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر ، سنة ست وخمسين ومائتين بخَرْتَنْك ، رحمه الله تعالى . وذكر ابن يونس في « تاريخ الغرباء » أنه قدم مصر وتوفي بها ، وهو غلط ، والصواب ما ذكرناه هاهنا رحمه الله تعالى . وكان خالد بن أحمد بن خالد الذهلي[2] أمير خراسان قد أخرجه من بخارى إلى خَرْتَنْك ، ثم حج خالد المذكور فوصل إلى بغداد فحبسه الموفق بن المتوكل أخو المعتمد الخليفة ، فمات في حبسه .

وكان شيخاً نحيف الجسم ، لا بالطويل ولا بالقصير . [وقد اختلف في اسم جده ، فقيل إنه يزذبه – بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الزاي وكسر الذال المعجمة وبعدها باء موحدة ثم هاء ساكنة ، وقال أبو نصر بن ماكولا في كتاب « الإكمال »[3] : هو يَزْدِزبه – بدال وزاي وباء معجمة بواحدة – والله أعلم ، وقال غيره : كان هذا الجد مجوسياً مات على دينه ، وأول من أسلم منهم المغيرة ، ووجدته في موضع آخر عوض يزذبه الأحنف ولعل يزذبه كان أَحْنَفَ الرِّجل ، والله أعلم] .

---

١ المختار : عند .

٢ انظر قصة هذا الأمير مع البخاري في تاريخ بغداد ٢ : ٣٣ .

٣ الاكمال ١ : ٢٥٩ وفيه : بردزبه .

والبخاري : بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة وبعد الألف راء ، هذه النسبة إلى بخارا ، وهي من أعظم مدن ما وراء النهر ، بينها وبين سَمَرْقَنْدَ مسافة ثمانية أيام .

وخَرْتَنْك : بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح التاء المثناة من فوقها وسكون النون وبعدها كاف ، وهي قرية من قرى سَمَرْقَنْد .

وقد سبق الكلام على الجُعْفي[1] ؛ ونسبة البخاري إلى سعيد بن جعفر الجعفي والي خراسان ، وكان له عليهم الولاء فنسبوا إليه .

٥٧٠

ابن جرير الطبري

أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد ، الطَّبَري ، وقيل يزيد بن كثير ابن غالب ؛ صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير ، كان إماماً في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك ، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله ، وكان من الأئمة المجتهدين ، لم يقلد أحداً ، وكان أبو الفرج المعافى بن زكرياء النهرواني المعروف بابن طرارا على مذهبه — وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى — .

وكان ثقة في نقله ، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها ، وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في « طبقات الفقهاء »[2] في جملة المجتهدين ، ورأيت في بعض

---

١ انظر ج ١ : ١٢٣ .

٥٧٠ — ترجمته في تاريخ بغداد ٢ : ١٦٢ ومعجم الأدباء ١٨ : ٤٠ وتذكرة الحفاظ : ٧١٠ وميزان الاعتدال ٣ : ٤٩٨ وطبقات السبكي ٢ : ١٣٥ ولسان الميزان ٥ : ١٠٠ وغاية النهاية ٢ : ١٠٦ والشذرات ٢ : ٢٦٠ .

٢ طبقات الفقهاء : ٩٣ .

المجاميع هذه الأبيات منسوبة إليه ، وهي :

إذا أعْسَرْتُ لم يَعْلَم شقيقي ... وأستغني فيستغني صديقي
حيائي حافظٌ لي ماءَ وجهي ... ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو أني سَمَحْتُ ببذل وجهي ... لكنت إلى الغِنى سَهْلَ الطريق

وكانت ولادته سنة أربع وعشرين ومائتين ، بآمل طبرستان ؛ وتوفي يوم السبت آخر النهار ، ودفن يوم الأحد في داره ، في السادس والعشرين من شوال سنة عشر وثلثمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى[1] . ورأيت بمصر في القرافة الصغرى عند سَفْح المقطم قبراً يُزار ، وعند رأسه حجر عليه مكتوب « هذا قبر ابن جرير الطبري » والناس يقولون : هذا صاحب التاريخ ، وليس بصحيح ، بل الصحيح أنه ببغداد ، وكذلك قال ابن يونس في « تاريخ مصر » المختص بالغرباء: إنه توفي ببغداد . وأبو بكر الخوارزمي الشاعر المشهور ابن أخته — وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ؛ وقد سبق الكلام على الطبري .

---

١ كتب بهامش ن التعليق التالي : هو الإمام البارع في أنواع العلوم أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، له كتاب التاريخ المشهور وكتاب التفسير لم يصنف أحد مثله ، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة ، قال الخطيب : سمعت علي بن عبد الله السمسار يحكي أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة . توفي في وقت المغرب ليلة اثنين ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلثمائة وكان مولده في آخر سنة أربع أو أول سنة خمس وعشرين ومائتين ؛ واجتمع عليه من لا يحصيهم عدداً إلا الله تعالى ، وصلي على قبره عدة شهور ليلا ونهاراً ، وزاره خلق كثير من أهل الدرس والأدب ورثاه ابن الأعرابي وابن دريد وغيرهما ؛ والطبري نسبته إلى طبرستان ، وأما الطبراني فإن نسبته إلى طبرية .

٥٧١

محمد بن عبد الحكم

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين [ابن لَيْث بن رافع][١] المصري الفقيه الشافعي ؛ سمع من ابن وَهْب وأشهب من أصحاب الإمام مالك ، فلما قدم الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، مصر صحبه وتفقه به ، وحمل في المحنة إلى بغداد إلى القاضي أحمد بن أبي دُواد الإيادي – المقدم ذكره[٢] – فلم يُجِب إلى ما طلب منه فرد إلى مصر ؛ وانتهت إليه الرياسة بمصر .

وكانت ولادته سنة اثنتين وثمانين ومائة . وتوفي يوم الأربعاء لليلة خلت من ذي القعدة ، وقيل منتصفه ، سنة ثمان وستين ومائتين ، وقبره فيما يذكر مع قبر أبيه وأخيه عبد الرحمن – وقد سبق ذكر ذلك[٣] – وهما إلى جانب الإمام الشافعي ؛ وقال ابن قانع : توفي سنة تسع وستين بمصر ، رحمه الله تعالى .

روى عنه أبو عبد الرحمن النَّسائي في سُنَنه . وقال المُزَني : كنا نأتي الشافعي نسمع منه ، فنجلس على باب داره ، ويأتي محمد بن عبد الله بن عبد الحكم فيصعد إليه[٤] ويُطيل المكث ، وربما تغدّى معه ثم نزل[٥] ، فيقرأ علينا الشافعي ، فإذا فرغ من قراءته قرب إلى محمد دابته فركبها ، وأتبعه الشافعي

---

٥٧١ – ترجمته في طبقات الشيرازي : ٩٩ والوافي ٣ : ٣٣٨ والانتقاء : ١١٣ وميزان الاعتدال ٣ : ٦١١ والديباج المذهب : ٢٣٠ وطبقات السبكي ١ : ٢٢٢ وحسن المحاضرة ١ : ١٢٤ والشذرات ٢ : ١٥٤ وطبقات الحسيني : ٧ وطبقات العبادي : ٢٠ وعبر الذهبي ٢ : ٢٨ .

١ زيادة من ر .

٢ انظر ج ١ : ٨١ .

٣ ج ٣ : ٣٥ (الترجمة رقم : ٣٢٣) .

٤ المختار : فيصعد به .

٥ ل س : ينزل .

بصرَهُ ، فإذا غاب شخصه قال : وددت لو أن لي ولداً مثله وعليّ ألف دينار لا أجد لها قضاء .

وحكي عن محمد المذكور أنه قال : كنت أتردّدُ إلى الشافعي ، فاجتمع قوم من أصحابنا إلى أبي ، وكان على مذهب الإمام مالك – وقد سبق ذكره في العَبادلة[1] – فقالوا : يا أبا محمد ، إن محمداً ينقطع إلى هذا الرجل ويتردّد إليه فيرى الناس أن هذا رغبة عن مذهب أصحابه ، فجعل أبي يُلاطفهم ويقول : هو حَدَث ويحب النظر في اختلاف أقاويل الناس ومعرفة ذلك ، ويقول لي في السر : يا بني ، الزم هذا الرجل ، فإنك لو جاوزت هذا البلد فتكلمت في مسألة فقلت فيها : قال أشهب ، لقيل لك : مَنْ أشهب ؟ قال : فلزمت الشافعي ، وما زال كلام والدي في قلبي حتى خرجت إلى العراق فكلمني القاضي بحضرة جلسائه في مسألة فقلت فيها : « قال أشهب عن مالك » فقال : ومَن أشهب ؟ وأقبل على جلسائه فقال لبعضهم كالمنكر : ما أعرف أشهب ولا أبلق . وأخباره كثيرة[2] .

وذكره القُضاعي في كتاب « خطط مصر » قال : ومحمد هذا هو الذي أحضره أحمد بن طولون في الليل إلى حيث سقايته بالمعافر لما توقف الناس عن شرب مائها والوضوء به ، فشرب منه وتوضأ ، فأعجب ذلك ابن طولون ، وصرفه لوقته ووجّه إليه بصِلَة ، والناس يقولون: إنه المزني ، وليس بصحيح ، والله أعلم.

---

١ ج ٣ : ٣٤ .

٢ إلى هنا تنتهي الترجمة في س ل لي ت بر .

٥٧٢
الترمــذي

أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر ، الترمذي الفقيه الشافعي ؛ لم يكن للفقهاء الشافعية في وقته أرأس منه ولا أورع ولا أكثر تقللاً ، وكان يسكن بغداد ، وحدث بهـــا عن يحيى بن بكير المصري ويوسف بن عدي وكثير بن يحيى وغيرهم . وروى عنه أحمد بن كامل القاضي وعبد الباقي بن قانع وغيرهما. وكان ثقة من أهل العلم والفضل والزهد في الدنيا . قال أبو الطيب أحمد بن عثمان السمسار والد أبي حَفْص عمر بن شاهين : حضرت عند أبي جعفر الترمذي فسأله سائل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى ينزل إلى سمـــاء الدنيا » فالنزول كيف يبقى فوقه علو ؟ فقال أبو جعفر : النزول معقول والكيف مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

وكان من التقلل في المطعم على حالةٍ عظيمةٍ فقراً وورعاً وصبراً على الفقر ؛ أخبر محمد بن موسى بن حماد أنه أخبره أنه تَقَوَّتَ في سبعة عشر يوماً خمس حبات ، أو قال ثلاث[1] حبات ، قال: قلت: كيف عملت؟ فقال : لم يكن عندي غيرها فاشتريت بها لفتاً ، فكنت آكل كل يوم واحدةً . وذكر أبو إسحـــاق الزجاج النحوي أنه كان يُجْرى عليه في كل شهر أربعة دراهم ، وكان لا يسأل أحداً شيئاً .

وكان يقول : تفقهت على مذهب أبي حنيفة ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد المدينة عام حججت فقلت : يا رسول الله ، قد تفقهت بقول أبي حنيفة ، أفآخذ به ؟ قال : لا ، فقلت : آخذ بقول مالك بن أنس ؟ فقال :

---

٥٧٢ – ترجمته في طبقات الشيرازي : ١٠٥ وتاريخ بغداد ١ : ٣٦٥ والوافي ٢ : ٧٠ وطبقات السبكي ١ : ٢٨٨ وعبر الذهبي ٢ : ١٠٣ والشذرات ٢ : ٢٢٠ وطبقات الحسيني : ١٠ وطبقات العبادي : ٥٦ .

١ ر والمختار : بخمس . . . بثلاث .

خذ منه ما وافق سنتي ، قلت : فآخذ بقول الشافعي ؟ فقال : ما هو بقوله ، إلا أنه أخذ بسنتي وردّ على من خالفها ، قال : فخرجت في أثر هذه الرؤيا إلى مصر ، وكتبت كتب الشافعي . وقال الدارقطني : هو ثقة مأمون ناسك ، وكان يقول : كتبت الحديث تسعاً وعشرين سنة . وكانت ولادته في ذي الحجة سنة مائتين ، وقيل سنة عشر ومائتين . وتوفي لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة خمس وتسعين ومائتين ، ولم يغير شَيْبَه ، وكان قد اختلط في آخر عمره اختلاطاً عظيماً ، رحمه الله تعالى .

وقال السمعاني في نسبة الترمذي[1] : هذه النسبة إلى مدينة قديمة على طرف نهر بَلْخ الذي يقال له جَيحون ، والناس مختلفون في كيفية هذه النسبة : بعضهم يقول بفتح التاء ثالث الحروف ، وبعضهم يقول بضمها ، وبعضهم يقول بكسرها ، والمتداول على لسان أهل تلك المدينة بفتح التاء وكسر الميم ، والذي كنا نعرفه قديماً كسر التاء والميم جميعاً ، والذي يقوله المتنوِّقُون[2] وأهل المعرفة[3] بضم التاء والميم ، وكل واحد يقول معنًى لما يدّعيه ، هذا كله كلام السمعاني ، والله أعلم بالصواب . وسألت من رآها : هل هي في ناحية خوارزم أم في ناحية ما وراء النهر ؟ فقال : بل هي في حساب ما وراء النهر في ذلك الجانب .

---

١ الأنساب ٢ : ١٤ .

٢ الأنساب : المتوقون ؛ ر : المتقنون .

٣ ر : وأهل العلم والمعرفة .

٥٧٣

ابن الحداد المصري

أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الكناني ، المعروف بابن الحداد ، الفقيه الشافعي المصري ؛ صاحب كتاب « الفروع » في المذهب وهو كتاب صغير الحجم كثير الفائدة ، دَقَّق في مسائله غاية التدقيق ، واعتنى بشرحه جماعة من الأئمة الكبار: شرحه القَفَّال المروزي شرحاً متوسطاً ليس بالكبير ،وشرحه القاضي أبو الطيب الطبري في مجلد كبير ، وشرحه الشيخ أبو علي السِّنْجي شرحاً تاماً مستوفى أطال فيه ، وهو أحسن الشروح .

وكان ابن الحداد المذكور قد أخذ الفقه عن أبي إسحاق المروزي ، وقال صاحبنا عماد الدين بن باطيش في كتابه الذي وضعه على « المهذب » وفي طبقات الفقهاء : إنه من أعيان أصحاب إبراهيم المُزَني ، وقد وهم فيه ، فإن ابن الحداد ولد في السنة التي توفي فيها المزني. وقال القضاعي في كتاب « خطط مصر » إنه ولد في اليوم الذي مات فيه المزني رحمه الله تعالى ، فكيف يمكن أن يكون من أصحابه ؟ وإنما نبهت على ذلك لئلا يظن ظان أن هذا غلط ، وذلك الصواب ، ونسب إليه أيضاً الأبيات الذالية التي ذكرتها في ترجمة ظافر الحداد الإسكندري ، وقد سبق الكلام عليها في ترجمة ظافر[1] .

وكان ابن الحداد فقيهاً محققاً[2] غَوّاصاً على المعاني ، تولى القضاء بمصر والتدريس وكانت الملوك والرعايا تُكرمه وتعظمه[3] وتقصده في الفتاوى والحوادث ، وكان

---

٥٧٣ — ترجمته في طبقات الشيرازي : ١١٤ وطبقات السبكي ٢ : ١١٢ والوافي ٢ : ٦٩ والنجوم الزاهرة ٣ : ٣٠٢ وحسن المحاضرة ١ : ١٢٦ وطبقات الحسيني : ٢١ والشذرات ٢ : ٣١٧ وعبر الذهبي ٢ : ٢٦٤ وطبقات العبادي : ٦٥ .

١ ج ٢ : ٥٤٠ .

٢ ت : متحققاً .

٣ ن : تعظمه وتكرمه .

يقال في زمنه : عجائب الدنيا ثلاث : غضب الجلاد ، ونظافة السماد ، والرد على ابن الحداد . وكانت ولادته لست بقين من شهر رمضان ، سنة أربع وستين ومائتين؛ وتوفي سنة خمس وأربعين وثلثمائة، وقال السمعاني: سنة أربع وأربعين، والله أعلم بالصواب . وحدث عن أبي عبد الرحمن النسائي وغيره رحمهم الله أجمعين ؛ وذكر القضاعي في كتاب «خطط مصر» أن ابن الحداد المذكور توفي عند مُنْصَرَفه من الحج ، سنة أربع وأربعين وثلثمائة بمنية[1] حرب على باب مدينة مصر ، وقيل في موضع القاهرة .

وكان متصرفاً في علوم كثيرة من علوم القرآن الكريم والفقه والحديث والشعر وأيام العرب والنحو واللغة وغير ذلك ، ولم يكن في زمانه مثله ، وكان محبباً إلى الخاص والعام ، وحضر جنازته الأمير أبو القاسم أنوجور ابن الإخشيد وكافور وجماعة من أهل البلد ، وله تسع وسبعون سنة وأربعة أشهر ويومان[2] ، رحمه الله تعالى[3] .

والحداد : بفتح الحاء المهملة وتشديد الدال ثم دال بعد ألف ، وكان أحد أجداده يعمل الحديد ويبيعه فنسب إليه .

١ المختار : بمنشية حرب .

٢ ر : يوم وفاته .

٣ وذكر القضاعي . . . تعالى : ورد في ن ر ، وبإيجاز يسير في المختار .

٥٧٤

أبو بكر الصيرفي

أبو بكر محمد بن عبد الله ، المعروف بالصَّيْرَفي ، الفقيه الشافعي البغدادي ؛ كان من جملة الفقهاء ، أخذ الفقه عن أبي العباس بن سُرَيج ، واشتهر بالحِذْقِ في النظر والقياس وعلوم الأصول ، وله في أصول الفقه كتاب لم يسبق إلى مثله . حكى أبو بكر القفال في كتابه الذي صنفه في الأصول أن أبا بكر الصيرفي كان أعلم الناس بالأصول بعد الشافعي ، وهو أول من انتدب من أصحابنا للشروع في علم الشروط ، وصنف فيه كتاباً أحسن فيه كل الإحسان . وتوفي يوم الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

والصَّيْرَفي : بفتح الصاد المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعدها فاء ، هذه النسبة مشهورة لمن[1] يصرف الدنانير والدراهم ، وإنما قصدت بذكرها ضبطها وتقييدها ، فقد رأيت كثيراً من الناس ينطقون بكسر الصاد والراء .

---

٥٧٤ – ترجمته في الفهرست : ٢١٣ وتاريخ بغداد ٥ : ٤٤٩ وطبقات الشيرازي : ١١١ والوافي ٣ : ٣٤٦ وطبقات السبكي ٢ : ١٦٩ وطبقات العبادي : ٦٩ وعبر الذهبي ٢ : ٢٢١ والشذرات ٢ : ٣٢٥ وحسن المحاضرة ١ : ١٢٥ وطبقات الحسيني : ١٨ ؛ وقد تأخرت هذه الترجمة في ر عن الترجمة التالية .

١ ر : هي مشهورة لمن ؛ ن : إلى من .

٥٧٥

القفال الشاشي

أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل ، القَفّال الشاشي الفقيه الشافعي ؛ إمام عصره بلا مدافعة ، كان فقيهاً محدثاً أصولياً لغوياً شاعراً ، لم يكن بما وراء النهر للشافعيين مثله في وقته ، رحل إلى خراسان والعراق والحجاز والشام والثغور ، وسار ذكره في البلاد ، وأخذ الفقه عن ابن سُرَيج ، وله مصنفات كثيرة ، وهو أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء ، وله كتاب في أصول الفقه ، وله شرح الرسالة ، وعنه انتشر مذهب[1] الشافعي في بلاده ، وروى عن محمد بن جرير الطبري وأقرانه ، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله وأبو عبد الله ابن مَنْدَه وأبو عبد الرحمن السلمي وجماعة كثيرة . وهو والد القاسم صاحب كتاب « التقريب » الذي ينقل عنه في « النهاية » و « الوسيط » و « البسيط » . وقد ذكره الغزالي في الباب الثاني من كتاب الرهن ، لكنه قال : أبو القاسم ، وهو غلط ، وصوابه : القاسم . وقال العجلي في « شرح مشكلات الوجيز والوسيط » في الباب الثالث من كتاب التيمم : إن صاحب « التقريب » هو أبو بكر القفال ، وقيل إنه ابنه القاسم ، ثم قال : فلهذا يقال : صاحب « التقريب » على الإبهام.

قلت : ورأيت في شوال سنة خمس وستين وستمائة ، في خزانة الكتب بالمدرسة العادلية بدمشق المحروسة كتاب « التقريب » في ست مجلدات ، وهي من حساب عشر مجلدات ؛ وكتب عليه بأنه تصنيف أبي الحسن القاسم ابن أبي بكر القفال الشاشي ، وقد كانت النسخة المذكورة للشيخ قطب الدين مسعود

---

٥٧٥ — ترجمته في الفهرست : ٢١٥ وطبقات الشيرازي : ١١٢ والوافي ٤ : ١١٢ واللباب : (الشاشي) وطبقات السبكي ٢ : ١٧٦ والشذرات ٣ : ٥١ وطبقات الحسيني : ٢٧ وطبقات العبادي : ٩٢ وعبر الذهبي ٢ : ٣٣٨ .

١ الشيرازي : فقه .

النيسابوري – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – وعليها خطه بأنه وقفها[1] ، وهذا « التقريب » غير « التقريب » الذي لسُلَيم الرازي ، فإني رأيت خلقاً كثيراً من الفقهاء يعتقدونه هو ، فلهذا نبهت عليه ، و « التقريب » الذي لابن القفال قليل الوجود ، والذي لسُلَيم موجود بأيدي الناس ، وهذا « التقريب » هو الذي تخرج به فقهاء خراسان .

وقد وقع الاختلاف في وفاة القفال المذكور، فقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في « طبقات الفقهاء »[2] : توفي في سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، وقال الحاكم أبو عبد الله المعروف بابن البَيّع النيسابوري : إنه توفي بالشاش ، في ذي الحجة سنة خمس وستين وثلثمائة ، وقال : كتبت عنه وكتب عني ، ووافقه على هذا ابن السمعاني في كتاب « الأنساب » وزاد فقال : وكانت ولادته في سنة إحدى وتسعين ومائتين ؛ وقال أعني ابن السمعاني في كتاب « الذيل » : إنه توفي سنة ست وستين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ، وكذا قاله في كتاب « الأنساب » أيضاً في ترجمة الشاشي ، والقول الأول قاله[3] في ترجمة القفال ، والله أعلم بالصواب .

والشاشي : نسبة إلى الشاش – بشينين معجمتين بينهما ألف – وهي مدينة وراء نهر سَيْحُون ، خرج منها جماعة من العلماء ، وهذا القفال غير القفال المروزي – وقد سبق ذكر ذلك في العبادلة[4] – وهو متأخر عن هذا .

---

١ قلت ... وقفها : انفردت به ر .
٢ انظر ص : ١١٢ .
٣ ن : قاله أيضاً .
٤ انظر ج ٣ : ٤٦ .

٥٧٦

أبو الحسن الماسرجسي

أبو الحسن محمد بن علي بن سَهْل بن مصلح ، الماسَرجِسي الفقيه الشافعي ؛ أحد أئمة الشافعيين بخُراسان، وأعرفهم بالمذهب وترتيبه وفروع المسائل، تَفَقَّه بخراسان والعراق والحجاز ، وصحب أبا إسحاق المروزي وتفقه عليه وخرج معه إلى مصر ولزمه إلى أن مات ثم رجع إلى بغداد ، وكان يَخْلُفُ علي بن أبي هريرة في مجالسه بعد قيامه عنها ، ثم انصرف إلى خراسان سنة أربـــع وأربعين وثلثمائة ، ودرس بنيسابور وعنه أخذ فقهاؤها ، وعليه تفقه القاضي أبو الطيب الطبري . وسمع من خاله المؤمل بن الحسن بن عيسى الماسَرجسي ، وسمع بمصر من أصحاب المزني ويونس بن عبد الأعلى الصدفي . وقال الحاكم أبو عبد الله ابن البَيِّع: عقدتُ له مجلس الإملاء في دار السنة في رجب سنة إحدى وثمانين وثلثمائة ، وتوفي عشية الأربعاء ، ودفن في عشية الخميس سادس جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، وعمره ستٌ وسبعون سنة . وقال الشيخ أبو إسحاق في « الطبقات »[1] : سنة ثلاث وثمانين ، رحمه الله تعالى .

والماسَرْجِسي : بفتح الميم وبعد الألف سين مفتوحة مهملة وراء ساكنة ثم جيم مكسورة بعدها سين ثانية ، هذه النسبة إلى ماسرجس ، وهو اسم لجد أبي علي الحسن بن عيسى بن ماسَرْجِسَ النيسابوري، كان نصرانياً فأسلم على يد عبد الله بن المبارك ، وأبو الحسن الفقيه المذكور ابنُ بنت أبي علي المذكور ، فنسب إليه ، ونسبة الكل إلى ماسرجس المذكور .

---

٥٧٦ – ترجمته في الوافي ٤ : ١١٥ واللباب (الماسرجي) والشذرات ٣ : ١١٠ وحسن المحاضرة ١ : ١٢٦ وطبقات الحسيني : ٣٢ وطبقات العبادي : ١٠٠ وعبر الذهبي ٣ : ٢٦ .

١ طبقات الشيرازي : ١١٦ .

٥٧٧

أبو عبد الله الختن

أبو عبد الله محمد بن الحسن بن إبراهيم الأستراباذي، وقيل الجرجاني، المعروف بالخَتَن، الفقيه الشافعي ؛ كان فقيهاً فاضلاً ورعاً مشهوراً في عصره ، وله وجوه حسنة في المذهب ، وكان مقدماً في الأدب ومعاني القرآن والقراءات ، ومن العلماء المبرزين في النظر والجدل . سمع أبا نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي وأقرانه ببلده ، وورد نيسابور سنة سبع وثلاثين وثلثمائة فأقام بها إلى آخر سنة تسع ، ثم دخل أصبهان فسمع مسند أبي داود من عبد الله بن جعفر ، ودخل العراق وكتب بعد الأربعين وأكثر ، وكان كثير السماع والرحلة ، وشرح كتاب « التلخيص » لأبي العباس ابن القاص؛ وتوفي بجرجان يوم عيد الأضحى سنة ست وثمانين وثلثمائة ، وهو ابن خمس وسبعين سنة ، رحمه الله تعالى .

وقد تقدم الكلام على الأستراباذي والجرجاني؛ والخَتَن : بفتح الخاء المعجمة والتاء المثناة من فوقها وبعدها نون ، وإنما قيل له ذلك لأنه كان خَتَن الفقيه أبي بكر الإسماعيلي .

---

٥٧٧ – ترجمته في طبقات الشيرازي : ١٢١ والوافي ٢ : ٣٣٨ وطبقات السبكي ٢ : ١٤٣ والشذرات ٣ : ١٢٠ وطبقات الحسيبي : ٣٣ وطبقات العبادي : ١١١ وعبر الذهبي ٣ : ٣٣ .

٥٧٨

أبو سهل الصعلوكي

أبو سهل محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون بن موسى بن عيسى بن إبراهيم بن بشر الحنفي العجلي المعروف بالصعلوكي ، الأصبهاني أصلاً ومولداً النيسابوري داراً ، الفقيه الشافعي المفسر المتكلم الأديب النحوي الشاعر العروضي الكاتب ؛ ذكره الحاكم أبو عبد الله في تاريخه فقال : حبر زمانه ، وفقيه أصحابه وأقرانه ، صحب أبا إسحاق المروزي وتفقه عليه وتبحر في العلوم ، ثم خرج إلى العراق ودخل البصرة ودرس بها سنين ، إلى أن استدعي إلى أصبهان فأقام بها سنين ، فلما نعي إليه عمه أبو الطيب خرج مستخفياً فورد نيسابور سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وجلس لمأتم عمه ثلاثة أيام ، وكان الشيخ أبو بكر ابن إسحاق يحضر كل يوم فيقعد معه ، وكذلك كل رئيس وقاضٍ ومُفْتٍ من الفريقين ؛ فلما فرغ من العزاء عقدوا له مجلس النظر ، ولم يبق موافق ولا مخالف إلا أقر بفضله وتقدمه ، وحضره المشايخ مرة بعد أخرى يسألونه أن ينقل مَنْ خَلَّفهم وراءه بأصبهان ، فأجاب إلى ذلك ، ودرس وأفتى ، وعنه أخذ فقهاء نيسابور . وكان الصاحب ابن عباد يقول : أبو سهل الصعلوكي لا نرى مثله ولا يرى مثل نفسه . وسئل أبو الوليد عن أبي بكر القفال والصعلوكي فقال : ومن يقدر يكون مثل الصعلوكي ؟

وكانت ولادته سنة ست وتسعين ومائتين ، وسمع الحديث سنة خمس وثلثمائة ، وحضر مجلس أبي علي الثقفي للتفقه[1] سنة ثلاث عشرة . وتوفي في آخر سنة تسع وستين وثلثمائة بنيسابور ، وحملت جنازته إلى ميدان الحسين ، فقدم السلطان

---

٥٧٨ – ترجمته في طبقات الشيرازي : ١١٥ والوافي ٣ : ١٢٤ واليتيمة ٤ : ١٩ ؛ وطبقات السبكي ٢ : ١٦١ والشذرات ٣ : ٦٩ وطبقات الخسيبي : ٢٩ وطبقات العبادي : ٩٩ وعبر الذهبي ٢ : ٣٥٢ .

[1] ن : المتفقه ؛ ت بر : الفقيه .

ولده أبا الطيب للصلاة عليه فصلى ، ودفن في المسجد الذي كان يدرس فيه ، رحمه الله تعالى ؛ وقد تقدم ذكر ابنه[1] في حرف السين والكلام على الصعلوكي .

٥٧٩

أبو الطيب ابن سلمة

أبو الطيب محمد بن المفضّل بن سَلَمَة بن عاصم الضبي البغدادي الفقيه الشافعي ؛ كان[2] من كبار الفقهاء ومتقدميهم ، أخذ الفقه عن أبي العباس ابن سُرَيج ، وكان موصوفاً بفرط الذكاء ، ولهذا كان أبو العباس يُقْبِل عليه كلّ الإقبال ويميل إلى تعليمه غاية الميل ، وصنف كتباً عديدة ؛ وتوفي في المحرم سنة ثمان وثلثمائة ، وهو غَضٌّ الشباب ، رحمه الله تعالى ، وله في المذهب وجوه حسنة .

وسَلَمَة : بفتح السين المهملة واللام والميم .

(165) وأبوه أبو طالب المفضّل بن سَلَمَة بن عاصم الضبي[3] اللغوي صاحب التصانيف المشهورة في فنون الأدب ومعاني القرآن ، وكان كوفي المذهب مليح الخط ، لقي ابن الأعرابي وغيره من العلماء ، واستدرك على الخليل في كتاب « العين » وخطأه ، وعمل في ذلك كتاباً ، وله من التصانيف كتاب « البارع في علم اللغة » وكتاب « الفاخر » وكتاب « العود والملاهي » وكتاب « جلاء الشبه » وكتاب « الطيف » وكتاب « ضياء القلوب في معاني القرآن » نيف

---

١ ل س ن : أبيه ؛ وانظر ج ٢ : ٤٣٥ .

٥٧٩ – ترجمته في الفهرست : ٢١٤ وطبقات الشيرازي : ١٠٩ وتاريخ بغداد ٣ : ٨٣ والشذرات ٢ : ٢٥٢ وطبقات العبادي : ٧٢ وعبر الذهبي ٢ : ١٣٧ .

٢ كان : سقطت من ن ل لي والمختار .

٣ ترجمته في انباه الرواة ٣ : ٣٠٥ وفي الحاشية مصادر أخرى .

وعشرون جزءاً ، وكتاب « الاشتقاق » وكتاب « الزرع والنبات » وكتاب « خلق الإنسان » وكتاب « ما يحتاج إليه الكاتب » وكتاب « المقصور والممدود» وكتاب « المدخل إلى علم النحو »[1] وروى عنه أبو بكر الصُّولي وزعم أنه سمع عنه في سنة تسعين ومائتين .

(166) وجده سَلَمَةُ بن عاصم[2] صاحب الفراء وراويته ، وهم أهل بيت كلهم علماء نبلاء مشاهير ، رحمهم الله تعالى .

وكان المفضل المذكور متصلاً بالوزير إسماعيل بن بلبل فقيل له[3] : إن ابن الرومي الشاعر – المقدم ذكره[4] – قد هجاه ، فشق ذلك على الوزير[5] ، وحرم ابن الرومي عطاياه ، فعمل ابن الرومى في المفضل أبياتاً وهي[6] :

لو تلفّفت في كساء الكسائي وتَفرّيت فروة الفــرّاءِ
وتخللت بالخليـــل وأضحى سيبويه لديك رَهْنَ سبـاء
وتكونت من سواد أبي الأسود شخصاً يكنى أبا السوداء
لأبى الله أن يَعُدّك أهل العِلم إلا من جملةِ الأغبيـــاء

---

١ وكان كوفي . . . النحو : سقط من س ل لي بر والمختار .

٢ ترجمته في أنباه الرواة ٢ : ٥٦ والمصادر الأخرى في الحاشية ؛ ولسلمة كتاب « معاني القرآن » قال فيه ابن الأنباري : كتاب سلمة أجود الكتب .

٣ ر ن : فنقل إليه .

٤ ج ٣ : ٣٥٨ .

٥ ر : فشق عليه ذلك أي على الوزير .

٦ ديوان ابن الرومي ١ : ٨٧ .

٥٨٠

أبو بكر النيسابوري

أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ؛ كان فقيهاً عالماً مُطّلعاً ، ذكره الشيخ أبو إسحاق في « طبقات الفقهاء »[1] وقال : صنف في اختلاف العلماء كتباً لم يصنف أحدٌ مثلها ، واحتاج إلى كتبه الموافق والمخالف ، ولا أعلم عمن أخذ الفقه؛ وتوفي بمكة سنة تسع أو عشر وثلثمائة[2] ، رحمه الله تعالى؛ ومن كتبه المشهورة في اختلاف العلماء « كتاب الاشراف » وهو كتاب كبير يدل على كثرة وقوفه على مذاهب الأئمة ، وهو من أحسن الكتب وأنفعها وأمتعها ، وله كتاب « المبسوط » أكبر من « الاشراف » ، وهو في اختلاف العلماء ونقل مذاهبهم أيضاً ، وله كتاب « الإجماع » وهو صغير .

---

٥٨٠ – ترجمته في الفهرست : ٢١٥ والوافي ١ : ٣٣٦ وتذكرة الحفاظ : ٧٨٢ وطبقات السبكي ٢ : ١٢٦ ولسان الميزان ٥ : ٥٧٠ وطبقات العبادي : ٦٧ .

١ طبقات الشيرازي : ١٠٨ .

٢ هذا هو تاريخ وفاته كما ذكره الشيرازي ، وقال السبكي ، قال شيخنا الذهبي : وهذا ليس بشيء لأن محمد بن يحيى بن عمار لقيه سنة ست عشرة وثلاثمائة .

٥٨١

أبو زيد المروزي

أبو زيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ، المروزي الفاشاني الفقيه الشافعي؛ كان من الأئمة الأجلاء ، حسن النظر مشهوراً بالزهد حافظاً للمذهب ، وله فيه وجوه غريبة . أخذ الفقه عن أبي إسحاق المروزي، وأخذ عنه أبو بكر القفال المروزي ، ودخل بغداد وحدث بها ، وسمع منه الحافظ أبو الحسن الدارقطني ومحمد بن أحمد بن القاسم المحاملي ، ثم خرج إلى مكة فجاور بها سبع سنين ، وحدث هناك بصحيح البخاري عن محمد بن يوسف الفِرَبْري ، قال الخطيب : وأبو زيد أجل مَنْ روى هذا الكتاب . وقال أبو بكر البزار[١] : عادلت الفقيه أبا زيد من نيسابور إلى مكة فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه ، يعني خطيئة . وقال أحمد[٢] بن محمد الحاتمي الفقيه : سمعت أبا زيد المروزي يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأنا بمكة ، وكأنه يقول لجبريل عليه السلام : يا روح الله اصحبه إلى وطنه[٣] .

وكان في أول أمره فقيراً لا يقدر على شيء فكان يعبر الشتاء بلا جبة مع شدة البرد في تلك البلاد ، فإذا قيل له في ذلك يقول : بي علة تمنعني من لبس المحشو ، يعني به الفقر . وكان لا يشتهي أن يطلع أحداً على باطن حاله ، ثم أقبلت عليه الدنيا في آخر عمره وقد أسَنَّ وتساقطت أسنانه فكان لا يتمكن

---

٥٨١ – ترجمته في تاريخ بغداد ١ : ٣١٤ وطبقات الشيرازي : ١١٥ والبصائر ١ : ٤٠٦ والمنتظم ٧ : ١١٢ والوافي ٢ : ٧١ وطبقات السبكي ٢ : ١٠٨ والشذرات ٣ : ٧٦ وطبقات الخسيبي: ٣٠ وطبقات العبادي : ٩٣ وعبر الذهبي ٢ : ٣٦٠ .

١ المختار : الخباز ؛ لي : البزاز ؛ وانظر تبصير المنتبه ١ : ١٤٨ .

٢ ر ن : أبو الحسين أحمد .

٣ وقال أحمد . . . وطنه : سقط من س لي ل ت بر .

من المضغ وبطلت منه حاسة الجماع فكان يقول[1] مخاطباً النعمة : لا بارك الله فيك ! أقبلت حين لا ناب ولا نصاب .

وقد أذكرتني هذه الحكاية أبياتاً لبعض الفضلاء وقد أثرى وصارت له نعمة وهو في عَشْر الثمانين ، وهي :

ما كنتُ أرجُوهُ إذ كنت ابنَ عشرينا ملكتُه بعد أن جاوزتُ سَبْعينا
تطيف بي من بني الأتراك أغزلة مثل الغصُون على كُثبانِ يَبْرينا
وخُرَّدٌ من بنات الروم رائعة يحكين بالحسن حُورَ الجنة العينا
يغمزنني بأساريع مُنَعَّمَةٍ تكاد تنقض من أطرافها لِينا
يُردْنَ إحياء ميتٍ لا حراك به فكيف يحيين ميتاً صار مدفونا
قالوا أنينك طولَ الليل يُقلقنا فما الذي تشتكي ؟ قلت الثمانينا

وتوفي يوم الخميس ثالث عشر رجب سنة إحدى وسبعين[2] وثلثمائة بمرو ، رحمه الله تعالى؛ وقد تقدم الكلام على نسبة المروزي والفاشاني فلا حاجة إلى الإعادة.

٥٨٢

أبو بكر الأودني

أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن نصر بن ورقاء الأودني الفقيه الشافعي ، إمام أصحاب الشافعي في عصره ؛ ذكره الحاكم أبو عبد الله بن البَيّع النيسابوري في « تاريخ نيسابور » وقال : حج ثم انصرف وأقام بنيسابور عندنا مدة وكان

١ ل لي ت س : فيقول .

٢ ن : وتسعين .

٥٨٢ – ترجمته في الأنساب ١ : ٣٨٣ والوافي ٣ : ٣١٦ والشذرات ٣ : ١١٨ وطبقات الحسيني : ٣٢ ، وطبقات العبادي : ٩٢ وعبر الذهبي ٣ : ٣١ .

من أزهد الفقهاء وأبكاهم على تقصيره . وتوفي في شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثلثمائة ببخارا ، ودفن بكلاباذ رحمه الله تعالى .

والأودني : بضم الهمزة وسكون الواو وفتح الدال المهملة وبعدها نون ، هذه النسبة إلى أودنة ، وهي قرية من قرى بخارا ، هكذا قاله السمعاني ، والفقهاء يحرفونه فيقولون « الأودي » وسمعت بعض مشايخنا في زمن الاشتغال بالعلم يقول: هو « الأودني »[1] بفتح الهمزة والله أعلم. [ثم وجدت في كتاب أبي بكر الحازمي الذي سماه « ما اتفق لفظه وافترق مسماه » ما يدل على أنه بفتح الهمزة ، فإنه جعله مع أردن ونظائره مما أوله بفتح الهمزة ، ثم قال: وأما أودن – بعد الهمزة واو ساكنة ثم دال مهملة وآخره نون – فقرية من قرى بخارا ، وعادته في هذا الكتاب أنه إذا ذكر مكاناً على مثل هذه الصورة ثم ذكر بعده مثله تركه على حاله ، وإن اختلف في الحركة ذكر وجه المخالفة ، ولم يذكر هاهنا ضمة الهمزة، فدل على أنه مثل الأول][2] .

وله وجوه في المذهب ، وذكره صاحب « الوسيط »[3] في مواضع عديدة .

وكلاباذ : بفتح الكاف وبعد اللام ألف باء موحدة مفتوحة وبعد الألف ذال معجمة ، وهي محلة ببخارا .

(167) وإليها ينسب الحافظ المتقن أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسن بن الحسين ابن علي بن رستم الكلاباذي أحد أئمة الحديث وكان ثقة ، وتوفي لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، ومولده سنة ستين وأربعمائة[4] رحمه الله تعالى . قلت : هكذا ذكره الحافظ أبو سعد ابن السمعاني في تاريخ وفاة الكلاباذي ومولده وهو غلط ، فإنه أخر تاريخ المولد عن تاريخ الوفاة ، وكشفته

---

١ ر : الأودي .

٢ انفردت به ر .

٣ س : البسيط .

٤ في اللباب : وكانت ولادته سنة ستين ، دون ذكر للفظة « وأربعمائة » وقال الذهبي (تذكرة الحفاظ : ١٠٢٧) مات في جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة عن خمس وسبعين سنة (ولعل سبعين مصحفة عن تسعين) .

من جهات عديدة فلم أجد مَنْ ذكره ، فتركته على حاله ، والظاهر أن الأمر بالعكس ، والله أعلم .

٥٨٣

أبو بكر الفارسي

أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن شاهَوَيْهِ الفارسي الفقيه الشافعي ؛ ذكره الحاكم أبو عبد الله في « تاريخ نيسابور » وقال : أقام بنيسابور زماناً ، ثم خرج إلى بخارا ثم انصرف إلى نيسابور ، ورجع إلى بلاد فارس فولي القضاء بها ، ثم رجع إلى نيسابور وحدث بها . وتوفي في سنة اثنتين وستين وثلثمائة بنيسابور ، رحمه الله تعالى . وله في المذهب وجوه بعيدة تفرد بها ، ولم نرها منقولة عن غيره ، ولم أعلم عمن أخذ الفقه[١] .

وشاهَوَيْه : بالشين المعجمة وبعد الألف هاء مفتوحة ثم واو مفتوحة ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة ، وهو اسم عجمي مركب ، فالشاه الملك ، وأما ويه فقد قال الجوهري في كتاب « الصحاح » : سيبويه ونحوه من الأسماء اسم بني مع صوت فجعلا اسماً واحداً .

وأما فارس فإنها كورة عظيمة قصبتها شيراز ، وشهرتها تغني عن ضبطها .

---

٥٨٣ – ترجمته في طبقات الشيرازي : ١٤٤ والوافي ٢ : ٤٤ وطبقات السبكي ٢ : ١١٢ (موضع ترجمة سقطت) والجواهر المضية ٢ : ١٨ .

١ آخر الترجمة في النسخ ما عدا ر ، واقتصر في المختار بعد هذا على تحديد « فارس » .

٥٨٤

القضـاعي

أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون بن إبراهيم بن محمد بن مسلم القُضاعي الفقيه الشافعي ، صاحب كتاب « الشهاب » ؛ ذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » وقال: روى عنه أبو عبد الله الحميدي، وتولى القضاء بمصر نيابة[1] من جهة المصريين ، وتوجّه منهم رسولاً إلى جهة الروم ، وله عدة تصانيف : منها كتاب « الشهاب » وكتاب « مناقب الإمام الشافعي رضي الله عنه وأخباره » وكتاب « الإنباء عن[2] الأنبياء » و « تواريخ الخلفاء » وله كتاب « خطط مصر » .

وذكره الأمير أبو نصر ابن ماكولا في كتاب « الإكمال » وقال : كان مفتناً في عدة علوم . وتوفي بمصر ليلة الخميس السادس عشر[3] من ذي القعدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، وصلي عليه يوم الجمعة بعد العصر في مصلى النجـــار . وقد تقدم ذكره في ترجمة الظاهر بن الحاكم العبيدي[4] صاحب مصر ، وأنه كان يعلم عن وزيره الأقطع الجَرْجَرائي .

وذكر السمعاني في كتاب « الذيل » في ترجمة الخطيب أبي بكر أحمد بن علي ابن ثابت الحافظ صاحب « تاريخ بغداد » أنه حج سنة خمس وأربعين وأربعمائة

---

٥٨٤ – ترجمته في طبقات السبكي ٣ : ٦٢ والوافي ٣ : ١١٦ والشذرات ٣ : ٢٩٣ وحسن المحاضرة ١ : ١٦٩ والرسالة المستطرفة : ٧٦ .

١ نيابة : سقطت من س ت .

٢ ن : على .

٣ ل لي ش بر : السابع عشر .

٤ انظر ج ٣ : ٤٠٧ .

وحج تلك السنة أبو عبد الله القضاعي المذكور ، وسمع الخطيب منه ، رحمه الله تعالى .

والقضاعي : بضم القاف وفتح الضاد المعجمة وبعد الألف عين مهملة ، هذه النسبة إلى قـُضاعة ، ويقال : هو ابن معد بن عدنان ، ويقال : هو من حمير ، وهو الأكثر والأصح ، واسمه عمرو بن مالك ، وينسب إليه قبائل كثيرة، منها كلب وبَلِيّ وجهينة وعُذْرَة وغيرهم[1] .

(168) والنجار صاحب المصلّى هو : عمران بن موسى النجار مولى غافق، وقيل إن النجار المذكور هو أبو الطيب محمد بن جعفر البغدادي النجـــار ، ويُعرف بغُنْدَر ، وتوفي سنة ثمان وخمسين وثلثمائة قبل دخول القـائد جوهر مصر ، رحمه الله تعالى .

٥٨٥

المسعودي الفقيه

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسعود بن أحمد[2] ، المسعودي الفقيـــه الشافعي ؛ إمام فاضل مبرّز ورع من أهل مرو ، تفقه على أبي بكر القفال المروزي وشرح «مختصر» المزني وأحسن فيه، وروى قليلاً من الحديث عن أستاذه القفال، وحكى عنه الغزالي في كتاب « الوسيط » في الأيمان في الباب الثالث فيما يقع به الحِنْثُ مسألةً لطيفة فقال : فرع – لو حلف لا يأكل بيضاً ، ثم انتهى إلى رجل فقال : والله لآكلن ما في كمك ، فإذا هو بيض ، فقد سئل القفال عن

---

١ هنا تنتهي الترجمة في ت .

٥٨٥ – ترجمته في طبقات السبكي ٣ : ٧٢ وطبقات الحسيني : ٤٦ (باسم : محمد بن عبد الملك) ؛ واقتصر في المختار على ذكر المسألة الفقهية الواردة في الترجمة .

٢ اختلفت النسخ في اسمه ففي ل : أبو عبد الله ابن مسعود بن أحمد ؛ لي بر : محمد بن مسعود بن أحمد ؛ ن : محمد بن أحمد المسعودي .

هذه المسألة وهو على الكرسي فلم يحضره الجواب ، فقال المسعودي تلميذه : يتخذ منه الناطف ويأكله ، فيكون قد أكل ما في كمه ولم يأكل البيض ، فاستحسن ذلك منه ، وهذه الحيلة من لطائف الحيل . وتوفي المسعودي المذكور سنة نيف وعشرين وأربعمائة بمرو ، رحمه الله تعالى ؛ ونسبته إلى جده مَسْعُود .

٥٨٦

أبو عاصم العبادي

القاضي أبو عاصم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عباد ، العَبّادي الهروي الفقيه الشافعي؛ تفقه بهَراة على القاضي أبي منصور الأزدي، وبنيسابور على القاضي أبي عمر البسطامي ، وصار إماماً متقناً دقيق النظر . تنقل في البلاد ولقي خلقاً كثيراً من المشايخ وأخذ عنهم ، وصنف كتباً نافعة : منها « أدب القضاء » و « المبسوط » و « الهادي إلى مذهب العلماء » وكتاب « الرد على السمعاني »[1] وله كتاب لطيف في طبقات الفقهاء[2] ، وعنه أخذ أبو سعد الهروي صاحب كتاب « الأشراف » في أدب القضاء وغوامض الحكومات وسمع الحديث ورواه . وتوفي في شوال سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ؛ وكانت ولادته في سنة خمس وسبعين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

والعبّادي : بفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف دال مهملة ، هذه النسبة إلى جده عَبّاد المذكور . وقد تقدم الكلام على الهروي .

---

٥٨٦ – ترجمته في الوافي ٢ : ٨٢ والشذرات ٣ : ٣٠٦ وطبقات الحسيني : ٥٦ ولم ترد هذه الترجمة في المختار .

١ وكتاب الرد على السمعاني : سقط من ر .

٢ هو الذي نشير إليه باسم طبقات العبادي .

٥٨٧

الخضري

أبو عبد الله محمد بن أحمد الخِضْري المروزي الفقيه الشافعي ؛ إمام مرو ومقدم الفقهاء الشافعية ، صحب أبا بكر الفارسي ، وكان من أعيان تلامذة أبي بكر القفال الشاشي[١] ، وأقام بمرو ناشراً فقه الشافعي ، وكان يضرب به المثل في قوة الحفظ وقلة النسيان ، وله في المذهب وجوه غريبة نقلها الخراسانيون عنه ، وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنه صحح دلالة الصبي على القِبْلة ، قال الخضري : معناه أن يدل على قبلة تُشاهَد في الجامع ، فأما في موضع الاجتهاد فلا يقبل .

وذكر أبو الفتوح العجلي في أول كتاب النكاح من كتاب « شرح مشكلات الوجيز والوسيط » أن الشيخ أبا عبد الله الخِضْري سئل عن قُلامة ظفر المرأة: هل يجوز للرجل الأجنبي النظر إليها ، فأطرق الشيخ طويلا ساكتاً ، وكانت ابنة الشيخ أبي علي الشبوي تحته ، فقالت له : لمَ تتفكر وقد سمعت أبي يقول في جواب هذه المسألة : إن كانت من قلامة أظفار اليدين جاز النظر إليها وإن كانت من أظفار الرجلين لم يجز ، وإنما كان ذلك لأن يدها ليست بعورة ، بخلاف ظهر القدم ، ففرح الخضري[٢] وقال : لو لم أستفد من اتصالي بأهل العلم إلا هذه المسألة لكانت كافية ؛ انتهى كلام العجلي .

قلت أنا : هذا التفصيل بين اليدين والرجلين فيه نظر ، فإن أصحابنا قالوا: اليدان ليستا بعورة في الصلاة ، أما بالنسبة إلى نظر الأجنبي فما نعرف بينهما فرقاً ، فلينظر .

---

٥٨٧ – ترجمته في طبقات السبكي ٢ : ١٢٥ والوافي ٢ : ٧٢ والشذرات ٣ : ٨٢ (وفيات ٣٧٣ وقال : أو في التي قبلها) . وطبقات الحسيني : ٣٦ وطبقات العبادي : ٩٦ .

١ ت ل س لي ن بر : المروزي .   ٢ ر : الشيخ الخضري .

وكانت له معرفة بالحديث أيضاً وكان ثقة. وتوفي في عشر الثمانين والثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

والخِضْري : بكسر الخاء المعجمة وسكون الضاد المعجمة وبعدها راء ، هذه النسبة إلى بعض أجداده ، واسمه الخضر ، هذا عند من يكسر الخاء ويسكن الضاد من الخِضْر ، وهي إحدى اللغتين ، فأما من يقول الخَضِر – بفتح الخاء وكسر الضاد – فقياسه أن يقال الخَضَري – بفتح الضاد – كما قالوا في النسبة إلى نمرة نمري ، وهو باب مطرد لا يخرج عنه شيء .

والشَّبُّوي : بفتح الشين المعجمة وتشديد الباء الموحدة وضمها وسكون الواو ، هذه النسبة إلى شَبُّويه ، وهو اسم بعض أجداد الشيخ أبي علي المذكور وكان فقيهاً فاضلاً من أهل مرو[1] ، رحمه الله تعالى .

٥٨٨

الغزالي

أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ، الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي ؛ لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله ،

---

١ ر : العلم .

٥٨٨ – ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ١٠١ وتبيين كذب المفتري : ٢٩١ – ٣٠٦ واللباب (الغزالي) والمنتظم ٩ : ١٦٨ و Histories (المنتخب الثاني : ٢٠) وطبقات الحسيني : ٦٩ . وقد جمع الأستاذ عبد الكريم العثمان بعض ما جاء في كتب المتقدمين عنه في كتاب سماه « سيرة الغزالي » (دار الفكر – دمشق) ، وفي كتاب المنقذ من الضلال جانب من سيرته ، والدراسات المعاصرة عنه كثيرة ، انظر مثلا : الحقيقة في نظر الغزالي للدكتور سليمان دنيا (دار المعارف – مصر) والغزالي لكارادوفو ، ترجمة عادل زعيتر (القاهرة ١٩٥٩) وكتاب مهرجان الغزالي في دمشق ١٩٦١ ومؤلفات الغزالي لعبد الرحمن بدوي (القاهرة ١٩٦١) ، ومراجع أخرى تكاد تعز على الحصر في مختلف اللغات .

اشتغل في مبدأ أمره بطوس على أحمد الراذكاني[1] ، ثم قدم نيسابور واختلف إلى دروس إمام الحرمين أبي المعالي الجُوَيني ، وجَدّ في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة ، وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه ، وصنف في ذلك الوقت ، وكان أستاذه يتبجح به ، ولم يزل ملازماً له إلى أن توفي[2] في التاريخ المذكور في ترجمته ، فخرج من نيسابور الى العسكر ، ولقي الوزير نظام الملك فأكرمه وعظمه وبالغ في الإقبال عليه ، وكان بحضرة الوزير جماعة من الأفاضل ، فجرى بينهم الجدال والمناظرة في عدة مجالس ، فظهر عليهم واشتهر اسمه وسارت بذكره الركبان .

ثم فوض إليه الوزير تدريس مدرسته النظامية بمدينة بغداد ، فجاءها وباشر إلقاء الدروس بها ، وذلك في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وأعجب به أهل العراق وارتفعت عندهم منزلته ، ثم ترك جميع ما كان عليه في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وسلك طريق الزهد والانقطاع وقصد الحج [وناب عنه أخوه أحمد في التدريس][3] فلما رجع توجه الى الشام فأقام بمدينة دمشق مدة يذكر الدروس في زاوية الجامع في الجانب الغربي منه ، وانتقل منها الى البيت المقدس ، واجتهد في العبادة وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة ، ثم قصد مصر وأقام بالإسكندرية مدة ، ويقال إنه قصد منها الركوب في البحر الى بلاد المغرب على عزم الاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين صاحب مراكش ، — وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى — فبينا هو كذلك بلغه نعي يوسف بن تاشفين المذكور ، فصرف عزمه عن تلك الناحية .

ثم عاد الى وطنه بطوس واشتغل بنفسه وصنف الكتب المفيدة في عدة فنون منها ما هو أشهرها كتاب « الوسيط » و « البسيط » و « الوجيز » و « الخلاصة » في الفقه ، ومنها « إحياء علوم الدين » وهو من أنفس الكتب وأجملها[4] ، وله في أصول الفقه « المستصفى » فرغ من تصنيفه في سادس المحرم

---

١ نسبة إلى الراذكان وهي بليدة بنواحي طوس ؛ وفي المختار : الزادكاني .

٢ ن : حتى توفي .

٣ زيادة من ن بر . ٤ ر ن : وأجلها .

سنة ثلاث وخمسمائة[1] ، وله « المنحول والمنتحل في علم الجدل » وله « تهافت الفلاسفة » و « محك النظر » و « معيار العلم » و « المقاصد » و « المضنون به على غير أهله » و « المقصد الأقصى[2] في شرح أسماء الله الحسنى» و « مشكاة الأنوار» و « المنقذ من الضلال » و « حقيقة القولين » وكتبه كثيرة وكلها نافعة .

ثم ألزم بالعود إلى نيسابور والتدريس بها بالمدرسة النظامية ، فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودات ، ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته في وطنه ، واتخذ خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره ، ووزع أوقاته على وظائف الخير : من ختم القرآن ومجالسة أهل القلوب والقعود للتدريس ، إلى أن انتقل إلى ربه . ويروى له شعر ، فمن ذلك ما نسبه إليه الحافظ أبو سعد السمعاني في « الذيل » وهو قوله :

حَلّتْ عَقاربُ صدغه في خَدّه قمراً فجل بها عن التشبيه
ولقد عهدناه يَحلُّ ببرجها فمن العجائب كيف حلت فيه

ورأيت هذين البيتين في موضع آخر لغيره والله أعلم . ونسب إليه العماد الأصبهاني في « الخريدة »[3] هذين البيتين ، وهما :

هبني صبوت كما ترون بزعمكم وحظيت منه بلثم خد أزهرِ
إني اعتزلت فلا تلوموا إنه أضحى يقابلني بوجه أشعر(ي)

ونسب إليه البيتين اللذين قبلهما .

وكانت ولادته سنة خمسين وأربعمائة ، وقيل سنة إحدى وخمسين بالطابران[4] ، وتوفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بالطابران[5] ،

---

١ فرغ . . . وخمسمائة : سقط من النسخ جميعاً .
٢ ن : الأسنى .
٣ ل ن بر : في كتاب الخريدة .
٤ بالطابران زيادة من ر والمختار .
٥ ل ن لي س ت بر : بطوس .

ورثاه الأديب أبو المظفر محمد الأبيوردي الشاعر المشهور – وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى – بأبيات فائية من جملتها :

مضى وأعظم مفقودٍ فجعتُ بـه مَنْ لا نظير له في الناس يخلفـه

وتمثل الإمام إسماعيل الحاكمي بعد وفاته بقول أبي تمام من جملة قصيدة مشهورة :

عجبتُ لصبري بعده وهو ميت وكنت امرءًا أبكي دماً وهو غائبُ
على أنها الأيام قـد صرن كلها عجائبَ حتى ليس فيهـا عجائبُ

ودفن بظاهر الطابران ، وهي قصبة طوس ، رحمه الله تعالى .

وقد تقدم الكلام على الطوسي والغزالي في ترجمة أخيه أحمد الزاهد الواعظ المذكور في حرف الهمزة[1] ؛ والطَّابَرانُ ، بفتح الطـاء المهملة والباء الموحدة وراء مهملة وبعد الألف الثانية نون ، وهي إحدى بلدتي طوس ، كما تقدم في ترجمة أحمد أيضاً .

٥٨٩

المستظهري

أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي الأصـل الفارقي المولد ، المعروف بالمستظهري ، الملقب فخر الإسلام الفقيه الشافعي ؛ كان فقيه وقته ، تفقه أولاً بمَيّافارِقِينَ على أبي عبد الله محمد بن بيان[2] الكازروني ، وعلى القاضي

---

١ انظر ج ١ : ٩٨ .

٥٨٩ – ترجمته في الوافي ٢ : ٨٣ والمنتظم ٩ : ١٧٩ وطبقات السبكي ٤ : ٥٧ وعبر الذهبي ٤ : ١٣ والشذرات ٤ : ١٦ وطبقات الحسيني : ٧٢ .

٢ ن ر : ابن بنان ؛ وسقط من س .

أبي منصور الطوسي صاحب أبي محمد الجُوَيني إلى أن عزل عن قضاء ميافارقين، ثم رحل أبو بكر إلى بغداد، ولازم الشيخ أبا إسحاق الشيرازي، رحمه الله تعالى، وقرأ عليه وأعاد عنده، وقرأ كتاب « الشامل » في الفقه على مصنفه أبي نصر ابن الصباغ، رحمه الله تعالى، ودخل نيسابور صحبة الشيخ أبي إسحاق، وتكلم في مسألة بين يدي إمام الحرمين فأحسن فيها، وعاد إلى بغداد. وذكره الحافظ عبد الغافر الفارسي في « سياق تاريخ نيسابور » وتعين في الفقه بالعراق بعد أستاذه أبي إسحاق، وانتهت إليه رياسة الطائفة الشافعية. وصنف تصانيف حسنة، من ذلك كتاب « حلية العلماء » في المذهب، ذكر فيه مذهب الشافعي، ثم ضم إلى كل مسألة اختلاف الأئمة فيها، وجمع من ذلك شيئاً كثيراً وسماه « المستظهري » لأنه صنفه للإمام المستظهر بالله، وصنف أيضاً في الخلاف.

وتولى التدريس بالمدرسة النظامية بمدينة بغداد، سنة[1] أربع وخمسمائة إلى حين وفاته، وكان قد وليها قبله الشيخ أبو إسحاق الشيرازي وأبو نصر ابن الصباغ صاحب « الشامل » وأبو سعد المتولي صاحب « تتمة الإبانة » وأبو حامد الغزالي – وقد سبق ذكر ذلك في ترجمة كل واحد منهم – فلما انقرضوا تولاها هو. وحكى لي بعض المشايخ من علماء المذهب أنه يوم ذكر الدرس، وضع منديله على عينيه وبكى كثيراً، وهو جالس على السُّدَّة التي جرت عادة المدرّسين بالجلوس عليها وكان ينشد[2]:

خلت الديارُ فسدْتُ غيرَ مُسوَّدِ ومِنَ العناءِ[3] تفرُّدي بالسؤددِ

وجعل يردد هذا البيت ويبكي، وهذا إنصاف منه واعتراف لمن تقدمه بالفضل والرجحان عليه، وهذا البيت من جملة أبيات في « الحماسة »[4].

---

١ ر: في شعبان سنة.

٢ ر والمختار: وأنشد.

٣ ر والمختار: البلاء؛ ن: الشقاء.

٤ شرح المرزوقي: ٨٠٧ والأبيات لرجل من خثعم، وورد البيت عند ياقوت (البقيع) منسوباً لعمرو بن النعمان البياضي.

ومدحه تلميذه أبو المجد حمدان بن كثير البالسي[1] بقصيدة يقول فيها :

يا كعبةَ الفضلِ أفتِنا لمْ يَجِبْ شَرْعاً على قُصّادِكَ الإحرامُ
ولما تضمخ زائِريكَ بطيبِ ما تُلقيهِ وهْوَ على الحجيج حَرامُ

وقد سبق في مرثية أبي العلاء المعري مثل هذا المعنى .

وكانت ولادته في المحرم سنة تسع وعشرين وأربعمائة بميافارقين . وتوفي في يوم السبت خامس عشري شوال سنة سبع وخمسمائة ببغداد ، ودفن في مقبرة باب أبرز[2] ، مع شيخه أبي إسحاق في قبر واحد ، وقيل دفن إلى جانبه[3] ، رحمهما الله تعالى .

٥٩٠

أبو نصر الأرغياني

أبو نصر محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأرغياني الفقيه الشافعي؛ قدم من بلده إلى نيسابور واشتغل على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني وبرع في الفقه، وكان إماماً مفتّناً ورعاً كثير العبادة . وسمع الحديث من أبي الحسن علي ابن أحمد الواحدي صاحب التفاسير ، وروى عنه في تفسير قوله تعالى ﴿ إني لأجِدُ ريحَ يوسفَ ﴾ (يوسف : ٩٤) أن ريح الصبا استأذنت ربها عز وجل أن تأتي بريح يوسف على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام قبل ان يأتيه البشير

---

١ ن : البانسي ؛ ر والمختار : اليانسي ، وقد سقط هذا النص حتى آخر البيتين من النسخ ما عدا : ن ر والمختار .
٢ كذا في المختار ، ر ، وفي النسخ الأخرى : بباب شيراز .
٣ إلى جانبه : كذا في ن والمختار ؛ وفي سائر النسخ : بجنبه .

٥٩٠ – ترجمته في الوافي ٣ : ٣٤٨ والأنساب ١ : ١٦٨ والمنتظم ١٠ : ٤٠ وطبقات السبكي ٤ : ٧١ وطبقات الحسيني : ٧٨ ؛ والترجمة موجزة كثيراً في المختار .

بالقميص ، فأذن لها فأتته بذلك ، فلذلك يستروح[1] كل محزون بريح الصبا ، وهي من ناحية المشرق : إذا هبت على الأبدان نعمتها ولينتها ، وهيجت الأشواق إلى الأوطان والأحباب ، وأنشد :

أيا جَبَلَيْ نَعْمانَ بالله خَلّيا نسيمَ الصَّبا يَخْلُصْ إليّ نسيمُها
فان الصَّبا ريحٌ إذا ما تنسَّمت على نَفْس مهموم ٍ تجلّتْ همومُها

وكانت ولادته في سنة أربع وخمسين وأربعمائة ؛ وتوفي ليلة الرابع والعشرين من ذي القعدة ، سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بنيسابور ، ودفن بظاهرها بموضع يقال له « الحيرة » على الطريق ، رحمه الله تعالى .

والفتاوى المستخرجة من كتاب « نهاية المطلب » المنسوبة إلى الأرغياني أشك فيها : هل هي له أم لأبي الفتح سهل بن علي الأرغياني – المقدم ذكره[2] – فإني بعيد العهد بالوقوف عليها ، وذكرتُ في ترجمة أبي الفتح أنها له ، ثم حصل[3] لي الشك ، والله أعلم .

وقد تقدم الكلام على نسبة الأرغياني في ترجمة أبي الفتح المذكور .

ثم إني ظفرت بالفتاوى المذكورة ، فوجدتها لأبي نصر المذكور ، لا لأبي الفتح .

---

١ ن ر : يتروح .
٢ انظر ج ٢ : ٤٣٤ والحاشية رقم : ٤ .
٣ ن : فحصل .

٥٩١

محمد بن يحيى

أبو سعد محمد بن يحيى بن أبي منصور النيسابوري، الملقب محيي الدين، الفقيه الشافعي؛ أستاذ المتأخرين وأوحدهم علماً وزهداً، تفقه على حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، وأبي المظفر أحمد بن محمد الخوافي – المقدم ذكره[١] – وبرع في الفقه وصنف فيه وفي الخلاف، وانتهت إليه رياسة الفقهاء بنيسابور، ورحل إليه الناس من البلاد، واستفاد منه خلق كثير صار أكثرهم سادة وأصحابَ طرق في الخلاف؛ وصنف كتاب «المحيط في شرح الوسيط» و «الانتصاف في مسائل الخلاف» وغير ذلك من الكتب.

ذكره الحافظ عبد الغافر الفارسي في «سياق تاريخ نيسابور» وأثنى عليه، وقال: كان له حظ في التذكير، واستمداد من سائر العلوم، وكان يدرس بنظامية نيسابور، ثم درس بمدينة هَرَاة في المدرسة النظامية؛ ومن جملة مسموعاته ما سمعه من الشيخ أبي حامد أحمد بن علي بن محمد بن عبدوس بقراءة الإمام أبي نصر عبد الرحيم بن أبي القاسم عبد الكريم القشيري، في سنة ست وتسعين وأربعمائة، وحضر بعض فضلاء عصره درسه وسمع فوائده، وحسن إلقائه، فأنشده:

رفات الدين والإسلام يحيا ... بمحيي الدين مولانا ابن يحيى
كأن الله ربَّ العرش يلقي ... عليه حين يلقي الدرس وَحْيا

ورأيت في بعض المجاميع بيتين منسوبين إليه، ثم وجدت في ترجمة الشيخ شهاب الدين أبي الفتح محمد بن محمود بن محمد الطوسي الفقيه الشافعي نزيل مصر،

---

٥٩١ – ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ١٩٧ والشذرات ٤ : ١٥١ وعبر الذهبي ٤ : ١٣٣ .

١ انظر ج ١ : ٩٦ .

قال : وأنشدني الإمام أبو سعد محمد بن يحيى النيسابوري لنفسه[1] وهما :

وقالوا يصير الشعر في الماء حية ... إذا الشمس لاقَتْهُ فما خلته صدقا
فلما ثوى صدغاه في ماء وجهه ... وقد لَسَعا قلبي تيقنته حقا

وكانت ولادته سنة ست وسبعين وأربعمائة بطُرَيْثِيث . وتوفي شهيداً في شهر رمضان ، سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، قتلته الغز لما استولوا على نيسابور في وقعتهم مع السلطان سنجر السلجوقي – كما تقدم ذكره في ترجمته[2] – أخذته ودَسّتْ في فيه التراب حتى مات . وحكى ابن الأزرق الفارقي في تاريخه أن ذلك كان في سنة ثلاث وخمسين ، والأول أصح . ولما مات رثاه جماعة من العلماء، من جملتهم أبو الحسن علي بن أبي القاسم البيهقي ، قال فيه :

يا سافكاً دمَ عالم متبحر ... قد طار في أقصى الممالك صِيتُهُ
تالله قلْ لي يا ظلومُ ولا تخف ... مَنْ كان محيي الدين كيف تميته[3]

رحمه الله تعالى .

(169) وتوفي شهاب الدين الطوسي المذكور ، في العشرين من ذي القعدة سنة ست وتسعين وخمسمائة بمصر [ودفن بالقرافة ، ومولده سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، وكان مدرساً بمدرسة منازل العز بمصر، وقدم إلى مصر من مكة سنة تسعٍ وسبعين وخمسمائة ونزل خانقاه « سعيد السعداء » بالقاهرة][4] .

وطريثيث : بضم الطاء المهملة وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر الثاء المثلثة وسكون الياء المثناة الثانية وبعدها ثاء مثلثة ، وهي ناحية كبيرة من نواحي نيسابور ، خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم .

---

١ ثم وجدت . . . لنفسه : سقط من النسخ ما عدا ر ، ووقع فيها بعد إيراد البيتين .
٢ انظر ج ٢ : ٤٢٨ .
٣ إلى هنا انتهت الترجمة في المختار .
٤ انفردت به ر .

٥٩٢

البروي

أبو منصور محمد بن محمد بن محمد بن سعد بن عبد الله البروي الفقية الشافعي ؛ أحد الأئمة المشار إليهم بالتقدم في الفقه والنظر وعلم الكلام والوعظ ، وكان حلو[١] العبارة ذا فصاحة وبراعة ، تفقه على الفقيه محمد بن يحيى المذكور قبله ، وكان من أكبر أصحابه ، وصنف في الخلاف تعليقة جيدة ، وهي مشهورة ، وله جدل مليح مشهور سماه « المقترح في المصطلح » وأكثر اشتغال الفقهاء به ، وقد شرحه الفقيه تقي الدين أبو الفتح مظفر بن عبد الله المصري المعروف بالمقترح[٢] شرحاً مستوفى[٣] وعرف به ، واشتهر باسمه لكونه كان يحفظه فلا يقال له إلا التقي المقترح[٤] .

ودخل البروي بغداد سنة سبع وستين وخمسمائة فصادف قبولاً وافراً من العام والخاص ، وتولى المدرسة البهائية قريباً من النظامية وكان يذكر بها كل يوم عدة دروس ، ويحضر عنده الخلق الكثير ، وله حلقة المناظرة بجامع القصر ، ويحضر عنده المدرسون والأعيان ، وكان يجلس للوعظ بالمدرسة النظامية ، ومدرسها يومئذ أبو نصر أحمد بن عبد الله الشاشي ، وكان يظهر عليه من الحركات ما يدل على رغبته في تدريس النظامية ، وكان ينشد في أثناء مجلسه مشيراً إلى موضع التدريس أبيات المتنبي ، وهي أوائل قصيد[٥] :

---

٥٩٢ – ترجمته في الوافي ١ : ٢٧٩ والمنتظم ١٠ : ٢٣٩ وطبقات السبكي ٤ : ١٨٢ وعبر الذهبي ٤ : ٢٠٠ والشذرات ٤ : ٢٢٤ ؛ وقد أهملت هذه الترجمة في المختار .

١ ن : حسن .

٢ ر : المعتز ، وهو كذلك عند الصفدي .

٣ ر : مشبعاً .

٤ ر : إلا شرح التقي المصري ، وهو موافق لما عندي الصفدي .

٥ ل ن : قصيدة ، وانظر ديوانه : ٥٥ .

بكيت يا رَبْعُ حتى كدت أبكيكا وجدت بي وبدمعي في مغانيكا
فعِم صَباحاً لقد هَيّجْتَ لي شَجناً واردد تحيتنا إنا محيُّوكا
بأي حكم زمان صرتَ متخذاً رِيمَ الفَلا بدلاً من ريم أهليكا

فكان الناس يفهمون منه ذلك ، وكان أهلاً له ، ووعد به فأدركته المنية ؛ وكانت ولادته يوم الثلاثاء خامس عشر ذي القعدة سنة سبع عشرة وخمسمائة بطوس ؛ وتوفي يوم الخميس بين الصلاتين[1] سادس عشر رمضان سنة سبع وستين وخمسمائة ببغداد ، وصلي عليه يوم الجمعة بجامع القصر الخليفة المستضيء بأمر الله ودفن في ذلك النهار في تربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي بباب أبرز ، رحمهما الله تعالى .

وذكر الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » أن أبا منصور البروي المذكور قدم دمشق في سنة خمس وستين وخمسمائة ونزل في رباط السميساطي ، وقرىء عليه شيء من أماليه .

والبروي : بفتح الباء الموحدة والراء وبعدها واو[2] ، لا أعلم هذه النسبة الى أي شيء هي ، ولا ذكرها السمعاني ، وغالب ظني أنها من نواحي طوس ؛ والله أعلم .

---

١ بين الصلاتين : سقط من س ت .

٢ في الشذرات : والبروي بفتح المعجمة وتشديد الراء المضمومة نسبة إلى بروبه ، جد (لعلها : جده).

٥٩٣

ابن الخل

أبو الحسن محمد بن المبارك ، وكنيته أبو البقاء ، ابن محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن الخل ، الفقيه الشافعي البغدادي ؛ تفقه على أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي المعروف بالمستظهري – المقدم ذكره – وبرع في العلم ، وكان يجلس في مسجده الذي بالرحبة شرقي بغداد لا يخرج عنه إلا بقدر الحاجة يفتي ويدرّس ، وكان قد تفرد بالفتوى بالمسألة السُّرَيْجيَّة ببغداد وصنف كتاباً سماه « توجيه التنبيه » على صورة الشرح لكنه مختصر ، وهو أول من شرح « التنبيه » ، لكن ليس فيه طائل ، وله كتاب في أصول الفقه . وسمع الحديث من أبي عبد الله الحسين بن أبي طلحة النعالي[1] وأبي عبد الله الحسين البسري[2] وغيرهما . وروى عنه الحافظ أبو سعد السمعاني وغيره . وسمعت بعض الفقهاء ينقل عنه أنه كان يكتب خطاً جيداً منسوباً وأن الناس كانوا يحتالون على أخذ خطه في الفتاوى من غير حاجة إليها بل لأجل الخط لا غير ، فكثرت عليه الفتاوى وضيقت عليه أوقاته ، ففهم ذلك منهم ، فصار يكسر القلم ويكتب جواب الفتوى به ، فأقصروا عنه . [وقيل إن صاحب الخط المليح هو أخوه ، والله أعلم][3] .

وتوفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ببغداد ونقل إلى الكوفة ودفن بها ، رحمه الله تعالى .

(170) وكان أخوه أبو الحسين أحمد بن المبارك فقيهاً فاضلاً وشاعراً ماهراً ،

---

٥٩٣ – ترجمته في الوافي ٤ : ٣٨١ والمنتظم ١٠ : ١٧٩ وطبقات السبكي ٤ : ٩٦ وعبر الذهبي ٤ : ١٥٠ والشذرات ٤ : ١٦٤ ، وقد اقتصر في المختار على ما ورد في هذه الترجمة عن أحمد ابن المبارك أخي المترجم به .

١ ل ن : الثعالبي ، وهو خطأ .

٢ ر : السري ، وهو خطأ .

٣ انفردت به ر .

ذكره العماد الأصبهاني في كتاب « الخريدة » وأثنى عليه ، وأورد له مقاطيع شعر ودوبيت ، فمن ذلك أبيات في بعض الوعاظ وهي :

ومن الشقاوة أنهم ركنوا إلى نزغات ذاك الأحمق التمتام
شيخ يُبهرجُ دينه بنفاقه ونفاقُهُ منهم على أقوام
وإذا رأى الكرسيَّ تاه بأنفه أي أن هذا موضعي ومقامي
ويدق صدراً ما انطوى إلا على غل بواريه بكفٍّ عظام
ويقول أيش أقول مِن حَصَرٍ به لا لازدحام عبارةٍ وكلام

[وله دوبيت :

هذا ولهي وكم كتمتُ الولها صوناً لوداد مَنْ هوى النفس لها
يا آخرَ محنتي ويا أوّلها آياتُ غرامي فيك مَنْ أوّلها

وله أيضاً :

ساروا وأقامَ في فؤادي الكَمَدُ لم يلقَ كما لقيتُ منهم أحدُ
شوقٌ وجوًى ونارُ وجدٍ تَقِدُ مالي جلد ، ضعفتُ ما لي جلدُ

وله أيضاً :

ما ضرَّ حداةَ عيسهم لو رفقوا لم يبقَ غداة بينهم لي رمقُ
قلبٌ قلِقٌ وأدمعٌ تستبقُ أوهى جلدي من الفراق الفرقُ][1]

وكانت ولادته سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة؛ وتوفي سنة اثنتين – أو ثلاث – وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

---

[1] انفردت به ر .

٥٩٤

محيي الدين بن زكي الدين

أبو المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن محمد [أبي المعالي مجد الدين][١] بن يحيى [أبي الفضل زكي الدين][١] بن علي بن عبد العزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد بن القاسم بن عبد الرحمن بن أبان بن [أمير المؤمنين][١] عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، القرشي[٢] ، الملقب محيي الدين ، المعروف بابن زكي الدين ، الدمشقي الفقيه الشافعي ؛ كان ذا فضائل عديدة من الفقه والأدب وغيرهما ، وله النظم المليح والخطب والرسائل ، وتولى القضاء بدمشق في شهر ربيع الأول ، سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، يوم الأربعاء العشرين من الشهر المذكور ، هكذا وجدته بخط القاضي الفاضل : وكذلك أبوه [زكي الدين][١] وجده [مجد الدين ، وجد أبيه زكي الدين أيضاً وهو أول من ولي من بيتهم][١] وولداه [زكي الدين أبو العباس الطاهر ومحيي الدين][١] كانوا قضاتها . وكانت له عند السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، المنزلة العالية[٣] ، والمكانة المكينة . ولما فتح السلطان المذكور مدينة حلب[٤] ، يوم السبت ثامن عشر صفر ، سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، أنشده القاضي محيي الدين المذكور قصيدة بائية ، أجاد فيها كل الإجادة ، وكان من جملتها بيت هو متداول بين الناس ، وهو :

وفتحك القلعة الشهباء في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

---

٥٩٤ – ترجمته في الوافي ٤ : ١٦٩ وطبقات السبكي ٤ : ٨٩ وعبر الذهبي ٤ : ٢٠٥ والشذرات ٤ : ٣٣٧ ؛ وسقطت الترجمة من ت .

١ ما بين معقفين زيادات من ر والمختار ، ولم يرد في المطبوعة المصرية .

٢ ر : وبقية النسب معروف ؛ الأموي القرشي .

٣ ن : العليا ؛ ر : المكانة المكينة والمنزلة العالية .

٤ قد مر هذا في ترجمة عماد الدين صاحب سنجار ج ٢ : ٣٣١ .

فكان كما قال ، فإن القدس فتحت لثلاث بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وقيل لمحيي الدين : من أين لك هذا ؟ فقال : أخذته من تفسير ابن برّجان في قوله تعالى : ﴿ ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ﴾ (الروم : ١ – ٣) . ولما وقفت أنا على هـذا البيت وهذه الحكاية لم أزل أتطلب تفسير ابن برجان حتى وجدته على هذه الصورة ، لكن كان هذا الفصل مكتوباً في الحاشية بخط غير الأصل[١]، ولا أدري هل كان من أصل الكتاب أم هو ملحق به[٢]، وذكر له حساباً طويلاً وطريقاً في استخراج ذلك حتى حرره من قوله ﴿ بضع سنين ﴾ .

ولما ملك السلطان صلاح الدين حلب ، فوّض الحكم والقضاء بها [في ثالث عشر ربيع الآخر من السنة][٣] إلى القاضي محيي الدين المذكور ، فاستناب بها زين الدين بنا أبا الفضل بن البانياسي[٤] .

ولما فتح السلطان القدس الشريف تطاول إلى الخطابة يوم الجمعة كلُّ واحد من العلماء الذين كانوا في خدمته حاضرين ، وجهز كل واحد منهم خطبة بليغة ، طمعاً في أن يكون هو الذي يعين لذلك ، فخرج المرسوم إلى القاضي محيي الدين أن يخطب هو ، وحضر السلطان وأعيان دولته ، وذلك في أول جمعة صليت بالقدس بعد الفتح ، فلما رقي المنبر استفتح بسورة الفاتحة ، وقرأها إلى آخرها ، ثم قال : ﴿ فقُطِع دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ (الأنعام : ٤٥) ثم قرأ أول سورة الأنعام ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾ (الأنعام : ١) ثم قرأ من سورة سبحان ﴿ وقل الحمد لله

---

١ ل لي س بر : بخط الأصل .

٢ بهامش المختار : «قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : وقعت في القاهرة ودمشق على ثلاث نسخ من التفسير المذكور وهذا الفصل المشار إليه لكنه مكتوب على الجميع على الحاشية بعد خط الأصل . وأخبرني الشيخ تقي الدين محمد بن زين الدين الشافعي قاضي القضاة بالديار المصرية رحمه الله تعالى أنه رأى هذا الفصل المعين في نسختين على صورة ما ذكرناه والله أعلم» .

٣ انفردت ر بما بين معقفين .

٤ ل : بنا بن الفضل ؛ س لي : نبا بن الفضل ؛ ابن البانيايسي : سقطت من النسخ ما عدا ر .

الذي لم يتخذ ولداً ﴾ الآية (الاسراء : ١١١) ثم قرأ أول الكهف ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ﴾ (الكهف : ١) الآيات الثلاث ، ثم قرأ من النمل ﴿ وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ (النمل : ٥٩) الآية ، ثم قرأ من سورة سبأ ﴿ الحمد لله الذي له ما في السموات ﴾ (سبأ : ١) الآية ، ثم قرأ من سورة فاطر ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض ﴾ (فاطر : ١) الآيات ، وكان قصده أن يذكر جميع تحميدات القرآن الكريم ؛ ثم شرع في الخطبة ، فقال : الحمد لله معزّ الإسلام بنصره ، ومذلّ الشرك بقهره ، ومُصَرّف الأمور بأمره ، ومديم النعم بشكره ، ومستدرج الكفار[1] بمكره ، الذي قدر الأيام دولاً بعدله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاء على عباده من ظله ، وأظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خليقته فلا ينازع ، والآمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فلا يدافع ، أحمده على إظفاره وإظهاره ، وإعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره ، وتطهير بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره ، حَمْدَ من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره[2] ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه ، وأرضى به ربه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشك ، وداحض[3] الشرك ، وراحض الإفك ، الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى ، وعرج به منه إلى السماوات العلا إلى سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، ما زاغ البصر وما طغى ، صلى الله عليه وعلى خليفته أبي بكر الصديق السابق إلى الإيمان ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان ، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القرآن ، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل الشرك ومكسر الأوثان ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان .

١ ر : الكفر .

٢ ن : اجهاره .

٣ كذا في جميع النسخ ؛ وزاد في متن ر : قلت وصوابه : مدحض الشرك لأنه رباعي والثلاثي منه لازم فليس له مفعول .

أيها الناس ، أبشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة ، من الأمة الضالة ، وردها إلى مقرها من الإسلام ، بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريباً من مائة عام، وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه ، وإماطة الشرك عن طرقه بعد أن امتد عليها رواقه واستقر فيها رسمه ، ورفع قواعده بالتوحيد ، فإنه بني عليه وشيد بنيانه بالتمجيد[1] ، فإنه أسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه ، فهو موطن[2] أبيكم إبراهيم ، ومعراج نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام ، وقبلتكم التي كنتم تصلون إليها في ابتداء الإسلام ، وهو مقر الأنبياء ، ومقصد الأولياء ، ومدفن الرسل ومهبط الوحي ، ومنزل به ينزل الأمر والنهي ، وهو في أرض المحشر وصعيد المنشر، وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين ، وهو المسجد [الأقصى][3] الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين، وهو البلد الذي بعث الله إليه عبده ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم ، وروحه عيسى الذي كرّمه برسالته وشرّفه بنبوّته ، ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته ، فقال تعالى : ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ﴾ (النساء : ١٧٢) كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون ﴾ (المؤمنون : ٩١) ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ (المائدة : ١٧) إلى آخر الآيات من المائدة ، وهو أول القبلتين ، وثاني المسجدين ، وثالث الحرمين ، لا تُشَدّ[4] الرحال بعد المسجدين إلا إليه ، ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه ، فلولا أنكم ممن اختاره الله من عباده ، واصطفاه من سكان بلاده ، لما خصكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مُجار، ولا يباريكم في شرفها مُبار ، فطوبى لكم من

١ ن : بالتحميد .

٢ ن : موطىء ثرى .

٣ زيادة من ر .

٤ ن : الذي لا تشد .

جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية ، والواقعات البدرية ، والعزمات الصديقية ، والفتوحات العُمَرية ، والجيوش العثمانية ، والفتكات العلوية ، جددتم للإسلام أيام القادسية ، والملاحم اليرموكية ، والمنازلات الخيبرية[1] ، والهجمات الخالدية ، فجزاكم الله عن نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء ، وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقارعة الأعداء ، وتقبّل منكم ما تقرّبتم به إليه من مُهَراق الدماء ، وأثابكم الجنة فهي دار السعداء ، فاقدروا رحمكم الله هذه النعمة حق قدرها ، وقوموا لله تعالى بواجب شكرها ، فله تعالى المنة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة ، وترشيحكم لهذه الخدمة ، فهذا هو الفتح الذي فتحت له أبواب السماء ، وتبلجت[2] بأنواره وجوه الظلماء ، وابتهج به الملائكة المقربون ، وقرّ به عيناً الأنبياء والمرسلون ، فماذا[3] عليكم من النعمة بأن جعلكم الجيش الذي يفتح على يديه البيت المقدس في آخر الزمان ، والجند الذي تقوم بسيوفهم بعد فترة من النبوة أعلام الإيمان ، فيوشك أن يفتح الله على أيديكم أمثاله ، وأن تكون التهاني لأهل الخضراء ، أكثر من التهاني لأهل الغبراء ، أليس هو البيت الذي ذكره الله في كتابه ، ونص عليه في محكم خطابه ، فقال تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ (الإسراء : ١) أليس هو البيت الذي عظمته الملل ، وأثنت عليه الرسل ، وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة من الله عز وجل ؟ أليس هو البيت الذي أمسك الله تعالى لأجله الشمس على يوشع أن تغرب ، وباعد بين خطواتها ليتيسر فتحه ويقرب ؟ أليس هو البيت الذي أمر الله عز وجل موسى أن يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه إلا رجلان ، وغضب الله عليهم لأجله فألقاهم في التيه عقوبة للعصيان ؟ فاحمدوا الله الذي أمضى عزائمكم لما نكلت عنه بنو إسرائيل ، وقد فضلت على العالمين ، ووفقكم لما خذل فيه أمم كانت قبلكم من الأمم[4] الماضين ، وجمع لأجله كلمتكم

---

١ ن : الحيرية .

٢ ن : وسلخت .

٣ ن : فماذا لله .

٤ ن : عن قبلكم من الأمم .

وكانت شتى ، وأغناكم بما أمضته (كان) و (قد) عن (سوف) و (حتى) ، فليهنكم أن الله قد ذكركم به فيمن عنده ، وجعلكم بعد أن كنتم جنوداً لأهويتكم جنده ، وشكر لكم الملائكة المنزلون ، على ما أهديتم لهـذا البيت من طيب التوحيد ونشر التقديس والتمجيد ، وما أمطتم عن طرقهم فيه من أذى الشرك والتثليث ، والاعتقاد الفاجر الخبيث؛ فالآن تستغفر لكم أملاك السموات ، وتصلي عليكم الصلوات المباركات ، فاحفظوا رحمكم الله هذه الموهبة فيكم ، واحرسوا هذه النعمة عندكم ، بتقوى الله التي من تمسك بها سلم ، ومن اعتصم بعروتها[1] نجا وعصم ، واحذروا من اتباع الهوى ، ومواقعة الردى ، ورجـوع القهقرى ، والنكول عن العدا ، وخذوا في انتهاز الفرصة ، وإزالة ما بقي من الغصة ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، وبيعوا عباد الله أنفسكم في رضاه إذ جعلكم من خير عباده ، وإياكم أن يستزلكم الشيطان ، وأن يتداخلكم الطغيـان ، فيخيل لكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد ، وخيولكم الجياد ، وبجلادكم في مواطن الجلاد ، لا والله ما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ، فاحذروا عباد الله - بعد أن شرفكم بهذا الفتح الجليـل ، والمنح الجزيل ، وخصكم بنصره المبين ، وأعلق أيديكم بحبله المتين - أن تقترفوا كبيراً من مناهيه ، وأن تأتوا عظيماً من معاصيه ، فتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، وكالذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، والجهادَ الجهاد فهو من أفضل عباداتكم ، وأشرف عاداتكم ، انصروا الله ينصركم ، احفظوا الله يحفظكم ، اذكروا الله يذكركم ، اشكروا الله يزدكم ويشكركم ، جدوا في حَسْم الداء ، وقلع شأفة الأعداء ، وطهروا بقية الأرض من هذه الأنجاس التي أغضبت الله ورسوله ، واقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصوله ، فقد نادت الأيام يا للثارات[2] الإسلامية والملة المحمدية ، الله أكبر ، فتح الله ونصر ، غلب الله وقهر ، أذل الله مَنْ كفر ، واعلموا رحمكم الله أن هذه فرصة فانتهزوها ، وفريسة فناجزوها ، وغنيمة فحوزوها ، ومهمة فأخرجوا لها هممكم وأبرزوها ، وسَيِّروا إليهـا

---

١ ن : الذي من تمسك به . . . بعروته .

٢ المختار : بالثارات .

سرايا عزماتكم وجهزوها ، فالأمور بأواخرها ، والمكاسب بذخائرها ، فقد أظفركم الله بهذا العدو المخذول ، وهم مثلكم أو يزيدون ، فكيف وقد أضحى قبالة الواحد منهم منكم عشرون ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ (الأنفال : ٦٥) أعاننا الله وإياكم على اتباع أوامره ، والازدجار بزواجره ، وأيّدنا معاشر المسلمين بنصر من عنده ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ﴾ (آل عمران : ١٦٠) إن أشرف مقال يقال في مقام ، وأنفذ سهام تمرق عن قسي الكلام ، وأمضى قول تحل به الأفهام ، كلام الواحد الفرد العزيز العلاّم ، قال الله تعالى : ﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الأعراف : ٢٩٤) وقرأ أول الحشر ، ثم قال : آمركم وإياي بما أمر الله به من حسن الطاعة فأطيعوه ، وأنهاكم وإياي عما نهاكم عنه من قبح المعصية فلا تعصوه ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه .

ثم خطب الخطبة الثانية على عادة الخطباء مختصرة ثم دعا للإمام الناصر خليفة العصر . ثم قال : اللهم وأدم سلطان عبدك الخاضع لهيبتك ، الشاكر لنعمتك ، المعترف بموهبتك ، سيفك القاطع ، وشهابك اللامع ، والمحامي عن دينك المدافع ، والذابّ عن حرمك الممانع ، السيد الأجل، الملك الناصر، جامع كلمة الإيمان ، وقامع عَبَدَة الصلبان ، صلاح الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، مطهر البيت المقدس أبي المظفر يوسف بن أيوب ، محيي دولة أمير المؤمنين، اللهم عُمَّ بدولته البسيطة ، واجعل ملائكتك براياته محيطة، وأحسن عن الدين الحنيفي جزاءه ، واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاءه ، اللهم أبق للإسلام مهجته ، ووق للإيمان حوزته، وانشر في المشارق والمغارب دعوته، اللهم كما فتحت على يديه البيت المقدس بعد أن ظنت الظنون، وابتلي المؤمنون، فافتح على يديه داني الأرض وقاصيها ، وملكه صياصي الكفر ونواصيها ، فلا تلقاه منهم كتيبة إلا مزقها ، ولا جماعة إلا فرقها ، ولا طائفة بعد طائفة إلا ألحقها

بمن سبقها ، اللهم اشكر عن محمد صلى الله عليه وسلم سَعْيه ، وأنفذ في المشارق والمغارب أمره ونَهْيه ، اللهم وأصلح به أوساط البلاد وأطرافها ، وأرجاء الممالك وأكنافها ، اللهم ذلل به معاطس الكفار ، وأرغم به أنوف الفجّار ، وانشر ذوائب ملكه على الأمصار ، وابثث سرايا جنوده في سبل الأقطار . اللهم ثبّت الملك فيه وفي عقبه إلى يوم الدين ، واحفظه في بنيه وبني أبيه الملوك الميامين[1] ، واشدد عضده ببقائهم ، واقض بإعزاز أوليائه وأوليائهم . اللهم كما أجريت على يده في الإسلام هذه الحسنة التي تبقى على الأيام ، وتتخلد على مر الشهور والأعوام ، فارزقه الملك الأبدي الذي لا يَنْفَدُ في دار اليقين ، وأجب دعاءه في قوله ﴿ رَبِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديّ ، وأن أعمل صالحاً ترضاه ، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ (الأحقاف : ١٥) ثم دعا بما جرت به العادة .

وكانت ولادته سنة خمسين وخمسمائة بدمشق ؛ وتوفي في سابع شعبان سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بدمشق ودفن من يومه بسفح جبل قاسيون ، رحمه الله تعالى .

(171) وكان والده أبو الحسن علي الملقب زكي الدين على القضاء بدمشق . وكان كثير الخير والدين ، فاستعفى عن القضاء فأعفي ، فخرج إلى مكة حاجاً ، وعاد إلى بغداد في صفر سنة ثلاث وستين وخمسمائة فأقام بها ، وكان عالي الطبقة في سماع الحديث ، سمع خلقاً كثيراً ، وحدّث ببغداد مدة إقامته ، وسمع عليه الناس ، ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الخميس الثامن والعشرين من شوال سنة أربع وستين وخمسمائة ، وصلي عليه بجامع القصر ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد بن حنبل ، رضي الله عنهم أجمعين[2] .

(172) وأما ابن بَرَّجانَ المذكور[3] ، فهو : أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي ، كان عبداً صالحاً ، وله تفسير القرآن

---

١ ر : والسلاطين .

٢ هنا تنتهي الترجمة في ن س ل لي بر .

٣ ترجمته في التكملة رقم : ١٧٩٧ .

العظيم ، وأكثر كلامه فيه على طريق أرباب الأحوال والمقامات ، وتوفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة بمدينة مراكش ، رحمه الله تعالى .

وبَرَّجانُ : بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء وبعدها جيم وبعد الألف نون.

٥٩٥

السديد السلماسي

السديد محمد بن هبة الله بن عبد الله السلماسي الفقيه الشافعي ؛ كان إماماً في عصره[١] ، تولى الإعادة بالمدرسة النظامية ببغداد ، وأتقن عدة فنون، وهو الذي شهر طريقة الشريف بالعراق، قيل إنه كان يذكر طريقة الشريف و « الوسيط » للغزالي و « المستصفى » من غير مراجعة كتاب. قصده الناس من البلاد، واشتغلوا عليه وانتفعوا به ، وخرجوا علماء مدرسين مصنفين ، ومن جملتهم الشيخان الإمامان : عماد الدين محمد ، وكمال الدين موسى ولدا يونس – وسيأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى – والشيخ شرف الدين أبو المظفر محمد بن علوان بن مهاجر ، وغيرهم من الأفاضل . وكان مسدداً في الفُتْيا ؛ وتوفي ببغداد في شعبان سنة أربع وسبعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

والسَّلَماسي : بفتح السين المهملة واللام والميم وبعد الألف سين ثانية ، هذه النسبة إلى سَلَماس ، وهي مدينة من بلاد أذربيجان، خرج منها جماعة مشاهير.

---

٥٩٥ – ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ١٩٥ ، ولم ترد هذه الترجمة في المختار . ومن هنا يبدأ الاعتماد على نسخة منشستر ورمزها « من » .

١ ن : كان أمام عصره .

٥٩٦

حفدة

أبو منصور محمد بن أسعد بن محمد بن الحسين بن القاسم العطاري الطوسي الأصل، المعروف بحَفَدَة، الملقب عمدة الدين، الفقيه الشافعي النيسابوري؛ كان فقيهاً فاضلاً واعظاً فصيحاً أصولياً، تفقه بمرو على أبي بكر محمد بن منصور السمعاني والد الحافظ المشهور، ثم انتقل إلى مروالروذ، واشتغل على القاضي حسين بن مسعود الفراء المعروف بالبغوي صاحب «شرح السنّة» و «التهذيب» – وقد سبق ذكره[1] – ثم انتقل إلى بخارا واشتغل بها على البرهان عبد العزيز ابن عمر بن مارة الحنفي، ثم عاد إلى مَرْوَ وعقد له بها مجلس التذكير، وأقام بها مدة، ثم في فتنة الغز[2] – وكانت فتنة الغز سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، كما ذكرته في ترجمة الفقيه محمد بن يحيى – خرج[3] إلى العراق ومنها إلى أذربيجان والجزيرة ومنها إلى الموصل، واجتمع الناس عليه بسبب الوعظ، وسمعوا منه الحديث، ومن أماليه:

مَثَلُ الشافعي في العلماء ... مَثَلُ الشمس في نجوم السماء

قُلْ لمن قاسهُ بغير نظير ... أيقاسُ الضياء بالظلماء

وأنشد يوماً على الكرسي من جملة أبيات:

---

٥٩٦ – ترجمته في المنتظم ١٠ : ٢٧٩ والوافي ٢ : ٢٠٢ وطبقات السبكي ٤ : ٦٥ وعبر الذهبي ٤ : ٢١٣ والشذرات ٤ : ٢٤٠ ؛ وهي موجزة كثيراً في المختار، اقتصرت على إيراد الأبيات الأربعة المذكورة في الترجمة.

١ انظر ج ٢ : ١٣٦ وفي من بر : المعروف بالفراوي.

٢ س ن ل لي من : مدة في فترة الغز ؛ ر : الأغر ؛ بر : ثم في فترة الغز خرج.

٣ س ن ل لي : ثم خرج ؛ من : وخرج.

تحية صَوْبِ المزن يقرؤها الرعد   على منزل كانت تحُلُّ به هندُ
نأت فأعَرْناها القلوبَ صَبابَةً   وعاريةُ المشاق ليس لها ردُّ

وكانت مجالسه في الوعظ من أحسن المجالس . وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بمدينة تبريز ، وقيل إنه توفي في رجب سنة ثلاث وسبعين ، رحمه الله تعالى ، والله أعلم بالصواب .

وحَفَدَةُ : بفتح الحاء المهملة والفاء والدال المهملة ، ولا أعلم لمَ سمي بهذا الاسم مع كثرة كشفي عنه .

وتِبريز : بكسر التاء المثناة من فوقها وسكون الباء الموحدة وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها زاي ، وهي من أكبر مدن أذربيجان .

٥٩٧

نجم الدين الخبوشاني

أبو البركات محمد بن الموفق بن سعيد بن علي بن الحسن بن عبد الله الخبوشاني، الملقب نجم الدين الفقيه الشافعي ؛ كان فقيهاً فاضلاً كثير الورع ، تفقه على محمد ابن يحيى – المقدم ذكره – وكان يستحضر كتابه « المحيط في شرح الوسيط » على ما قيل ، حتى نقل عنه أنه عدم الكتاب فأملاه من خاطره ، وله كتاب « تحقيق المحيط » وهو كبير ، رأيته في ستة عشر مجلداً . وقد تقدم ذكره في في ترجمة العاضد عبد الله العُبَيدي صاحب مصر وما جرى له معه[1] . ولما استقل

---

٥٩٧ – ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ١٩٠ وحسن المحاضرة ١ : ١٧٠ وعبر الذهبي ٤ : ٢٦٢ والشذرات ٤ : ٢٨٨ (وفيات ٥٨٦) والنجوم الزاهرة ٦ : ١١٥ ومرآة الزمان : ٤١٤ والبدر السافر ، الورقة : ١٧٣ .

[1] انظر ج ٣ : ١١١ .

السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى بملك الديار المصرية قرّبه وأكرمه ، وكان يعتقد في علمه ودينه ، ويقال إنه أشار عليه بعمارة المدرسة المجـــاورة لضريح الإمام الشافعي، رضي الله عنه، فلما عمرها فوض تدريسها إليه ، وعمرها في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، وفي هذه السنة بنى البيمارستان في القصر بالقاهرة . ورأيتُ جماعة من أصحابه وكانوا يصفون فضله ودينه وأنه كان سليم الباطن قليل المعرفة بأحوال الدنيا .

وكانت ولادته في الثالث عشر[1] من رجب سنة عشر وخمسمائة ، باستُوى خبوشان ؛ وتوفي يوم الأربعاء ثاني عشر ذي القعدة سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، بالمدرسة المذكورة ، ودفن في قبة تحت رجلي الإمام الشافعي ، وبينهما شباك ، رحمهما الله تعالى .

والخَبُوشاني : بضم الخاء المعجمة والباء الموحدة وفتح الشين المعجمة وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى خَبُوشان ، وهي بُليدة بناحية نيسابور .

وأُستَوى : بضم الهمزة وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقهـــا أو ضمها ، ناحية[2] كثيرة القرى من أعمال نيسابور .

---

١ ل بر : في ثالث عشرين ؛ ن : في ثاني عشرين؛ س : في ثالث عشر (وفي الهامش : عشرين) ؛ لي من : ثالث وعشرين .

٢ ن : ناحية كبيرة .

٥٩٨

القاضي كمال الدين الشهرزوري

أبو الفضل[١] محمد بن أبي محمد عبد الله بن أبي أحمد القاسم الشهرزوري الملقب كمال الدين الفقيه الشافعي – وقد سبق ذكر أبيه وجده في موضعهما[٢] – تفقه كمال الدين ببغداد على أسعد الميهني ، وقد سبق ذكره ، وسمع الحديث من أبي البركات محمد بن محمد بن خميس الموصلي ، وتولى القضاء بالموصل وبنى بها مدرسة للشافعية ، ورباطاً بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان يتردد في الرسائل منها إلى بغداد عن عماد الدين زنكي الأتابك – المقدم ذكره[٣] – ولما قتل عماد الدين على قلعة جَعْبَر ، كما ذكرناه في ترجمته ، كان كمال الدين المذكور حاضراً في العسكر هو وأخوه تاج الدين أبو طاهر يحيى والد القاضي ضياء الدين ، فلما رجع العسكر إلى الموصل كانا في صحبته .

ولما تولى سيف الدين غازي ولد عماد الدين – وقد تقدم ذكره أيضاً – فوض الأمور كلها إلى القاضي كمال الدين [وأخيه][٤] بالموصل وجميع مملكته ، ثم إنه قبض عليهما في سنة اثنتين وأربعين واعتقلهما[٥] بقلعة الموصل ، وأحضر نجم الدين أبا علي الحسن بن بهاء الدين أبي الحسن علي وهو ابن عم كمال الدين ، وكان قاضي

---

٥٩٨ – ترجمته في المنتظم ١٠ : ٢٦٨ والخريدة (قسم الشام) ٢ : ٣٢٣ ومرآة الزمان ٨ : ٣٤٠ وتاريخ ابن الدبيثي : ٥٥ وأماكن متفرقة من الباهر ، وطبقات السبكي ٤ : ٧٤ والوافي ٣ : ٣٣١ وعبر الذهبي ٤ : ٢١٥ والشذرات ٤ : ٢٤٣ والبدر السافر ، الورقة : ١١٦ والزركشي ٣ : ٢٦٠ .

١ ن : الفضائل .

٢ انظر ج ٢ : ٣٢٧ ؛ وج ٤ : ٦٨ .

٣ انظر ج ٢ : ٣٢٧ .

٤ زيادة من ر .

٥ ن : قبض عليه . . . واعتقله .

الرحبة[1]، وولاه القضاء بالموصل وديار ربيعة عوضاً عن كمال الدين. ثم إن الخليفة المقتفي سيّر رسولاً وشفع في كمال الدين وأخيه فأخرجا من الاعتقال، وقعدا في بيوتهما وعليهما الترسيم، وحبس بالقلعة جلال الدين أبو أحمد ولد كمال الدين وضياء الدين أبو الفضائل القاسم بن تاج الدين .

ولما مات سيف الدين غازي في التاريخ المذكور في ترجمته رفع الترسيم عنهما، وحضرا إلى قطب الدين مودود بن زنكي — وقد تولى السلطنة بعد أخيه سيف الدين — وكان راكباً في ميدان الموصل، فلما قربا منه ترجلا وعليهما ثياب العزاء بغير طرحات ، فلما وصلا إليه ترجل لهما أيضاً ، وعزّياه عن أخيه وهنآه بالولاية ، ثم ركبوا ، ووقف كل واحد منهما على جانبه ، ثم عادا إلى بيوتهما بغير ترسيم ، وصارا يركبان في الخدمة .

ثم انتقل كمال الدين إلى خدمة نور الدين محمود صاحب الشام في سنة خمسين[2] وخمسمائة ، وأقام بدمشق مدة ، ثم عزل زكي الدين عن الحكم ، وتولاه كمال الدين في شهر صفر سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، واستناب ولده وأولاد أخيه ببلاد الشام ، وترقى إلى درجة الوزارة ، وحكم في بلاد الشام الإسلامية في ذلك الوقت ، واستناب ولده القاضي محي الدين في الحكم بمدينة حلب ، ولم يكن شيء من أمور الدولة يخرج عنه ، حتى الولاية وشدّ الديوان وغير ذلك ، وذلك في أيام نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام ، وتوجّه من جهته رسولاً إلى الديوان في أيام المقتفي، وسيّره المقتفي رسولاً للإصلاح[3] بين نور الدين المذكور وقلج ارسلان بن مسعود صاحب الروم . ولما مات نور الدين وملك صلاح الدين دمشق أقره على ما كان عليه .

وكان فقيهاً أديباً شاعراً كاتباً ظريفاً فكه المجالسة ، يتكلم في الخلاف والأصولين كلاماً حسناً ، وكان شهماً جسوراً كثير الصدقة والمعروف ، وقف أوقافاً كثيرة بالموصل ونصيبين ودمشق، وكان عظيم الرياسة خبيراً بتدبير الملك،

---

١ ر : وكان قاضياً بالرحبة .

٢ ر : أربع وخمسين ؛ ل لي س من بر : خمس وخمسين .

٣ ن : للصلح .

لم يكن في بيته مثله ولا نال أحد منهم ما ناله من المناصب مع كثرة رؤساء بيته، وذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » .

وله نَظْم جيد ، فمن ذلك ما انشدني له بعض أهل بيته وهو :

ولقدْ أتيْتك والنجُومُ رَواصِدٌ[1] والفجرُ وهمٌ في ضمير المشرقِ
وركبتُ مِ الأهوالِ كلَّ عظيمةٍ شوقاً إليك لعلّنا أن نلتقي

وقال عماد الدين الكاتب الأصبهاني في « الخريدة » في ترجمة القاضي كمال الدين المذكور : أنشدني لنفسه هذين البيتين في ثالث شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبعين،وقد تذكرت قول أبي يَعْلى ابن الهَبّارية الشريف في معنى الصبح وإبطائه :

كم ليلة بِتُّ مطوياً على حُرَقٍ أشكو إلى النجم حتى كادَ يشكوني
والصبحُ قد مطّلَ الشرقَ العيون[3] به كأنه حاجةٌ في كف[4] مسكينِ

ثم قال : لو قال « تقضى لمسكين » لكان أحسن فإنها تمطل [بقضائها] ثم قال : وكلاهما أحْسَنَ وأجاد .

وقيل : إنه كتب إلى ولده محي الدين وهو بحلب ، وذكر في « الخريدة » أنهما له :

عِندِي كتائِبُ أشواقٍ أُجَهِزُها إلى جَنابِكَ إلا أنها كتبُ
ولي أحاديثُ من نفسي أسر بها إذا ذكرتُكَ إلا أنها كذبُ

وقيل : إنه لما ضعف وكبر وقلّت حركتُه[5] كان ينشد في كل وقت :

يا ربِّ لا تُحْيِني إلى زَمَنٍ أكون فيه كَلاًّ على أحدِ

---

١ ت : ولقد ذكرتك والعيون هواجع ؛ من بر : رواكد .

٢ الخريدة ٢ : ٣٢٦ .

٣ المختار : العيور .

٤ ن : نفس .

٥ ر والمختار : كبر وضعفت حركته .

خُذْ بيدي قبل أن أقول لمنْ ألقاهُ عند القيام : خذ بيدي

ولا أعلم هل هذان البيتان له أم لا ، ثم وجدت هذين البيتين من جملة أبيات لأبي الحسن محمد بن علي بن الحسن بن أبي الصقر الواسطي – وسيأتي ذكره وذكر البيتين إن شاء الله تعالى – .

وكانت ولادته سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، بالموصل . وتوفي يوم الخميس سادس المحرم سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بدمشق، ودفن من الغد بجبل قاسيون رحمه الله تعالى، وكان عمره حين توفي ثمانين سنة وأشهراً ، ورثاه ولده محيي الدين محمد ، وأوصى بولاية ابن أخيه أبي الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله الملقب ضياء الدين ، فأنفذ السلطان وصيته ، وفوّض القضاء بدمشق إلى ضياء الدين المذكور ، فأقام به مدة ، ثم عرف أن ميل السلطان إلى الشيخ شرف الدين ابن أبي عصرون – المقدم ذكره – فسأله الإقالة فأقيل وتولى شرف الدين .

(173) وكان القاضي[1] ضياء الدين أبو الفضائل القاسم بن القاضي تاج الدين أبي طاهر يحيى بن عبد الله المذكور قد سمع الحديث بالإسكندرية من الحافظ أبي طاهر السلفي ، وروى عن عمارة اليمني الفقيه شيئاً من شعره . وتولى القضاء بدمشق بعد عمه كمال الدين . ولما انفصل عن القضاء صار يتردد في الرسائل إلى بغداد ؛ ولما مات السلطان صلاح الدين سيّره ولده الملك الأفضل نور الدين علي صاحب دمشق رسولاً إلى بغداد بهدايا وتحف ، وصار له هنالك منزلة ومكانة جيدة . ثم عاد إلى دمشق وتولى نظر الأوقاف بها ، ثم فارق دمشق وقدم الموصل وتولى القضاء بعد الشيخ عماد الدين أبي حامد محمد بن يونس – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – وكانت ولاية ضياء الدين في صفر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، ثم فارق بغداد باختياره على القضاء يحكم ويتصرف كما كان ، في شهر ذي الحجة سنة سبع وتسعين ، ولم يجر هذا لأحد غيره ، وعبر على الموصل ولم يدخلها ، وانتهى إلى مدينة حماة فولاه الملك المنصور ناصر الدين محمد بن تقي

---

[1] من هنا حتى آخر الترجمة انفردت به ن ؛ وانظر ترجمة ضياء الدين في الخريدة (قسم الشام) ٢ : ٣٤٣ وطبقات السبكي ٤ : ٢٩٨ .

الدين عمر ملكها يومئذ القضاء بها فأقام إلى أن مات ضياء الدين بها في نصف رجب سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، ونقل إلى دمشق ودفن بها ، ومولده سنة أربع وخمسين وخمسمائة بالموصل ، وقيل إن مولده في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين ، والله أعلم ؛ وله شعر فمن ذلك :

فارقتكم ووصلتُ مصر فلم يقم   أنس اللقاء بوحشة التوديعِ
وسررت عند قدومها لولا الذي   لكمُ من الأشواق بين ضلوعي

(174) وأما والده تاج الدين أبو طاهر يحيى فقد ذكره القاضي عماد الدين الكاتب الأصبهاني في كتاب « الخريدة »[1] فقال : هو أخو كمال الدين ، وذكر [بعد] الثناء عليه ، أنه توفي بالموصل في سنة ست وخمسين وخمسمائة ، [قال]: وأنشدني ولده ضياء الدين أبياتاً له على وزن بيت مهيار وهو :

وعطل كؤوسك إلا الكبار   تجد للصغار أناساً صغارا

فقال :

وسقّ الندامى عقيقية   تضيء فتحسب في الليل نارا
تدور المسرة مع كاسها   وتتبعه حيثما الكاس سارا
ولا عيب فيها سوى أنها   متى عرست بحمى الغمّ سارا
ستلقى ليالي الهموم الطوالَ   فبادر ليالي السرور القصارا

قلت : وقد سبق في ترجمة عماد الدين زنكي [ذكر] عمها القاضي بهاء الدين أبي الحسن علي بن القاسم والد نجم الدين الحسين قاضي الرحبة المذكور وتاريخ وفاته، والله أعلم .

---

١ الخريدة (قسم الشام) ٢ : ٣٤٠ وانظر طبقات السبكي ٤ : ٣٢٣ .

٥٩٩

القاضي محيي الدين ابن الشهرزوري

أبو حامد محمد بن القاضي كمال الدين[١] بن الشهرزوري المذكور قبله ، الملقب محيي الدين ؛ وقد تقدم من ذكر رياسة أبيه وما كان عليه من علو المرتبة ما لا حاجة إلى إعادته . وكان القاضي محيي الدين قد دخل بغداد للاشتغال فتفقه على الشيخ أبي منصور بن الرزاز وتميّز ، ثم أصعد إلى الشام ، وولي[٢] قضاء دمشق نيابة عن والده ، ثم انتقل إلى حلب وحكم بها نيابة عن أبيه أيضاً في شهر رمضان سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وبه عزل ابن أبي جرادة المعروف بابن العديم ، وقيل كان ذلك في شعبان سنة ست وخمسين ، والله أعلم[٣] . وبعد وفاة والده [تمكن عند الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين صاحب حلب غاية التمكن ، وفوّض إليه تدبير مملكة حلب في شعبان سنة ثلاث وسبعين ، واستمر على ذلك ، ثم وشى به أعداؤه وحساده إلى الصالح وجرت أسباب اقتضت أنه لزم بيته ، ورأى المصلحة في مفارقة حلب والرجوع] إلى بلد الموصل[٤] فانتقل إليها ، وتولى قضاءها ودرّس بمدرسة والده وبالمدرسة النظامية بالموصل ، وتمكن عند صاحب الموصل عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – واستولى على جميع الأمور ، وتوجه من جهته رسولاً إلى بغداد مرارا. وذكر بهاء الدين يوسف المعروف بابن شداد قاضي حلب في كتاب « ملجأ

---

٥٩٩ – ترجمته في الخريدة (قسم الشام) ٢ : ٣٢٩ وطبقات السبكي ٤ : ٩٩ وعبر الذهبي ٤ : ٢٥٩ والشذرات ٤ : ٢٨٧ والزركشي ٣ : ٢٩٠ .

١ ت : كمال الدين محمد ؛ ل لي س : كمال الدين بن . . . .

٢ ر : وتولى .

٣ وقيل . . . أعلم : انفردت به ن ر .

٤ في النسخ ما عدا ر : وبعد وفاة والده انتقل إلى الموصل ، وما بين معقفين قبله انفردت به ر .

الحكام عند التباس الأحكام » أنه كان في خدمة القاضي محيي الدين عند توجهه إلى بغداد في إحدى الرسائل ، وناهيك بمن يكون في خدمته مثل هذا الرجل – وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وكان محيي الدين المذكور جواداً سرياً ، قيل إنه أنعم في بعض رسائله إلى بغداد بعشرة آلاف دينار أميرية[1] على الفقهاء والأدباء والشعراء والمحاويج، ويقال إنه في مدة حكمه بالموصل لم يعتقل غريماً على دينارين فما دونهما ، بل كان يوفيهما عنه [ويخلي سبيله][2] ويحكى عنه مكارم كثيرة ورياسة ضخمة ، وكان من النجباء عريقاً في النجابة تام الرياسة ، كريم الأخلاق رقيق الحاشية ، له في الأدب مشاركة حسنة وله أشعار جيدة ، فمن ذلك ما أنشدني له بعض الأصحاب في وصف جرادة[3] ، وهو تشبيه غريب :

لها فخذا بكرٍ وساقا نعـــامة   وقادمتا نَسْرٍ وجؤجؤ ضيغم
حبَتْها أفاعي الرمل بطناً وأنعمت   عليها جياد الخيل بالرأس والفم

ورأيت له في بعض المجاميع هذين البيتين ، وهمـــا في وصف نزول الثلج من[4] الغيم :

ولما شاب رأس الدهر غيظاً   لمـــا قاساه من فقد الكرامِ
أقام يُميطُ هذا الشيب عنه   وينثر مـــا أماط على الأنامِ

وكانت ولادته سنة عشر وخمسمائة تقريباً ، وقـــال العماد الكاتب في « الخريدة »[5] : مولده سنة تسع عشرة ، والله أعلم ، وزاد في كتاب « السيل » في شعبان . وتوفي سحرة يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الأولى سنة ست وثمانين

---

١ أميرية : سقطت من ن من ؛ بر : ميرية .
٢ زيادة من ر .
٣ ر : في الجرادة .
٤ ل لي س بر من : مع .
٥ الخريدة ٢ : ٣٣٠ .

وخمسمائة ، وقيل ثالث عشريه[1] ، هكذا ذكره العماد في « السيل » والأول ذكره ابن الدبيثي[2] ، وذلك بالموصل ، ودفن بداره بمحلة القلعة ، ثم نقل إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، رحمه الله تعـــالى . هكذا رأيته في بعض التواريخ ، وذكر ابن الدبيثي في تاريخه أنه نقل إلى تربة عملت له ظاهر البلد ، والله أعلم ، ثم حققت[3] ذلك فوجدته كما قال ابن الدبيثي ، وتربته خارج باب الميدان بالقرب من تربة قضيب البان صاحب الكرامات ، رحمه الله تعالى .

(175) وكان[4] لكمال الدين ابن آخر يقال له عماد الدين أحمد توجّه رسولاً إلى بغداد عن نور الدين في سنة تسع وستين وخمسمائة ، ومدحه ابن التعاويذي بقصيدة يقول من جملتها[5] :

وقالوا : رسول أعجزتنا صفاته فقلت : صدقتم هذه صفة الرسل

٦٠٠

فخر الدين الرازي

أبو عبد الله[6] محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن عـــلي التيمي البكري

---

١ ر : ثالث عشر ذي القعدة ؛ من بر : ثالث عشرين .

٢ ن : ابن الأثير .

٣ لي : إني حققت .

٤ من هنا حتى آخر الترجمة انفردت به ر ن والمختار .

٥ انظر ديوان سبط ابن التعاويذي : ٣٣٧ ، ومطلع القصيدة :

حللت حلول الغيث في البلد المحل وإن جل ما تولي يداك عن المثل

٦٠٠ – ترجمته في طبقات السبكي ٥ : ٣٣ وذيل الروضتين : ٦٨ ومختصر ابن العبري : ٢٤٠ والوافي ٤ : ٢٤٨ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٢٣ ولسان الميزان ٤ : ٤٢٦ وطبقات الحسيبي : ٨٢ وعبر الذهبي ٥ : ١٨ والشذرات ٥ : ٢١ .

٦ ر والمختار : أبو الفضل .

الطبرستاني الأصل الرازي المولد ، الملقب فخر الدين ، المعروف بابن الخطيب ، الفقيه الشافعي ؛ فريد عصره ونسيجُ وَحْدِه ، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة منها تفسير القرآن الكريم جمع فيه كل غريب وغريبة ، وهو كبير جداً لكنه لم يكمله ، وشرح سورة الفاتحة في مجلد؛ ومنها في علم الكلام « المطالب العالية » و « نهاية العقول » وكتاب « الأربعين » و « المحصل »[1] وكتاب « البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان » وكتاب « المباحث العمادية في المطالب المعادية » و « كتاب تهذيب الدلائل وعيون المسائل » وكتاب « إرشاد النظار إلى لطائف الأسرار » وكتاب « أجوبة المسائل التجارية » وكتاب « تحصيل الحق » وكتاب « الزبدة » و « المعالم »، وغير ذلك؛ وفي أصول الفقه « المحصول » و « المعالم »؛ وفي الحكمة « الملخص » و « شرح الإشارات » لابن سينا و « شرح عيون الحكمة » وغير ذلك ؛ وفي الطلسمات « السر المكتوم »[2] و « شرح أسماء الله الحسنى » ويقال : إن له شرح « المفصل » في النحو للزمخشري، وشرح « الوجيز » في الفقه للغزالي، وشرح « سقط الزند » للمعري ، وله مختصر في الإعجاز، ومؤاخذات جيدة على النحاة ، وله طريقة في الخلاف ، وله في الطب شرح الكليات للقانون ، وصنف في علم الفراسة ، وله مصنف في مناقب الشافعي[3] ، وكل كتبه ممتعة ، وانتشرت تصانيفه في البلاد ورزق فيها سعادة عظيمة فإن النـــاس اشتغلوا بها ورفضوا كتب المتقدمين ، وهو أول من اخترع هذا الترتيب في كتبه ، وأتى فيها بما لم يسبق إليه .

وكان له في الوعظ اليد البيضاء ، ويعظ باللسانين العربي والعجمي ، وكان يلحقه الوَجْدُ في حال الوعظ ويكثر البكاء ، وكان يحضر مجلسه بمدينة هَراة أرباب المذاهب والمقالات ويسألونه وهو يجيب كل سائل بأحسن إجابة ، ورجع

---

١ ومنها في علم الكلام . . . والمحصل : وقع في ر بعد قوله : « وكتاب الزبدة » .

٢ كذا في جميع النسخ ؛ وفي المطبوعة المصرية « السر المكنون » .

٣ زاد في المختار : وغير ذلك من المصنفات .

بسببه خلق كثير من الطائفة الكرامية وغيرهم إلى مذهب أهل السنة ، وكان يلقب بهراة شيخ الإسلام .

وكان مبدأ اشتغاله على والده إلى أن مات، ثم قصد الكمال السمناني واشتغل عليه مدة ، ثم عاد إلى الري واشتغل على المجد الجيلي ، وهو أحد أصحاب محمد ابن يحيى، ولما طلب المجد الجيلي إلى مراغة ليدرس بها صحبه فخر الدين المذكور إليها ، وقرأ عليه مدة طويلة علم الكلام والحكمة ، ويقـال إنه كان يحفظ « الشامل » لإمام الحرمين في علم الكلام ، ثم قصد خوارزم وقد تمهر في العلوم فجرى بينه وبين أهلها كلام فيما يرجع إلى المذهب والاعتقاد ، فأخرج من البلد ، فقصد ما وراء النهر ، فجرى له أيضاً هناك ما جرى له في خوارزم ، فعاد إلى الري ، وكان بها طبيب حاذق له ثروة ونعمة ، وكان للطبيب ابنتان ، ولفخر الدين ابنان ، فمرض الطبيب وأيقن بالموت فزوج ابنتيـه لولدي فخر الدين ، ومات الطبيب فاستولى فخر الدين على جميع أمواله ، فمن ثم كانت له النعمة ، ولازم الأسفار، وعامل شهاب الدين الغوري صاحب غَزْنَةَ في جملة من المال، ثم مضى إليه لاستيفاء حقه منه فبالغ في إكرامه والإنعام [عليه][1] وحصل له من جهته مال طائل ، وعاد إلى خراسان ، واتصل بالسلطـان محمد بن تكش المعروف بخوارزم شاه ، وحظي عنده ، ونال أسنى المراتب ، ولم يبلغ أحـد منزلته عنده ، ومناقبه أكثر من أن تعد ، وفضائله لا تحصى ولا تحد .

وكان له مع هذه العلوم شيء من النظم ، فمن ذلك قوله :

نهايـة إقدام العقول عقـال ... وأكثر سعي العـالمين ضلالُ
وأرواحنا في وحشة من جسُومنا ... وحاصِلُ دنيـانا أذىً ووبال
ولم نستفد من بحثنا طولَ عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجالٍ ودولة ... فبادوا جميعاً مسرعـين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجالٌ فزالوا والجبالُ جبـال

---

[1] زيادة من ر .

وكان العلماء يقصدونه من البلاد ، وتشد إليه الرحال من الأقطار ؛ وحكى شرف الدين بن عنين – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – أنه حضر درسه يوماً وهو يلقي الدروس في مدرسته بخوارزم ودرسه حافل بالأفاضل واليومُ شاتٍ وقد سقط ثلج كثير وخوارزم بردها شديد إلى غاية مـــا يكون[1] ، فسقطت بالقرب منه حمامة وقد طردها بعض الجوارح ، فلمـا وقعت رجع عنها الجارح خوفاً من الناس الحاضرين ، فلم تقدر الحمامة على الطيران من خوفهـــا وشدة البرد ، فلما قام فخر الدين من الدرس وقف عليهـا ورقّ لها وأخذها بيده ، فأنشد ابن عنين في الحال :

يا ابن الكرام المطعمين إذا شَتَوْا ... في كل مسغبــة وثلج خاشِفِ

العاصمينَ إذا النفوسُ تطايرتْ ... بين الصوارم والوشيجِ الراعف

من نبّأ الورقـــاء أن محلّكُم ... حرمٌ وأنك ملجـــأ للخائف

وفدت عليك وقد تدانى حتفُها ... فحبوتهـــا ببقائهـــا المستأنف

ولو أنها تُحْبى بمـــال لانثنت ... من راحتيك بنـائلٍ متضاعف

جاءت سليمانَ الزمان بشكوها ... والموت يلمع من جناحَيْ خاطف

قـــرم لواه القوت حتى ظـــله ... بإزائـــه يجري بقلب واجف

ولابن عنين المذكور فيه قصيدة من جملتها :

ماتت به بدع تمادى عمرها ... دهراً وكاد ظلامها لا ينجلي

فعلا به الإسلام أرفعَ هضبة ... ورسا سواه في الحضيض الأسفل

غلط امرؤٌ بأبي عليٍّ قاسه ... هيهات قَصَّرَ عن مَداه أبو علي

لو أن رسطاليسَ يسمعُ لفظةً ... من لفظه لعرته هزة أفْكَلِ

ولحار بطليموسُ لو لاقاه من ... برهانه في كلّ شكلٍ مشكل

ولوَ انّهُمْ جُمِعوا لديه تيقنوا ... أن الفضيلةَ لم تكنْ للأول

---

[1] ن : إلى الغاية .

وقال أبو عبد الله الحسين الواسطي : سمعت فخر الدين بهراة ينشد على المنبر عقيب كلام عاتب فيه أهل البلد :

المرء ما دام حَيّاً يُسْتَهان به ويعظم الرزء فيه حين يفتقدُ

وذكر فخر الدين في كتابه الذي سماه « تحصيل الحق » أنه اشتغل في علم الأصول على والده ضيـــاء الدين عمر ، ووالده على أبي القاسم سليمان بن ناصر الأنصاري ، وهو على إمام الحرمين أبي المعالي ، وهو على الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني ، وهو على الشيخ أبي الحسين الباهلي ، وهو على شيخ السنة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، وهو على أبي علي الجُبّائي أولاً ثم رجع عن مذهبه ونصر مذهب أهل السنة والجماعة .

وأما اشتغاله في المذهب فإنه اشتغل على والده، ووالدُه على أبي محمد الحسين ابن مسعود الفراء البغوي ، وهو على القاضي حسين المروزي[1] ، وهو على القفال المروزي ، وهو على أبي زيد المروزي ، وهو على أبي إسحاق المروزي ، وهو على أبي العباس بن سُرَيْج ، وهو على أبي القاسم الأنماطي ، وهو عـــلى أبي إبراهيم المزني ، وهو على الإمام الشافعي ، رضي الله عنه .

وكانت ولادة فخر الدين في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين ، وقيل ثلاث وأربعين وخمسمائة، بالري . وتوفي يوم الاثنين ، وكان عيد الفطر ، سنة ست وستمائة بمدينة هَراة ، ودفن آخر النهار في الجبل المصاقب لقرية مُزْداخان ، رحمه الله تعالى ، ورأيت له وصية أملاهـــا في مرض موته على أحد تلامذته تدل على حسن العقيدة .

ومُزْداخان : بضم الميم وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وبعد الألف خاء معجمة مفتوحة وبعد الألف الثانية نون ، وهي قرية بالقرب من هَراة . وقد تقدم الكلام على هَراة .

---

١ ت لي س ل : المرورّوذي .

٦٠١

الشيخ عماد الدين بن يونس

أبو حامد محمد بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد، الملقب عماد الدين، الفقيه الشافعي ؛ كان إمام وقته في المذهب والأصول والخلاف ، وكان له صيت عظيم في زمانه ، وقصده الفقهاء من البلاد الشاسعة للاشتغال[1] ، وتخرج عليه خلق كثير صاروا كلهم أئمة مدرسين يشار إليهم ، وكان مبدأ اشتغاله على أبيه – وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى – وذلك بالموصل ، ثم توجه إلى بغداد وتفقه بالمدرسة النظامية على السديد محمد السَّلَماسي – وقد تقدم ذكره[2] – وكان معيداً بها ، والمدرس يومئذ الشرف يوسف بن بندار الدمشقي[3] ؛ وسمع بها الحديث من أبي عبد الرحمن محمد بن محمد الكشميهني لما قدمها ، ومن أبي حامد محمد بن أبي الربيع الغرناطي ، وعاد إلى الموصل ودرس بها في عدة مدارس ، وصنف كتباً في المذهب : منها كتاب « المحيط في الجمع بين المهذب والوسيط » وشرح « الوجيز » للغزالي ، وصنف جدلاً وعقيدة وتعليقه في الخلاف ، لكنه لم يتمها، وكانت إليه الخطابة في الجامع المجاهدي مع التدريس في المدرسة النورية والعزية والزينية[4] والبقشية[5] والعلانية ، وتقدم في دولة نور الدين أرسلان شاه

---

٦٠١ – ترجمته في طبقات السبكي ٥ : ٤٥ ومرآة الزمان : ٥٥٨ وذيل الروضتين : ٨٠ وعبر الذهبي ٥ : ٢٨ والشذرات ٥ : ٣٤ والبدر السافر ، الورقة : ١٨٦ .

١ لي : للاشتغال عليه ؛ وزاد بعد هذا الموضع في المختار « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : وهو شيخ جدي بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ، ورأيت عند والدي نسخة « الوسيط » للغزالي وعليها خطه أن جدي المذكور قرأها عليه قراءة اتقان ومعرفة .

٢ انظر الترجمة : ٥٩٥ .

٣ زاد في المختار : « قلت : أعني كاتبها موسى بن أحمد : وولي جدي المذكور الإعادة بالنظامية ببغداد بعد ذلك بمدة » .

٤ س : والزينبية ، وكذلك في الشذرات .

٥ ت ن س : والنفيسية ؛ الشذرات : والبغشية .





٦٠٢

المعين الجاجرمي

أبو حامد محمد بن إبراهيم بن أبي الفضل، السهلي الجاجَرْمي الفقيه الشافعي، الملقب معين الدين ؛ كان إماماً فاضلاً متفنناً[1] مبرزاً ، سكن نيسابور ودرس بها ، وصنف في الفقه كتاب « الكفاية » وهو في غاية الإيجاز مع اشتماله على أكثر المسائل التي تقع في الفتاوى ، وهو في مجلد واحد ، وله كتاب « إيضاح الوجيز » أحسن فيه، وهو في مجلدين، وله طريقة مشهورة في الخلاف والقواعد المشهورة منسوبة إليه ، واشتغل عليه الناس وانتفعوا به وبكتبه من بعده ، خصوصاً القواعد، فإن الناس أكبوا على الاشتغال بها. وتوفي بكرة نهار[2] الجمعة حادي عشر[3] رجب سنة ثلاث عشرة وستمائة بنيسابور ، رحمه الله تعالى .

والجاجرمي : بفتح الجيمين بينهما ألف وسكون الراء وبعدها ميم، هذه النسبة إلى جاجَرْمَ ، وهي بلدة بين نيسابور وجرجان ، خرج منها جماعة من العلماء[4].

ورأيت بمدينة دمشق خطه على كتاب شرح فيه الأحـــاديث المسطورة في « المهذب » والألفاظ المشكلة ، وقد سمعه عليه جماعة من الفقهاء بنيسابور في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وستمائة .

---

٦٠٢ – ترجمته في طبقات السبكي ٥ : ١٩ وعبر الذهبي ٥ : ٤٦ والشذرات ٥ : ٥٦ .

١ ر : متقناً .

٢ ن : يوم .

٣ ر : حادي عشرين .

٤ نهاية الترجمة في س ل لي ت .

٦٠٣

العميـدي

أبو حامد محمد بن محمد بن محمد – وقيل أحمد – العميدي ، الفقيه الحنفي المذهب السمرقندي ، الملقب ركن[١] الدين؛ كان إماماً في فن الخلاف، خصوصاً الجَسْت[٢] ، وهو أول من أفرده بالتصنيف ومن تقدمه كان يمزجه بخلاف المتقدمين ، وكان اشتغاله فيه على الشيخ رضي الدين النيسابوري ، وهو أحد الأركان الأربعة ، فإنه كان من جملة المشتغلين على رضي الدين[٣] أربعة أشخاص تميزوا وتبحروا[٤] في هذا الفن ، وكل واحد منهم يُنعت بالركن ، وهم : ركن الدين الطاوسي – وقد سبق ذكره – والعميدي المذكور ، وركن الدين إمام زادا ، وقد شذ عني من هو الرابع ، وصنف العميدي في هذا الفن طريقة ، وهي مشهورة بأيدي الفقهاء ، وصنف « الإرشاد » واعتنى بشرحها[٥] جماعة من أرباب هذا الشأن: منهم القاضي شمس الدين أبو العباس أحمد بن الخليل بن سعادة ابن جعفر بن عيسى الفقيه الشافعي الخويي قاضي دمشق – كان – رحمه الله تعالى، والقاضي أوحد الدين الدوني قاضي منبج ، ونجم الدين المرندي وبدر الدين المراغي [المعروف بالطويل][٦] وغيرهم ، وصنف كتاب « النفائس » أيضاً ،

---

٦٠٣ – ترجمته في الجواهر المضية ٢ : ١٢٨ والوافي ١ : ٢٨٠ وعبر الذهبي ٥ : ٥٧ والشذرات ٥ : ٦٤ وتاج التراجم : ٥٨ .

١ ل : زكي ، حيثما وقعت .

٢ الجست : لفظة فارسية معناها البحث ، وقد أصبحت تطلق على نوع من فروع الخلاف ؛ وقد جاءت الجيم مضمومة في المختار .

٣ ن : فإنه كان من جملة . . . رضي الدين فإنه اشتغل عليه .

٤ ر : وتحرروا .

٥ كذا في جميع النسخ ، ولعل الضمير يعود إلى « طريقة » ، وفي الصفدي : بشرحه .

٦ زيادة من المختار ، وزاد بعدها قوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : رأيت =

واختصره شمس الدين الخويي المذكور، وسماه « عرائس النفائس » وصنف أشياء مستملحة على هذا الأسلوب . واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به من جملتهم : نظام الدين أحمد ابن الشيخ جمال الدين أبي المجاهد محمود بن أحمد بن عبد السيد ابن عثمان بن نصر بن عبد الملك البخاري التاجري[1] الحنفي المعروف بالحصيري صاحب الطريقة المشهورة وغيره .

وكان [العميدي] كريم الأخلاق كثير التواضع طيب المعاشرة . وتوفي ليلة الأربعاء تاسع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة ببخارا ، رحمه الله تعالى .

(177) وتوفي شمس الدين الخويي[2] المذكور يوم السبت سابع شعبان سنة سبع وثلاثين وستمائة بمدينة دمشق ، ودفن بسفح جبل قاسيون ، ومولده في شوال سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

(178) وتوفي أوحد[3] الدين بحلب عقيب أخذ التتر لقلعة حلب، وكان أخذ القلعة بعد أخذ البلد بتسعة وعشرين يوماً ، وأخذ البلد في عشر صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة، ومولد أوحد الدين سنة ست وثمانين وخمسمائة، رحمهم الله تعالى.

والعميدي : بفتح العين المهملة وكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة ، ولا أعرف هذه النسبة إلى ماذا ، ولا ذكرها السمعاني .

(179) ونظام الدين الحصيري[4] قتلته التتر بمدينة نيسابور عند أول خروجهم

=بدر الدين المراغي المذكور بدمشق وهو معيد عند والدي قدس الله روحه بالمدرسة العادلية السيفية وكان مقيماً بها ، وتوفي بها في سنة اجتماعي به وهي سنة ستين وستمائة رحمه الله تعالى ، وعمري يومئذ عشر سنين ، فإن مولدي وقت طلوع الشمس من نهار السبت حادي عشر صفر سنة إحدى وخمسين وستمائة بالقاهرة بالديار المصرية بحارة الباطلية بخط الجامع الأزهر » .

١ التاجري : غير معجمة في ل ن .

٢ ترجمة الخويي في ذيل الروضتين : ١٦٩ .

٣ تأخرت هذه الفقرة في ن فوقعت في آخر الترجمة ، وسقطت من ت .

٤ في جميع النسخ : ابن الحصيري ؛ وانظر ترجمته في الجواهر المضية ١ : ١٢٤ (الحصري) وذكر أن وفاته كانت سنة ٦٩٨ وهو وهم ؛ وذكر في ترجمة محمود بن أحمد أنه توفي سنة ٦٣٦ ، وهو ما ذكره المؤلف في ترجمة الابن ، وانظر ترجمة محمود الحصيري (الابن) في ذيل الروضتين : ١٦٧ .

إلى البلاد ، وذلك في سنة ست عشرة وستمائة ، رحمه الله تعالى .

(180) وكان ولده من أعيان العلماء ، اجتمعت به عدة دفوع بدمشق ، وكان يدرس بالمدرسة النورية ولم يكن في عصره من يقاربه في مذهب الإمام أبي حنيفة ؛ وبلغني أنه كان ينكر على والده نظام الدين المذكور تضييع فكره وذهنه ، وكان من أشد الناس ذهناً وإدراكاً وهو عند ذلك شاب ، وكان ابنه يقول عنه لاقتصاره على المذهب فقط : أبي شيخ كودن ؛ ومولد الحصيري ببخارا سنة ست وأربعين وخمسمائة في رجب ، وتوفي ليلة الأحد الثامن من صفر سنة ست وثلاثين وستمائة بدمشق ، ودفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر ، وكان يقول : كان أبي يعرف بالتاجري[1] ، وإنما ببخارا محلة يعمل فيها الحصر ، وكنا نحن بها .

٦٠٤

محمد بن داود الظاهري

أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني المعروف بالظاهري ؛ كان فقيهاً أديباً شاعراً ظريفاً، وكان يناظر أبا العباس ابن سُرَيْج —وقد سبق خبره معه في ترجمته[2] — ولما توفي أبوه في التاريخ المذكور في ترجمته جلس ولده أبو بكر المذكور في حلقته ، وكان على مذهب والده ، فاستصغروه ، فدسوا إليه رجلاً وقالوا له : سله عن حد السكر ، فأتاه الرجل فسأله عن السكر : ما هو ؟ ومتى يكون الإنسان سكران ؟ فقال : إذا عزبت عنه الهموم ، وباح

---

١ في الجواهر المضية (٢ : ١٥٥) ووالده يعرف بالتاجر .

٦٠٤ – ترجمته في الفهرست : ٢١٧ وتاريخ بغداد ٥ : ٢٥٦ وطبقات الشيرازي : ١٧٥ والوافي ٣ : ٥٨ وعبر الذهبي ٢ : ١٠٨ والشذرات ٢ : ٢٢٦ .

٢ انظر ج ١ : ٦٦ .

بسره المكتوم؛ فاستحسن ذلك منه، وعلم موضعه من العلم، وصنف في عنفوان شبابه كتابه الذي سماه « الزهرة » وهو مجموع أدب أتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر رائق .

واجتمع يوماً هو وأبو العباس ابن سُرَيْج في مجلس الوزير ابن الجراح فتناظرا في الإيلاء، فقال ابن سريج : أنت بقولك « مَنْ كثرت لحظاته دامت حسراته » أبْصَرُ منك بالكلام في الإيلاء، فقال له أبو بكر : لئن قلت ذلك فإني أقول :

أنزه[1] في روض المحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنالَ محرما
وأحملُ من ثقل الهوى ما لوَ أنه يُصَبُّ على الصخر الأصم تهدما
وينطقُ طرفي عن مترجم خاطري فلولا اختلاسي رده لتكلما
رأيتُ الهوى دعوى من الناس كلهم فما إن أرى حباً صحيحاً مسلما

فقال له ابن سريج : وبمَ تفتخر علي ولو شئت أنا لقلت :

ومساهرٍ بالغنج من لحظاته قد بت أمنعه لذيذ سناتِهِ
ضنا بحسن حديثه وعتابه وأكرر اللحظات في وجناته
حتى إذا ما الصبحُ لاح عموده ولى بخاتم ربه وبَراته

فقال أبو بكر : يحفظ الوزير عليه ذلك حتى يقيم شاهدي عدل أنه ولى بخاتم ربه، فقال أبو العباس ابن سريج : يلزمني في ذلك ما يلزمك في قولك :

أنزه في روض المحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال محرما

فضحك الوزير وقال : لقد جمعتما ظَرْفاً ولطفاً وفهماً وعلماً .

ورأيت في بعض المجاميع هذه الأبيات منسوبة إليه :

لكل امرىء ضيف يسر بقربه وما لي سوى الأحزان والهم من ضيفِ
له مقلة ترمي القلوبَ بأسهم أشد من الضرب المدارك بالسيف

---

[1] الوافي : أكرر .

يقولُ خليلي : كيف صبرك بعدنا ؟ فقلت : وهل صبر فاسأل عن كيف

وحكى أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا أنه حضر مجلس محمد المذكور قال : فجاءه رجل فوقف عليه ورفع له رقعة ، فأخذها وتأملها طويلاً وظن تلامذته أنها مسألة ، ثم قلبها وكتب على ظهرها وردها إلى صاحبها، فنظرنا فإذا الرجل علي بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور ، وإذا في الرقعة[1] :

يا ابن داودَ يا فقيه العراق أفتِنا في قواتل الأحداقِ
هل عليهن في الجروح قصاصٌ أم مباح لهـــا دمُ العشاق

وإذا الجواب :

كيفَ يفتيكمُ قتيلٌ صريعٌ بسهـــام الفراق والإشتياق
وقتيل التلاقِ أحسن حالا عند داود من قتيل الفراق

وكان عالماً في الفقه، وله تصانيف عديدة : منها كتاب « الوصول إلى معرفة الأصول » وكتاب « الإنذار » وكتاب « الإعذار »[2] وكتاب « الانتصار على محمد ابن جرير وعبد الله بن شرشير وعيسى بن إبراهيم الضرير » وغير ذلك .

وتوفي يوم الاثنين تاسع[3] شهر رمضان سنة سبع وتسعين ومائتين وعمره اثنتان وأربعون سنة ، وقيل كانت وفاته سنة ست وتسعين ، والأول أصح ، وفي يوم وفاته توفي يوسف بن يعقوب القاضي ، رحمهما الله تعالى .

ويحكى أنه لما بلغت وفاته[4] ابن سريج كان يكتب شيئاً فألقى الكراسة من يده وقال : مات من كنت أحث نفسي وأجهدها على الاشتغال لمناظرته ومقاومته .

---

١ الوافي ٣ : ٦٠ .

٢ ن : وكتاب الانذار والاعذار ؛ س : وكتاب الاعتذار .

٣ ت س : سابع .

٤ ر : بلغه الخبر بوفاة ؛ لي : بلغته وفاة ؛ وهذا خطأ لأن ابن داود توفي قبل ابن سريج .

٦٠٥

الطرطـوشي

أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القُرَشي الفِهْري الأندلسي الطرطوشي الفقيه المالكي الزاهد ، المعروف بابن أبي رندقة ؛ صحب أبا الوليد الباجي — المقدم ذكره[1] — بمدينة سرقسطة،وأخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه ، وأجاز له[2] ، وقرأ الفرائض والحساب بوطنه ، وقرأ الأدب على أبي محمد ابن حزم — المقدم ذكره — بمدينة إشبيلية ، ورحل إلى المشرق سنة ست وسبعين وأربعمائة وحج ودخل بغداد والبصرة ، وتفقه على أبي بكر محمد ابن أحمد الشاشي المعروف بالمستظهري الفقيه الشافعي — وقد تقدم ذكره — وعلى أبي أحمد[3] الجرجاني ، وسكن الشام مدة ودرس بها .

وكان إماماً عالماً عاملاً زاهداً ورعاً ديّناً متواضعاً متقشفاً متقللاً من الدنيا راضياً منها باليسير ، وكان يقول : إذا عرض لك أمران أمر دنيا وأمر أخرى فبادر بأمر الأخرى يحصل لك أمر الدنيا والأخرى ، وكان كثيراً ما ينشد :

إن لله عبــاداً فُطَـنَا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

فكروا فيها فلمــا علموا ... أنهــا ليست لحي وطَـنا

جعلوهـــا لجـــةً واتخذوا ... صالحَ الأعمال فيهـا سُفُنا

---

٦٠٥ — ترجمته في الصلة : ٥٤٥ والمغرب ٢ : ٢٤٢ وبغية الملتمس رقم ٢٩٥ والديباج المذهب : ٢٧٦ وحسن المحاضرة ١ : ١٩٢ وعبر الذهبي ٤ : ٤٨ والشذرات ٤ : ٦٢ ونفح الطيب ٢ : ٨٥ وأزهار الرياض ٣ : ١٦٢ .

١ انظر ج ٢ : ٢٠٨ .

٢ ر : وأجازه .

٣ ل لي س : أبي العباس .

ولما دخل على الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش – المقدم ذكره في حرف الشين[1] – بسط مئزراً كان معه[2] وجلس عليه ، وكان إلى جانب الأفضل رجل نصراني فوعظ الأفضل حتى بكى ، وأنشد :

يا ذا الذي طاعته قربة وحقه مفترض واجبُ
إن الذي شرفت من أجله يزعُمُ هذا أنه كاذب

وأشار إلى النصراني ، فأقام الأفضل من موضعه . وكان الأفضل قد أنزل الشيخ في مسجد شقيق الملك بالقرب من الرصد[3] وكان يكرهه ، فلما طال مقامه به ضجر وقال لخادمه : إلى متى نصبر ؟ اجمع لي المباح ، فجمع له فأكله ثلاثة أيام ، فلما كان عند صلاة المغرب قال لخادمه : رميته الساعة ، فلما كان من الغد ركب الأفضل فقتل ، وولي بعده المأمون بن البطائحي ، فأكرم الشيخ إكراماً كثيراً ، وصنف له كتاب « سراج الهدى » وهو حسن في بابه .

وله من التصانيف « سراج الملوك » وكتاب « بر الوالدين » وكتاب « الفتن » وغير ذلك[4] ، وله طريقة في الخلاف . ورأيت أشعاراً منسوبة إليه : فمن ذلك وقد ذكرها الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري في الترجمة التي جمعها للطرطوشي المذكور ، وهي :

إذا كنتَ في حاجةٍ مرسلا وأنتَ بإنجازها مغرمُ
فأرسل بأكمهَ خلابة بـه صممٌ أغطش أبكم
ودعْ عنكَ كل رسولٍ سوى رسولٍ يقال لهُ الدرهم

وقد سبق في ترجمة أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي بيتان يشتملان على أكثر ألفاظ[5] هذه الأبيات ، وهما :

---

١ انظر ج ٣ : ٤٤٨ .
٢ ن : معه تحته .
٣ ن : بقرب الرصد .
٤ ر ل لي ت : وله التصانيف (لي : الحسان ؛ ن : الحسنة) منها سراج الملوك وغيره .
٥ س : معنى ألفاظ .

إذا كنتَ في حاجةٍ مرسلاً وأنتَ بهـا كلِفٌ مغرمُ
فأرسِلْ حكيماً ولا توصِهِ وذاكَ الحكيمُ هو الدرهمُ

[وقال الطرشوشي المذكور : كنت ليلة نائماً في بيت المقدس ، فبينا أنا في جنح الليل إذ سمعت صوتاً حزيناً ينشد :

أخوفٌ ونومٌ ؟ إن ذا لعجيب ثكلتكَ من قلبٍ فأنتَ كذوبُ
أما وجلالِ الله لو كنتَ صادقاً لما كان للاغماضِ منكَ نصيبُ

قال : فأيقظ النوام وأبكى العيون][1] .

وكانت ولادة الطرطوشي المذكور سنة إحدى وخمسين وأربعمائة تقريباً . وتوفي ثلث الليل الأخير من ليلة السبت لأربع بقين من جمادى الاولى سنة عشرين وخمسمائة بثغر الإسكندرية ، وصلى عليه ولده محمد ، ودفن في مقبرة وعلة قريباً من البرج الجديد قبلي الباب الأخضر ، رحمه الله تعالى ؛ وذكر ابن بَشْكُوال في كتاب « الصلة » أنه توفي في شعبان من السنة المذكورة .

[قلت : هكذا وجدت تاريخ وفاة هذا الشيخ في مواضع كثيرة ، ثم ظفرت بدمشق في أوائل سنة ثمانين وستمائة بشيخة جمعت لشيخنا القاضي بهاء الدين يوسف المعروف بابن شداد – المذكور في حرف الياء – ذكر فيها شيوخه الذين سمع عليهم ، ثم ذكر بعدهم الشيوخ الذين أجازوه ، فذكر في جملتهم الشيخ أبا بكر الطرطوشي المذكور ؛ ولا خلاف أن ابن شداد مولده في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، فكيف يجيزه الطرطوشي ووفاته في سنة عشرين وخمسمائة ؟ فقد توفي قبل مولد ابن شداد بتسع عشرة سنة ، وكان يمكن أن يقال : ربما وقع الغلط من الذي جمع المشيخة ، لكن هذه النسخة التي رأيتها قرئت عليه ، وكتب خطه عليها بالسماع ، فما بقي الغلط منسوباً إلى جامع المشيخة ، بل يحتاج هذا إلى التحقيق من جهة أخرى ، وقد نبهت عليـه ليكشف عن ذلك من يقف عليه ، ولا ينسبني إلى الغلط في ذلك ، والله أعلم بالصواب][2] .

---

[1] انفردت به ر .   [2] انفردت ر بما وضع بين معقفين .

والطرطوشي : بضم الطاءين المهملتين بينهما راء ساكنة وبعدها واو ساكنة ثم شين معجمة ، هذه النسبة إلى طُرْطُوشَة[1] ، وهي مدينة في آخر بلاد المسلمين بالأندلس على ساحل البحر ، وهي في شرق الأندلس .

ورَنْدَقَة : بفتح الراء وسكون النون وفتح الدال المهملة والقاف ، وهي لفظة فرنجية ، سألت بعض الفرنج عنها فقال : معناها رد تعال[2] . وقد تقدم الكلام على « وعلة » في ترجمة الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السِّلَفي ، رحمه الله تعالى .

٦٠٦

أبو الهذيل العلاف

أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي، المعروف بالعلّاف المتكلم ؛ كان شيخ البصريين في الاعتزال ، ومن أكبر علمائهم ، وهو صاحب مقالات في مذهبهم ومجالس ومناظرات ، وهو مولى عبد القيس[3] .

وكان حسن الجدال قويّ الحجة كثير الاستعمال للأدلة[4] والإلزامات . حكي أنه لقي صالح بن عبد القدوس ، وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه ، فقال له أبو الهذيل : لا أعرف لجزعك عليه وجهاً ، إذ كان الإنسان عندك

---

١ طرطوشة (Tortosa) .

٢ ن : زنقال .

٦٠٦ – ترجمته في تاريخ بغداد ٣ : ٣٦٦ ومواضع متفرقة من مقالات الإسلاميين والفرق بين الفرق ومختصره ، ومروج الذهب ٢ : ٢٩٨ وأمالي المرتضى ١ : ١٧٨ والانتصار : ١٧٩ وطبقات المعتزلة : ٤٤ ونكت الهميان : ١٧٧ والشذرات ٢ : ٨٥ ولسان الميزان ٥ : ٤١٣ وروضات الجنات : ١٥٨ .

٣ وهو . . . القيس : وقعت بعد لفظة « الاعتزال » في ن .

٤ ن : للأدلة القاطعة .

كالزرع ، قال صالح : يا أبا الهذيل ، إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب « الشكوك » فقال له : كتاب « الشكوك » ما هو يا صالح ؟ قال : هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن ، ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم أنه قد كان ، فقال له أبو الهذيل : فشُكَّ أنت في موت ابنك ، واعمل على أنه لم يمت ، وإن كان قد مات ، وشك أيضاً في قراءته كتاب « الشكوك » وإن كان لم يقرأه .

ولأبي الهذيل كتاب يعرف بـ « ميلاس » وكان ميلاس رجلاً مجوسياً فأسلم وكان سبب إسلامه أنه جمع بين أبي الهذيل المذكور وجماعة من الثنوية ، فقطعهم أبو الهذيل ، فأسلم ميلاس عند ذلك .

وكان[1] قد اجتمع عند يحيى بن خالد البرمكي جماعة من أرباب الكلام ، فسألهم عن حقيقة العشق ، فتكلم كل واحد بشيء ، وكان أبو الهذيل المذكور في جملتهم ، فقال : أيها الوزير ، العشق يختم على النواظر ويطبع على الأفئدة ، مرتعه في الأجسام ومشرعه في الأكباد ، وصاحبه متصرف الظنون متفنن الأوهام ، لا يصفو له مرجو[2] ولا يسلم له موعود ، تسرع إليه النوائب . وهو جرعة من نقيع الموت ونقعة من حياض الثكل ، غير أنه من أريحية تكون في الطبع وطلاوة توجد في الشمائل ، وصاحبه جواد لا يصغي إلى داعية المنع ولا يصيخ لنازع العذل . وكان المتكلمون ثلاثة عشر شخصاً ، وأبو الهذيل ثالث من تكلم منهم ، ولولا خوف الإطالة لذكرت كلام الجميع .

ورأيت في بعض المجاميع أن أعرابية وصفت العشق[3] ، فقالت في صفته : خفي عن أن يرى وجل عن أن يخفى ، فهو كامن ككمون النار في الحجر : إن قدحته أورى وإن تركته توارى ، وإن لم يكن شعبة من الجنون فهو عصارة السحر .

وكانت ولادة أبي الهذيل سنة إحدى – وقيل أربع ، وقيل خمس – وثلاثين

---

١ ر بر من : وعرض لأبي الهذيل رجل وكان . . . الخ .

٢ ر س : موجود .

٣ س : العشق بكلام .

ومائة . وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائتين بسر من رأى ؛ وقال الخطيب البغدادي توفي سنة ست وعشرين ، وقال المسعودي في كتاب « مروج الذهب »: إنه توفي سنة سبع وعشرين ومائتين ، رحمه الله تعالى[1] ، وكان قد كف بصره وخرف في آخر عمره ، إلا أنه كان لا يذهب عليه شيء من الأصول ، لكنه ضعف عن مناهضة المناظرين وحجاج المخالفين ، وضعف خاطره .

٦٠٧

أبو علي الجبّائي

أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حُمْران بن أبان ، مولى عثمان ابن عفان ، رضي الله عنه ، المعروف بالجُبّائي أحد أئمة المعتزلة ؛ كان إماماً في علم الكلام ، وأخذ هذا العلم عن أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة في عصره ، وله في مذهب الاعتزال مقالات مشهورة ، وعنه أخذ الشيخ أبو الحسن الأشعري شيخ السنة علم الكلام ، وله معه مناظرة روتها[2] العلماء ، فيقال إن أبا الحسن[3] المذكور سأل أستاذه أبا علي الجبائي عن ثلاثة إخوة: أحدهم كان مؤمناً براً تقياً، والثاني كان كافراً فاسقاً شقياً، والثالث كان صغيراً، فماتوا فكيف حالهم ؟ فقال الجبائي : أما الزاهد ففي الدرجات ، وأما الكافر ففي الدركات ، وأما الصغير فمن أهل السلامة ، فقال الأشعري :

---

١ هنا تنتهي الترجمة في ت .

٦٠٧ – انظر في أخباره وترجمته صفحات متفرقة من مقالات الإسلاميين والفرق بين الفرق ومختصره، والمنتظم ٦ : ١٣٧ وطبقات السبكي ٢ : ٢٥٠ (مناظرة بينه وبين الأشعري) وطبقات المعتزلة : ٨٠ والأنساب ٣ : ١٨٦ وروضات الجنات : ١٦١ والشذرات ٢ : ٢٤١ .

٢ ن : دونها ؛ وقد تقرأ كذلك في المختار .

٣ زاد في س : الأشعري شيخ السنة .

إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له؟ فقال الجبائي : لا ، لأنه يقال له : إن أخاك إنما وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة ، وليس لك تلك الطاعات ، فقال الأشعري : فإن قال ذلك الصغير : التقصير ليس مني ، فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة ، فقال الجبائي : يقول الباري جل وعلا : كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم ، فراعيت مصلحتك ، فقال الأشعري : فلو قال الأخ الكافر : يا إله العالمين ، كما علمت حاله فقد علمت حالي ، فلمَ راعيت مصلحته دوني ؟ [فقال الجبائي للاشعري : إنك مجنون ، فقال : لا ، بل وقف حمار الشيخ في العقبة][1] فانقطع الجبائي . وهذه المناظرة دالة على أن الله تعالى خص من شاء برحمته ، وخص آخر بعذابه ، وأن أفعاله غير معللة بشيء من الأغراض[2] .

ثم وجدت في تفسير القرآن العظيم تصنيف الشيخ فخر الدين الرازي في سورة الأنعام : أن الأشعري لما فارق مجلس الأستاذ[3] الجبائي وترك مذهبه وكثر اعتراضُه على أقاويله عظمت الوحشة بينهما ، فاتفق يوماً أن الجبائي عقد مجلس التذكير ، وحضر عنده عالم من الناس ، فذهب الأشعري إلى ذلك المجلس ، وجلس في بعض النواحي مختفياً عن الجبائي ، وقال لبعض من حضره[4] من النساء : أنا أعلمك مسألة فاذكريها لهذا الشيخ ، ثم علمها سؤالاً بعد سؤال ، فلما انقطع الجبائي في الأخير رأى الأشعري ، فعلم أن المسألة منه لا من العجوز .

ورأيت في كتاب « المسالك والممالك » لابن حوقل[5] في فصل خوزستان أن جُبّى مدينة ورستاق عريض مشتبك العمائر[6] بالنخل وقصب السكر وغيرهما . قال : ومنها أبو علي الجبائي الشيخ الجليل إمام المعتزلة ورئيس المتكلمين في عصره .

---

١ انفردت به س .

٢ ل س ت والمختار : الأعراض ؛ ن : معللة بالأعراض .

٣ ر : أستاذه .

٤ ر : حضر هناك . ٥ صورة الأرض : ٢٣١ .

٦ ابن حوقل : ولها رستاق . . . العمارة .

وكانت ولادة الجبائي في سنة خمس وثلاثين ومائتين . وتوفي في شعبان سنة ثلاث وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

وقد سبق ذكر ولده أبي هاشم عبد السلام ، والكلام على الجُبّائي في ترجمته في حرف العين[1] .

٦٠٨

أبو بكر الباقلاني

القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم ، المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور ؛ كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ، ومؤيداً اعتقاده وناصراً طريقته ، وسكن بغداد ، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره[2]،وكان في علمه أوحَدَ زمانه وانتهت إليه الرياسة في مذهبه ، وكان موصوفاً بجودة الاستنباط وسرعة الجواب ، وسمع الحديث ؛ وكان كثير التطويل في المناظرة مشهوراً بذلك عند الجماعة ، وجرى يوماً بينه وبين أبي سعيد الهاروني مناظرة ، فأكثر القاضي أبو بكر المذكور فيها الكلام ووسع العبارة وزاد في الإسهاب ، ثم التفت إلى الحاضرين وقال : اشهدوا عليّ أنه إن أعاد ما قلت لا غير لم أطالبه بالجواب ، فقال الهاروني : اشهدوا عليّ أنه إن أعاد كلام نفسه سلمت له ما قال .

وتوفي القاضي أبو بكر المذكور آخر يوم السبت ، ودفن يوم الأحد لسبع

---

١ انظر ج ٣ : ١٨٣ .

٦٠٨ – ترجمته في تاريخ بغداد ٥ : ٣٧٩ وترتيب المدارك ٤ : ٥٨٥ وتبيين كذب المفتري : ٢١٧ والوافي ٣ : ١٧٧ والديباج المذهب : ٢٦٧ والمنتظم ٧ : ٢٦٥ وعبر الذهبي ٣ : ٨٦ والشذرات ٣ : ١٦٨ .

٢ وغيره : سقطت من س ل لي ر من ووقعت بعد لفظة « مذهبه » .

بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى ، وصلى عليه ابنه الحسن ، ودفنه في داره بدرب المجوس ، ثم نقل بعد ذلك فدفن في مقبرة باب حَرْب .

ورثاه بعض شعراء عصره بقوله :

انظر إلى جبلٍ تمشي الرجالُ بـــه ... وانظر إلى القبر ما يحوي من الصّلَفِ
وانظر إلى صارمِ الإسلامِ مغتمداً ... وانظر إلى دُرّة الإسلام في الصدفِ

والباقلاني : بفتح الباء الموحدة وبعد الألف قـاف مكسورة ثم لام ألف وبعدها نون ، هذه النسبة إلى الباقِلّى وبَيْعه ، وفيه لغتان : مَنْ شدد اللام قصر الألف ومن خففها مد الألف فقال : باقِلاء ، وهذه النسبة شاذة لأجـــل زيادة النون فيها ، وهو نظير قولهم في النسبة إلى صنعاء : صنعاني ، وإلى بَهْراء: بهراني ، وقد أنكر الحريري في كتاب « درة الغواص »[1] هذه النسبة وقال : من قصر الباقلى قال في النسبة إليه : باقِلّي ، ومن مد قال في النسب إليه[2] : باقلاوي وباقلائي ولا يقاس على صنعاء وبهراء ، لأن ذلك شاذ لا يُعاج إليه ، والسمعاني ما أنكر النسبة الأولى[3] ، والله أعلم بالصواب .

---

١ درة الغواص : ٨٤ .

٢ الدرة : ومن مد الباقلاء جاز في النسب إليه .

٣ انظر الأنساب ٢ : ٥٢ .

٦٠٩

أبو الحسين البصري

أبو الحسين محمد بن علي [بن][١] الطيب البصري المتكلم على مذهب المعتزلة ؛ وهو أحد أئمتهم الأعلام المشار إليه في هذا الفن ، كان جيد الكلام مليح العبارة غزير المادة ، إمام وقته ، وله التصانيف الفائقة في أصول الفقه ، منها « المعتمد » وهو كتاب كبير ، ومنه أخذ فخر الدين الرازي كتاب « المحصول » وله « تصفح الأدلة » في مجلدين ، و « غرر الأدلة » في مجلد كبير ، و « شرح الأصول الخمسة » وكتاب في الإمامة ، وغير ذلك في أصول الدين ، وانتفع الناس بكتبه .

وسكن بغداد وتوفي بها يوم الثلاثاء خامس شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ، ودفن في مقبرة الشونيزي ، وصلى عليه القاضي أبو عبد الله الصيمري .

ولفظة « المتكلم » تطلق على مَنْ يعرف علم الكلام ، وهو أصول الدين ، وإنما قيل له « علم الكلام » لأن أول خلاف وقع في الدين كان في كلام الله ، عز وجل : أمخلوق هو أم غير مخلوق ؟ فتكلم الناس فيه ، فسمي هذا النوع من العلم كلاماً ، اختص به وإن كانت العلوم جميعها تنشر بالكلام ، هكذا قاله السمعاني[٣] .

---

٦٠٩ – ترجمته في تاريخ بغداد ٣ : ١٠٠ والمنتظم ٨ : ١٢٦ وطبقات المعتزلة : ١١٨ ولسان الميزان ٥ : ٢٩٨ وعبر الذهبي ٣ : ١٨٧ والشذرات ٣ : ٢٥٩ .

١ زيادة من ل لي والمختار ، وكذلك هو في عبر الذهبي .

٢ س : تفسر ؛ لي ن : تنتشر ؛ ل : تسن .

٣ كتب بهامش ن التعليق التالي : قوله : لان أول خلاف وقع في الدين كان مسألة الكلام ، ليس كذلك ، بل كان قبلها الخلاف في مسألة العلم ، وقول من قال : الأمر أنف ، وكان هذا في زمن عبد الله بن عمر كما ثبت في الصحيح ، وقيل إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمع هذه المقالة وأنكرها كما ذكر ابن عبد البر في كتاب العلم ، فأما مسألة الكلام فكان النزاع فيها بعد المائتين =

٦١٠
أبو بكر ابن فورك

الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك المتكلم الأصولي الأديب النحوي الواعظ الأصبهاني ؛ أقام بالعراق مدة يدرس العلم ، ثم توجه إلى الري فسمت به المبتدعة ، فراسله أهل نيسابور والتمسوا منه التوجه إليهم ، ففعل وورد نيسابور ، فبنى له بها مدرسة وداراً ، وأحيا الله تعالى به أنواعاً من العلوم ، ولما استوطنها وظهرت بركاته على جماعة المتفقهة وبلغت مصنفاته في أصول الفقه والدين ومعاني القرآن قريباً من مائة مصنف ، دعي إلى مدينة غَزْنَةَ وجرت له بها مناظرات كثيرة .

ومن كلامه : شغل العيال نتيجته متابعة الشهوة بالحلال ، فما ظنك بقضية شهوة الحرام ؟

وكان شديد الرد على أصحاب أبي عبد الله ابن كرام .

ثم عاد إلى نيسابور فسُمّ في الطريق فمات هناك ونقل إلى نيسابور ودفن بالحيرة ، ومشهده بها ظاهر يزار ويستسقى به وتجاب الدعوة عنده ، وكانت وفاته سنة ست وأربعمائة ، رحمه الله تعالى . وقال أبو القاسم القشيري في « الرسالة »[١] سمعت أبا علي الدقاق يقول: دخلت على أبي بكر ابن فورك عائداً فلما رآني دمعت عيناه ، فقلت له : إن الله سبحانه يعافيك ويشفيك ، فقال لي: تراني أخاف من الموت ، إنما أخاف مما وراء الموت .

= في خلافة المأمون . وإنما قيل لهم « أهل الكلام » لكثرة كلامهم واعتراض بعضهم على بعض، وقيل غير ذلك .

٦١٠ – ترجمته في الوافي ٢ : ٣٤٤ وتبيين كذب المفتري : ٢٣٢ وطبقات السبكي ٣ : ٥٢ واللباب (الفوركي) والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٤٠ وعبر الذهبي ٣ : ٩٥ والشذرات ٣ : ١٨١ .

١ الرسالة القشيرية : ٣١٠ .

وفُورَك : بضم الفاء وسكون الواو وفتح الراء وبعدها كاف ، وهو اسم علم.

والحِيرة : بكسر الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة، وهي محلة كبيرة بنيسابور ينسب إليها جماعة من أهل العلم، وهي تلتبس بالحيرة التي بظاهر الكوفة .

وغَزْنَة : بفتح الغين المعجمة وسكون الزاي وفتح النون وبعدها هاء ساكنة ، وهي مدينة عظيمة في أوائل الهند من جهة خراسان .

٦١١

الشهرستاني

أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني المتكلم على مذهب الأشعري ؛ كان إماماً مبرزاً فقيهاً متكلماً تفقه على أحمد الخوافي – المقدم ذكره[1] – وعلى أبي نصر القشيري وغيرهما ، وبرع في الفقه ، وقرأ الكلام على أبي القاسم الأنصاري وتفرد فيه ، وصف كتباً منها كتاب « نهاية الإقدام في علم الكلام» وكتاب «الملل والنحل» [و « المناهج والبينات » وكتاب « المضارعة »][2] و « تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام » وكان كثير المحفوظ حسن المحاورة يعظ الناس ، ودخل بغداد سنة عشر وخمسمائة وأقام بها ثلاث سنين ، وظهر له قبول كثير عند العوام ، وسمع الحديث من علي بن أحمد المديني بنيسابور ومن غيره ، وكتب عنه الحافظ أبو سعد عبد الكريم السمعاني ، وذكره في كتاب « الذيل » .

---

٦١١ – ترجمته في الوافي ٣ : ٢٧٨ وطبقات السبكي ٤ : ٧٨ ولسان الميزان ٥ : ٢٦٣ ومعجم البلدان : (شهرستان) وعبر الذهبي ٤ : ١٣٢ والشذرات ٤ : ١٤٩ .

١ انظر ج ١ : ٩٦ .

٢ زيادة من ر .

وكانت ولادته سنة سبع وستين وأربعمائة بشهرستان ، هكذا وجدته بخطي في مسوداتي ، وما أدري من أين نقلته ، وقال ابن السمعاني في كتاب « الذيل »: سألته عن مولده فقال : في سنة تسع وسبعين وأربعمائة ؛ وتوفي بها أيضاً في أواخر شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وقيل سنة تسع وأربعين ، والأول أصح ، رحمه الله تعالى .

وذكر في أول كتاب نهاية الإقدام المذكور بيتين وهما :

لقد طفتُ في تلك المعاهدِ كلها وسيّرتُ طرفي بين تلكَ المعالمِ
فلم أرَ إلا واضعاً كفَّ حائرٍ على ذَقَنٍ أو قارعاً سن نادمِ

ولم يذكر لمن هذان البيتان، وقال غيره: هما لأبي بكر محمد بن باجة المعروف بابن الصائغ الأندلسي — الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وشهرستان : بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وفتح الراء وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها[1] وبعد الألف نون ، وهو اسم لثلاث مدن :

الأولى : شهرستان خراسان بين نيسابور وخوارزم في آخر حدود[2] خراسان وأول الرمل المتصل بناحية خوارزم وهي المشهورة، ومنها أبو الفتح محمد المذكور، وأخرجت خلقاً كثيراً من العلماء ، وبناها عبد الله بن طاهر أمير خراسان — المقدم ذكره — في خلافة المأمون .

الثانية : شهرستان قصبة ناحية سابور[3] من أرض فارس ، كما ذكره ابن البناء البشاري[4] .

الثالثة : مدينة جي بأصبهان يقال لها شهرستان ، بينها وبين اليهودية مدينة أصبهان اليوم نحو ميل ، بها أسواق ، وهي على نهر زرندورد وبها قبر الإمام الراشد بن المسترشد .

---

١ ر : المثناة الفوقية .

٢ ر : بلاد .

٣ ل لي س : بنيسابور .

٤ أحسن التقاسيم : ٢٨٧ .

وشهرستان لفظة عجيمة وهي مركبة ، فمعنى شهر مدينة ، ومعنى الاستان الناحية ، فكأنه قال : مدينة الناحية – ذكر ذلك كله أبو عبد الله ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه « المشترك وضعاً المختلف صقعاً »[1] وفي بعضه زيادة على ما ذكره ياقوت .

وكان الشهرستاني المذكور يروي بالإسناد المتصل إلى النظام البلخي العالم المشهور ، واسمه إبراهيم بن سيار ، أنه كان يقول : لو كان للفراق صورة لارتاع لها القلوب ولهدّ الجبال، ولجمرُ الغضى أقل توهُّجاً من حمله ، ولو عذب الله أهل النار بالفراق لاستراحوا إلى ما قبله من العذاب . وكان يروى للدريدي[2] أيضاً باتصال الإسناد إليه قوله :

ودعتُهُ حينَ لا تودعه روحي ولكنها تسير مَعَهْ
ثم افترقنا وفي القلوب لنا ضيقُ مكانٍ وفي الدموع سعَهْ

وكان يروي للدريدي[2] أيضاً مسنداً إليه :

يا راحلين بمهجةٍ في الحب متلَفةٍ شقيَّهْ
الحبُّ فيه بليّةٌ وبليّتي فوق البليّهْ

كل ذلك رواه الحافظ أبو سعد ابن السمعاني في كتاب « الذيل » ثم قال في آخر الترجمة : وصل إليّ نعيه وأنا ببخارا ، رحمه الله تعالى .

---

١ المشترك : ٢٧٩ .

٢ س : الدريدي ؛ والصورة نفسها في النسخ الأخرى مع اضطراب في الاعجام .

٦١٢

محمد بن إسحاق

أبو بكر ، وقيل أبو عبد الله ، محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار[1] ، وقيل يسار بن كوتان[2] ، المطلبي بالولاء ، المديني ، صاحب المغازي والسير ؛ كان جده يسار مولى قيس بن مَخْرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشي ، سباه خالد بن الوليد من عين التمر ، وكان محمد المذكور ثَبْتاً في الحديث عند أكثر العلماء ، وأما في المغازي والسير فلا تجهل إمامته فيها ، قال ابن شهاب الزهري : من أراد المغازي فعليه بابن إسحاق . وذكره البخاري في تاريخه ؛ وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : من أراد أن يتبحّر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق . وقال سفيان بن عيينة : ما أدركت أحداً يتهم ابن إسحاق في حديثه . وقال شعبة بن الحجاج : محمد بن إسحاق أمير المؤمنين ، يعنى في الحديث .

ويحكى عن الزهري أنه خرج إلى قرية له فاتبعه طلاب الحديث فقال لهم : أين أنتم من الغلام الأحول أو قد خلفت فيكم الغلام الأحول ، يعني ابن إسحاق. وذكر الساجي أن أصحاب الزهري كانوا يلجؤون إلى محمد بن إسحاق فيما شكوا فيه من حديث الزهري ، ثقةً منهم بحفظه ؛ وحكي عن يحيى بن معين وأحمد بن

---

٦١٢ – أخباره وترجمته في طبقات ابن سلام : ٨ ، ١١ ، ٢٠٦ وطبقات ابن سعد ٧ : ٣٢١ وتاريخ بغداد ١ : ٢١٤ والمعارف : ٤٩١ والفهرست : ٩٢ ومعجم الأدباء : ١٨ : ٥ وتذكرة الحفاظ : ١٧٢ وميزان الاعتدال ٣ : ٤٦٨ وتهذيب التهذيب ٩ : ٣٨ وعيون الأثر ١ : ١٠– ١٧ وليوهان فك كتاب عنه (فرنكفورت ١٩٢٥) وانظر كتاب تراجم رجال روى عنهم ابن إسحاق ، نشر فيشر (ليدن ١٨٩٠) .

١ كذا في س وتاريخ بغداد ، ر : خيسار ، ن : حيوة ، لي : حنار ، ودون أعجام في ل بر من.

٢ س لي ن بر : كوثان ، ودون إعجام في ل ، وأثبتنا ما في ر وتاريخ بغداد .

حنبل ويحيى بن سعيد القطان أنهم وثّقوا محمد بن إسحاق واحتجوا بحديثه ، وإنما لم يخرّج البخاري عنه وقد وثقه ، وكذلك مسلم بن الحجاج لم يخرج عنه إلا حديثاً واحداً في الرجم من أجل طمن مالك بن أنس فيه ، وإنما طمن مالك فيه لأنه بلغه عنه أنه قال : هاتوا حديث مالك فأنا طبيب بعلله ، فقال مالك: وما ابن إسحاق؟ إنما هو دجّال من الدّجاجلة ، نحن أخرجناه من المدينة؛ يشير – والله أعلم – إلى أن الدجّال لا يدخل المدينة .

وكان محمد بن إسحاق قد أتى أبا جعفر المنصور وهو بالحيرة فكتب له المغازي فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب ، وكان يروي عن فاطمة بنت المنذر بن الزبير ، وهي امرأة هشام بن عروة بن الزبير ، فبلغ ذلك هشاماً فأنكره وقال : أهو كان يدخل على امرأتي ؟ وحكى الخطيب أبو بكر أحمد ابن علي بن ثابت في « تاريخ بغداد »[1] أن محمد بن إسحاق رأى أنس بن مالك رضي الله عنه ، وعليه عمامة سوداء والصبيان خلفه يشتدون ويقولون[2] : هذا رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يموت حتى يلقى الدجّال .

وتوفي محمد بن إسحاق ببغداد سنة إحدى وخمسين ومائة ، وقيل سنة خمسين ، وقيل سنة اثنتين وخمسين ، وقال خليفة بن خياط : سنة ثلاث وخمسين ، وقيل أربع وأربعين والله أعلم ، والأول أصح ، رحمه الله تعالى . ودفن في مقبرة الخيزران بالجانب الشرقي ، وهي منسوبة إلى الخيزران أم هارون الرشيد وأخيه الهادي ، وإنما نسبت إليها لأنها مدفونة بها ، وهذه المقبرة أقدم المقابر التي بالجانب الشرقي .

ومن كتبه أخذ عبد الملك بن هشام سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم ذكره ، وكذلك كل من تكلم في هذا الباب فعليه اعتماده وإليه إسناده .

والمطلبي : نسبة إلى المطلب بن عبد مناف المذكور أولاً . وقد تقدم الكلام[3] على عين التمر في ترجمة أبي العتاهية .

---

١ تاريخ بغداد ١ : ٢١٧ .

٢ ر : ينشدون ويقولون . ن : ينشدون .

٣ ر : القول .

٦١٣

الترمــذي

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحـــاك السلمي الضرير البوغي الترمذي الحافظ المشهور ؛ أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث . صنف كتاب « الجامع والعلل » تصنيف رجل متقن ، وبه كان يضرب المثل ، وهو تلميذ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، وشاركه في بعض شيوخه مثل قتيبة بن سعيد وعلي بن حجر وابن بشار وغيرهم . وتوفي لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ليلة الاثنين سنة تسع وسبعين ومائتين بترمذ، وقال السمعاني: توفي بقرية بوغ في سنة خمس وسبعين ومائتين ، وذكره في كتاب « الأنساب » في نسبة البوغي ، رحمه الله تعالى .

وبُوغ : بضم الباء الموحدة وسكون الواو وبعدها غين معجمة ، وهي قرية من قرى ترمذ على ستة فراسخ منها . وقد تقدم الكلام على الترمذي، والاختلاف في كسر التاء وضمها وفتحها في ترجمة أبي جعفر محمد بن أحمد الفقيه الشافعي .

---

٦١٣ – ترجمته في الفهرست : ٢٣٣ والوافي ٤ : ٢٩٤ والأنساب ٣ : ٤٢ وتذكرة الحفاظ : ٦٣٣ وميزان الاعتدال ٣ : ٦٧٨ وعبر الذهبي ٢ : ٦٤ ونكت الهميان : ٢٦٤ وتهذيب التهذيب ٩ : ٣٨٧ والنجوم الزاهرة ٣ : ٨١ والشذرات ٢ : ١٧٤ وانظر بروكلمان ٣ : ١٩٠ (الترجمة العربية) .

٦١٤

ابن ماجه

أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربعي بالولاء القزويني الحافظ المشهور ، مصنف كتاب « السنن » في الحديث ؛ كان إماماً في الحديث عارفاً بعلومه وجميع ما يتعلق به ، ارتحل إلى العراق والبصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر والري لكَتْبِ[1] الحديث ، وله « تفسير القرآن الكريم » وتاريخ مليح ، وكتابه في الحديث أحد الصحاح الستة .

وكانت ولادته سنة تسع ومائتين . وتوفي يوم الاثنين ، ودفن يوم الثلاثاء ، لثمان بقين من شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، رحمه الله تعالى ؛ وصلى عليه أخوه أبو بكر ، وتولى دفنه أخواه أبو بكر وعبد الله[2] وابنه عبد الله .

وماجة : بفتح الميم والجيم وبينهما ألف وفي الآخر هاء ساكنة .

والرَّبَعي : بفتح الراء والباء الموحدة وبعدها عين مهملة ، هذه النسبة إلى ربيعة ، وهي اسم لعدة قبائل لا أدري إلى أيها ينسب المذكور .

والقَزْويني : بفتح القاف وسكون الزاي وكسر الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، هذه النسبة إلى قزوين ، وهي من أشهر مدن عراق العجم ، خرج منها جماعة من العلماء [المعتبرين] .

---

٦١٤ – ترجمته في المنتظم ٥ : ٩٠ وتذكرة الحفاظ : ٦٣٦ وعبر الذهبي ٢ : ٥١ والشذرات ٢ : ١٦٤ وتهذيب التهذيب ٩ : ٥٣٠ وبروكلمان ٣ : ١٩٨ (الترجمة العربية) .

١ ن : يكتب .

٢ ر بر من : وأبو عبد الله .

٦١٥

الحاكم بن البيع النيسابوري

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويـــه بن نعيم بن الحكم[١] الضبي الطهماني المعروف بالحاكم[٢] النيسابوري ، الحافظ المعروف بابن البيّع ؛ إمام أهل الحديث في عصره والمؤلف فيه الكتب التي لم يسبق إلى مثلها ، كان عالماً عارفاً واسع العلم ، تفقه على أبي سهل محمد بن سليمان الصعلوكي الفقيه الشافعي – وقد تقدم ذكره[٣] – ثم انتقل إلى العراق وقرأ على أبي علي ابن أبي هريرة الفقيه – وقد تقدم ذكره أيضاً[٤] – ثم طلب الحديث وغلب عليه فاشتهر به ، وسمعه من جماعة لا يُحصَوْنَ كثرة فإن معجم شيوخه يقرب من ألفي رجل حتى روى عمن عاش بعده لسعة روايته وكثرة شيوخه . وصنف في علومه ما يبلغ ألفاً وخمسمائة جزء، منها « الصحيحان » و « العلل » و « الأمالي » و « فوائد الشيوخ » و « أمالي العشيات » و « تراجم الشيوخ » . وأما ما تفرد بإخراجه فمعرفة علوم الحديث و « تاريخ علماء نيسابور » و « المدخل إلى علم الصحيح » و « المستدرك على الصحيحين » و « ما تفرد به كل[٥] من الإمامين » و « فضائل الإمام الشافعي » رضي الله عنه .

---

٦١٥ – ترجمته في تاريخ بغداد ٥ : ٤٧٣ والوافي ٣ : ٣٢٠ والمنتظم ٧ : ٢٧٤ وتبيين كذب المفتري : ٢٢٧ وطبقات السبكي ٣ : ٦٤ وتذكرة الحفاظ : ١٠٣٩ وعبر الذهبي ٣ : ٩١ وغاية النهاية ٢ : ١٨٤ والشذرات ٣ : ١٧٦ ولسان الميزان : ٢٣٢ .

١ ابن الحكم سقطت من ت ر ، ووقعت في ن بعد لفظة « بالحاكم » .

٢ المختار : بابن الحكم .

٣ انظر ما تقدم ص : ٢٠٤ .

٤ انظر ج ٢ : ٧٥ .

٥ ر بر : كل واحد .

وله إلى الحجاز والعراق رحلتان ، وكانت الرحلة الثانية سنة ستين وثلثمائة ، وناظر الحفاظ وذاكر الشيوخ وكتب عنهم أيضاً ، وباحث الدارقطني فرضيه ، وتقلد القضاء بنيسابور في سنة تسع وخمسين وثلثمائة في أيام الدولة السامانية ووزارة أبي النصر محمد بن عبد الجبار العتبي ، وقلد بعد ذلك قضاء جرجان فامتنع ، وكانوا ينفذونه في الرسائل إلى ملوك بني بويه .

وكانت ولادته في شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلثمائة بنيسابور وتوفي بها يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة خمس وأربعمائة ، وقال الخليلي في كتاب « الإرشاد » : توفي سنة ثلاث وأربعمائة[1] .

وسمع الحديث في سنة ثلاثين ، وأملى بما وراء النهر سنة خمس وخمسين ، وبالعراق سنة سبع وستين ، ولازمه الدارقطني ، وسمع منه أبو بكر القفال الشاشي ، وأنظارهما .

وحَمْدُويَه : بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وضم الدال المهملة وسكون الواو وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة .

والبَيِّع : بفتح الباء الموحدة وكسر الياء المثناة من تحتها وتشديدها وبعدها عين مهملة .

وإنما عرف بالحاكم لتقلده القضاء ، رحمه الله تعالى .

---

١ وقال الخليلي . . . أربعمائة : سقط من س ت والمختار .

٦١٦

الحميـــدي

أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد بن يصل ، الأزدي الحميدي الأندلسي الميورقي الحافظ المشهور؛ أصله من قرطبة من ربض الرصافة ، وهو من أهل جزيرة مَيُورَقَـــة ، روى عن أبي محمد علي بن حزم الظاهري – المقدم ذكره[١] – واختص به ، وأكثر من الأخذ عنه وشهر بصحبته ، وعن أبي عمر يوسف بن عبد البر صاحب كتاب « الاستيعاب » – وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى – وعن غيرهما من الأئمة .

ورحل إلى المشرق سنة ثمان وأربعين وأربعمائة فحج وسمع بمكة حرسها الله تعالى ، وبإفريقية وبالأندلس[٢] ومصر والشام والعراق ، واستوطن بغداد . وكان موصوفاً بالنباهة والمعرفة والإتقان والدين والورع ، وكانت له نغمة حسنة في قراءة الحديث . وذكره الأمير أبو نصر علي بن ماكولا صاحب كتاب «الإكمال» – المقدم ذكره[٣] – فقال : أخبرنا صديقنا أبو عبد الله الحميدي ، وهو من أهل العلم والفضل والتيقظ، وقال: لم أر مثله في عفته ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم.

ولأبي عبد الله المذكور كتاب « الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم » وهو مشهور ، وأخذه الناس عنه ، وله أيضاً تاريخ علماء الأندلس سمـــاه « جذوة المقتبس » في مجلد واحد ، وذكر في خطبته أنه كتبه من حفظه ، وقد طُلب

---

٦١٦ – ترجمته في مواطن متفرقة من فهرسة ابن خير ، والصلة : ٥٣٠ وبغية الملتمس رقم : ٢٥٧ والمنتظم ٩ : ٩٦ والوافي ٤ : ٣١٧ وتذكرة الحفاظ : ١٢١٨ وعبر الذهبي ٣ : ٣٢٣ والشذرات ٣ : ٣٩٢ ونفح الطيب ٢ : ١١٢ والرسالة المستطرفة : ١٧٣ .

١ انظر ج ٣ : ٢٣٥ .

٢ ر من بر : والأندلس ؛ وسقطت من ت .

٣ انظر ج ٣ : ٣٠٥ .

ذلك منه ببغداد . وكان يقول : ثلاثة أشياء من علوم الحديث يجب تقديم التهمم بها : كتاب « العلل » وأحسن كتاب وضع فيـــه كتاب الدارقطني ، وكتاب « المؤتلف والمختلف » وأحسن كتاب وضع فيه كتاب الأمير أبي نصر ابن ماكولا، وكتاب « وفيات الشيوخ » وليس فيه كتاب ، وقد كنت أردت أن أجمع في ذلك كتاباً فقال لي الأمير: رتبه على حروف المعجم بعد أن رتبته[1] على السنين، قال أبو بكر بن طرخان : فشغله عنه الصحيحان إلى أن مات .

وقال ابن طرخان المذكور : أنشدنا أبو عبد الله الحميدي المذكور لنفسه :

لقاءُ الناسِ ليس يفيدُ شَيْئاً ... سِوى الهذيانِ من قيلٍ وقالِ
فأقلل من لِقاءِ الناسِ إلا ... لأخذِ العلمِ أو إصلاحِ حالِ

وكان قد أدرك بدمشق[2] الخطيب أبا بكر الحافظ ، وروى عنه وعن غيره ، وروى الخطيب أيضاً عنه . وكانت ولادته قبل العشرين وأربعمائة . وتوفي ليلة الثلاثاء سابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ببغداد .

وقال السمعاني في كتاب « الأنساب » في ترجمة الميورقي : إنه توفي في صفر سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ، هكذا وجدته في المختصر الذي اختصره أبو الحسن علي بن الأثير الجزري – المقدم ذكره[3] – وكشفت عنه عدة نسخ فوجدته على هذه الصورة ، لأني توهمت الغلط في نسختي ، ولم أقدر على مراجعة الأصل الذي لابن السمعاني الذي هذا المختصر منــه ، لأنه لا يوجد في هذه البلاد ، وبقي في نفسي شيء من التفاوت بين التاريخين ، فإنه كبير. ثم إني كشفت كتاب « الذيل » للسمعاني فوجدت فيه أن الحميدي المذكور توفي ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، ودفن من الغد في مقبرة باب أبرز ، بالقرب من قبر الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وصلى عليه أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي الفقيه في جامع القصر ، ثم نقل بعد ذلك

---

١ ر من بر : ترتبه .

٢ س ت : ببغداد .

٣ اللباب ٣ : ٢٠٠ (الميرقي – دون واو –) .

في صفر سنة إحدى وتسعين وأربعمائة إلى مقبرة باب حرب ، ودفن عند قبر بشر بن الحارث المعروف بالحافي ، رحمه الله تعالى . فلما وقفت في الذيل على هذه الصورة علمت[1] أن الغلط وقع من ابن الأثير في المختصر : إما لأن النسخة التي اختصرها كانت غلطاً من الناسخ ، فتبع ابن الأثير ذلك الغلط ولم يكشفه من موضع آخر ، أو لأنه عبَر من سطر إلى سطر كما جرت عادة النساخ في بعض الأوقات ، والله أعلم أي ذلك كان .

والحميدي : بضم الحاء المهملة وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة ، هذه النسبة إلى جده حُمَيْد المذكور ، وأخبرني بعض أرباب التاريخ أنه رأى في بعض التواريخ أن نسبته إلى حُمَيد بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، وهو ليس بصحيح ، لأن أبا عبد الله المذكور أزدي النسب ، وعبد الرحمن قرشي زُهْري ، فكيف يجتمعان ؟ .

ويَصِل : بفتح الياء المثناة من تحتها وكسر الصاد المهملة وبعدها لام .

وقد تقدم الكلام على الأزدي ، وكذلك على مَيُورَقَة في ترجمة أبي محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلي الشاعر[2] ، وهي بفتح الميم وضم الياء المثناة من تحتها وسكون الواو وفتح الراء والقاف وبعدها هاء ساكنة ، وهي جزيرة في البحر الغربي قريبة من بر الاندلس .

---

١ لي : عرفت .

٢ انظر ج ٣ : ٢١٢ قلت : ولم يرد في الترجمة المشار إليها كلام عن ميورقة .

٦١٧

المـــازري

أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري الفقيه المالكي المحدث؛ أحد الأعلام المشار إليهم في حفظ الحديث والكلام عليه، وشرح صحيح مسلم شرحاً جيداً سماه «كتاب[1] المعلم بفوائد كتاب مسلم» وعليه بنى القاضي عياض كتاب «الإكمال» — وقد تقدم ذكره[2] — وهو تكملة لهذا الكتاب، وله كتاب «إيضاح المحصول في برهان الأصول»[3]، وله في الأدب كتب متعددة، وكان فاضلاً متقناً[4]. وتوفي في الثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وقيل توفي يوم الاثنين ثاني الشهر المذكور بالمهدية، وعمره ثلاث وثمانون سنة [ودفن بالمنستير][4] رحمه الله تعالى.

والمازري: بفتح الميم وبعدها ألف ثم زاي مفتوحة وقد تكسر أيضاً ثم راء، هذه النسبة إلى مازر، وهي بُليدة بجزيرة صقلية.

---

٦١٧ — ترجمته في الوافي ٤: ١٥١ والديباج المذهب: ٢٧٩ وعبر الذهبي ٤: ١٠٠ والشذرات ٤: ١١٤ وأزهار الرياض ٣: ١٦٥ وللأستاذ حسن حسني عبد الوهاب كتاب عنه (ط. تونس ١٩٥٥).

١ كتاب: سقطت من ن ت.

٢ انظر ج ٣: ٤٨٣.

٣ وله كتاب... الأصول: سقط من لي ل س ت بر من والمختار.

٤ زيادة من ر.

٦١٨

الحافظ أبو موسى الأصبهاني

أبو موسى محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسى أحمد بن عمر بن محمد ابن أبي عيسى الأصبهاني المديني الحافظ المشهور ؛ كان إمام عصره في الحفظ والمعرفة ، وله في الحديث وعلومه تواليف مفيدة وصنف كتاب « المغيث » في مجلد ، كمل به كتاب « الغريبين » للهروي ، واستدرك عليه ، وهو كتاب نافع ، وله كتاب « الزيادات » في جزء لطيف جعله ذيلاً على كتاب شيخه أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي الذي سماه كتاب « الأنساب » وذكر من أهمله وما أقصر فيه .

ورحل عن أصبهان في طلب الحديث ثم رجع إليها وأقام بها . وكانت ولادته في ذي القعدة سنة إحدى وخمسمائة . وتوفي ليلة الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، وكانت وفاته ومولده بأصبهان ، رحمه الله تعالى .

والمَديني : بفتح الميم وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، هذه النسبة إلى مدينة أصبهان ، وقد ذكر الحافظ أبو سعد السمعاني في كتاب « الأنساب » هذه النسبة إلى عدة مدن : أولاهن مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثانية مرو ، والثالثة نيسابور ، والرابعة أصبهان ، والخامسة مدينة المبارك بقزوين ، والسادسة بُخارا ، والسابعة سمرقند ، والثامنة نَسَف ، وذكر أن النسبة إلى هذه المدن كلها المديني ، وقال : أكثر ما ينسب إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم « المدني » .

---

٦١٨ – ترجمته في اللباب (المديني) وطبقات السبكي ٤ : ٩٠ وتذكرة الحفاظ : ١٣٣٤ وعبر الذهبي ٤ : ٢٤٦ والشذرات ٤ : ٢٧٣ .

٦١٩

محمد بن طاهر المقدسي

أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الحافظ المعروف بابن القيسراني ؛ كان أحد الرحالين في طلب الحديث ، سمع بالحجاز والشام ومصر والثغور والجزيرة والعراق والجبال وفارس وخوزستان وخراسان . واستوطن همذان وكان من المشهورين بالحفظ والمعرفة بعلوم الحديث، وله في ذلك مصنفات[1] ومجموعات تدل على غزارة علمه وجودة معرفته .

وصنف تصانيف كثيرة : منها « أطراف الكتب الستة » وهي : صحيح البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، و « أطراف الغرائب » تصنيف الدارقطني ، وكتاب « الأنساب » في جزء لطيف ، وهو الذي ذيله الحافظ أبو موسى الأصبهاني المذكور قبله ، وغير ذلك من الكتب وكانت له معرفة بعلم التصوف وأنواعه متفنناً فيه وله فيه تصنيف أيضاً[2] ، وله شعر حسن ، وكتب عنه غير واحد من الحفاظ : منهم أبو موسى المذكور .

وكانت ولادته في السادس من شوال سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، ببيت المقدس ، وأول سماعه سنة ستين وأربعمائة ، ودخل بغداد سنة سبع وستين وأربعمائة ثم رجع إلى بيت المقدس فأحرم من ثم إلى مكة ؛ وتوفي عند قدومه من الحج آخر حجاته ، يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسمائة ببغداد ، ودفن في المقبرة العتيقة بالجانب الغربي، وقيل توفي يوم الخميس العشرين من الشهر المذكور ، رحمه الله تعالى[3] .

---

٦١٩ – ترجمته في المنتظم ٩ : ١٧٧ والوافي ٣ : ١٦٦ وتذكرة الحفاظ : ١٢٤٢ وميزان الاعتدال ٣ : ٥٨٧ وعبر الذهبي ٤ : ١٤ والشذرات ٤ : ١٨ .

١ ر : مصنفات ومحفوظات .

٢ وكانت له . . . أيضاً : لم يرد إلا في ن ر .

٣ بعد هذا ورد في ر الحديث عن قيسارية والنسبة إليها .

(181) وكان ولده أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر[1] من المشهورين بعلو الإسناد وكثرة السماع ، ولم يكن له معرفة بالعلم ، لكن كان والده قد أسمعه في صباه من جماعة منهم أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد الدوني بالري وأبو الفتح عبدوس بن عبد الله بهمذان وأبو عبد الله محمد بن عثمان الكامخي وأبو الحسن مكي ابن منصور السلار . وقدم به بغداد فسمع بها من أبي القاسم علي بن أحمد بن ريان[2] وغيره . وسكن بعد وفاة أبيه بهمذان ، وكان يقدم بغداد للحج، فحدث بها بأكثر سماعاته ، وسمع منه الوزير أبو المظفر يحيى بن هبيرة وغيره ، وكان مولده بالري في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ، وتوفي يوم الأربعاء سابع شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة بهمذان ، رحمه الله تعالى .

والقَيسَراني : بفتح القاف والسين المهملة بينهما ياء مثناة من تحتها ثم راء مفتوحة وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى قَيسَرية ، وهي بُليدة بالشام على ساحل البحر ، وهي الآن بيد الفرنج ، خذلهم الله تعالى .

قلت[3] : ثم استنقذها من أيديهم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي في شهور سنة ثلاث وستين وستمائة وخربها ، وهي الآن خراب .

---

١ راجع ترجمته في عبر الذهبي ٤ : ١٩٢ والشذرات ٤ : ٢١٧ .

٢ لي : بيان ؛ ن س : بنان ، وصورتها كذلك في « من » دون إعجام .

٣ تقدم ذكر ذلك في ترجمة مجلي بن جميع ؛ ولم يرد في أكثر النسخ .

٦٣٠

ابن منـــده

أبو عبد الله محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي الحافظ المشهور ، صاحب كتاب « تاريخ أصبهان »[١] ؛ كان أحد الحفاظ الثقات ، وهم أهل بيت كبير خرج منه جماعة من العلماء ولم يكونوا عبديين ، وإنما أم الحافظ أبي عبد الله المذكور واسمها برة بنت محمد كانت من بني عبد ياليل فنسب إلى أخواله ، ذكر ذلك الحافظ أبو موسى الأصبهاني في كتاب « زيادات الأنساب » – وقد تقدم ذكره – واستوفى رفع نسبها هناك فأضربت عن ذكره لطوله ، وكذلك ذكره الحازمي في كتاب « العجالة »[٢] لكنه لم يرفع في نسبها . وتوفي الحافظ أبو عبد الله المذكور في سنة إحدى وثلثمائة[٣] ، رحمه الله تعالى .

ومَنْدَه : بفتح الميم والدال المهملة بينهما نون ساكنة وفي الآخر هاء ساكنة أيضـــاً .

وسيأتي ذكر حفيده يحيى بن عبد الوهاب إن شاء الله تعالى[٤] .

---

٦٢٠ – ترجمته في طبقات الحنابلة ١ : ٣٢٨ وتذكرة الحفاظ : ١٠٣١ وعبر الذهبي ٢ : ١٢٠ والشذرات ٢ : ٢٣٤ ؛ وهي شديدة الإيجاز في المختار .

١ في هامش س : وله من التصانيف كتاب « صفوة التصوف » في أحوال الصوفية وآدابها وكتاب « الحجة على تارك المحجة » وكتاب « معجم البلدان » وكتاب « المتفق والمفترق » في الأنساب وغير ذلك .

٢ العجالة : ٨٩ .

٣ في هامش س : في النسخة الكبرى منه (يعني من كتاب ابن خلكان) إحدى وثلثمائة ، وفي نسخة بخط المصنف : سنة ست ، وتغير كما هو الآن .

٤ هذه الجملة لم ترد إلا في ن ر .

٦٢١

أبو عبد الله الفربري

أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مَطَر بن صالح بن بشر الفَرَبْري راوية صحيح البخاري عنه ، رحل إليه الناس ، وسمعوا منه هذا الكتاب . وكانت ولادته في سنة إحدى وثلاثين ومائتين ؛ وتوفي في ثالث شوال سنة عشرين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

ونسبته إلى فَرَبْر : بفتح الفاء والراء وسكون الباء الموحدة وفي آخرها راء ثانية ، وهي بلدة على طرف جَيْحُون مما يلي بخارا ، وهو آخر من روى « الجامع الصحيح » عن البخاري[1] .

٦٢٢

أبو عبد الله الفراوي

أبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي العباس، الصاعدي الفراوي النيسابوري الملقب كمال الدين الفقيه المحدث ؛ كان يختلف إلى مجلس إمام الحَرَمين أبي المعالي الجُوَيْني الفقيه الشافعي صاحب « نهاية المطلب » وعلق عنه الأصول ، ونشأ بين الصوفية ، وكان فقيهاً محدثاً مفنناً مناظراً واعظاً ، وكان

---

٦٢١ – انظر معجم البلدان واللباب (فربر) وعبر الذهبي ٢ : ١٨٣ والشذرات ٢ : ٢٨٦ .

١ ر : روى الحديث عن البخاري .

٦٢٢ – ترجمته في معجم البلدان : (فراوة) والمنتظم ١٠ : ٦٥ والوافي ٤ : ٣٢٣ وعبر الذهبي ٤ : ٨٣ والشذرات ٤ : ٩٦ .

يحمل الطعام إلى المسافرين الواردين عليه ويخدمهم بنفسه مع كبر سنه ، وخرج حاجاً إلى مكة ، وعقد له مجلس الوعظ ببغداد وسائر البلاد التي توجه إليها ، وأظهر العلم بالحرمين ، وعاد إلى نيسابور وقعد للتدريس بالمدرسة الناصحية ، وقام بإمامة مسجد المطرز .

وسمع صحيح مسلم من عبد الغافر الفارسي – المقدم ذكره[1] – وصحيح البخاري من سعيد بن أبي سعيد، وسمع من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي والحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي وأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري وإمام الحرمين ، وتفرد برواية عدة كتب الحافظ البيهقي مثل « دلائل النبوة » و « الأسماء والصفات » و « البعث والنشور » و « الدعوات » الكبيرة والصغيرة، وكان يقال في حقه : الفُراوي ، ألفُ راوي[2] .

وكانت ولادته سنة إحدى ، وقيل اثنتين ، وأربعين وأربعمائة بنيسابور ، وسمع الحديث سنه سبع وأربعين[3] . وتوفي ضحوة يوم الخميس الحادي ، وقيل الثاني ، والعشرين من شوال سنة ثلاثين وخمسمائة[4] ، رحمه الله تعالى .

والفُراوي : بضم الفاء وفتح الراء وبعدها ألف ثم واو ، هذه النسبة إلى فُراوة ، وهي بُليدة مما يلي خوارزم يقال لها رباط فراوة ، بناها عبد الله بن طاهر في خلافة المأمون ، وهو يومئذ أمير خراسان – وقد تقدم ذكره[5] .

---

١ انظر ج ٣ : ٢٢٥ .

٢ ن : يعني ألف راوي .

٣ وسمع . . . وأربعين : سقطت من ر ت بر والمختار .

٤ ت : وتوفي في العاشر من شوال سنة اثنتين وخمسمائة .

٥ انظر ج ٣ : ٨٣ .

٦٢٣

أبو بكر الآجري

أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري الفقيه الشافعي[١] المحدث صاحب كتاب الأربعين حديثاً ، وهي مشهورة به ؛ وكان صالحاً عابداً ، وروى عن أبي مسلم الكَجّي وأبي شعيب الحراني وأحمد بن يحيى الحلواني والمفضل بن محمد الجندي ، وخلق كثير من أقرانهم .

ذكره محمد بن إسحاق النديم في كتابه الذي سماه « الفهرست »[٢] وصنف في الفقه والحديث كثيراً ، وذكره الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخه[٣] وقال : كان ثقة صدوقاً ديّناً ، وله تصانيف كثيرة . حدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلثمائة ، ثم انتقل إلى مكة فسكنها ، حتى توفي بها . وروى عنه جماعة من الحفاظ منهم أبو نعيم الأصبهاني صاحب كتاب « حلية الأولياء » وغيره .

وأخبرني بعض العلماء أنه لما دخل إلى مكة حرسها الله تعالى أعجبته ، فقال : اللهم ارزقني الإقامة بها سنة ، فسمع هاتفاً يقول له : بل ثلاثين سنة ، فعاش بعد ذلك ثلاثين سنة ، ثم مات بها في المحرم سنة ستين وثلثمائة ، قال الخطيب : قرأت ذلك على بلاطة قبره[٤] بمكة .

---

٦٢٣ — ترجمته في الأنساب ١ : ٦٩ والمنتظم ٧ : ٥٥ وصفة الصفوة ٢ : ٢٦٥ وتذكرة الحفاظ ٩٣٦ وعبر الذهبي ٢ : ٣١٨ وطبقات السبكي ٢ : ١٥٠ والشذرات ٣ : ٣٥ والرسالة المستطرفة : ٤٢ والعقد الثمين ٢ : ٣ وصفحات متفرقة من فهرسة ابن خير ؛ وقد سقطت هذه الترجمة من المختار .

١ في هامش س : لم يكن شافعياً بل كان حنبلياً وتصنيفه يدل على ذلك ؛ وقد أدرجت هذه العبارة في متن النسخة لي بعد لفظة « المحدث » ؛ وبمثل ذلك قال صاحب العقد .

٢ الفهرست : ٢١٤ — ٢١٥ .

٣ تاريخ بغداد ٢ : ٢٤٣ .

٤ ر : البلاطة التي على قبره .

والآجُرّي : بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم وتشديد الراء ، هذه النسبة إلى الآجر ، ولا أعلم لأي معنى نسب إليه .

ورأيت[1] حاشية على كتاب « الصلة » صورتها : الإمام أبو بكر الآجري نسب إلى قرية من قرى بغداد يقال لها آجرّ ، واستوطن مكة حرسها الله تعالى ، وتوفي بها أول يوم من المحرم سنة ستين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

٦٢٤

الحافظ محمد بن ناصر السلامي

أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر البغدادي ، الحافظ الأديب المعروف بالسّلامي ؛ كان حافظ بغداد في زمانه[2] وكان له حظ وافر من الأدب، وأخذ الأدب عن الخطيب أبي زكرياء التبريزي، وخطه في غاية الصحة والإتقان، وكان كثير البحث عن الفوائد وإثباتها ، روى عنه الأئمة فأكثروا ، وأخذ عنه علماء عصره منهم الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي ، وأكثر روايته عنه ، وذكره الحافظ أبو سعد ابن السمعاني في كتبه[3] .

وكانت ولادته ليلة السبت خامس عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة .

---

١ هذه الفقرة متقدمة على ما سبقها في النسخ ، وسقطت من ل ت .

٦٢٤ – ترجمته في المنتظم ١٠ : ١٦٢ وتذكرة الحفاظ : ١٢٨٩ وعبر الذهبي ٤ : ١٤٠ والشذرات ٤ : ١٥٥ والرسالة المستطرفة : ١٦٠ واللباب والأنساب : (السلامي) ومرآة الزمان : ٢٢٥ وذيل ابن رجب : ٢٢٥ .

٢ ن : وقته .

٣ قال السمعاني: إن ابن ناصر كان يحب أن يقع في الناس فرد عليه ابن الجوزي وقبح قوله ونسبه إلى التعصب على الحنابلة ؛ وقال السلفي : سمع ابن ناصر معنا كثيراً وهو شافعي أشعري ثم انتقل إلى مذهب أحمد في الأصول والفروع ومات عليه .

وتوفي ليلة الثلاثاء ثامن عشر شعبان سنة خمسين وخمسمائة ببغداد ، وأخرج من الغد ، وصلي عليه بالقرب من جامع السلطان ثلاث مرات ، وعبر به إلى جامع المنصور فصلي عليه ، ثم حمل إلى الحَربية وصلي عليه ، ودفن بباب حرب تحت السدرة بجنب أبي منصور ابن[1] الأنباري الواعظ ، رحمه الله تعالى .

والسَّلامي : بفتح السين المهملة واللام ألف المخففة وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى مدينة السلام بغداد ، قال ابن السمعاني : كذا كان يكتب لنفسه السلامي ، يعني الحافظ المذكور .

٦٢٥

الحـــازمي

أبو بكر محمد بن أبي عثمان موسى بن عثمان بن موسى بن عثمان بن حازم ، الحازمي الهمذاني الملقب زين الدين ؛ أحد الحفاظ المتقنين ، وعباد الله الصالحين [حفظ القرآن الكريم ، وحضر بهمذان أبا الوقت عبد الأول بن عيسى السِّجْزي ، وسمع بها من أبي منصور شهردار بن شيرويه الديلمي[2] وأبي زُرْعَة طاهر بن محمد المقدسي وأبي العلاء الحسن بن أحمد الحافظ ، وجماعة كثيرة][3] وتفقه ببغداد على الشيخ جمال الدين واثق بن فضلان وغيره ، وسمع الحديث ببغداد من أبي الحسين عبد الحق وأبي نصر عبد الرحيم ابني عبد الخالق بن أحمد بن يوسف وأبي الفتح

---

١ ابن : سقطت من لي س ل من بر .

٦٢٥ – ترجمته في الروضتين ٢ : ١٢٧ وتذكرة الحفاظ : ١٣٦٣ ومختصر ابن الدبيثي : ١٤٤ وعبر الذهبي ٤ : ٢٥٤ وطبقات السبكي ٤ : ١٨٩ والشذرات ٤ : ٢٨٢ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٠٧ ؛ وفي نسبه إيجاز في ن ل ت ر ؛ وسقطت ترجمته من المختار .

٢ ن : الاربلي ؛ وانظر ترجمة شهردار عند السبكي ٤ : ٢٣٠ والنجوم الزاهرة ٥ : ٣٦٤ .

٣ سقط من النسخ ما عدا ن ، وبعضه في ر .

عبيد الله بن عبد الله بن شاتيل وغيرهم[1] ، ثم عني بنفسه فارتحل في طلبه إلى عدة بلاد من العراق ثم إلى الشام والموصل وبلاد فارس وأصبهان وهمذان وكثير من بلاد أذربيجان ، وكتب عن أكثر شيوخ هذه البلاد . وغلب عليه الحديث ، وبرع فيه واشتهر به ، وصنف فيه وفي غيره كتباً مفيدة : منها « الناسخ والمنسوخ » في الحديث ، وكتاب « الفيصل » في مشتبه النسبة ، وكتاب « العجالة » في النسب وكتاب « ما اتفق لفظه وافترق مسمّاه » في الأماكن والبلدان المشتبهة في الخط ، وكتاب « سلسلة الذهب » فيما روى الإمام أحمد بن حنبل عن الإمام الشافعي رضي الله عنهما ، و « شروط الأئمة » وغير ذلك من الكتب النافعة .

واستوطن بغداد، وسكن بالجانب الشرقي . ولم يزل مواظب الاشتغال ملازم الخير إلى أن اخترمته المنية وغصن شبابه نضير ، وذلك في ليلة الاثنين الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، بمدينة بغداد . ودفن في المقبرة الشونيزية إلى جانب سمنون بن حمزة[2] مقابل قبر الجنيد ، رضي الله عنه ، بعد أن صلى عليه خلق كثير برحبة جامع القصر . وحمل إلى الجانب الغربي ، فصلي عليه[3] مرة أخرى ، وفرق كتبه على أصحاب الحديث . وكانت ولادته في سنة ثمان – أو تسع – وأربعين وخمسمائة ، بطريق همذان ، وحمل إليها ونشأ بها ، رحمه الله تعالى .

والحازمي : بفتح الحاء المهملة وبعد الألف زاي مكسورة وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى جده حازم المذكور .

---

١ من أبي الحسين . . . وغيرهم : ثبت في ن ر فقط .

٢ ر : سمنون المحب .

٣ ر : عليه خلق .

٦٢٦

الحافظ أبو بكر ابن العربي

أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد ، المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي الإشبيلي الحافظ المشهور ؛ ذكره ابن بَشْكُوال في كتاب « الصلة »[1] فقال : « هو الحافظ المستبحر ، ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها ، لقيته بمدينة إشبيلية ضحوة يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ست عشرة وخمسمائة فأخبرني أنه رحل إلى المشرق مع أبيه يوم الأحد مستهل شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وأربعمائة وأنه دخل الشام ولقي بها أبا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي وتفقه عنده ، ودخل بغداد وسمع بها من جماعة من أعيان مشايخها ، ثم دخل الحجاز فحج في موسم سنة تسع وثمانين، ثم عاد إلى بغداد وصحب بها أبا بكر الشاشي وأبا حامد الغزالي وغيرهما من العلماء والأدباء ، ثم صدر عنهم ، ولقي بمصر والإسكندرية[2] جماعة من المحدثين فكتب عنهم واستفاد منهم وأفادهم ، ثم عاد إلى الأندلس سنة ثلاث وتسعين ، وقدم إلى إشبيلية بعلم كثير لم يدخله أحد قبله ممن كانت له رحلة إلى المشرق . وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها مقدماً في المعارف كلها متكلماً في أنواعها نافذاً في جميعها ، حريصاً على أدائها ونشرها ،

---

٦٢٦ – ترجمته في المغرب ١ : ٢٤٩ وبغية الملتمس (رقم : ١٧٩) والديباج المذهب : ٢٨١ والمرقبة العليا : ١٠٥ ونفح الطيب ٢ : ٢٥ وأزهار الرياض ٣ : ٦٢، ٨٦ – ٩٥ وجذوة الاقتباس : ١٦٠ ، والوافي ٣ : ٣٣٠ وتذكرة الحفاظ : ١٢٩٤ والشذرات ٤ : ١٤١ (وفيات ٥٤٦) وكذلك عبر الذهبي ٤ : ١٢٥ وانظر مقالتين عن رحلته (مجلة الأبحاث ١٩٦٣ ، ١٩٦٨) ، ومقدمة العواصم من القواصم .

١ الصلة : ٥٥٨ ، وفي النقل بعض إيجاز .

٢ ن : وأتى مصر والإسكندرية ولقي بهما ... الخ .

ثاقب الذهن في تميز الصواب منها، ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة ولين الكَنَف وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود. واستُقْضِي ببلده فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته ونفوذ أحكامه، وكانت له في الظالمين سَوْرة مرهوبة، ثم صرف عن القضاء، وأقبل على نشر العلم وبثه. وسألته عن مولده فقال: ولدت ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة. وتوفي بالعدوة ودفن بمدينة فاس في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، رحمه الله تعالى» انتهى كلام ابن بشكوال.

قلت أنا: وهذا الحافظ له مصنفات: منها كتاب «عارضة الأحوذي في شرح الترمذي» وغيره من الكتب، وكانت ولادته بإشبيلية، وقيل إن ولادته كانت سنة تسع وستين، وقيل إن وفاته كانت في جمادى الأولى على مرحلة من فاس عند رجوعه من مراكش، ونقل إلى فاس، ودفن بمقبرة الجياني.

(182) وتوفي والده بمصر منصرفاً عن المشرق في السفرة التي كان ولده المذكور في صحبته، وذلك في المحرم سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة، ومولده سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وكان من أهل الآداب الواسعة والبراعة والكتابة[1]، رحمه الله تعالى.

وقد تقدم الكلام على المعافري والإشبيلي.

ومعنى «عارضة الاحوذي» فالعارضة: القدرة على الكلام، يقال: «فلان شديد العارضة» إذا كان ذا قدرة على الكلام، والأحوذي: الخفيف في الشيء لحذقه، وقال الأصمعي: الأحوذي المشمّرُ في الامور القاهر لها الذي لا يشذ عليه منها شيء، وهو بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح الواو وكسر الذال المعجمة وفي آخره[2] ياء مشددة.

---

[1] لي: والكفاية.
[2] ن: آخرها.

٦٢٧
النقّاش المفسّر

أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد [بن هارون بن جعفر بن سند][1] المقرىء، المعروف بالنقاش، الموصلي الاصل البغدادي المولد والمنشأ؛ كان عالماً بالقرآن والتفسير، وصنف في التفسير كتاباً، سماه «شفاء الصدور» وصنف غيره فمن ذلك «الإشارة» في غريب القرآن، و«الموضح» في القرآن ومعانيه و«صد العقل»[2]، و«المناسك»، و«فهم المناسك»، و«أخبار القصاص»، و«ذم الحسد»، و«دلائل النبوة»، و«الأبواب في القرآن»، و«إرم ذات العماد»، و«المعجم الأوسط»، و«المعجم الأصغر»، و«المعجم الكبير» في أسماء القراء وقراءاتهم، وكتاب «السبعة بعللها» الكبير، وكتاب «السبعة الأوسط»، وكتاب «السبعة الأصغر».

وسافر الكثير شرقاً وغرباً، وسمع بالكوفة والبصرة ومكة ومصر والشام والجزيرة والموصل والجبال وخراسان وما وراء النهر. وفي حديثه مناكير بأسانيد مشهورة، وذُكر النقاش عند طلحة بن محمد بن جعفر، فقال: كان يكذب في الحديث، والغالب عليه القصص، وروى عن جماعة من العلماء ورووا عنه، وقال البرقاني: كل حديث النقاش مناكير، وليس في تفسيره حديث صحيح.

وكانت ولادته سنة ست، وقيل خمس، وستين ومائتين. وتوفي يوم الثلاثاء ودفن يوم الأربعاء، لثلاث خلون من شوال سنة إحدى وخمسين وثلثمائة، رحمه

---

٦٢٧ – ترجمته في تاريخ بغداد ٢ : ٢٠١ والفهرست : ٣٣ ومعجم الأدباء ١٨ : ١٤٦ والوافي ٢ : ٣٤٥ وتذكرة الحفاظ : ٩٠٨ وغاية النهاية ٢ : ١١٩ وطبقات السبكي ٢ : ١٤٨ وميزان الاعتدال ٣ : ٥٢١ والرسالة المستطرفة : ٧٧ ؛ ولا تزيد هذه الترجمة في المختار عن أربعة أسطر.

١ زيادة من ر.

٢ كذا في ل ر ؛ وفي سائر الأصول : وغيد، وكذلك في ياقوت والفهرست.

الله تعالى ، ويقال توفي سنة خمسين ، وقيل اثنتين وخمسين وثلثمائة ، والله أعلم .

والنقاش : بفتح النون والقاف المشددة وبعد الألف شين معجمة ، هذه النسبة إلى من ينقش السقوف والحيطان وغيرهما ، وكان أبو بكر المذكور في مبدأ أمره يتعاطى هذه الصنعة فعرف بها .

٦٢٨

ابن شنبوذ المقرىء

أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ المقرىء البغدادي ؛ كان من مشاهير القراء وأعيانهم ، وكان ديّناً ، وفيه سلامة صدر وفيه حمق ، وقيل إنه كان كثير اللحن قليل العلم ، وتفرد بقراءات من الشواذ كان يقرأ بها في المحراب فأنكرت عليه ، وبلغ ذلك الوزير أبا علي محمد بن مقلة الكاتب المشهور ، وقيل له : إنه يغيّر حروفاً من القرآن ويقرأ بخلاف ما أنزل ، فاستحضره في أول شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، واعتقله في داره أياماً ، فلما كان يوم الأحد لسبع خلون من الشهر المذكور ، استحضر الوزير المذكور القاضي أبا الحسين عمر بن محمد وأبا بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقرىء وجماعة من أهل القرآن ، وأحضر ابن شنبوذ المذكور ، ونوظر بحضرة الوزير ، فأغلظ في الخطاب للوزير والقاضي وأبي بكر ابن مجاهد ونسبهم إلى قلة المعرفة وعيّرهم بأنهم ما سافروا في طلب العلم كما سافر ، واستصبى القاضي أبا الحسين المذكور ، فأمر الوزير أبو علي بضربه ، فأقيم وضرب سبع درر ، فدعا وهو يضرب على الوزير ابن مقلة بأن يقطع الله يده ويشتت[1] شمله ، فكان

---

٦٢٨ – ترجمته في تاريخ بغداد ١ : ٢٨٠ ومعجم الأدباء ١٧ : ١٦٧ والوافي ٢ : ٣٧ وغاية النهاية ٢ : ٥٢ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٤٨ ، ٢٦٧ وعبر الذهبي ٢ : ٢١٣ والشذرات ٢ : ٢١١ .

١ ت لي ل : ويشت .

الأمر كذلك – كما سيأتي في خبر ابن مقلة إن شاء الله تعالى – ثم أوقفوه على الحروف التي قيل إنه يقرأ بها ، فأنكر ما كان شنيعاً ، وقال فيما سواه : إنه قرأ به قوم، فاستتابوه فتاب، وقال إنه قد رجع عما كان يقرؤه ، وإنه لا يقرأ إلا بمصحف عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وبالقراءة المتعارفة التي يقرأ بها الناس.

فكتب عليه الوزير محضراً بما قاله ، وأمره أن يكتب خطه في آخره ، فكتب ما يدل على توبته ؛ ونسخة المحضر : « سئل محمد بن أحمد المعروف بابن شنبوذ عما حكي عنه أنه يقرؤه، وهو ﴿ إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله ﴾ فاعترف به، وعن ﴿ وتجعلون شكركم أنكم تكذبون ﴾ فاعترف به، وعن ﴿ تبت يدا أبي لهب وقد تب ﴾ فاعترف به، وعن ﴿ كالصوف المنفوش ﴾ فاعترف به، وعن ﴿ فاليوم ننجيك ببدنك ﴾ فاعترف به، وعن ﴿ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة [صالحة][1] غصباً ﴾ فاعترف به ، وعن ﴿ فلما خر تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين ﴾ فاعترف به ، وعن ﴿ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى ﴾ فاعترف به ، وعن ﴿ فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاماً ﴾ فاعترف به، وعن ﴿ ولتكن منكم فئة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون[2] الله على ما أصابهم أولئك هم المفلحون ﴾ فاعترف به ، وعن ﴿ إلّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض ﴾ فاعترف به » ، وكتب الشهود الحاضرون شهاداتهم في المحضر حسبما سمعوه من لفظه .

وكتب ابن شنبوذ بخطه ما صورته : يقول محمد بن أحمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ : ما في هذه الرقعة[3] صحيح ، وهو قولي واعتقادي ، وأشهد الله عز وجل وسائر من حضر[4] على نفسي بذلك؛ وكتب بخطه : فمتى خالفت ذلك أو بان مني غيره ، فأمير المؤمنين في حل من دمي وسَمَة ، وذلك يوم الأحد

---

[1] زيادة من س ل لي بر من .

[2] ر : ويستغيثون .

[3] ر : الورقة .

[4] ن : ومن حضر .

لسبع[1] خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة في مجلس الوزير أبي علي محمد بن علي بن مقلة أدام الله توفيقه .

وكلّم أبو أيوب السمسار الوزير أبا علي في أمره وسأله في إطلاقه ، وعرفه أنه إن صار إلى منزله قتلته العامة ، وسأله أن ينفذه في الليل سراً إلى المدائن ليقيم بها أياماً ، ثم يدخل إلى منزله ببغداد مستخفياً ، ولا يظهر بها أياماً ، فأجابه الوزير إلى ذلك ، وأنفذه إلى المدائن ؛ وتوفي يوم الاثنين لثلاث خلون من صفر[2] سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ببغداد، وقيل إنه توفي في محبسه بدار السلطان، رحمه الله تعالى .

(183) وتوفي أبو بكر ابن مجاهد المذكور يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين وثلثمائة ، ودفن في تربة له بسوق العطش ، وكان مولده سنة خمس وأربعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

وشنبوذ : بفتح الشين المعجمة والنون وضم الباء الموحدة وسكون الواو وبعدها ذال معجمة .

٦٢٩

ابن السمّاك

أبو العباس محمد بن صبيح المذكّر مولى بني عجل ، المعروف بابن السمّاك القاص الكوفي الزاهد المشهور؛ كان زاهداً عابداً حسن الكلام صاحب مواعظ، جمع كلامه وحفظ ، ولقي جماعة من الصدر الأول وأخذ عنهم : مثل هشام بن

---

١ ر : لتسع .

٢ ت : وتوفي في صفر ؛ ن : ثالث صفر .

٦٢٩ – ترجمته في حلية الأولياء ٨ : ٢٠٣ وصفة الصفوة ٣ : ١٠٥ واللباب (السماك) وطبقات المعتزلة : ٤٢ والوافي ٣ : ١٥٨ وعبر الذهبي ١ : ٢٨٧ والشذرات ١ : ٣٠٣ وتاريخ بغداد ٥ : ٣٦٥ .

عروة والأعمش وغيرهما . وروى عنه أحمد بن حنبل وأنظاره ؛ وهو كوفي قدم بغداد زمن هارون الرشيد فمكث بها مدة ، ثم رجع إلى الكوفة فمات بهـا .
ومن كلامه : خَفِ الله كأنك لم تطعه ، وارجُ الله كأنك لم تعصه .

وكان هارون الرشيد قد حلف أنه من أهل الجنة ، فاستفتى العلماء فلم يفته أحد بأنه من أهلها فقيل له عن ابن السماك المذكور ، فاستحضره وسأله ، فقال له : هل قدر أمير المؤمنين على معصية فتركها خوفاً من الله تعالى ؟ فقال : نعم ، كان لبعض ألزامي جارية فهويتها وأنا إذ ذاك شاب ، ثم إني ظفرت بها مرة ، وعزمت على ارتكاب الفاحشة معها ، ثم إني فكرت في النار وهولها وأن الزنا من الكبائر ، فأشفقت من ذلك ، وكففت عن الجارية مخافة من الله تعـالى ، فقال له ابن السماك : أبشر يا أمير المؤمنين فإنك من أهل الجنة ، فقال هارون: ومن أين لك هذا ؟ فقال: من قوله تعالى ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾ (النازعات : ٤٠) فسر هارون بذلك .

ودخل على بعض الرؤساء يشفع إليه في رجل فقال له : إني أتيتك في حاجة، وإن الطالب والمطلوب منه عزيزان إن قضيت الحاجة ، ذليلان إن لم تقضها ، فاختر لنفسك عز البذل على ذل المنع ، واختر لي عز النجح عـلى ذل الرد ؛ فقضى حاجته. ومن كلامه: من جرّعته الدنيا حلاوتها بميله إليها جرعته الآخرة مرارتها بتجافيها عنه . وتكلم يوماً وجاريته تسمع كلامه ، فقال لها : كيف سمعت كلامي ؟ فقالت : هو حسن ، لولا أنك تردده ، فقال : أردده كي يفهمه من لم يفهمه ، فقالت : إلى أن يفهمه من لم يفهمه يمله من فهمه[1] . وأخبـاره ومواعظه كثيرة .

وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة بالكوفة ، رحمه الله تعالى .

والسّمّاك : بفتح السين المهملة والميم المشدّدة وبعد الألف كاف ، هذه النسبة إلى بَيْع السمك وصيده .

---

١ وتكلم يوماً . . . فهمه : سقط من س ل لي بر من .

٦٣٠

أبو طالب المكي

أبو طالب محمد بن علي بن عطية ، الحارثي الواعظ المكي صاحب كتاب « قوت القلوب » ؛ كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة ، ويتكلم في الجامع ، وله مصنفات في التوحيد ، ولم يكن من أهل مكة ، وإنما كان من أهل الجبل وسكن مكة فنسب إليها ، وكان يستعمل الرياضة كثيراً حتى قيل إنه هجر الطعام زماناً واقتصر على أكل الحشائش المباحة فاخضرّ جلده من كثرة تناولها .

ولقي جماعة من المشايخ في الحديث وعلم الطريقة وأخذ عنهم ، ودخل البصرة بعد وفاة أبي الحسن ابن سالم فانتمى إلى مقالته ، وقدم بغداد فوعظ الناس فخلط في كلامه فتركوه وهجروه . وقال محمد بن طاهر المقدسي في كتاب « الأنساب » : إن أبا طالب المكي المذكور لما دخل بغداد واجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ خلط في كلامه ، وحفظ عنه أنه قال : ليس على المخلوقين أضر من الخالق ، فبدّعه الناس وهجروه ، وامتنع من الكلام بعد ذلك ؛ وله كتب في التوحيد . وتوفي لست خلون من جمادى الآخرة[1] سنة ست وثمانين وثلثمائة ببغداد ، ودفن بمقبرة المالكية ، وقبره بالجانب الشرقي ، وهو مشهور هناك يزار ، رحمه الله تعالى .

والحارثي : بفتح الحاء المهملة وبعد الألف راء مكسورة ثم ثاء مثلثة ، هذه النسبة إلى عدة قبائل منها الحارث ومنها الحارثة[2] ولا أدري إلى أيها ينسب

---

٦٣٠ – ترجمته في تاريخ بغداد ٣ : ٨٩ والوافي ٤ : ١١٦ وميزان الاعتدال ٣ : ٦٥٥ وعبر الذهبي ٣ : ٣٣ والشذرات ٣ : ١٢٠ ولسان الميزان ٥ : ٣٠ .

١ ت س لي من بر : وتوفي في جمادى الآخرة ؛ ل : في شهر جمادى الآخرة ؛ ن : في سادس جمادى الآخرة .

٢ ت س : حارثة .

أبو طالب المذكور من هذه القبائل .
والمكي : نسبة إلى مكة ، حرسها الله تعالى .

٦٣١

ابن سمعون الواعظ

أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس بن إسماعيل الواعظ البغدادي، المعروف بابن سمعون ؛ كان وحيد دهره في الكلام على الخواطر وحسن الوعظ وحلاوة الإشارة ولطف العبارة . أدرك جماعة من جلة المشايخ وروى عنهم : منهم الشيخ أبو بكر الشبلي ، رحمه الله تعالى وأنظاره . ومن كلامه ما رواه الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد[1] - المقدم ذكره - قال : سمعت ابن سمعون يوماً ، وهو على الكرسي في مجلس وعظه يقول : سبحان من أنطق باللحم ، وبصر بالشحم ، وأسمع بالعظم ، إشارة إلى اللسان والعين والأذن ، وهذه من لطائف الإشارات . ومن كلامه أيضاً : رأيت المعاصي نذالة ، فتركتها مروءة فاستحالت ديانة ؛ وله كل معنى لطيف .

وكان لأهل العراق فيه اعتقاد كثير ، ولهم به غرام شديد ، وإياه عنى الحريري صاحب المقامات في المقامة الحادية والعشرين وهي الرازية بقوله في أوائلها : « رأيت بها ذات بكرة ، زمرة أثر زمرة ، وهم منتشرون انتشار الجراد ، ومُستَنُّون استنانَ الجياد ، ومتواصفون واعظاً يقصدونه ، ويُحِلون ابنَ سمعون دونه » ولم يأت بعده في الوعاظ مثله[2] .

---

٦٣١ - ترجمته في تاريخ بغداد ١ : ٢٧٤ وتبيين كذب المفتري : ٢٠٠ والمنتظم ٧ : ١٩٨ وصفة الصفوة ٢ : ٢٦٦ والشريشي ١ : ٣٢٢ وطبقات الحنابلة ٢ : ١٥٥ والوافي ٢ : ٥١ وعبر الذهبي ٢ : ٣٦ والشذرات ٣ : ١٢٤ .

١ انظر ج ١ : ٢٢٨ .

٢ ر بر من : ولم يأت بعده في الوعظ مثله ، وسقطت « بعده » من ر .

وتوفي في ذي الحجة سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، وقيل بل توفي يوم الجمعة منتصف ذي القعدة من السنة المذكورة ببغداد ، ودفن في داره بدرب العتابيين، ثم نقل يوم الخميس حادي عشر رجب سنة ست وعشرين وأربعمائة ، ودفن بباب حرب ، وقيل إن أكفانه لم تكن بليت بعد ، رحمه الله تعالى .

وسَمْعُون : بفتح السين المهملة وسكون الميم وضم العين المهملة وسكون الواو وبعدها نون ، قيل إن جده إسماعيل غيّر اسمه فقيل سمعون .

وعنبس : بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وبعدها سين مهملة ، وهو في الأصل اسم الأسد وبه سمي الرجل وهو فَنْعَلٌ من العبوس ، والنون زائدة .

٦٣٢

الشيخ أبو عبد الله القرشي

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشي الهاشمي العبد الزاهد[١] الصالح من أهل الجزيرة الخضراء[٢] ؛ كانت له كرامات ظاهرة ، ورأيت أهل مصر يحكون عنه أشياء خارقة ، ورأيت جماعة ممن صحبه ، وكل منهم قد نما عليه من بركته ، وذكروا عنه أنه وعد جماعته الذين صحبوه مواعيد من الولايات والمناصب العلية ، وأنها صحت كلها، وكان من السادات الأكابر، والطراز الأول، وهو مغربي ، وصحب بالمغرب أعلام الزهاد وانتفع بهم ، فلما وصل إلى مصر انتفع به من صحبه أو شاهده . ثم سافر إلى الشام قاصداً زيارة البيت المقدس فأقام به إلى أن مات في السادس من ذي الحجة سنة تسع وتسعين وخمسمائة ،

---

٦٣٢ – ترجمته في الوافي ٢ : ٧٨ وعبر الذهبي ٤ : ٣٠٩ والشذرات ٤ : ٣٤٢ ولم يرد في المختار من هذه الترجمة إلا قوله « سيروا إلى الله تعالى . . . الخ » .

١ ل لي : الزاهد العابد ؛ وسقطت لفظة « العبد » من ن ، ووقعت « الزاهد » قبلها في س .

٢ من أهل . . . الخضراء : سقطت من ت بر من .

وصلي عليه بالمسجد الأقصى ، وهو ابن خمس وخمسين[1] سنة ، رحمه الله تعالى . وقبره ظاهر يقصد للزيارة والتبرك به[2] .

والجزيرة الخضراء في بر الأندلس : مدينة قبالة سبتة من بر العدوة .

ومن جملة وصاياه لأصحابه : سيروا إلى الله تعالى عرجاً ومكاسير فإن انتظار الصحة بطالة .

٦٣٣

ابن الأعرابي

أبو عبد الله محمد بن زياد ، المعروف بابن الأعرابي الكوفي صاحب اللغة ؛ وهو من موالي بني هاشم ، فإنه مولى[3] العباس بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب، رضي الله عنه، وكان أبوه زياد عبداً سندياً، وقيل إنه من موالي بني شيبان ، وقيل غير ذلك ، والأول أصح ، وكان أحول ، راوية لأشعار القبائل ناسباً ، وكان أحد العالمين باللغة المشهورين بمعرفتها ، يقال لم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه ، وهو رَبيبُ المفضل بن محمد الضبي صاحب « المفضليات » كانت أمه تحته. وأخذ الأدب عن أبي معاوية الضرير والمفضل الضبي والقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الذي ولاه المهدي القضاء ، والكسائي ، وأخذ عنه إبراهيم الحربي وأبو العباس

---

١ ن : وستين .

٢ نهاية الترجمة في س ل لي .

٦٣٣ – ترجمته في نور القبس : ٣٠٢ وإنباه الرواة ٣ : ١٢٨ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى ؛ وقد جاءت الترجمة موجزة في ت .

٣ ن : فإنه من موالي العباس .

ثعلب وابن السكيت وغيرهم . وناقش العلماء واستدرك عليهم وخطأ كثيراً من نـَقَلة اللغة ، وكان رأساً في كلام العرب ، وكان يزعم أن أبا عبيدة والأصمعي لا يحسنان شيئاً ، وكان يقول : جائزٌ في كلام العرب أن يعاقبوا بين الضاد والظاء ، فلا يخطىء من يجعل هذه في موضع هذه ، وينشد :

إلى اللهِ أشكو من خليلٍ أودّه   ثلاثَ خِلالٍ كلها لي غائضُ

بالضاد ، ويقول : هكذا سمعته من فصحاء العرب .

وكان يحضر مجلسه خلق كثير من المستفيدين ويملي عليهم ؛ قال أبو العباس ثعلب : شاهدت مجلس ابن الأعرابي ، وكان يحضره زُهاء مائة إنسان ، وكان يسأل ويقرأ عليه فيجيب من غير كتاب ، ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتاباً قط ، ولقد أملى على الناس ما يحمل على أجمال ، ولم ير أحد في علم الشعر أغزر منه[1] . ورأى في مجلسه يوماً رجلين يتحادثان ، فقال لأحدهما: من أين أنت ؟ فقال : من إسبيجاب ، وقال للآخر : من أين أنت ؟ فقال : من الأندلس ، فعجب من ذلك وأنشد :

رفيقان شتى ألـّفَ الدهرُ بيننا   وقد يلتقي الشـّتـّى فيأتلفانِ

ثم أملى على من حضر مجلسه بقية الأبيات وهي :

نزلنا على قيسيّة يمنيّةٍ   لها نـَسَبٌ في الصالحين هجان
فقالت وأرخت جانب الستر بيننا   لأية أرضٍ أم مَنِ الرجلان
فقلت لها : أما رفيقي فقومُهُ   تميمٌ ، وأما أسرتي فيَماني
رفيقانِ شتى ألـّفَ الدّهرُ بَينَنا   وقد يَلتَقي الشّتى فيَأتَلِفان

ومن أماليه ما رواه أبو العباس ثعلب قال : أنشدنا ابن الأعرابي محمد بن زياد المذكور :

---

1 وكان يسأل . . . أغزر منه : تأخر هذا النص في ر والمختار إلى ما بعد الأبيات النونية .

سَقى اللهُ حَيّاً دون بُطنان دارهُم ْ   وبوركَ في مُرْدٍ هناكَ وشيبِ
وإني وإياهم على بُعْدِ دارهِم   كخمرٍ بماءٍ في الزجاج مشوبِ

ومن تصانيفه كتاب « النوادر » وهو كبير ، وكتاب « الأنواء » وكتاب « صفة النخل » وكتاب « صفة الزرع » وكتاب « النبات » وكتاب « الخيل » وكتاب « تاريخ القبائل » وكتاب « معاني الشعر » وكتاب « تفسير الأمثال » وكتاب « الألفاظ » وكتاب « نسب الخيل » وكتاب « نوادر الزبيريين » وكتاب « نوادر بني فقعس » وكتاب « الذباب » وغير ذلك ، وأخباره ونوادره وأماليه كثيرة .

وقال ثعلب : سمعت ابن الأعرابي يقول : ولدت في الليلة التي مات فيها الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه ، وذلك في رجب سنة خمسين ومائة على الصحيح. وتوفي لأربع عشرة ليلة خلت من شعبان [وقال الطبري في تاريخه : توفي يوم الأربعاء ثالث عشر الشهر المذكور][1] سنة إحدى وثلاثين ومائتين بسر من رأى ، وقيل سنة ثلاثين ومائتين ، والأول أصح ، وصلى عليه القاضي أحمد بن أبي دواد الإيادي – المقدم ذكره .

والأعرابي : بفتح الهمزة وسكون العين المهملة وفتح الراء وبعد الألف باء موحدة ، هذه النسبة إلى الأعراب ، قال أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني المعروف بالعزيزي في كتابه الذي فسر فيه غريب القرآن الكريم : يقال رجل أعجم وأعجمي أيضاً إذا كان في لسانه عجمة ، وإن كان من العرب ، ورجل عجمي منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً ، ورجل أعرابي إذا كان بدوياً وإن لم يكن من العرب ، ورجل عربي منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدوياً .

وإسبيجاب : بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الجيم وبعد الألف باء موحدة ، وهي مدينة من أقصى بلاد الشرق ، وأظنها من إقليم الصين أو قريبة منه .

---

١ لم يرد إلا في ر .

وبُطنان : بضم الباء الموحدة وسكون الطاء المهملة وبين النونين ألف، وهو جمع بطن ، وهو الغامض من الأرض[1] .

٦٣٤

الكلبي

أبو النضر محمد بن السائب بن بشر ، وقيل مبشر ، بن عمرو الكلبي [وقال محمد بن سعد : هو محمد بن السائب الكلبي بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث بن عبد العزى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدون ابن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد بن عبد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ، ثم كشفت كتاب « النسب » لهشام بن الكلبي فساق نسبهم على هذه الصورة إلا أنه أسقط منه عبد الحارث فقط ، والباقي صحيح][2] الكوفي ، صاحب التفسير وعلم النسب ؛ كان إماماً في هذين العلمين . حكى ولده هشام عنه قال : دخلت على ضرار بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي بالكوفة ، وإذا عنده رجل كأنه جرذ يتمرغ في الحر[3] ، وهو الفرزدق الشاعر، فغمزني ضرار وقال : سَلْه ممن أنت ، فسألته فقال : إن كنت نسّاباً فانسبني، فإني من بني تميم ، فابتدأت أنسب تميماً حتى بلغت إلى غالب ، وهو والد الفرزدق ، فقلت : وولد غالبٌ

---

١ بطنان : اسم واد بين منبج وحلب ، ويضاف إلى مواضع فيقال : بطنان حبيب ، وبطنان قنسرين (ياقوت) .

٦٣٤ – ترجمته في الفهرست : ٩٥ والمعارف : ٥٣٥ والوافي ٣ : ٨٣ وميزان الاعتدال ٣ : ٥٥٦ وعبر الذهبي ١ : ٢٠٦ وتهذيب التهذيب ٩ : ١٧٨ والشذرات ١ : ٢١٧ وبروكلمان ٣ : ٣٠ (الترجمة العربية) ؛ وتشترك نسخة قاضي زاده محمد ورمزها (ق) مع النسخ الأخرى ابتداء من هذه الترجمة .

٢ ما بين معقفين انفردت به ر .

٣ لي ن ق : الخز .

هَمّاماً – وهو اسم الفرزدق ، كما سيأتي في ترجمته في حرف الهاء إن شاء الله تعالى – فاستوى الفرزدق جالساً وقال : والله ما سماني به أبواي ولا ساعة من النهار ، فقلت : والله إني لأعرف اليوم الذي سماك فيه أبوك الفرزدق ، فقال : وأي يوم ؟ فقلت : بعثك في حاجة فخرجت تمشي وعليك مُسْتُقة[1] ، فقال : والله لكأنك فرزدق ، دِهْقان قرية قد سماها بالجبل ، فقال : صدقت والله ، ثم قال : أتروي شيئاً من شعري ؟ فقلت : لا ، ولكن أروي لجرير مائة قصيدة ، فقال : تروي[2] لابن المراغة ولا تروي لي ؟ والله لأهجون كلباً سنة أو تروي لي كما رويت لجرير ، فجعلت أختلف إليه أقرأ عليه النقائض خوفاً منه ، وما لي في شيء منها حاجة .

قلت : المُسْتُقة ، بضم الميم وسكون السين المهملة وضم التاء المثناة من فوقها وهي الفروة الطويلة الكم ، والجمع مساتق[3] وفيها لغة أخرى بفتح التاء ، وروي عن عمر رضي الله عنه ، أنه كان يصلي وعليه مستقة [من سندس][4] وروي عن أنس بن مالك أن ملك الروم أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مستقة من سندس فلبسها فكأني أنظر إلى يديه قد بَدَتا ، ثم بعث بها إلى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : ابعث بها إلى أخيك النجاشي ، وقال النضر بن شميل : المستقة : الجبة الوسعة .

وكان الكلبي[5] المذكور من أصحاب عبد الله بن سبأ الذي يقول إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا . وروى عنه سفيان الثوري ومحمد بن إسحاق ، وكانا يقولان : حدثنا أبو النضر حتى لا يعرف ؛ وشهد الكلبي المذكور دير الجماجم مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي ،

---

١ ق : مشنقة ؛ وزاد في هذا الموضع تعريف اللفظة .

٢ ق : قال فتروي .

٣ قلت : المستقة . . . مساتق : وردت هذه العبارة في النسخ (ما عدا ر) في آخر الترجمة ، وسقط من تلك النسخ سائر ما ورد بعد ذلك متصلا بالتعليق على لفظة المستقة .

٤ زيادة من ر .

٥ ر : ابن الكلبي .

وشهد جده بشر وبنوه السائب وعبيد وعبد الرحمن وقعة الجمل وصفّين مع علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، وقتل السائب مع مصعب بن الزبير[1] ، وفيه يقول ابن ورقاء النخعي :

فمن مبلغٍ عني عبيداً بأنني علوتُ أخاهُ بالحسامِ المهندِ
فإن كنتَ تبغي العلم عنهُ فإنه مقيمٌ لدى الديرين غير مُوَسَّد
وعمداً علوتُ الرأس منه بصارمٍ فأثكلتهُ سفيانَ بعد محمد

سفيان ومحمد ابنا السائب .

وذكر هشام بن الكلبي المذكور في كتاب « جمهرة النسب » أن جدهم عبد العزى كان جميلاً شريفاً ، وقد وفد على بعض بني جَفْنَة بأفراس فقبلها وأعجبه حديثه ، وكان يسامره ، فقتلت بنو كنانة ابناً له ، فقال لعبد العزى: ائتني بهم فقال : إنهم قوم أحرار ليس لي عليهم فضل ، وكتب إلى قومه ينذرهم ، فقال في شعر له طويل :

جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء سِنِّمارٍ وما كان ذا ذنبِ

وسنمار هو الذي بنى الخَوَرْنَق على باب الحيرة للنعمان الأكبر ابن امرىء القيس ملك الحيرة فألقاه من أعلاه فقتله ، وقصته طويلة مشهورة فلا حاجة إلى ذكرها .

وتوفي محمد الكلبي المذكور سنة ست وأربعين ومائة بالكوفة ،رحمه الله تعالى. —وسيأتي ذكر ولده أبي المنذر هشام النسابة في حرف الهاء ،إن شاء الله تعالى— .

والكلبي : بفتح الكاف وسكون اللام وبعدها باء موحدة ، هذه النسبة إلى كَلْب بن وَبَرة ، وهي قبيلة كبيرة من قضاعة ، يُنسب إليها خلق كثير .

والمُسْتُقَة : لفظة فارسية معربة[2] .

---

1 سقط ما بعد هذا من ق ما عدا ضبط « الكلبي » .

2 وردت هذه العبارة في ر وحدها في هذا الموضع ومن حقها أن تجيء في تعريف «المستقة» فيما تقدم .

٦٣٥

قطـــرب

أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد النحوي اللغوي البصري، مولى سالم بن زياد، المعروف بقطرب ؛ أخذ الأدب عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين ، وكان حريصاً على الاشتغال والتعلم ، وكان يبكر إلى سيبويه قبل حضور أحد من التلامذة ، فقال له يوماً : ما أنت إلا قطربُ ليلٍ ، فبقي عليه هذا اللقب، وقطرب : اسم دويبة لا تزال تدب ولا تفتر ، وهو بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء وبعدها باء موحدة .

وكان من أئمة عصره ؛ وله من التصانيف كتاب « معاني القرآن » وكتاب « الاشتقاق » وكتاب « القوافي » وكتاب « النوادر » وكتاب « الأزمنة » وكتاب « الفرق » وكتاب « الأصوات » وكتاب « الصفات » وكتاب « العلل » في النحو وكتاب « الأضداد » وكتاب « خلق الفرس » وكتاب « خلق الإنسان » وكتاب « غريب الحديث » وكتاب « الهمز »[1] و « فعل وأفعل » و « الرد على الملحدين في تشابه القرآن » وغير ذلك .

وهو أول من وضع المثلث في اللغة ، وكتابه وإن كان صغيراً لكن له فضيلة السبق ، وبه اقتدى أبو محمد عبد الله بن السِّيد البَطَلْيَوْسي — المقدم ذكره —[2] وكتابه كبير ، ورأيت مثلثاً آخر لشخص آخر تبريزي ، وليس هو الخطيب أبو[3] زكريا التبريزي — الآتي ذكره إن شاء الله تعالى — بل غيره ، ولا أستحضر

---

٦٣٥ — ترجمته في نور القبس : ١٧٤ وإنباه الرواة ٣ : ٢١٩ وفي الحاشية ثبت بأهم المصادر ؛ وهذه الترجمة شديدة الإيجاز في المختار .

١ ن : الهمزة .

٢ ٣ : ٩٦ .

٣ كذا في جميع النسخ ؛ وفي ق بر : وما هو الخطيب أبو زكريا ، وهو صواب .

الآن اسمه ، وهو كبير أيضاً وما أقصر فيه ، وما نهج لهم الطريق إلا قطرب المذكور . وكان قطرب معلم أولاد أبي دُلَف العجلي – المقدم ذكره[1] – وروى له ابن المنجم في كتاب « البارع » بيتين وهما :

إن كنت لستَ معي فالذكر منك معي ... يراكَ قلبي وإن غيبتَ[2] عن بَصَري
والعين[3] تبصرُ من تهوَى وتفقِدهُ ... وباطنُ القلبِ لا يخلُو من النَّظَرَ

هذان البيتان مشهوران ولا أعلم أنهما له إلا من هذا الكتاب .

وتوفي سنة ست ومائتين ، رحمه الله تعالى ؛ ويقال إن اسمه محمد ، وقيل الحسن بن محمد ، والأول أصح ، والله أعلم بالصواب .

والمُستنير : بضم الميم وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء .

٦٣٦

المبرّد

أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليمان[4] بن سعد ابن عبد الله بن زيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله[5] بن بلال بن

---

١ انظر ما تقدم : ٧٣ وعند هذا الحد تنتهي الترجمة في ق مع إضافة ذكر الوفاة والترجيح في الاسم.

٢ س ل بر من : إذا غيبت .

٣ لي : فالعين .

٦٣٦ – ترجمته في نور القبس : ٣٢٤ وعبر الذهبي ٢ : ٧٤ وإنباه الرواة ٣ : ٢٤١ وفي حاشية الانباه سرد لمصادر أخرى ؛ وقد ورد نسبه موجزاً في س ن ل لي ق .

٤ الجمهرة : سليم ؛ وعند المرزباني « سليمان » .

٥ عامر بن عبد الله : تكررت في ر .

عوف بن أسلم ، وهو ثُمالة ، بن أحجن[1] بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن النضر بن الأسد بن الغوث ، وقال ابن الكلبي : عوف بن أسلم هو ثُمالة ، والأسد هو الأزد ، الثمالي الأزدي البصري المعروف بالمبرد النحوي ؛ نزل بغداد ، وكان إماماً في النحو واللغة ، وله التواليف النافعة في الأدب : منها كتاب « الكامل » وكتاب « الروضة » و « المقتضب » وغير ذلك. أخذ الأدب عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني – وقد تقدم ذكرهما – وأخذ عنه نفطويه – وقد تقدم ذكره[2] – وغيره من الأئمة .

وكان المبرّد المذكور وأبو العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب صاحب كتاب « الفصيح » عالمين متعاصرين[3] قد ختم بهما تاريخ الأدباء ، وفيهما يقول بعض أهل عصرهما من جملة أبيات ، وهو أبو بكر ابن أبي الأزهر[4] :

أيا طالبَ العلمِ لا تَجْهَلَنْ وعُذْ بالمبرّدِ أو ثعلبِ
تجدْ عند هذين علمَ الورى فلا تكُ كالجملِ الأجربِ
علومُ الخلائقِ مقرونةٌ بهذين في الشرقِ والمغربِ

وكان المبرّد يحب الاجتماع في المناظرة بثلعب والاستكثار منه ، وكان ثعلب يكره ذلك ويمتنع منه ، وحكى أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الفقيه الموصلي وكان صديقهما ، قال : قلت لأبي عبد الله الدينوري خَتَنِ ثعلب : لِمَ يأبى ثعلب الاجتماع بالمبرّد ؟ فقال : لأن المبرد حسن العبارة حلو الإشارة فصيح اللسان ظاهر البيان ، وثعلب مذهبه مذهب المعلمين ، فإذا اجتمعا في محفل حكم للمبرد على الظاهر إلى أن يعرف الباطن .

وكان المبرد كثير الأمالي حسن النوادر ، فمما أملاه أن المنصور أبا جعفر

---

١ ل لي ن س : أحجر ؛ وما هنا موافق لما في الجمهرة ونور القبس وغيرهما .

٢ انظر ج ١ : ٢٨٣ و ٢ : ٤٣٠ و ١ : ٤٧ على التوالي .

٣ في نور القبس : وكان ثعلب والمبرد علمين ختم تاريخ الأدباء بهما .

٤ نسبت هذه الأبيات في نور القبس لعبد الله بن الحسين بن سعد القطربلي صاحب التاريخ ؛ ولم يرد في ق اسم الشاعر .

ولى رجلاً على الإجراء على العميان والأيتام والقواعد من النساء اللواتي لا أزواج لهن ، فدخل على هذا المتولي بعضُ المتخلفين ومعه ولده ، فقال له : إن رأيت أصلحك الله أن تثبت اسمي مع القواعد ، فقال له المتولي : القواعد نساء فكيف أثبتك فيهن ؟ فقال : ففي العميان ؟ فقال : أما هذا فنعم ، فإن الله تعالى يقول ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ (الحج : ٤٦) فقال : وتثبت ولدي في الأيتام ، فقال : وهذا أفعله أيضاً ، فإنه من تكن أنت أباه فهو يتيم ، فانصرف عنه وقد أثبته في العميان وولده في الأيتام .

وطلب[1] بعض الأكابر من المبرد معلماً لولده ، فبعث شخصاً وكتب معه : قد بعثت به وأنا أتمثل فيه :

إذا زرتُ الملوكَ فإن حسبي شفيعاً عندهم أن يخبروني

ومعنى هذا البيت مأخوذ من كلام أحمد بن يوسف كاتب المأمون وقد أهدى إليه ثوب وَشْيٍ في يوم نيروز : قد أهديت إلى أمير المؤمنين ثوب وشي يصف نفسه ، والسلام .

[وحكى عنه أبو بكر ابن أبي الأزهر بشيء طريف في هذا قال : حدثني محمد بن يزيد قال : قال لي المازني يا أبا العباس بلغني أنك تنصرف من مجلسنا فتصير إلى مواضع المجانين والمعالجين فما معناك في ذاك ؟ قال : فقلت له : ان لهم أعزك الله طرائف من الكلام وعجائب من الأقسام ، فقال : حدثني بأعجب ما رأيته منهم ، فقلت : دخلت يوماً إلى مستقرهم مع ابن أبي خميصة ، وكان المتقلد عليهم النفقة والمتقلد أحوالهم ، فرأيت مراتبهم على مقدار بليتهم ، فمررت على شيخ منهم تلوح صلعته وتبرق بالدهن جبهته ، وهو جالس على حصير نظيف ووجهه إلى القبلة كأنه يريد الصلاة ، فجاوزته إلى غيره ، فناداني: سبحان الله، أين السلام ؟ من أولى به أنا أو أنت ؟ فاستحسنت منه وقلت : السلام عليكم ، فقال : لو كنت ابتدأت لأوجبت علينا حسن الردّ عليك، على أننا نصرف سوء

---

١ وطلب بعض ... السلام : سقط من النسخ ما عدا ر والمختار .

أدبك لأحسن جهاته من العذر ، لأنه كان يقال إن للقادم دهشة ، اجلس أعزك الله عندنا ، وأومأ إلى موضع من حصيره ينفضه كأنه يوسعه لي ، فعزمت على الدنوّ ، فناداني ابن أبي خميصة : إياك إياك ، فأحجمت عن ذلك ووقفت ناحية أستجلب مخاطبته وأرصد الفائدة منه ؛ ثم قال لي وقد رأى معي محبرة: يا هذا أرى معك آلة رجلين أرجو ألا تكون أحدهما : أتجالس أصحاب الحديث الأغثاث أم الأدباء من أصحاب النحو والشعر ؟ قلت : الأدباء ، قال : أتعرف أبا عثمان المازني ؟ قلت : نعم أعرفه معرفة تامة ، قال : أفتعرف الذي يقول فيه :

وفتًى من مازنٍ ساد أهلَ البصره
أُمُّهُ معروفة وأبوهُ نكِرَه

قلت : لا أعرفه ؛ قال : أفتعرف غلاماً له قد نبغ في هذا العصر ، معه ذهن وله حفظ وقد برز في النحو وجلس مجلس صاحبه وشاركه فيه يعرف بالمبرد ؟ فقلت : أنا والله عين الخبير به ، قال : فهل أنشدك شيئاً من غثيثات أشعاره ؟ قلت : لا أحسبه يحسن قول الشعر ، قال : يا سبحان الله ، أليس الذي يقول :

حبذا ماءُ العناقيـ ـدِ بريقِ الغانياتِ
بهما ينبتُ لحمي ودمي أيّ نبات
أيها الطالبُ أشهى من لذيذِ الشهوات
كُلْ بماءِ المزن تفا حَ خدودِ الناعمات

قلت : قد سمعته ينشدها في مجلس الأنس ، قال : يا سبحان الله أو يستحب أن ينشد مثل هذا حول الكعبة ؟ ما تسمع الناس يقولون في نسبه ؟ قلت : يقولون إنه من الأزد ، أزد شنوءة ، ثم من ثمالة ، قال : قاتله الله ما أبعد غوره ! أتعرف قوله :

سألنا عن ثمالة كلّ حيّ فقال القائلونَ ومن ثماله
فقلت : محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهمُ جهاله

فقال لي المبرد خلّ قومي   فقومي معشرٌ فيهم نذاله

فقلت : أعرف هذه الأبيات لعبد الصمد بن المعذل يقولها فيه ؛ قال : كذب من ادعاها غيره ، هذا كلام رجل لا نسب له يريد أن يثبت بهذا الشعر نسباً له . قلت : أنت أعلم ، قال : يا هذا قد غلبت بخفة روحك على قلبي وتمكنت من إنصاتك من استحساني ، وقد أخرت ما كان يجب أن أقدمه ، الكنية أصلحك الله ، فقلت : أبو العباس ، قال : فالاسم ؟ قلت : محمد ، قال : فالأب ؟ قلت: يزيد ، قال : قبّحك الله ، أحوجتني إلى الاعتذار إليك مما قدمت ذكره ؛ ثم وثب باسطاً كفه لمصافحتي، فرأيت القيد في رجله قد شدّ إلى خشبة في الأرض، فأمنت عند ذلك غائلته ، فقال لي : يا أبا العباس ، صن نفسك عن الدخول إلى هذه المواضع فليس يتهيأ لك في كلّ وقت أن تصادف مثلي على مثل هذه الحال الجميلة ، أنت المبرد أنت المبرد ، وجعل يصفق وقد انقلبت عينـــه وتغيرت حليته، فبادرت مسرعاً خوفاً من أن يبدر لي منه شيء [أو] بادرة ، وقبلت والله قوله فلم أعاود الدخول إلى محبس ولا غيره .

وقال أبو العباس المبرد : ما تنادر أحدٌ [عليّ] ما تنادر به سذاب الوراق، فإني اجتزت يوماً به وهو قاعد بباب داره ، فقال لي : إلى أين ؟ ولاطفني وعرض عليّ القرى ، فقلت له : ما عندك ؟ فقال : عندي أنت وعليه أنا ، يشير إلى اللحم المبرّد بالسذاب .

وذكر أن رجلاً عاد المبرد بالبصرة مع جماعة، فغنت جارية من وراء ستارة:

وقالوا لها هذا حبيبكِ معرِضٌ   فقالت ألا إعراضهُ أيسر الخطبِ

فــما هي إلا نظـرة بتبسمٍ   فتصطك رجلاهُ ويسقطُ للجنبِ

فطرب كلّ من حضر إلا المبرد ، فقال له صاحب المجلس : كنت أحق بالطرب، فقالت الجارية : دعه يا مولاي ، فإنه سمعني أقول هذا حبيبك معرضٌ فظنني لحنت ولم يعلم أن ابن مسعود قرأ ﴿ وهذا بعلي شيخ ﴾ (هود : ٧٢) قـال : فطرب المبرد من قولها إلى أن شق ثوبه][1] .

---

١ ما بين معقفين زيادة من ق .

وكنت رأيت المبرد المذكور في المنام وجرى لي معه قصة عجيبة فأحببت ذكرها ، وذلك أني كنت بالإسكندرية في بعض شهور سنة ست وثلاثين وستمائة وأقمت بها خمسة أشهر ، وكان عندي كتاب « الكامل » للمبرد ، وكتاب « العقد » لابن عبد ربه ، وأنا أطالع فيها ، فرأيت في « العقد » في فصل ترجمه بقوله « ما غلط فيه على الشعراء »[1] وذكر أبياتاً نسبوا أصحابها فيها إلى الغلط وهي صحيحة ، وإنما وقع الغلط ممن استدرك عليهم لعدم اطلاعهم على حقيقة الأمر فيها ، ومن جملة من ذكر المبرد فقال : ومثله قول محمد بن يزيد النحوي في كتاب « الروضة » ورَدّ على الحسن بن هانىء – يعني أبا نواس – في قوله :

وما لبكر بن وائلٍ عصمٌ إلا بحمقائها وكاذبها

فزعم أنه أراد بحمقائها هَبَنّقَةَ القيسي ، ولا يقال في الرجل حمقاء ، وإنما أراد دُغَةَ العجلية ، وعجل في بكر ، وبها يضرب المثل في الحمق ، هذا كله كلام صاحب « العقد » وغرضه أن المبرد نسب أبا نواس إلى الغلط بكونه قال بـ « حمقائها » واعتقد أنه أراد هَبَنّقة ، وهبنقة رجل ، والرجل لا يقال له حمقاء ، بل يقال له أحمق ، وأبو نواس إنما أراد دُغَةَ وهي امرأة ، فالغلط حينئذ من المبرد ، لا من أبي نواس . فلما كان بعد ليال قلائل من وقوفي على هذه الفائدة رأيت في المنام كأني بمدينة حلب في مدرسة القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد ، وفيها كان اشتغالي بالعلم ، وكأننا قد صلينا الظهر في الموضع الذي جرت العادة بالصلاة فيه جماعةً ، فلما فرغنا من الصلاة قمت لأخرج ، فرأيت في أُخْرَياتِ الموضع شخصاً واقفاً يصلي ، فقال لي بعض الحاضرين: هذا أبو العباس المبرد ، فجئت إليه وقعدت إلى جانبه أنتظر فراغه ، فلما فرغ سلمت عليه وقلت له : أنا في هذا الزمان أطالع في كتابك « الكامل » فقال لي: رأيت كتابي « الروضة » ؟ فقلت : لا ، وما كنت رأيته قبل ذلك ، فقال : قم حتى أريك إياه ، فقمت معه وصعد بي إلى بيته[2] ، فدخلنا فيه ورأيت فيه كتباً

---

[1] العقد ٥ : ٣٩٠ .

[2] ق : وصعدت إلى بيته .

كثيرة ، فقعد قدامها يفتش عليه وقعدت أنا ناحية عنه ، فأخرج منه مجلداً ودفعه إلى ففتحته وتركته في حجري ثم قلت له : قد أخذا عليك فيه ، فقال: أي شيء أخذوا ؟ فقلت : أنك نسبت أبا نواس إلى الغلط في البيت الفلاني ، وأنشدته إياه فقال : نعم ، غلط في هذا ، فقلت له : إنه لم يغلط ، بل هو على الصواب ، ونسبوك أنت إلى الغلط في تغليطه ، فقال : وكيف هذا ؟ فعرّفته ما قاله صاحب « العقد » فعض على رأس سبابته ، وبقي ساهياً ينظر إليّ وهو في صورة خجلان ولم ينطق ، ثم استيقظت من منامي وهو على تلك الحال ، ولم أذكر هذا المنام إلا لغرابته .

وكانت ولادة المبرد يوم الاثنين عيد الأضحى سنة عشر ومائتين ، وقيل سنة سبع ومائتين . وتوفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة ، وقيل ذي القعدة، سنة ست وثمانين ، وقيل خمس وثمانين ومائتين ببغداد ، ودفن في مقابر باب الكوفة في دار اشتريت له ، وصلى عليه أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي ، رحمه الله تعالى . ولما مات نظم فيه وفي ثعلب أبو بكر الحسن بن علي المعروف بابن العلاف – المقدم ذكره[1] – أبياتاً سائرة ، وكان ابن الجواليقي كثيراً ما ينشدها ، وهي :

ذهَبَ المبردُ وانقضَتْ أيامهُ ... ولَيَذْهَبَنْ إثرَ المبردِ ثعلبُ
بيتٌ من الآدابِ أصبحَ نصفه ... خَرِباً وباقي بيتها[2] فسيخرب
فابكوا لما سلبَ الزمانُ ووطنوا ... للدهرِ أنفسكم على ما يسلب
وتزوّدوا من ثعلبٍ ، فبكأسِ ما ... شربَ المبردُ عن قريبٍ يشرب
وأرى لكم أن تكتبوا أنفاسهُ ... إن كانتِ الأنفاسُ مما يكتب

وقريب من هذه الأبيات ما أنشده أبو عبد الله الحسين بن علي اللغوي البصري

---

[1] ترجمة أبي بكر العلاف في المجلد ٢ : ١٠٧ ولكن المرزباني أورد الأبيات في نور القبس : ٣٣٢ ونسبها لمحمد بن علي بن يسار العلاق (اقرأ : العلاف) الضرير .

[2] نور القبس : نصفه .

النمري[1] لما مات أبو عبد الله محمد بن المعلى الأزدي ، وكان بينهما تنافس وهي :

مضى الأزديُّ والنمريُّ يمضي ... وبعضُ الكلِّ مقرونٌ ببعضِ
أخي والمجتني ثمراتِ ودّي ... وإن لم يجزني قَرضي وفَرضي
وكانت بيننا أبداً هَنَاتٌ ... توفرَ عرضهُ منها وعرضي
وما هانت رجالُ الأزدِ عندي ... وإن لم تَدْنُ أرضهمُ بأرضي[2]

والثمالي : بضم الثاء المثلثة وفتح الميم وبعد الألف لام ، هذه النسبة إلى ثمالة ، واسمه عوف بن أسلم ، وهو بطن من الأزد ، قال المبرد في كتاب « الاشتقاق » : إنما سميت ثمالة لأنهم شهدوا حرباً فني فيها أكثرهم ، فقال الناس : ما بقي منهم إلا ثمالة ، والثمالة : البقية اليسيرة . وفي المبرد يقول بعض شعراء عصره وهجا قبيلته بسببه ، وذكر أبو علي القالي في كتاب « الأمـــالي » أنها لعبد الصمد ابن المعذل[3] :

سألنا عن ثمالة كلَّ حيٍّ ... فقال القائلون : ومَنْ ثمالة؟
فقلت محمد بن يزيد منهم ... فقالوا زدتنا بهم جهـــالة
فقال لي المبرد خلِّ عني ... فقومي معشرٌ فيهم نذالة

ويقال : إن هذه الأبيات للمبرد ، وكان يشتهي أن يشتهر بهـــذه القبيلة ، فصنع هذه الأبيات فشاعت وحصل له مقصوده من الاشتهار .
وكان كثيراً ما ينشد في مجالسه :

يا من تلبسَ أثواباً يتيهُ بهـــا ... تيهَ الملوكِ على بعض المساكينِ

---

١ ذكره صاحب الفهرست : ٨٠ وترجم له صاحب نزهة الألباء : ٢٢٤ وقال إن أبا عبد الله الحسين ابن علي البصري أخذ عنه وأنه صنف كتاباً في أسماء الذهب والفضة وكتاباً في مشكلات الحماسة وأورد الأبيات في رثائه للأزدي ؛ وفي ق : أبو عبد الله محمد النمري .

٢ ق : وأرضي .

٣ الأمالي ١ : ١١٢ ؛ وفي ل س لي بر من : ابن المعدل (بالدال المهملة) وقال القاضي عياض (المدارك ١ : ٤٧) كثير من يقوله بدال مهملة وصوابه بمعجمة .

ما غيَّرَ الجلُّ أخلاقَ الحميرِ ولا   نقشُ البراذعِ أخلاقَ البراذينِ[1]

والمُبرّد : بضم الميم وفتح الباء الموحدة والراء المشددة وبعدها دال مهملة ، وهو لقب عُرف به ، واختلف العلماء في سبب تلقيبه بذلك ، فالذي ذكره الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب « الألقاب » أنه قال : سئل المبرد : لمَ لقبت بهذا اللقب ؟ فقال : كان سبب ذلك أن صاحب الشرطة طلبني للمنادمة والمذاكرة ، فكرهت الذهاب إليه ، فدخلت إلى أبي حاتم السجستاني ، فجاء رسول الوالي يطلبني[2] ، فقال لي أبو حاتم : ادخل في هذا ، يعني غلاف مزملة فارغاً ، فدخلت فيه وغطى رأسه ، ثم خرج إلى الرسول وقال : ليس هو عندي ، فقال : أخبرت أنه دخل إليك ، فقال : ادخل الدار وفتشها ، فدخل فطاف كل موضع في الدار ولم يفطن لغلاف المزملة ، ثم خرج فجعل أبو حاتم يصفق وينادي على المزملة : المبرد المبرد ، وتسامع الناس بذلك فلهجوا به . وقيل إن الذي لقبه بهذا اللقب شيخه أبو عثمان المازني ، وقيل غير ذلك .

وهَبَنّقة : بفتح الهاء والباء الموحدة والنون المشددة والقاف وبعدها هاء ساكنة ، وهو لقب أبي الودعات يزيد بن ثروان القيسي ، وقيل كنيته أبو نافع ، وبه يضرب المثل في الحمق فيقال « أحمق من هبنقة القيسي »[3] لأنه كان قد شَرَدَ له بعير فقال : من جاء به فله بعيران ، فقيل له : أتجعل في بعير بعيرين ؟ فقال: إنكم لا تعرفون حلاوة الوجدان ، فنسب إلى الحمق لهذا السبب ، وسارت به الأشعار ، فمن ذلك قول أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي – وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى – في شيبة بن الوليد العبسي عم دقاقة[4] ، من جملة أبيات :

---

١ وكان كثيراً . . . البراذين : سقط من س ن ل لي ت ق بر من ؛ وسقط من ق قبله الأبيات في ثمالة لأنها وردت في النص الذي انفردت به ق قبلا .

٢ ق ر بر من والمختار : فطلبني .

٣ مجمع الأمثال ١ : ١٤٦ وأورد أبيات اليزيدي (ص : ١٤٧) وكذلك في الأغاني ٢٠ : ١٩١ وفصل المقال : ٢٣٠ وحماسة البحتري : ١٥٨ ؛ وقد سقط ضبط « هبنقة » من ق .

٤ لي : دقافة ؛ بر من : دفاقة ، وفي الأغاني : ذفافة .

عِش بِجَدٍّ ولا[1] يضرّكَ نَوْكٌ إنما عيشُ من ترى بالجدودِ[2]
رُبَّ ذي إربةٍ مُقِلٌّ من المـا لِ وذي عنجهيـةٍ مَجْـدود
عش بجَـدٍّ وكن هبنقـةَ القيـ سيَّ أو مثلَ شيبة بن الوليد

وسبب نظم اليزيدي هذه الأبيات أنه تناظر هو والكسائي في مجلس المهدي، وكان شيبة بن الوليد حاضراً فتمصب للكسائي وتحامل على اليزيدي، فهجاه في عدة مقاطيع هذا المقطوع من جملتها .

ودُغَـة : بضم الدال المهملة[3] وفتح الغين المعجمة وبعدها هاء ساكنة، واسمها مارية بنت مغنج، بفتح الميم وسكون الغين المعجمة وفتح النون وبعدها جيم، وقيل معنج بكسر الميم وسكون العين المهملة وباقيه مثل الأول، وهو لقب، واسمه ربيعة بن سعد بن عجل بن لجيم – وهي التي يضرب بها المثل في الحمق، فيقال « أحمق من دُغَـةَ »[4] . وذكر ابن الكلبي في كتاب « جمهرة النسب » غير هذا، فقال في نسب بني العنبر : فولَـدَ جندبُ بن العنبر عدياً وكعباً وعويجاً أمهم مارية بنت ربيعة بن سعد بن عجل، ويقال بل هي دُغَـة بنت مغنج بن إياد، فجعل مارية غير دُغَـة، والله أعلم . وإنما نسبت إلى الحمق لأنها ولدت فصاح المولود، فقالت لامرأة : أيفتح الجعر فاه ؟ فقالت المرأة : نعم ويسب أباه، فسارت مثلاً . والأصل في الجعر أنه رَوْثُ كل ذي مخلب من السباع، وقد يستعمل في غيرها بطريق التجوز، ودُغَـة لجهلها لما ولدت ظنت أنه قد خرج منها المعتاد، فلما استهلّ المولود عجبت من ذلك وسألت عنه، فهذا كان سبب نسبتها إلى الحمق . وكانت متزوجة في بني العنبر بن عمرو بن تميم، فبنو العنبر يدعون لذلك بني الجَعْراء ؛ وهذا كله وإن كان خارجـاً عن المقصود، لكنها فوائد غريبة فأحببت[5] ذكرها[6] .

---

١ ق : فلن . ٢ ق : بجدود .
٣ سقط ضبط دغة من ق .
٤ مجمع الأمثال ١ : ١٤٧ .
٥ لي : أحببت . ٦ ق : أن أذكرها .

٦٣٧

ابن دريد

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن حسن بن حمامي بن جرو بن واسع بن وهب بن سلمة بن حاضر بن أسد بن عدي بن عمرو بن مالك ابن فهم بن غانم بن دوس بن عُدْثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث ابن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، الأزدي اللغوي البصري إمام عصره في اللغة والآداب والشعر الفائق ؛ قال المسعودي في كتاب[١] « مروج الذهب » في حقه[٢]: « وكان ابن دريد ببغداد ممن برع في زماننا هذا في الشعر[٣] ، وانتهى في اللغة ، وقام مقام الخليل بن أحمد فيها ، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين ، وكان يذهب بالشعر كل مذهب ، فطوراً يُجْزل وطوراً يرق ، وشعره أكثر من أن نحصيه أو نأتي على أكثره أو يأتي عليه كتابنا هذا ، فمن جيد شعره قصيدته المشهورة بالمقصورة[٤] التي يمدح بها الشاه ابن ميكال وولده[٥] ، وهما عبد الله بن محمد بن ميكال وولده أبو العباس إسماعيل بن عبد الله ، ويقال إنه أحاط فيها بأكثر المقصور ، وأولها[٦] :

---

٦٣٧ – ترجمته في نور القبس : ٣٤٢ وعبر الذهبي ٢ : ١٨٧ والمحمدون : ٢٠١ وانباه الرواة ٣ : ٩٢ وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى .

١ لي : صاحب كتاب .

٢ مروج الذهب ٤ : ٣٢٠ .

٣ ق : في زمانه بالشعر .

٤ ر ق بر من والمختار : قصيدته المقصورة .

٥ ق : ووالديه .

٦ ليس هذا أولها ، بل مطلعها :

يا ظبية أشبه شيء بالمها ... تَرعى الخزامى بين أشجار النقا

إمّا تَرَيْ رأسي حاكى لونُهُ   طرّةَ صبحٍ تحتَ أذيالِ الدجى
واشتعل المبيضُ في مُسوَدّهِ   مثلَ اشتعالِ النارِ في جَزْلِ الغَضى

ثم قال المسعودي : وقد عارضه في هذه القصيدة المعروفة جماعة من الشعراء منهم أبو القاسم علي[1] بن محمد بن أبي الفهم الأنطاكي التنوخي ، وعدد جمعاً ممن عارضها .

قلت أنا: وقد اعتنى بهذه المقصورة خلق من المتقدمين والمتأخرين، وشرحوها وتكلموا على ألفاظها ، ومن أجود شروحها وأبسطها شرح الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللخمي السبتي ، وكان متأخراً توفي في حدود سنة سبعين وخمسمائة، وشرحها الإمام أبو عبد الله محمد بن جعفر المعروف بالقزاز صاحب كتاب « الجامع » في اللغة —وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى— وشرحها غيرهما أيضاً[2] .

ولابن دريد من التصانيف المشهورة كتاب « الجمهرة » وهو من الكتب المعتبرة في اللغة ، وله كتاب « الاشتقاق » وكتاب « السرج واللجام » وكتاب « الخيل » الكبير ، وكتاب « الخيل » الصغير ، وكتاب « الأنواء » وكتاب « المقتبس » وكتاب « الملاحن » وكتاب « زوار العرب »[3] وكتاب « اللغات » وكتاب « السلاح » وكتاب « غريب القرآن » لم يكمله ، وكتاب « المجتبى »[4] وهو مع صغر حجمه كثير الفائدة ، وكذلك « الوشاح » صغير مفيد[5] .

وله نظم رائق جداً[6] ، وكان من تقدم من العلماء يقول : ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء [فمن أول شعر قاله قوله :

١ ق : القاسم بن علي .
٢ قد نشرت المقصورة بشرح التبريزي .
٣ كذا ورد في الأصول ؛ وفي الفهرست : رواة العرب ؛ ولعله « أذواء العرب » .
٤ س لي والفهرست : المجتنى ، واللفظة غير معجمة في ن ل ت وببعض أعجام في بر من . وقد طبع باسم « المجتنى » في حيدرآباد الدكن (١٣٦٢) .
٥ بعض أسماء كتبه سقطت في ق .
٦ ق : جيد .

ثوبُ الشبابِ عليّ اليوم بهجته   وسوف تنزعه عني يدُ الكبرِ
أنا ابن عشرين ما زادت ولا نقصت   إن ابن عشرين من شيب على خطر][1]

ومن مليح شعره قوله[2] :

غراء لو جلتِ الخدود شعاعها   للشمْسِ عند طلوعها لم تُشرِقِ
غُصُنٌ على دِعْصٍ تأوّدَ فوقه   قمرٌ تألّقَ تحت ليلٍ مطبق
لو قيل للحُسْنِ احتكم لم يَعْدُها   أو قيل خاطِبْ غَيرَها لم ينطق
وكأننـــا من فرعها في مغربٍ   وكأننـــا من وجهها في مشرق
تبدو فيهتفُ للعيونِ ضياؤهـا   الوَيـل حـلّ بمقلةٍ لم تُطبق

ولولا خوف الإطالة لذكرت كثيراً من شعره[3] .

وكانت ولادته بالبصرة في سكة صالح سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ونشأ بها وتعلم فيها ، وأخذ عن أبي حاتم السجستاني والرياشي وعبد الرحمن بن عبد الله المعروف بابن أخي الأصمعي وأبي عثمان سعيد بن هارون الأشنـانداني صاحب كتاب « المعاني » وغيرهم، ثم انتقل عن البصرة مع عمه الحسين عند ظهور الزنج[4] وقتلهم الرياشي — كما سبق في ترجمته[5] — وسكن عمان وأقام بها اثنتي عشرة سنة ، ثم عاد إلى البصرة وسكنها زماناً ، ثم خرج إلى نواحي فارس وصحب ابني ميكال ، وكانا يومئذ على عمالة فارس ، وعمل لهما كتاب « الجمهرة » وقلداه ديوان فارس ، وكانت تصدر كتب فارس عن رأيه ، ولا ينفذ أمر إلا بعـد توقيعه ، فأفاد معهما أموالاً عظيمة ، وكان مُفيداً مُبيداً لا يمسك درهماً سخاء وكرماً ، ومدحهما بقصيدته المقصورة فوصلاه بعشرة آلاف درهم ، ثم انتقل من فارس إلى بغداد ، ودخلها سنة ثمان وثلثمائة بعد عزل ابني ميكال وانتقالهما إلى

---

١ زيادة من ق .
٢ ديوانه : ٨٦ .
٣ بعد هذه العبارة اختلف ترتيب النص في ق عما هو عليه في النسخ الأخرى .
٤ س : السونج .
٥ انظر ما تقدم ٣ : ٢٧ .

خراسان. ولما وصل إلى بغداد أنزله علي بن محمد بن الحواري في جواره وأفضلَ عليه ، وعرف الإمام المقتدر خبره ومكانه من العلم ، فأمر أن يُجْرى عليه خمسون ديناراً في كل شهر ، ولم تزل جارية عليه إلى حين وفاته .

وكان واسع الرواية لم يُرَ أحفظ منه ، وكان يقرأ عليه دواوين العرب فيُسابق إلى إتمامها من حفظه ، وسئل عنه الدارقطني : أثقة هو أم لا ؟ فقال: تكلموا فيه ، وقيل إنه كان يتسامح في الرواية فيسند إلى كل واحد ما يخطر له. وقال أبو منصور الأزهري اللغوي[1] : دخلت عليه فرأيته سكران ، فلم أعد إليه . وقال ابن شاهين : كنا ندخل عليه ونستحيي مما نرى من العيدان المعلقة والشراب المصفى . وذكر أن سائلاً سأله شيئاً فلم يكن عنده غير دنٍّ من نبيذ فوهبه له ، فأنكر عليه أحد غلمانه ، وقال تتصدق بالنبيذ ؟ فقال : لم يكن عندي شيء سواه ، ثم أهدي له بعد ذلك عشرة دنان من النبيذ ، فقال لغلامه: أخرجنا دناً فجاءنا عشرة ، وينسب إليه من هذه الأمور شيء كثير .

وعرَضَ له في رأس التسعين من عمره فالج سقي له الترياق فبرىء منه وصح ورجع إلى أفضل أحواله ، ولم ينكر من نفسه شيئاً ورجع إلى إسماع تلامذته وإملائه عليهم ، ثم عاوده الفالج بعد حول لغذاء ضار تناوله ، فكان يحرك يديه حركة ضعيفة ، وبطل من محزمه إلى قدميه ، فكان إذا دخل عليه الداخل ضج وتألم لدخوله وإن لم يصل إليه ، قال تلميذه أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي المعروف بالبغدادي – المقدم ذكره[2] – : فكنت أقول في نفسي : إن الله عز وجل عاقبه بقوله في قصيدته المقصورة – المقدم ذكرها – حين ذكر الدهر :

مارست مَنْ لو هوَتِ الأفلاكُ من جوانبِ الجو عليه ما شكا

وكان يصيح لذلك صياح من يمشي عليه أو يسل[3] بالمسال ، والداخل بعيد منه ، وكان مع هذه الحال ثابتَ الذهن كامل العقل ، يرد فيما يسأل عنه رداً

---

١ مقدمة التهذيب ١ : ٣١ ، وما هنا منقول عن القفطي وفيه إيجاز .

٢ انظر ١ : ٢٢٦ .

٣ ت ن : يشك .

صحيحاً ؛ قال أبو علي : وعاش بعد ذلك عامين ، وكنت أسأله عن شكوكي في اللغة وهو بهذه الحال فيردّ بأسرع من النفس بالصواب. وقال لي مرة وقد سألته عن بيت شعر: لئن طفئت شحمتا عيني لم تجد من يشفيك من العلم، قال أبو علي: ثم قال لي : يا بنيّ ، وكذلك قال لي أبو حاتم وقد سألته عن شيء ، ثم قال لي أبو حاتم : وكذلك قال لي الأصمعي وقد سألته . وقال أبو علي : وآخر شيء سألته عنه جاوبني أن قال لي: يا بني حالَ الجريضُ دون القريض، فكان هذا الكلام آخر ما سمعته منه . وكان قبل ذلك كثيراً ما يتمثل :

فواحزني أن لا حياة لذيذةٌ ولا عملٌ يرضى به الله صالحُ

وقال المرزباني[1] ، قال لي ابن دريد : سقطت من منزلي بفارس ، فانكسرت ترقوتي ، فسهرت ليلتي ، فلما كان آخر الليل غمضت[2] عيني فرأيت رجلاً طويلاً أصفر الوجه كَوْسَجاً[3] دخل علي وأخذ بعضادتي الباب وقال : أنشدني أحسن ما قلت في الخمر، فقلت : ما ترك أبو نواس لأحد شيئاً ، فقال : أنا أشعر منه ، فقلت : ومن أنت ؟ فقال : أنا أبو ناجية من أهل الشام ، وأنشدني[4] :

وحَمْراء قبل المزج صفراء بعده أتت بين ثَوْبَي نرجس وشقائقِ
حكت وجْنَةَ المعشوق صِرْفاً فسلطوا عليها مزاجاً فاكتست لون عاشقِ

فقلت له : أسأت ، فقال : ولِمَ ؟ قلت : لأنك قلت « وحمراء » فقدمت الحمرة ثم قلت « بين ثوبي نرجس وشقائق » فقدمت الصفرة ، فهلا قدمتها على الأخرى ، فقال : ما هذا الاستقصاء في هذا الوقت يا بغيض ؟

وجاء في رواية أخرى أن الشيخ أبا علي الفارسي النحوي قال : أنشدني ابن دريد هذين البيتين لنفسه ، وقال : جاءني إبليس في المنام وقال : أغرت على أبي

---

١ انظر نور القبس : ٣٤٣ .
٢ المرزباني والقفطي : حملتني ؛ بر : أغمضت .
٣ الكوسج : الذي ليس على عارضيه شعر .
٤ ديوانه : ٨٦ .

نواس ؟ فقلت : نعم ، فقال : أجَدْتَ إلا أنك أسأت في شيء ، ثم ذكر بقية الكلام إلى آخره ، والله أعلم[1] .

وتوفي يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى ، ودفن بالمقبرة المعروفة بالعباسية من الجانب الشرقي في ظهر سوق السلاح بالقرب من الشارع الأعظم . وتوفي في ذلك اليوم أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي الجُبّائي المتكلم المعتزلي – المقسدم ذكره[2] – فقال الناس : اليوم مات علم اللغة والكلام . ويقال إنه عاش ثلاثاً وتسعين سنة لا غير ، ورثاه جحظة البرمكي – المقدم ذكره[3] – بقوله :

فقدت بابنِ دريدٍ كلَّ فائـدةٍ لما غدا ثالثَ الأحجار والتُّرَبِ
وكنت أبكي لفَقدِ الجود منفرداً فصرتُ أبكي لفقدِ الجودِ والأدبِ

الترب : بفتح الراء ، جمع تربة .

ودريد[4] : بضم الدال المهملة وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة ، وهو تصغير أدرد ، والأدرد : الذي ليس فيه سن ، وهو تصغير ترخيم ، وإنما سمي هذا التصغير ترخيماً لحذف حرف الهمزة من أوله كما تقول في تصغير أسود : سويد ، وتصغير أزهر : زهير .

وعتاهية : بفتح العين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف هـاء مكسورة وياء مفتوحة مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة .

وحنتم : بفتح الحاء المهملة وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها وبعدها ميم ، والأصل في الحنتم الجرة المدهونة الخضراء ، وبها سمي الرجل .

وحَمَامي : بفتح الحاء المهملة والميم الخفيفة وبعد الألف ميم مكسورة ثم ياء ، قال الأمير أبو نصر ابن ماكولا : هو أول من أسلم من آبائه . وبقيـة النسب

---

١ وجاء في رواية . . . أعلم : سقط من س ن ل لي ت ق بر من .

٢ ترجمة الجبائي في ٣ : ١٨٣ .

٣ ترجمة جحظة في ١ : ١٣٣ .

٤ توجز ق في ضبط هذه الكلمات .

معروف . وحمامي من جملة السبعين راكباً الذين خرجوا مع عمرو بن العاص من عمان إلى المدينة لما بلغهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقصة[1] مشهورة. وقد تقدم الكلام على الأزدي .

وقوله « حال الجريض دون القريض »[2] هذا مثل مشهور وأول من نطق به عَبيدُ بن الأبرص أحد شعراء الجاهلية لما لقي النعمان بن المنذر اللخْمي آخر ملوك الحيرة في يوم بؤسه وعزم على قتله ، وكان ذلك عادته ، فأحس به عبيد فاستنشده شيئاً من شعره ، فقال له : « حال الجريض دون القريض » فسارت مثلاً ، والجريض : بفتح الجيم وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ضاد معجمة ، هو الغصة ، والقريض : الشعر ، فكأنه قال : حالت الغصة دون إنشاد الشعر ، وهذه القصة مشهورة ، فاقتصرت منها على ذكر خلاصتها .

(184) وعبيد : بفتح العين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة ، وهو شاعر مشهور ، وكان في الولادة من أقران عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٦٣٨

أبو عمر المطرز الزاهد

أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، المعروف بالمطرّز ، الباوردي[3] الزاهد غلام ثعلب – المقدم ذكره[4] – ؛ أحد أئمة اللغة المشاهير المكثرين ،

---

١ ر لي ن : والقضية .

٢ انظر فصل المقال : ٣٥٠ والميداني ١ : ١٢٠ والعسكري ١ : ٢٣٩ والفاخر : ١٩٠ .

٦٣٨ – ترجمته في انباه الرواة ٣ : ١٧١ (وفي الحاشية مصادر أخرى) وانظر عبر الذهبي ٢ : ٢٦٨ وفي الترجمة متابعة كثيرة لما أورده القفطي ؛ وهذه الترجمة شديدة الإيجاز في ق .

٣ الباوردي : سقطت من س ل لي ت ق بر من .

٤ ترجمة ثعلب في ١ : ١٠٢ .

صحب أبا العباس ثعلباً زماناً فعرف به ونسب إليه وأكثر من الأخذ عنه ، واستدرك على كتابه «الفصيح» جزءاً لطيفاً سماه « فائت الفصيح » وشرحه أيضاً في جزء آخر . وله كتاب « اليواقيت »[1] وكتاب « شرح الفصيح » لثعلب[2] ، وكتاب « الجرجاني » وكتاب « الموضح » وكتاب « الساعات » وكتاب « يوم وليلة » وكتاب « المستحسن» وكتاب « العشرات » وكتاب « الشورى » وكتاب « البيوع » وكتاب « تفسير أسماء الشعراء » وكتاب « القبائل» وكتاب «المكنون والمكتوم» وكتاب « التفاحة » وكتاب « المداخل »[3] وكتاب « على المداخل » وكتاب « النوادر » وكتاب « فائت العين » وكتاب « فائت الجمهرة » وكتاب « ما أنكرته الأعراب على أبي عبيد فيما رواه أو صنفه ». وكان ينقل غريب اللغة وحوشيها ، وأكثر ما نقل أبو محمد ابن السِّيد البَطَلْيَوْسي في كتاب « المثلث » عنه ، وحكى عنه غرائب . وروى عنه أبو الحسن محمد بن رزقويه وأبو علي ابن شاذان وغيرهم .

وكانت ولادته سنة إحدى وستين ومائتين . وتوفي يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وأربعين ، وقيل أربع وأربعين وثلثمائة ، ودفن يوم الاثنين ببغداد في الصفة التي تقابل معروفاً الكرخي، رضي الله عنه ، وبينهما عرض الطريق ، رحمه الله تعالى .

وكان اشتغاله بالعلوم واكتسابها قد منعه من اكتساب الرزق والتحيُّل له ، فلم يزل مُضَيَّقاً عليه . وكان لسعة روايته وغزارة حفظه يكذبه أدباء زمانه في أكثر نقل اللغة ويقولون : لو طار طائر لقال أبو عمر حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي ، ويذكر في معنى ذلك شيئاً . فأما روايته الحديث فإن المحدثين يصدقونه ويوثقونه؛ وكان أكثر ما يمليه من التصانيف يلقيه بلسانه من غير صحيفة يراجعها ، حتى قيل إنه أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة من اللغة ، فلهذا الإكثار نسب إلى الكذب. وكان يسأل عن شيء قد تواطأت الجماعة على وضعه،

---

1 راجع ما أورده القفطي عن مراحل تأليفه لهذا الكتاب ؛ وقد سقط من ق ذكر أسماء الكتب بعد هذا الموضع .

2 ر : وكتاب الفصيح ، وكذلك هو في أصل القفطي .

3 نشره الميمني بمجلة المجمع الدمشقي ١٩٢٩ .

فيجيب عنه ، ثم يُترَك سنة ويسأل عنه فيجيب بذلك الجواب بعينه . ومما جرى له في ذلك أن جماعة قصدوه للأخذ عنه ، فتذاكروا في طريقهم عند قنطرة هناك إكثاره ، وأنه منسوب إلى الكذب بسبب ذلك ، فقال أحدهم : أنا أُصَحِّفُ له اسم هذه القنطرة وأسأله عنها ، فانظروا ماذا يجيب ، فلما دخلوا عليه قال له : أيها الشيخ ما القِبَطْرَة[1] عند العرب ؟ فقال : كذا وكذا ، فتضاحكت الجماعة سراً ، وتركوه شهراً[2] ، ثم قرروا مع شخص سأله عن القبطرة بعينها فقال : أليس سئلت عن هذه المسألة منذ مدة كذا وكذا وأجبت عنها بكذا وكذا ؟ فعجبت الجماعة من فطنته وذكائه واستحضاره للمسألة والوقت وإن لم يتحققوا صحة ما ذكره .

وكان معز الدولة بن بويه قد قلد شرطة بغداد لغلام له اسمه خواجا ، فبلغ أبا عمر الخبر ، وكان يملي كتاب « اليواقيت » فلما جلس للإملاء قال : اكتبوا ياقوتة خواجا ، الخواج في أصل لغة العرب : الجوع ، ثم فرع على هذا باباً وأملاه ، فاستعظم الناس ذلك من كذبه ، وتتبعوه في كتب اللغة . قال أبو علي الحاتمي الكاتب اللغوي : أخرجنا في أمالي الحامض عن ثعلب عن ابن الأعرابي « الخواج : الجوع » .

وكان أبو عمر المذكور يؤدب ولد القاضي أبي عمر محمد بن يوسف فأملى يوماً على الغلام نحواً من مائة مسألة في اللغة وذكر غريبها وختمها ببيتين من الشعر ، وحضر أبو بكر ابن دريد وأبو بكر ابن الأنباري وأبو بكر ابن مقسم عند القاضي أبي عمر ، فعرض عليهم تلك المسائل ، فما عرفوا منها شيئاً وأنكروا الشعر ، فقال لهم القاضي : ما تقولون فيها ؟ فقال ابن الأنباري : أنا مشغول بتصنيف «مشكل القرآن» ولست أقول شيئاً ، وقال ابن مقسم مثل ذلك ، واحتج باشتغاله بالقراءات ، وقال ابن دريد : هذه المسائل من موضوعات أبي عمر ، ولا

---

١ كذا في س لي ؛ وفي ر ن من : القنطرة ، والباء أو النون غير معجمة في ل بر ؛ وفي المطبوعة المصرية « ما الهرطنق » وكذلك في معجم ياقوت ؛ وهذا ليس تصحيفاً وإنما هو قلب ؛ وفي أصل القفطي « القنطرة » وغيره المحقق ليوافق ما في ياقوت .

٢ س ل لي بر : أشهراً .

أصل لها ولا لشيء منها في اللغة ، وانصرفوا ، وبلغ أبا عمر ذلك ، فاجتمع بالقاضي وسأله إحضار دواوين جماعة من قدماء الشعراء عيّنهم ، ففتح القاضي خزانته وأخرج له تلك الدواوين ، فلم يزل أبو عمر يعمد إلى كل مسألة ويخرج لها شاهداً من بعض تلك الدواوين ويعرضه على القاضي حتى استوفى جميعها ، ثم قال له : وهذان البيتان أنشدهما ثعلب بحضرة القاضي، وكتبها القاضي بخطه على ظهر الكتاب الفلاني، فأحضر القاضي الكتاب فوجد البيتين على ظهره بخطه كما ذكر أبو عمر بلفظه به .

وقال رئيس الرؤساء[1] : وقد رأيت أشياء كثيرة مما استنكر على أبي عمر ونسب فيها إلى الكذب ، فوجدتها مدونة في كتب أهل اللغة ، وخاصة في « غريب المصنف » لأبي عبيد . وقال عبد الواحد بن علي بن بَرْهان الأسدي أبو القاسم[2]: لم يتكلم في علم اللغة أحد من الأولين والآخرين أحسن من كلام أبي عمر الزاهد ، وله كتاب « غريب الحديث » صنفه على مسند أحمد بن حنبل ، وكان يستحسنه جداً .

وقال أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي : اعتللت فتأخرت عن مجلس أبي عمر الزاهد ، قال : فسأل عني لما تراخت الأيام ، فقيل له إنه كان عليلاً ، فجاءني من الغد يعودني ، فاتفق أني كنت قد خرجت من داري إلى الحمام ، فكتب بخطه على بابي باسفيداج :

وأعجبُ شيءٍ سمعنا بهِ عليلٌ يُعاد فلا يوجد

قال : والبيت له .

وكان مغالياً في حب معاوية وعنده جزء من فضائله ، وكان إذا ورد عليه مَنْ يروم الأخذ عنه ألزمه بقراءة ذلك الجزء . وكانت فضائله جمة ومعلوماته غزيرة ، وفي هذا القدر كفاية .

والمطرز : بضم الميم وفتح الطاء المهملة وكسر الراء المشددة وبعدها زاي ،

---

١ هو أبو القاسم علي بن الحسن بن أحمد المعروف بابن مسلمة (تاريخ بغداد ١٢ : ٤٩١) .

٢ انظر ترجمته في الانباه ٢ : ٢١٣ .

هذه اللفظة تقال لمن يطرّز الثياب ، وكانت صناعة أبي عمر المذكور التطريز فنسب إليها ، وعرف بهذه الصناعة جماعة من العلماء .

وكشفت في كتاب « الأنساب » للسمعاني في ترجمة المطرز عن أبي عمر المذكور فلم يذكره ، لكنه ذكر أبا القاسم عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب المطرز البغدادي الشاعر ، ويحتمل أن يكون والد أبي عمر المذكور ، لأن اسمه موافق اسم والده ، ويحتمل أن يكون غيره ، لكني لا أعرفه ، وقال : هو مشهور الشعر سائره ، فمن قوله :

ولما وقفنا بالصَّراةِ عشيّةً حيارى لتوديعٍ وردِّ سلامِ
وقفنا على رغمِ الحسود وكلنا يفضُّ عن الأشواقِ كلَّ ختام
وسوّغني عندَ الوداعِ عناقه فلما رأى وجدي به وغرامي
تَلَثَّمَ مرتاباً بفضلِ ردائهِ فقلتُ : هلالٌ بعدَ بدرِ تمام
وقبّلته فوقَ اللثامِ فقال لي : هي الخمرُ ، إلا أنها بفِدام

لكن السمعاني وإن كان ما ذكره في هذه الترجمة فقد ذكره في ترجمة غلام ثعلب ، وقال : هو غلام ثعلب ، كما ذكرته أولاً[1] .

(185) قلت : ثم بعد هذا بسنين عديدة رأيت بدمشق المحروسة ديوان شعر أبي القاسم عبد الواحد المعروف بالمطرز المذكور ، وهو بغدادي ، وأكثر شعره جيد ، وكانت ولادته سنة أربع وخمسين وثلثمائة . وتوفي ليلة الأحد مستهل جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ، فظهر بهذا أنه ليس والد أبي عمر المذكور ، وإنما هو مطرز آخر .

والباوردي : بالباء الموحدة وبعد الألف والواو راء ثم دال مهملة ، وهي بُليدة بخراسان ، يقال لها باورد [وأباورد][2] وأبيوَرْد ، ومنها أبو المظفر الأبيوردي الشاعر – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

---

١ ق : ذكرناه أولا ؛ وهنا تنتهي الترجمة في س ل لي ت بر من .

٢ زيادة من ر .

٦٣٩

الأزهري

أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر [بن][١] طلحة بن نوح بن أزهر ، الأزهري الهروي اللغوي الإمام المشهور في اللغة ؛ كان فقيهاً شافعي المذهب غلبت عليه اللغة فاشتهر بها ، وكان متفقاً على فضله وثقته ودرايته وورعه . روى عن أبي الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري اللغوي عن أبي العباس ثعلب وغيره ، ودخل بغداد وأدرك بها أبا بكر ابن دريد ولم يرو عنه شيئاً ، وأخذ عن أبي عبد الله إبراهيم ابن عرفة الملقب نفطويه – المقدم ذكره[٢] – وعن أبي بكر محمد بن السريّ المعروف بابن السراج النحوي – وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى – وقيل إنه لم يأخذ عنه شيئاً .

وكان قد رحل وطاف في أرض العرب في طلب اللغة ؛ وحكى بعض الأفاضل أنه رأى بخطه قال: امتحنت بالأسر سنة عارضت القرامطة الحاجّ بالهَبير ، وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عرباً نشؤوا في البادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع ، ويرجعون إلى أعدادِ المياه في محاضرهم زمان القيظ ، ويرعون النعم ويعيشون بألبانها ، ويتكلمون بطباعهم ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش ، فبقيت في أسرهم دهراً طويلاً ، وكنا نشتّي بالدهناء ونرتبع بالصّمّان ونقيظ بالسّتّارين ، واستفدت من محاورتهم ومخاطبة بعضهم بعضاً ألفاظاً جمة ونوادر كثيرة أوقعت أكثرها في كتابي – يعني «التهذيب» – وستراها في مواضعها ، وذكر في تضاعيف كلامه أنه أقام بالصّمان شتوتَيْنِ [ومما رواه أن

---

٦٣٩ – ترجمته في معجم الأدباء ١٧ : ١٦٤ ونزهة الألباء : ٢٢١ واللباب (الأزهري) ومقدمة تهذيب اللغة (من تأليفه) وطبقات السبكي ٢ : ١٠٦ والشذرات ٣ : ٧٢ وبغية الوعاة : ٨ .

١ زيادة من ر ق وهي ثابتة عند السبكي .

٢ ترجمة نفطويه في ١ : ٤٧ .

أعرابياً قال : اللهم من ظلمني مرة فاجزه ومن ظلمني مرتين فاجزني واجزه ، ومن ظلمني ثلاث مرات فاجزني ولا تجزه][1] .

وكان أبو منصور المذكور جامعاً لشتات اللغة مطلعاً على أسرارها ودقائقها ، وصنف في اللغة كتاب « التهذيب » وهو من الكتب المختارة يكون أكثر من عشر مجلدات ، وله تصنيف في غريب[2] الألفاظ التي تستعملها الفقهاء في مجلد واحد ، وهو عمدة الفقهاء في تفسير ما يشكل عليهم من اللغة المتعلقة بالفقه ، وكتاب « التفسير ». ورأى ببغداد أبا إسحاق الزجاج وأبا بكر ابن الأنباري، ولم ينقل أنه أخذ عنهما شيئاً . وكانت ولادته سنة اثنتين وثمانين ومائتين . وتوفي في سنة سبعين وثلثمائة في أواخرها ، وقيل سنة إحدى وسبعين بمدينة هَراة ، رحمه الله تعالى .

والأزهري : بفتح الهمزة وسكون الزاي وفتح الهاء وبعدها راء ، هذه النسبة إلى جده أزهر المذكور .

وقد تقدم الكلام على الهروي .

والقرامطة[3] : نسبتهم إلى رجل من سواد الكوفة يقال له « قِرْمِط » — بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة — ولهم مذهب مذموم، وكانوا قد ظهروا في سنة إحدى وثمانين ومائتين في خلافة المعتضد بالله ، وطالت أيامهم وعظمت شوكتهم وأخافوا السبيل ، واستولوا على بلاد كثيرة ، وأخبارهم مستقصاة في التواريخ .

وكانت وقعة الهَبِير التي أشار إليها في سنة إحدى عشرة وثلثمائة ، وكان مقدم القرامطة يوم ذاك أبا طاهر الجَنّابي القرمطي ، ولما ظهر على الحُجّاج قتل بعضهم واسترق[4] آخرين ، واستولى على جميع اموالهم ، وذلك في خلافة المقتدر بن المعتضد ؛ وقيل كان اول ظهورهم في سنة ثمان وسبعين ومائتين ،

---

١ زيادة من ق .

٢ س : غرائب .

٣ قد أسهب المؤلف في الحديث عن القرامطة في ٢ : ١٤٧ وما بعدها .

٤ ن : وأسر .

وأولهم أبو سعيد الجَنَّابي كان بناحية البحرين وهجر ، وقتل في سنة إحدى وثلثمائة ، قتله خادم له ، وقتل أبو طاهر المذكور في سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة.

والجَنَّابي : بفتح الجيم والنون المشددة وبعد الألف باء موحدة ، هذه النسبة إلى جَنَّابة ، وهي بلدة بالبحرين بالقرب من سيراف على البحر[1] .

والهبير : بفتح الهاء وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ساكنة ، وهو الموضع المطمئن من الأرض .

والدهناء : بفتح الدال المهملة وسكون الهاء وبعدها نون مفتوحة ثم ألف تمد وتقصر ، وهي أرض واسعة في بادية العرب في ديار بني تميم ، وقيل هي سبعة أجبل من الرمل ، وقيل هي في بادية البصرة في ديار بني سعد .

والصَّمَّان : بفتح الصاد المهملة والميم المشددة وبعد الألف نون ، وهو جبل أحمر ينقاد ثلاث ليال ، وليس له ارتفاع ، يجاور الدهناء ، وقيل إنه قرب رمال عالج ، وبينه وبين البصرة تسعة أيام .

والستاران : تثنية ستار ، بكسر السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف راء ، وهما واديان في ديار بني سعد ، يقال لهما : سودة[3] ، ويقال لأحدهما : الستار الأغبر ، وللآخر: الستار الجابري[4] ، وفيهما عيون فوارة يسقى نخيلهما منها . وهذا كله وإن كان خارجاً عن المقصود ، لكنها ألفاظ غريبة فأحببت تفسيرها لئلا تشكل على من يطالع هذا المجموع .

---

١ وقيل . . . على البحر : سقط من س ل لي ت بر من .

٢ لي : يجاوز ؛ س : تجاوز .

٣ ياقوت : السودة ؛ وقال إنهما في ديار بني ربيعة .

٤ اللفظة غير معجمة في ل ن ت ق بر .

٦٤٠

أبو عبد الله اليزيدي

أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي النحوي — وسيأتي ذكر جده أبي محمد يحيى بن المبارك العدوي اليزيدي إن شاء الله تعالى —؛ كان محمد المذكور[1] إماماً في النحو والأدب ونقل النوادر وكلام العرب. ومما رواه أن أعرابياً هوي أعرابية فأهدى إليها ثلاثين شاة وزقاً من خمر مع عبد له أسود فأخذ العبد شاة في الطريق فذبحها وأكل منها وشرب بعض الزق، فلما جاءها بالباقي عرفت أنه خانها في الهدية، فلما عزم على الانصراف سألها: هل لكِ من حاجة؟ فأرادت إعلام سيده بما فعله العبد في الطريق فقالت له: اقرأ عليه السلام وقل له: إن الشهر كان عندنا محاقاً، وإن سحيماً راعي غنمنا جـــاء مرثوماً، فلم يعلم العبد ما أرادت بهذه الكناية، فلما عاد إلى مولاه أخبره برسالتها ففطن لما أرادته، فدعا له بالهراوة وقال: لتَصْدُقَنّي وإلا ضربتك بهذه ضرباً مبرحاً، فأخبره الخبر، فعفا عنه، وهذه من لطائف الكنايات وأحلى الإشارات.

[وروى أبو محمد ابن قتيبة في هذا المعنى عن أبي حاتم عن الأصمعي قال: حدثني شيخ من بني العنبر قال: أسرت بنو شيبان رجلاً من العرب من بني العنبر، فقال لهم: أرسل إلى أهلي ليفدوني فقالوا: ولا تكلم الرسول إلا بين أيدينا، فجاءوه برسول فقال له: ايت قومي فقل لهم: إن الشجر قد أورق وإن النساء قد أشكت، قال له: أتعقل؟ قال: نعم، قال: فما هذا؟ وأشار بيده، فقال: هذا الليل، فقال: أراك تعقل، انطلق فقل لأهلي: عَرُّوا جملي الأصهب واركبوا ناقتي الحمراء واسألوا حارثة عن أمري؛ فأتاهم الرسول، فأرسلوا إلى

---

٦٤٠ — ترجمته في انباه الرواة ٣ : ١٩٨ (وفي الحاشية ثبت بمصادر أخرى)، وقد جاءت الترجمة موجزة في المختار، اقتصر فيها على حكاية الأعرابي.

[1] محمد المذكور: سقطت من س ت ق بر من.

حارثة فقصّ عليه الرسول القصة ، فلما خلا معهم قال : أما قوله : ان الشجر قد أورق فإنه يريد أن القوم قد تسلحوا ، وقوله : ان النساء قد [أشكت أي] اتخذت الشكاء للغزو وهي أسقية ، وقوله : هذا الليل ، يريد يأتونكم مثل الليل ، أو في الليل ، وقوله : عروا جملي الأصهب ، يريد : ارتحلوا عن الصمان ، وقوله : اركبوا ناقتي [الحمراء] يريد : اركبوا الدهناء . فلما قال لهم ذلك تحملوا من مكانهم ، فلما أتاهم القوم لم يجدوا منهم أحداً .

وحكي عن ابن الأعرابي قال : أسرت طيء رجلاً شاباً من العرب ، فقدم عليه أبوه وعمه ليفدياه ، فاشتطوا عليهما في الفداء فأعطيا به عطيةً لم يرضوا بها ، فقال أبوه : لا والذي جعل الفرقدين يصبحان ويمسيان على جبل طيء لا أزيدكم على ما أعطيتكم . ثم انصرفا ، فقال الأب للعم : لقد ألقيت إليه كلمة لئن كان فيه خير لينجون ، فما لبث أن نجا وطرد قطعة من إبلهم فذهب بها ، كأنه قال له : الزم الفرقدين على جبلي طيء فإنهما طالعان عليه ولا يغيبان عنه][1] .

والموثوم : بفتح الميم وسكون الراء وضم الثاء المثلثة ، المكسور الأنف الملطخ[2] بالدم ، والرثم : البياض في جَحْفَلة الفرس العليا ، وهو في الزق مستعمل على سبيل الاستعارة .

وله تصانيف ، فمن ذلك كتاب « الخيل » وكتاب « مناقب بني العباس » وكتاب « أخبار اليزيديين » وله مختصر في النحو . وكان قد استدعي في آخر عمره إلى تعليم أولاد المقتدر بالله فلزمهم مدة ، ولقيه بعض أصحابه بعد اتصاله بالخليفة فسأله أن يقرئه فقال : أنا في شغل عن ذلك[3] . وتوفي أبو عبد الله المذكور ليلة الأحد أول الليل لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة عشر وثلثمائة ، وعمره اثنتان وثمانون سنة وثلاثة أشهر ، رحمه الله تعالى .

---

١ ما بين معقفين زيادة من ق وانظر السمط : ٢٦ وما بعدها .

٢ ر : الملطوخ .

٣ في القفطي أنه قال له : تجاوزت الأحص وشبيثاً أي أنا مشتغل عن ذلك . وقوله : المرثوم ... ذلك : سقط من ق .

والبزيدي : نسبة إلى يزيد بن منصور[1] — وسيأتي الكلام على ذلك في ترجمة جده أبي محمد يحيى بن المبارك ، إن شاء الله تعالى .

٦٤١

أبو بكر ابن السرّاج النحوي

أبو بكر محمد بن السّريّ بن سَهْل[2] النحوي المعروف بابن السّرّاج ؛ كان أحد الأئمة المشاهير ، المجمع على فضله ونبله وجلالة قدره في النحو والآداب ، أخذ الأدب عن أبي العباس المبرد — المقدم ذكره — وغيره ، وأخذ عنه جماعة من الأعيان منهم : أبو سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني وغيرهما ، ونقل عنه الجوهري في كتاب « الصحاح » في مواضع عديدة .

وله التصانيف المشهورة في النحو : منها كتاب « الأصول » وهو من أجود الكتب المصنفة في هذا الشأن ، وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه ، وكتاب « جمل الأصول » وكتاب « الموجز » صغير ، وكتاب « الاشتقاق » وكتاب « شرح كتاب سيبويه » وكتاب « احتجاج القراء » وكتاب « الشعر والشعراء » وكتاب « الرياح والهواء والنار » وكتاب « الجمل » وكتاب « المواصلات »[3] .

وكان يلثغ في الراء فيجعلها غيناً ، فأملى يوماً كلاماً فيه لفظة بالراء ، فكتبوها عنه بالغين ، فقال : لا ، بالفاء ، لا ، بالغاء يريد بالراء ، وجعل يكررها على هذه الصورة[4] .

---

١ ق : والبزيدي نسبة إلى يزيد وهم أشخاص عديدة ولا أعلم إلى أيهم ينسب المذكور .

٦٤١ — ترجمته في نور القبس : ٣٤٢ وعبر الذهبي ٢ : ١٦٥ والمحمدون : ٣٤٣ وانباه الرواة ٣ : ١٤٥ (ومصادر أخرى في حاشية الانباه) .

٢ ابن سهل : سقطت من ل لي س ت بر من . ٣ لم يذكر من مؤلفاته في ق إلا كتاب الأصول .

٤ وكان يلثغ ... الصورة : ثبت في ن ر والمختار .

ورأيت في بعض المجاميع أبياتاً منسوبة إليه ولا أتحقق صحتها ، وهي سائرة بين الناس في جارية كان يهواها ، وهي :

مَيَّزتُ بين جمالها وفعالهـا ... فإذا الملاحةُ بالخيانة لا تفي
حَلَفَتْ لنا أن لا تخون عهودنا ... فكأنما حَلَفَتْ لنا أن لا تفي
والله لا كَلَّمتُهـا ولَوَ آنها ... كالبدرِ أو كالشمسِ أو كالمكتفي

وبعد الفراغ من هذه الترجمة وجدت هذه الأبيات له ، ولها قصة عجيبة[1] ، وهي أن أبا بكر المذكور كان يهوى جارية فجفته ،فاتفق وصول الإمام المكتفي في تلك الأيام من الرقة ، فاجتمع الناس لرؤيته ، فلما رآه أبو بكر استحسنه ، وأنشد لأصحابه الأبيات المذكورة ، ثم إن أبا عبد الله محمد بن إسماعيل بن زنجي الكاتب أنشدها لأبي العباس ابن الفرات ، وقال : هي لابن المعتز ، وأنشدها أبو العباس للقاسم بن عبيد الله الوزير ، فاجتمع الوزير بالمكتفي وأنشده إياها فقال لمن هي ، فقال : لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، فأمر له بألف دينار ، فوصلت إليه فقال ابن زنجي : ما أعجب هذه القصة ! يعمل أبو بكر ابن السراج أبياتاً تكون سبباً لوصول الرزق إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر .

وتوفي أبو بكر المذكور يوم الأحد لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ست عشرة وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

والسَّرَّاج : بفتح السين المهملة والراء المشددة وبعد الألف جيم ، هذه النسبة إلى عمل السروج .

---

[1] أورد القفطي هذه القصة بتفصيل في الانباه : ١٤٧ والمحمدون : ٣٤٤ ، وقد سقطت هذه القصة من ق .

٦٤٢
أبو بكر ابن الأنباري

أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة ابن فروة بن قطن بن دعامة الأنباري النحوي صاحب التصانيف في النحو والأدب؛ كان علامة وقته في الآداب وأكثر الناس حفظاً لها ، وكان صدوقاً ثقة ديّناً خيّراً من أهل السنة ، وصنف كتباً كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث والمشكل[1] والوقف والابتداء والرد على من خالف مصحف العامة وكتاب « الزاهر » . ذكره الخطيب في « تاريخ بغداد »[2] وأثنى عليه وقال : بلغني أنه كتب عنه وأبوه حيّ ، وكان يملي في ناحية من المسجد وأبوه في ناحية أخرى .

(186) وكان أبوه عالماً بالأدب موثقاً في الرواية صدوقاً أميناً سكن بغداد وروى عنه جماعة من العلماء ، وروى عنه ولده المذكور ، وله تصانيف فمن ذلك كتاب « خلق الإنسان » وكتاب « خلق الفرس » وكتاب « الأمثال » وكتاب « المقصور والممدود » وكتاب « المؤنث والمذكر » وكتاب « غريب الحديث » .

وقال أبو علي القالي : كان أبو بكر ابن الأنباري يحفظ فيما ذكر ثلثمائة ألف بيت شاهد في القرآن الكريم ، وقيل له : قد أكثر الناس من محفوظاتك فكم تحفظ ؟ فقال : أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً ، وقيل إنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن بأسانيدها .

وحكى أبو الحسن الدارقطني أنه حضر في مجلس إملائه يوم جمعة فصحف اسماً أورده في إسناد حديث إما كان حيّان فقال حبان أو حبان فقال حيان ،

---

٦٤٢ – ترجمته في انباه الرواة ٣ : ٢٠١ (وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى) وانظر نور القبس : ٣٤٥ وعبر الذهبي ٢ : ٢١٤ ؛ وبشار في نسبه ورد بصورة « يسار » في ق .

١ ذكر القفطي أن كتاب « المشكل » في معاني القرآن وأنه لم يتمه ، بل بلغ فيه إلى سورة طه .

٢ تاريخ بغداد ٣ : ١٨١ .

قال الدارقطني : فأعظمت أن يُحمل عن مثله في فضله وجلالته وهمٌ ، وهِبْتُ أن أوقفه على ذلك ، فلما انقضى الإملاء تقدمت إلى المستملي فذكرت له وهمه وعرفته صواب القول فيه ، وانصرفت ثم حضرت الجمعة الثانية مجلسه ، فقال أبو بكر : عرف جماعة الحاضرين أنا صحفنا الاسم الفلاني لما أملينا حديث كذا في الجمعة الماضية ، ونبهنا ذلك الشاب على الصواب ، وهو كذا ، وعرف ذلك الشاب أنا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال .

ومن جملة تصانيفه « غريب الحديث » قيل إنه خمسة وأربعون ألف ورقة ، وكتاب « شرح الكافي » وهو نحو ألف ورقة ، وكتاب « الهاءات » نحو ألف ورقة ، وكتاب « الأضداد » وكتاب « الجاهليات » وهو سبعمائة ورقة ، و« المذكر والمؤنث » ما عمل أحد أتمّ منه ، و « رسالة المشكل »[1] رد فيها على ابن قتيبة وأبي حاتم .

وكانت ولادته يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة إحدى وسبعين ومائتين . وتوفي ليلة عيد النحر سنة ثمان وعشرين ، وقيل سنة سبع وعشرين وثلثمائة .

وتوفي أبوه القاسم سنة أربع وثلثمائة ببغداد ، وقيل في صفر سنة خمس وثلثمائة ، رحمه الله تعالى[2] .

وقد تقدم الكلام على الأنباري في ترجمة عبد الرحمن الأنباري النحوي[3] .

وأملى أبو بكر المذكور في بعض أماليه لبعض العرب :

فهلا منعتمْ إذْ منعتمْ كلامها ... خيالاً يوافيني على النأي هاديا
سقى الله أطلالاً بأكثبةِ الحمى ... وإن كُنّ قد أبدينَ للناسِ حاليا
منازلُ لو مَرّت بهن جنازتي ... لقال الصّدَى يا صاحبيَّ انزلا بيا

---

1 يبدو أن رسالة المشكل شيء آخر غير كتاب « المشكل » المتقدم ذكره ، فقد ذكر القفطي الكتابين أيضاً .

2 هنا تنتهي الترجمة في ق .

3 انظر الترجمة رقم : ٣٦٩ (٣ : ١٣٩) .

وأملى أيضاً في مجلس آخر :

وبالعَرصَةِ البيضاء إن زرتَ أهلها   مَهاً مهملات ما عليهنّ سائِسُ
خرجنَ لِحبّ اللهوِ من غيرِ ريبةٍ   عفائف باغي اللهو منهنّ آيِسُ

٦٤٣

أبو العيناء

أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان ، الهاشمي بالولاء ، الضرير ، مولى أبي جعفر المنصور ، المعروف بأبي العيناء صاحب النوادر والشعر والأدب ؛ أصله من اليمامة ومولده بالأهواز ومنشؤه بالبصرة ، وبها طلب الحديث وكسب[1] الأدب ، وسمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري والعتبي وغيرهم ، وكان من أحفظ الناس وأفصحهم لساناً ، وكان من ظرفاء العالم ، وفيه من اللَّسَنِ وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن في أحد من نظرائه ، وله أخبار حسان وأشعار ملاح مع أبي علي الضرير .

وحضر يوماً مجلس بعض الوزراء ، فتفاوضوا حديث البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من الجود ، فقال الوزير لأبي العيناء – وكان قد بالغ في وصفهم وما كانوا عليه من البذل والإفضال – : قد أكثرت من ذكرهم ووصفك إياهم ، وإنما هذا تصنيف الورّاقين ، وكذب المؤلفين . فقال له أبو العيناء : فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير؟ فسكت الوزير ، وعجب الحاضرون من إقدامه عليه .

---

٦٤٣ – أخباره ونوادره منثورة في كثير من الكتب الادبية ، وانظر معجم الأدباء ١٨ : ٢٨٦ ونكت الهميان : ٢٦٥ وميزان الاعتدال ٤ : ١٣ وعبر الذهبي ٢ : ٦٩ ولسان الميزان ٥ : ٣٤٤ ومعجم المرزباني : ٤٠٢ وتاريخ بغداد ٣ : ١٧٠ والديارات : ٥٢ والوافي ٤ : ٣٤١ وطبقات ابن المعتز : ٤١٥ والفهرست : ١٢٥ والمنتظم ٥ : ١٥٦ والشذرات ٢ : ١٨٠ .

١ ق ر بر من : وكتب .

وشكا إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير سوء الحال ، فقال له : أليس قد كتبنا إلى إبراهيم بن المدبر في أمرك ؟ قال : نعم ، قد كتبت إلى رجل قد قصر من همته طول الفقر ، وذل الأسر ، ومُعاناة الدهر ، فأخفق سَعْيي وخابت طلبتي ، فقال عبيد الله : أنت اخترته ، فقال : وما عليّ أيها الوزير في ذلك وقد اختار موسى قومه سبعين رجلاً فما كان فيهم رشيد ، واختار النبي صلى الله عليه وسلم ، عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح كاتباً فرجع إلى المشركين[1] مرتداً ، واختار علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا موسى الأشعري حاكماً له فحكم عليه.

وإنما قال « ذل الأسر » لأن إبراهيم المذكور كان قد أسره علي بن محمد صاحب الزنج بالبصرة وسجنه فنقب السجن وهرب .

ودخل[2] على أبي الصقر إسماعيل بن بلبل الوزير يوماً فقال له : مـــا الذي أخرك عنا يا أبا العيناء ؟ فقال : سُرق حماري ، فقال : وكيف سرق ؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك ، قال : فهلا أتيتنا على غيره ، قال : قعد بي عن الشراء قلة يساري وكرهت ذلّة[3] المُكاري ، ومنة العَواري . وخاصم علوياً فقال له العلوي : تخاصمني وأنت تقول كل يوم : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ، فقال : لكني[4] أقول : الطيبين الطاهرين ، ولست منهم . ووقف عليه رجل من العامة فلما أحس به قال : من هذا ؟ قال : رجل من بني آدم ، فقال أبو العيناء : مرحباً بك أطال الله بقاءك ، ما كنت أظن هذا النسل إلا قد انقطع. وصار يوماً إلى باب صاعد بن مخلد فاستأذن عليه ، فقيل هو مشغول بالصلاة ، فقال : لكل جديد لذة ، وكان صاعد قبل الوزارة نصرانياً. ومر بباب عبد الله ابن منصور وهو مريض وقد صلح ، فقال لغلامه : كيف خبره ؟ فقال : كما تحب ، فقال : ما لي لا أسمع الصراخ عليه ؟ ودعا سائلاً ليعشيه فلم يدع شيئاً إلا أكله ، فقال : يا هذا دعوتك رحمة فتركتني رحمة . ولقيه بعض أصحابه في

---

١ ق : مكة .

٢ لي : ودخل أبو العيناء .

٣ ل ن : دلة .

٤ لي : بلى ولكني .

السَّحَر، فجعل يتعجب من بكوره، فقال أبو العيناء: أراك تشركني في الفعل، وتفردني بالتعجب. وذكر له أن المتوكل قال: لولا أنه ضرير لنادمناه، فقال: إن أعفاني من رؤية الأهلة وقراءة نقوش الفُصوص فأنا أصلح للمنادمة. وقيل له: إلى متى تمدح وتهجو؟ فقال: ما دام المحسن محسناً والمسيء مسيئاً، بل أعوذ بالله أن أكون كالعقرب التي تلسب النبي والذمي.

وذكر الزمخشري في كتاب «ربيع الأبرار» في باب الظلم قال أبو العيناء فقلت: قد تضافروا عليّ وصاروا يداً واحدة، فقال: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ (الفتح: ١٠) قلت: فإن لهم مكراً، قال: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ (فاطر: ٤٣) قلت: هم كثير، قال: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ (البقرة: ٢٤٩).

وكان بينه وبين ابن مكرم مداعبات، فسمع ابن مكرم رجلاً يقول: من ذهب بصره قلت حيلته، فقال: ما أغفلك عن أبي العيناء! ذهب بصره فعظمت حيلته. وقد ألم أبو علي البصير إلى هذا المعنى يشير به إلى أبي العيناء، فقال:

قد كنت خفتُ يدَ الزما ... ن عليكَ أنْ ذهبَ البصرْ
لم أدر أنــكَ بالعمى ... تغنى ويفتقــر البشر

وسمع ابن مكرم أبا العيناء يقول في بعض دعائه: يا رب سائلك، فقال: يا ابن الفاعلة، ومن لست[1] سائله. وقال له ابن مكرم يوماً يعرض به: كم عدد المكدين بالبصرة؟ فقال له: مثل عدد البغائين ببغداد.

ودخل على ابن ثوابة عقيب كلام جرى بينه وبين أبي الصقر أربى ابن ثوابة عليه فيه، فقال له: بلغني ما جرى بينك وبين أبي الصقر، ومــا منعه من استقصاء الجواب إلا أنه لم يجد عزاً فيضعه، ولا مجداً فينقصه، وبعد فإنــه عافَ لحمك أن يأكله، وسهك[2] دمك أن يسفكه، فقال ابن ثوابة: وما أنت

---

١ ر: ومن لست فاعله؛ ن: ومن الذي ليس، ق: ومن لست بسائله.

٢ لي: ونهك؛ ن ل ق بر: وسهل؛ س ت: وسفك؛ وسهك بمعنى كره رائحته.

والدخول بيني وبين هؤلاء يا مكدي ؟ فقال : لا تنكر على ابن ثمانين قد ذهب بصره وجفاه سلطانه أن يعوّل على إخوانه فيأخذ من أموالهم، ولكن أشد من هذا من يستنزل الماء من أصلاب الرجال فيستفرغه في جوفه ، فيقطع أنسابهم ويعظم أوزارهم ، فقال ابن ثوابة : ما تساب اثنان إلا غلب ألأمهما ، فقال أبو العيناء : وبها غلبت أبا الصقر بالأمس ، فأسكته .

ودخل على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة ست وأربعين ومائتين فقال له : ما تقول في دارنا هذه ؟ فقال : إن الناس بنوا الدور في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك ، فاستحسن كلامه ، ثم قال له : كيف شربك للخمر ؟ قال : أعجز عن قليله وأفتضح عند كثيره ، فقال له : دع هذا عنك ونادمنا ، فقال : أنا رجل مكفوف ، وكل من في مجلسك يخدمك ، وأنا أحتاج أن أُخدم[1] ولست آمن من أن تنظر إلي بعين راض ، وقلبك علي غضبان ، أو بعين غضبان وقلبك راض ، ومتى لم أميز بين هذين هلكت ، فأختار العافية على التعرض للبلاء ، فقال : بلغنا عنك بذاء في لسانك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد مدح الله تعالى وذم ، فقال ﴿ نعم العبد إنه أواب ﴾ (ص : ٤٤) وقال عز وجل ﴿ هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم ﴾ (القلم : ١١) وقال الشاعر :

إذا أنا بالمعروف لم أثْنِ صادقاً ... ولم أشتم النّكْسَ اللئيمَ المذمما
ففيمَ عرفتُ الخير والشر باسمه ... وشقّ ليَ الله المسامــع والفما

قال : فمن أين أنت ، قال : من البصرة ، قال : فما تقول فيها ؟ قال : ماؤها أجاج وحرها عذاب ، وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم .

ولما سلم نجاح بن سلمة إلى موسى بن عبد الله الأصبهاني ليستأدي ما عليه من الأموال عاقبه فتلف في مطالبته ، وذلك في يوم الاثنين لثمان بقيــن من ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائتين ، وفي تلك الليلة بلغ المعتز بالله ابن المتــوكل الخبر[2] ، فاجتمع بعض الرؤساء بأبي العيناء ، فقال له : ما عندك من خبر نجاح

---

[1] ق : وأنا أحتاج إلى من يخدمني .

[2] وذلك . . . الخبر : سقط من س بر من ل لي ت ؛ ق : الحكم .

ابن سلمة ؟ فقال أبو العيناء ﴿ فوكزه موسى فقضى عليه ﴾ (القصص : ١٥) فبلغت كلمته موسى فلقيه في الطريق فتهدده ، فقال له أبو العيناء ﴿ أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ﴾ (القصص : ١٩) .

وكتب إلى بعض الرؤساء وقد وعده بشيء فلم ينجزه : ثقتي بك تمنعني من استبطائك ، وعلمي بشغلك يدعوني إلى إذكارك ، ولست آمن ، مع استحكام ثقتي بطولك والمعرفة بعلو همتك ، اخترامَ الأجل ، فإن الآجال آفات الآمال ، فسح الله في أجلك ، وبلغك منتهى أملك ، والسلام .

وأحواله ونوادره كثيرة[1] .

وروي عنه أنه قال : كنت يوماً جالساً[2] عند أبي الحكم إذ أتاه رجل فقال له : وعدتني وعداً فإن رأيت أن تنجزه ، فقال : ما أذكره ، فقال : إن لم تذكره فلأن من تعده مثلي كثير ، وأنا لا أنساه ، لأن من أسأله مثلك قليل ، فقال : أحسنت لله أبوك[3] ، وقضى حاجته .

وكانت ولادته سنة إحدى وتسعين ومائة بالأهواز – كما تقدم ، ونشأ بالبصرة وكف بصره وقد بلغ أربعين سنة . وكان جده الأكبر لقي علي بن أبي طالب فأعياه في المخاطبة معه فدعا عليه بالعمى له ولولده ، فكل من عمي من ولد جدّ أبي العيناء فهو صحيح النسب فيهم ، هكذا قاله أبو سعيد[4] الطلحي . وخرج من البصرة وهو بصير وقدم سرّ من رأى فاعتلت عيناه فعمي وسكن بغداد مدة وعاد إلى البصرة ، وتوفي بها في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ، وقيل اثنتين وثمانين ومائتين[5] . وقال ابنه جعفر : توفي أبي لعشر ليال خلون من جمادى الأولى ، ومولده سنة تسعين ومائة ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى . ولقب بأبي

---

١ ورد هنا في ر ق والمختار ذكر تاريخ ولادة أبي العيناء .

٢ يوماً جالساً : سقط من س ن ل لي بر من والمختار ؛ وهذه القصة وردت آخر شيء في المختار . وفي بر : عند أبي الجهم .

٣ ن : لله درك .

٤ ق : سعد .

٥ س ل لي بر من : وقيل سنة ثمانين ومائتين ، وسقط ما بعد ذلك حتى قوله : تعالى .

العيناء لأنه قال لأبي زيد الأنصاري : كيف تصغر عينا ؟ فقال : عيينا يا أبا العيناء ، فبقي عليه .

وعَيْناء : بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون وبعدها ألف ممدودة .

وخلاد : بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام ألف .

وقد تقدم الكلام على اليمامة والأهواز فأغنى عن الإعادة .

٦٤٤

الواقدي

أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني مولى بني هاشم ، وقيل مولى بني سهم بن أسلم ؛ كان إماماً عالماً له التصانيف في المغازي وغيرها ، وله كتاب « الردة » ذكر فيه ارتداد العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومحاربة الصحابة رضي الله عنهم ، لطليحة بن خويلد الأزدي والأسود العنسي ومُسيلمة الكذاب ، وما أقصر فيه .

سمع من ابن أبي ذئب ومعمر بن راشد ومالك بن أنس والثوري وغيرهم . وروى عنه كاتبه محمد بن سعد – المذكور عقيبه[1] إن شاء الله تعالى – وجماعة من الأعيان ، وتولى القضاء بشرقي بغداد ، وولاه المأمون القضاء بعسكر المهدي . وضعفوه في الحديث وتكلموا فيه .

٦٤٤ – ترجمته في الفهرست : ٩٨ وطبقات ابن سعد ٧ : ٣٣٤ وكتاب بغداد : ٣٩ وتاريخ بغداد ٣ : ٣ ونور القبس : ٣١١ ومعجم الأدباء ١٨ : ٢٧٧ وتذكرة الحفاظ : ٣٤٨ وعبر الذهبي ١ : ٣٥٣ وميزان الاعتدال ٣ : ٦٦٢ وتهذيب التهذيب ٩ : ٣٦٣ وعيون الأثر ١ : ١٧ والشذرات ٢ : ١٨ .

١ ق : بعده ؛ وفي المختار : الآتي ذكره .

وكان المأمون يكرم جانبه ويبالغ في رعايته ، وكتب إليه مرة يشكو ضائقة لحقته وركبه بسببها دين ، وعيَّنَ مقداره في قصته ، فوقع المأمون فيها بخطه : فيك خلتان سخاء وحياء ، فالسخاء أطلق يديك بتبذير ما ملكت ، والحياء حملك أن ذكرت لنا بعض دينك ، وقد أمرنا لك بضعف ما سألت ، وإن كنا قصرنا عن بلوغ حاجتك فبجنايتك على نفسك ، وإن كنا بلغنا بغيتك فزد في بسطة يدك ، فإن خزائن الله مفتوحة ويده بالخير مبسوطة ، وأنت حدثتني حين كنت على قضاء الرشيد أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال للزبير : يا زبير إن مفاتيح الرزق بإزاء العرش ، ينزل الله سبحانه للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم ، فمن كثر كثر له ، ومن قلل قلل عليه ، قال الواقدي : وكنت نسيت الحديث ، فكانت مذاكرته إياي أعجب إليّ من صلته .

وروى عنه بشر الحافي – المقدم ذكره[1] – رضي الله عنه ، حكاية واحدة ، وهي أنه سمعه يقول : ما يكتب للحمى ، يؤخذ [ثلاث][2] ورقات زيتون تكتب يوم السبت وأنت على طهارة على واحدة منها « جهنم غرثي » وعلى الأخرى « جهنم عطشى » وعلى الأخرى « جهنم مقرورة » ثم تجعل في خرقة وتشد على عضد المحموم الأيسر ، قال الواقدي المذكور جربته فوجدته نافعاً ، هكذا نقل هذه الحكاية أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه الذي وضعه في أخبار بشر الحافي .

وروى المسعودي في كتاب « مروج الذهب » أن الواقدي المذكور قال : كان لي صديقان أحدهما هاشمي ، وكنا كنفس واحدة ، فنالتني ضائقة شديدة، وحضر العيد فقالت امرأتي : أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة ، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمةً لهم ، لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة ، فلو احتلْتَ في شيء تصرفه في كسوتهم ، قال: فكتبت إلى صديق لي وهو الهاشمي أسأله التوسعة عليّ بما حضر ، فوجه إليّ كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف درهم ،

---

١ ترجمة بشر في ج ١ : ٢٧٤ .

٢ زيادة من ن .

فما استقر قراري حتى كتب إليّ الصديق الآخر يشكو مثل مـــا شكوت إلى صاحبي الهاشمي ، فوجهت إليه الكيس بحاله ، وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليلتي مستحيياً من امرأتي ، فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه ، فبينا أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته ، فقال لي: اصدقني عما فعلته فيما وجهت به إليك، فعرفته الخبر على وجهه ، فقال لي: إنك وجهت إلي وما أملك على الأرض إلا مـــا بعثت به إليك ، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة ، فوجه كيسي بخاتمي ، قال الواقدي : فتواسينا ألف درهم فيما بيننا[1] ، ثم إنا أخرجنا للمرأة مائـة درهم قبل ذلك ، ونمي الخبر إلى المأمون ، فدعاني وسألني[2] ، فشرحت له الخبر ، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار ، لكل واحد منا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار .

وقد ذكر الخطيب في « تاريخ بغداد »[3] هذه الحكاية وبينها وبين ما ذكرناه هاهنا اختلاف يسير .

وكانت ولادة الواقدي في أول سنة ثلاثين ومائة . وتوفي عشية يوم الاثنين حادي عشر ذي الحجة سنة سبع ومائتين ، وهو يومئذ قاض ببغداد[4] في الجانب الغربي ، كذا قاله ابن قتيبة . وقال السمعاني : كان قاضياً بالجانب الشرقي كما تقدم ، والله أعلم . وصلى عليه محمد بن سماعة التميمي ودفن في مقابر الخيزُران، وقيل مات سنة تسع ، وقيل سنة ست ومائتين ، والأول أصح ، وقال الخطيب في « تاريخ بغداد » في أوّل ترجمة الواقدي : إنه توفي في ذي القعدة ، وقال في آخر الترجمة : إنه مات في ذي الحجة ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى [ورأيت بخطي في مسوّداتي أن الواقدي مات وعمره ثماني وسبعون سنة][5] .

---

١ ن : فقسمنا الألف بيننا .

٢ ن : فسألني ؛ وسقطت من رق والمختار .

٣ تاريخ بغداد ٣ : ١٩ — ٢٠ .

٤ ق : قاضي بغداد .

٥ ر . ورأيت بخطي في مسوداتي أن الواقدي عاش ثمانياً وأربعين سنة ؛ وقد سقطت العبارة من النسخ الأخرى .

والواقدي : بفتح الواو وبعد الألف قاف مكسورة ثم دال مهملة ، هذه النسبة إلى واقد وهو جده المذكور .

وقد تقدم الكلام على المدني .

وعسكر المهدي هي المحلة المعروفة اليوم بالرصافة في الجانب[1] الشرقي من بغداد ، عمّرها أبو جعفر المنصور لولده المهدي فنسبت إليه ، وهذا يؤيد أن الواقدي كان قاضي الجانب الشرقي لا الغربي ، والله أعلم .

٦٤٥

محمد بن سعد كاتب الواقدي

أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع ، الزهري البصري كاتب الواقدي ؛ كان أحد الفضلاء النبلاء الأجلاء ، صحب الواقدي المذكور قبله زماناً وكتب له فعرف به ، وسمع سفيان بن عيينة وأنظاره ، وروى عنه أبو بكر ابن أبي الدنيا وأبو محمد الحارث بن أبي أسامة التميمي وغيرهما وصنف كتاباً كبيراً في طبقات الصحابة والتابعين والخلفاء إلى وقته ، فأجاد فيه وأحسن ، وهو يدخل في خمس عشرة مجلدة[2] ، وله طبقات أخرى صغرى ، وكان صدوقاً ثقة .

ويقال اجتمعت كتب الواقدي عند أربعة أنفس : أولهم كاتبه محمد بن سعد المذكور ، وكان كثير العلم غزير الحديث والرواية كثير الكُتُبة[3] ، كتب

---

١ ق : بالجانب .

٦٤٥ – ترجمته في الفهرست : ٩٩ وتاريخ بغداد ٥ : ٣٢١ والوافي ٣ : ٨٨ وطبقات ابن سعد ٧ : ٣٦٤ وتذكرة الحفاظ : ٤٢٥ وعبر الذهبي ١ : ٤٠٧ وميزان الاعتدال ٣ : ٥٦٠ وغاية النهاية ١ : ١٤٢ والجرح والتعديل (رقم : ١٤٣٣) وتهذيب التهذيب ٩ : ١٨٢ والشذرات ٢ : ٦٩ والنجوم الزاهرة (وفيات : ٢٣٠) .

٢ ر ن : خمسة عشر مجلداً .

٣ ن : كثير كتب الحديث .

الحديث والفقه وغيرهما . وقال الحافظ أبو بكر الخطيب صاحب « تاريخ بغداد» في حقه[1] : ومحمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى في كثير من رواياته ، وهو من موالي الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب .

وتوفي يوم الأحد لأربع خلون من جمادى الآخرة، سنة ثلاثين ومائتين ببغداد. ودفن في مقبرة باب الشام ، وهو ابن اثنتين وستين سنة ، رحمه الله تعالى .

٦٤٦

الدولابي

أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعد ، الأنصاري بالولاء ، الوراق الرازي الدولابي؛ كان عالماً بالحديث والأخبار والتواريخ، سمع الأحاديث بالعراق والشام وروى عن محمد بن بشار وأحمد بن عبد الجبار العطاردي وخلق كثير ؛ وروى عنه الطبراني وأبو حاتم ابن حبّان البستي . وله تصانيف مفيدة في التاريخ ومواليد العلماء ووفياتهم ، واعتمد عليه أرباب هذا الفن في النقل وأخبروا عنه في كتبهم ومصنفاتهم المشهورة . وبالجملة فقد كان من الأعلام في هذا الشأن وممن يرجع إليه ، وكان حسن التصنيف . وتوفي سنة عشرين وثلثمائة بالعَرْج ، رحمه الله تعالى .

وروي عنه أنه كان ينشد لعروة بن حزام العُذْري [حيث قال][2] :

---

١ تاريخ بغداد ٥ : ٣٢١ .

٦٤٦ — ترجمته في المنتظم ٦ : ١٦٩ والوافي ٢ : ٣٦ وتذكرة الحفاظ : ٧٥٩ والأنساب ٥ : ٤١٣ ولسان الميزان ٥ : ٤١ والشذرات ٢ : ٢٦٠ ، ولم يورد في المختار من هذه الترجمة إلا بيتي عروة بن حزام .

٢ زيادة من ر ق .

إذا رامَ قلبي هجرها حالَ دونه شفيعان من قلبي لها جَدِلانِ
إذا قال : لا ، قالا : بلى، ثم أصبحوا جميعاً على الرأي الذي يريانِ[1]

والدولابي : بضم الدال المهملة وفتحها — قال السمعاني : والفتح أصح — وسكون الواو وبعد اللام ألف باء موحدة ، هذه النسبة إلى الدولاب ، وهي قرية من أعمال الري ، وبالأهواز قرية يقال لها الدولاب ، وبها كانت الوقعة المشهورة للأزارقة ، وبشرقي بغداد موضع آخر يقال له الدولاب ، ودولاب الجار أيضاً موضع آخر ، والدولاب الذي يدار ويستعمل بضم الدال وفتحها .

والعَرْج : بفتح العين المهملة وسكون الراء وبعدها جيم ، وهي عَقَبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج[2] . والعرج أيضاً : قرية جامعة من نواحي الطائف إليها ينسب العَرْجي الشاعر ، وهو عبد الله [بن عمرو][3] بن عمر بن عثمان بن عفان ، رضي الله عنه .

ولا أعلم هل توفي الدولابي في العرج الأولى أم الثانيــة ، وباليمن بلد آخر يقال له سوق العرج[4] ، والله أعلم .

---

١ وروي عنه . . . يريان : سقط من س ل لي ت بر من .
٢ هنا تنتهي الترجمة فيما عدا ن ر .
٣ بن عمرو : سقط من ن ر .
٤ ق : يقال له العرج .

٦٤٧

المرزباني

أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبيد الله ، الكاتب المَرْزُباني الخراساني الأصل البغدادي المولد، صاحب التصانيف المشهورة والمجاميع الغريبة ؛ كان راوية للأدب صاحب أخبار ، وتواليفه كثيرة ، وكان ثقة في الحديث ومائلا إلى التشيع في المذهب ، حدث عن عبد الله بن محمد البغوي وأبي بكر ابن أبي داود السجستاني في آخرين .

وهو أول من جمع ديوان يزيد[1] بن معاوية بن أبي سفيان الأموي واعتنى به، وهو صغير الحجم يدخل في مقدار ثلاث كراريس ، وقد جمعه من بعده جماعة وزادوا فيه أشياء كثيرة ليست له وكنت حفظت جميع ديوان يزيد لشدة غرامي به ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بمدينة دمشق وعرفت صحيحه من المنسوب إليه الذي ليس له ، وتتبعته حتى ظفرت بصاحب كل أبيات ، ولولا خوف التطويل لبينت ذلك . وشعر يزيد ، مع قلته ، في نهاية الحسن ، ومن أطايب شعره الأبيات العينية التي منها :

إذا رُمْتُ من ليلى على البعدِ نظرةً تُطَفِّي[2] جوًى بين الحشا والأضالعِ
تقولُ نساءُ الحي تَطْمَعُ أن تَرى محاسِنَ ليلى ؟ مُتْ بداءِ المطامعِ

---

٦٤٧ — ترجمته في تاريخ بغداد ٣ : ١٣٥ والفهرست : ١٣٢ ومعجم الادباء ١٨ : ٢٦٨ والوافي ٤ : ٢٣٥ وميزان الاعتدال ٣ : ٦٧٢ وعبر الذهبي ٣ : ٢٧ ولسان الميزان ٥ : ٣٣٦ والشذرات ٣ : ١١١ والنجوم الزاهرة ٤ : ١٦٨ وقد اتبعنا في ترتيب هذه الترجمة نسخة المختار .

١ ق : ودون شعر يزيد بن معاوية .

٢ ر : تطفي .

وكيفَ تَرى ليلى بعينٍ ترى بِهـا　سواها ؛ وما طَهَّرْتَهـا بالمدامع
وتلتذُّ منهـا بالحديثِ وقد جرى　حديث سواها في خُرُوقِ المسامع
أجلكِ يا ليلى عن العينِ إنمـا　أراكِ بقلبٍ خـاشعٍ لكِ خاضع

[ومن لطيف شعره قوله :

ولي وهْا إذا الكاسات دارتْ　رقى سحرٍ يفكُّ عرى الهمومِ
مُعاتبة ألذّ من الأمـاني　وبث جَوًى أرقّ من النسيمِ

ومن شعره :

وداعٍ دعاني والثريا كأنهـا　قلائص قد أعنقن خلف فنيقِ
وناولني كأساً كأنّ بنانه　مخلقـة من نورها بخلوق
إذا ما سما فيها المزاج حسبتَها　نجوم لآلٍ في سمـاءِ عقيق
وقال اغتنم من دهرنا غفلاته　فعقد نظام الدهر غير وثيق
وإنيَ من لذّاتِ دهري لقانعٌ　بحلوِ حديثٍ أو بمرّ عتيق
هما ما هما لم يبقَ شيءٌ سواهما　حديث صديق أو عتيق رحيق][1]

وكانت ولادة المرزباني المذكور[2] في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائتين، وقيل سنة ست وتسعين . وتوفي يوم الجمعة ثاني شوال سنة أربع وثمانين ، وقيل سنة ثمان وسبعين وثلثمائة ، والأول أصح ، رحمه الله تعالى ، وصلى عليه الفقيه أبو بكر الخوارزمي ودفن في داره بشارع عمرو[3] الرومي ببغداد في الجانب الشرقي .

وروى عن أبي القاسم البغدادي وأبي بكر ابن دريد وأبي بكر ابن الأنباري، وروى عنه أبو عبد الله الصيمري وأبو القاسم التنوخي وأبو محمد الجوهري وغيرهم.

---

١ زيادة من هامش المختار .
٢ ن : وكانت ولادته .
٣ س : عمر .

والمرزباني : بفتح الميم وسكون الراء وضم الزاي وفتح الباء الموحدة وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى بعض أجداده ، وكان اسمه المرزُبان ، وهذا الاسم لا يطلق عند العجم إلا على الرجل المقدم العظيم القدر، وتفسيره بالعربية حافظ الحدّ ، قاله ابن الجواليقي في كتابه « المعرب »[1] .

٦٤٨

أبو بكر الصولي

أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين الكاتب، المعروف بالصولي الشطرنجي ؛ كان أحد الأدباء الفضلاء المشاهير ، روى عن أبي داود السجستاني وأبي العباس ثعلب وأبي العباس المبرد وغيرهم ، وروى عنه أبو الحسن الدارقطني الحافظ ، وأبو عبيد الله المرزباني المذكور قبله وغيرهما . ونادم الراضي ، وكان أولاً يعلمه ثم نادم المقتدر ، ونادم قبله المكتفي .

وله التصانيف المشهورة منها كتاب « الوزراء » وكتاب « الورقة » وكتاب[2] « أدب الكاتب » وكتاب « الأنواع » وكتاب « أخبار أبي تمام » وكتاب « أخبار القرامطة » وكتاب « الفرر » وكتاب « أخبار أبي عمرو بن العلاء » وكتاب « العبادة »[3] وكتاب « أخبار ابن هَرْمَة » وكتاب « أخبار السيد الحميري » وكتاب « أخبار إسحاق بن إبراهيم » ، وجمع أخبار جماعة من الشعراء ، ورتبه

---

١ المعرب : ٣١٧ ؛ ق : في كتابه المعروف .

٦٤٨ – ترجمته في الفهرست : ١٥٠ ، ١٥٦ وتاريخ بغداد ٣ : ٤٢٧ ومعجم الأدباء ١٩ : ١٠٩ ونزهة الالبا : ١٨٨ ومعجم المرزباني : ٤٣١ واللباب : (الصولي) وعبر الذهبي ٢ : ٢٤١ ولسان الميزان ٥ : ٤٢٧ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٩٦ والشذرات ٢ : ٣٣٩ .

٢ لا ترد كلمة « كتاب » في سرد مؤلفاته في النسخ ن ل لي س من بر بعد هذا الموضع .

٣ س ن ق : العيادة .

على حروف المعجم ، وكلهم من الشعراء المحدثين ، وغير ذلك .

وكان ينادم الخلفاء ، وكان أغلب فنونه أخبار الناس ، وله رواية واسعة ومحفوظات كثيرة ، وكان حسن الاعتقاد جميل الطريقة مقبول القول ، وكان أوحد وقته في لعب الشطرنج ، لم يكن في عصره مثله في معرفته . والناس إلى الآن يضربون به المثل في ذلك فيقولون لمن يبالغون في حسن لعبه « فلان يلعب الشطرنج[1] مثل الصولي »[2] .

ورأيت خلقاً كثيراً يعتقدون أن الصولي المذكور هو الذي وضع الشطرنج ، وهو غلط ، فإن الذي وضعه صِصّه بن داهر الهندي ، واسم الملك الذي وضعه له شِهْرام ، بكسر الشين المعجمة .

وكان أردشير ابن بابك أول ملوك الفرس الأخيرة قد وضع النرد ، ولذلك قيل له النردشير لأنهم نسبوه إلى واضعه المذكور ، وجعله مثالاً للدنيا وأهلها[3] ، فرتب الرقعة اثني عشر بيتاً بعدد شهور السنة ، وجعل القطع ثلاثين قطعة بعدد أيام كل شهر ، وجعل الفصوص مثل القدر وتقلّبه بأهل الدنيا . وبالجملة فالكلام في هذا يطول ويخرج عما نحن بصدده ؛ فافتخرت الفرس بوضع النرد وكان ملك الهند يومئذ بَلْهَيْت ، فوضع له صِصّه المذكور الشطرنج ، فقضت حكماء ذلك العصر بترجيحه على النرد لأمور يطول شرحها .

ويقال إن صِصّه لما وضع الشطرنج وعرضه على الملك شِهْرام المذكور أعجبه وفرح به كثيراً ، وأمر أن يكون في بيوت الديانة ، ورآه أفضل ما علم لأنه آلة للحرب وعز للدين والدنيا وأساس لكل عدل ، وأظهر الشكر والسرور على ما أنعم عليه في ملكه منه ، وقال لصِصّه : اقترح علي ما تشتهي ، فقال له : اقترحت أن تضع حبة قمح في البيت الأول ، ولا تزال تضعفها حتى تنتهي إلى آخرها ، فمها بلغ تعطيني ، فاستصغر الملك ذلك ، وأنكر عليه كونه

---

١ ق س : بالشطرنج ؛ ر : في الشطرنج .

٢ ن : فيقولون : فلان يلعب ....وهم يبالغون في ذلك في حسن لعبه

٣ بهامش ن هنا تعليق طويل حول تحريم الشطرنج والنردشير وتحليلهما ؛ وهو بخط غير خط الأصل .

قابله بالنزر اليسير ، وكان قد أضمر له شيئاً كثيراً ، فقال : ما أريد إلا هذا ، فرادّه[1] فيه وهو مصر عليه فأجابه إلى مطلوبه وتقدم له به ، فلما قيل لأرباب الديوان حسبوه فقالوا ما عندنا قمح يفي بهذا ولا بما يقاربه ، فلما قيل الملك استنكر هذه المقالة ، وأحضر أرباب الديوان وسألهم فقالوا له : لو جمع كل قمح في الدنيا ما بلغ هذا القدر ، فطالبهم بإقامة البرهان على ذلك ، فقعدوا وحسبوه ، فظهر له صدق ذلك[2] ، فقال الملك لصصّه : أنت في اقتراحك ما اقترحت أعجب حالاً من وضعك الشطرنج .

وطريق هذا التضعيف أن يضع الحاسب في البيت الأول حبة وفي الثـاني حبتين وفي الثالث أربع حبات وفي الرابع ثماني حبات ، وهكذا إلى آخره ، كلما انتقل إلى بيت ضاعف ما قبله وأثبته فيه . ولقد كان في نفسي من هذه المبالغة شيء حتى اجتمع بي بعض حُسّاب الإسكندرية ، وذكر لي طريقاً تبين لي صحة ما ذكروه ، وأحضر لي ورقة بصورة ذلك ، وهو أنه ضاعف الأعداد إلى البيت السادس عشر فأثبت فيه اثنين وثلاثين ألفاً وسبعمائة وثمانياً وستين حبة ، وقال : تجعل هذه الجملة مقدار قدح ، وقد اعتبرتها[3] فكانت كذلك ، والعهدة عليه في هذا النقل ، ثم ضاعف القدح في البيت السابع عشر ، وهكذا حتى بلغ ويبة في البيت العشرين ثم انتقل إلى الويبات ، ومنها إلى الأرادب ، ولم يزل يضاعفها حتى انتهى في بيت الأربعين إلى مائة ألف إردب وأربعة وسبعين ألف إردب وسبعمائة واثنين وستين إردباً وثلثين ، فقال : تجعل هذه الجملة في شونة فإن الشونة لا يكون فيها أكثر من هذا ، ثم ضاعف الشون إلى بيت الخمسين فكانت الجملة ألفاً وأربعاً وعشرين شونة ، فقال : تجعل هذه في مدينة ، فإن المدينـة لا يكون فيها أكثر من هذه الشون ، وأي مدينة يكون فيها هذه الجملة من الشون ؟ ثم ضاعف المدن حتى انتهى في البيت[4] الرابع والستين — وهـو آخر

---

[1] ن س ت والمختار : فرواده ؛ ل لي بر من : فراوده .

[2] ر : فظهر صحة ذلك له .

[3] ت لي من بر : عبرتها ؛ س : عبر بها .

[4] لي : في بيت .

أبيات رقعة الشطرنج – إلى ستة عشر ألف مدينة وثلثمائة وأربع وثمانين مدينة، وقال : تعلم أنه ليس في الدنيا مدن أكثر من هذا العدد، فإن دور كرة الأرض معلوم بطريق الهندسة، وهو ثمانية آلاف فرسخ، بحيث لو وضعنا طرف حبل على أي موضع كان من الأرض وأدرنا الحبل على كرة الأرض حتى انتهينا بالطرف الآخر إلى ذلك الموضع من الأرض والتقى الطرفان فإذا مسحنا ذلك الحبل كان طوله أربعة وعشرين ألف ميل، وهي ثمانية آلاف فرسخ، وهو قطعي لا شك فيه، ولولا خوف التطويل والخروج عن المقصود لبينت ذلك – وسأذكره إن شاء الله تعالى في ترجمة بني موسى[1] – وتعلم ما في الأرض من المعمور وهو مقدار ربع الكرة بطريق التقريب .

وقد انتشر الكلام وخرجنا عن المقصود، لكنه ما خلا عن فائدة، فإن هذه الطريقة غريبة، فأحببت إثباتها ليقف عليها من يستنكر ما قالوه في تضعيف رقعة الشطرنج ويعلم أن ذلك حق، وأن هذه الطريقة سهلة[2] الاطلاع على حقيقة ما ذكروه .

ولنرجع إلى حديث الصولي :

حكى المسعودي في كتاب « مروج الذهب »[3] أن الإمام الراضي بالله أتى في بعض منتزهاته بستاناً مونقاً وزهراً رائقاً، فقال لمن حضره ممن كان من ندمائه : هل رأيتم منظراً أحسن من هذا ؟ فكلّ أثنى، وذهب فيه إلى مدحه ووصف محاسنه، وأنها لا يفي بها شيء من زهرات الدنيا، فقال الراضي : لعب الصولي بالشطرنج أحسن من هذا، ومن كل ما تصفون .

ثم قال المسعودي : وقد ذكر أن الصولي في بدء دخوله على الإمام المكتفي، وقد كان ذكر له تخرجه في اللعب بالشطرنج، وكان الماوردي اللاعب متقدماً

---

١ وهو ثمانية ... موسى : سقط من ر .

٢ ت : سهلت .

٣ مروج الذهب ٤ : ٣٢٤ .

عنده ، متمكناً من قلبه معجباً به للعبه ، فلما لعبا جميعاً بحضرة المكتفي حمل المكتفي حسنُ رأيه في الماوردي وتقدم الحرمة في الألفة على نصرته وتشجيعه وتنبيهه حتى أدهش ذلك الصولي في أول وهلة ، فلما اتصل اللعب بينهما وجمع له الصولي متانته وقصد قصده غلبه غلباً لا يكاد يرد عليه شيئاً ، وتبين حسن لعب الصولي للمكتفي ، فعدل عن هواه ونصرة الماوردي ، وقال له : عاد ماء وردك بَوْلاً .

وأخبار الصولي ونوادره كثيرة ، وماجراياته أكثر من أن تحصى . ومع فضائله والاتفاق على تفننه في العلوم وخلاعته وظرافته ما خلا من منتقص هجاه هجواً لطيفاً ، وهو أبو سعيد العقيلي ، فإنه رأى له بيتاً مملوءاً كتباً قد صفّها وجلودها مختلفة الألوان، وكان يقول : هذه كلها سماعي، وإذا احتاج إلى معاودة شيء منها قال : يا غلام هات الكتاب الفلاني ، فقال أبو سعيد المذكور هذه الأبيات :

إنما الصوليُّ شيخٌ أعلم الناس خِزانَهْ
إن سألناهُ بعلمٍ طلباً منه إبانه
قال يا غلمان هاتوا رزمة العلم فلانه

وتوفي الصولي المذكور سنة خمس – وقيل ست – وثلاثين وثلثمائة بالبصرة مستتراً ، لأنه روى خبراً في حق علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فطلبته الخاصة والعامة لتقتله فلم تقدر عليه ، وكان قد خرج من بغداد لإضاقة لحقته .

وقد سبق الكلام على الصولي في ترجمة إبراهيم بن العباس الصولي ، وهو عم والد أبي بكر المذكور ، فليطلب هناك .

وصِصَّه : بصادين مهملتين الأولى منهما مكسورة والثانية مشددة مفتوحة وفي الآخر هاء ساكنة .

وداهر : بدال مهملة وبعد الألف هاء مكسورة ثم راء .

وأرْدَشِيرُ : بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الدال المهملة وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفي آخرها راء ؛ هكذا قاله الحافظ

الدارقطني [وقال غير الدارقطني : هذا لفظ عجمي ، وتفسيره بالعربي دقيق وحليب ، فأرد : دقيق ، وشير : حليب ، وقيل دقيق وحلاوة ، وقيل إنه بالزاي لا بالراء ، والله أعلم][1] وهو الذي أباد ملوك الطوائف ، ومهـــد الملك لنفسه ، واستولى على الممالك ، وهو جد ملوك الفرس الذين آخرهم يزدجرد ، وكان انقراض ملكهم في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة[2] ، وأخبارهم مشهورة [وهؤلاء غير ملوك الفرس الأوائل الذين آخرهم دارا بن دارا الذي قتله الإسكندر ، ورتب في البلاد ملوك الطوائف وسمــاهم بذلك لأن كل ملك يحكم على طائفة مخصوصة ، بعد أن كانت الممالك لرجل واحد ، وكان أردشير من ملوك الطوائف ، ثم استقل بالجميع كالعادة الأولى ، وكانت مدة مملكة ملوك الطوائف أربعمائة سنة ، ومدة مملكــة ملوك الفرس الأواخر أربعمائة سنة][1] .

ويَزْدَجِرْدُ : بفتح الياء المثناه من تحتها وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وكسر الجيم وسكون الراء وفي الآخر دال مهملة .

وأما بَلَنْهَيْتُ ملك الهند فلا أتحقق ضبطه ، غير أني وجدته مضبوطاً بخط الناسخ ، وقد فتح الباء الموحدة وسكن اللام وفتح الهاء وسكن الياء المثنـــاة من تحتها وبعدها تاء مثناة من فوقها ، والله أعلم بصحة ذلك من سقمه .

---

١ ما بين معقفين انفردت به رق .

٢ ر بر : للهجرة .

٦٤٩

الحـــاتمي

أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر، الكاتب اللغوي البغدادي المعروف بالحاتمي؛ أحد الأعلام المشاهير المطلعين المكثرين، أخذ الأدب عن أبي عمر الزاهد غلام ثعلب – وقد تقدم ذكره[1] – وروى عنه أخباراً وأملاها في مجالس الأدب، وروى عن غيره أيضاً، وأخذ عنه جماعة من النبلاء: منهم القاضي أبو القاسم التنوخي – المقدم ذكره[2] – وغيره، وله «الرسالة الحاتمية» التي شرح فيها ما جرى بينه وبين أبي الطيب المتنبي من إظهار سرقاته وإبانة عيوب شعره، ولقد دلت على غزارة مادته وتوفر اطلاعه.

وحكى في أول الرسالة السبب الحامل له على ذلك فقال[3]: لما ورد أحمد بن الحسين المتنبي مدينة السلام منصرفاً عن مصر ومتعرضاً للوزير أبي محمد المهلبي بالتخييم عليه والمقام لديه، التحف رداء الكبر وأذال ذيول التيه، ونأى بجانبه استكباراً وثنى عطفيه جبرية وازوراراً، فكان لا يلاقي أحداً إلا أعرض عنه تيهاً وزخرف القول عليه تمويهاً، تخيل عجباً إليه أن الأدب مقصور عليه، وأن الشعر بحر لم يرد نمير مائه غيره وروض لم يرد نواره سواه، فهو يجني جنـــاه ويقطف قطوفه دون من تعاطاه، وكل مُجْرٍ في الخلاء يُسَرُّ ولكل نبأ مستقر،

---

٦٤٩ – ترجمته في تاريخ بغداد ٢ : ٢١٤ واليتيمة ٣ : ١٠٨ ومعجم الأدباء ١٨ : ١٥٤ والمحمدون : ٢٣٠ والانباه ٣ : ١٠٣ والوافي ٢ : ٣٤٣ وانظر الامتاع ١ : ١٣٥ والشذرات ٣ : ١٢٩ وعبر الذهبي ٣ : ٤٠ وبغية الوعاة : ٣٥ واللباب والأنساب : (الحاتمي) والمنتظم (وفيات سنة ٣٨٨) ؛ وورد اسمه في ت ر: محمد بن الحسين؛ وقد اكتفى المختار من هذه الترجمة بايراد ثلاثة أبيات من الشعر.

١ انظر الترجمة رقم: ٦٣٨.

٢ انظر ج ٣ : ٣٦٦.

٣ نص الرسالة الموضحة.

فغبر جارياً على هذه الوتيرة مدة مديدة أجرى به رسَنَ البغي فيها . فظل يمرح في تيهه حتى إذا تخيل أنه السابق الذي لا يجارى في مضمار ولا يساوى عذاره بعذار ، وأنه رب الكلام ومقتضّ عذارى الألفاظ ، ومالك رق الفصاحة نثراً ونظماً وقَريعُ دهرِهِ الذي لا يقارع فضلاً وعلماً ، وثقلت وطأته على كثير مما وسم نفسه بميسم الأدب ، وأنبط من مائه أعذبَ مشرب ، فطأطأ بعض رأسه وخفض بعض جناحه وطامن على التسليم له طرفه ، وساء معز الدولة أحمد بن بويه — المقدم ذكره[1] — وقد صورت حاله ، أن يرد حضرته وهي دار الخلافة ومستقر العز وبيضة الملك رجلٌ صدَرَ عن حضرة سيف الدولة بن حمدان — وقد تقدم ذكره أيضاً — وكان عدواً مبايناً لمعز الدولة ، فلا يلقى أحداً بمملكته يساويه في صناعته ، وهو ذو النفس الأبية والعزة الكسروية ، والهمة التي لو همت بالدهر لما تصرفت بالأحرار صروفه ولا دارت عليهم دوائره[2] ، وتخيل الوزير المهلبي ، رجماً بالغيب ، أن أحداً لا يستطيع مساجلته ولا يرى نفسه كفؤاً له ولا يضطلع بأعبائه فضلاً عن التعلق بشيء من معانيه ، وللرؤساء مذاهب في تعظيم من يعظمونه وتفخيم من يفخمونه وتكرمة من يراعونه ويكرمونه ، وربما حالت بهم الحال وأوشكوا عن هذه الخليقة الانتقال ، وتلك صورة الوزير المهلبي في عوده عن رأيه هذا فيه ، ولم يكن هناك مزية يتميز بها أبو الطيب عن الهجين الجذع من أبناء الأدب فضلاً عن العتيق القارح إلا الشعر ، ولعمري إن أفنانه كانت فيه رطبة وجنانه عذبة فنهَدت له متتبعاً عواره ومقلماً أظفاره ومذيعاً أسراره ، وناشراً مطاويه ومنتقداً من نظمه ما تسمَّحَ فيه ، ومتحيّناً أن تجمعنا دار يشار إلى ربهـــا فأجري أنا وهو في مضمار يعرف به السابق من المسبوق واللاحق من المقصر عن اللحوق ، وكنتُ إذ ذاك ذا سحاب مِدْرارٍ وزَنْد في كل فضيلة وار ، وطبع يناسب صفْوَ العُقار إذا وشيت بالحَبَاب ووشت بها سرائر الأكواب ، هذا وغدير الصبا صاف ورداؤه ضاف ، وديباجة العيش غضة وأرواحه معتلة وغمائمه منهلة ، وللشبيبة شِرَّة وللاقبال من الدهر غرة ، والخيل

---

[1] انظر ج ١ : ١٧٤ .

[2] ر : دوائره وحتوفه .

تجري يوم[1] الرهان بإقبال أربابها لا بعروقها ونصابها ، ولكل امرىء حظ من موافاة زمانه ، يُقْضى في ظله أرب ويُدْرَك مطلب ويُتَوسع مَراد ومذهب ، حتى إذا عَدَتْ عن اجتماعنا عوادٍ من الأيام قصدت مستقره وتحتي بغلة سفواء تنظر عن عيني بازٍ وتتشوف بمثل قادمَتَيْ نسرٍ ، وهي مركب رائع، وكأنني كوكب وقاد من تحته غمامة يقتادها زمام الجنوب ، وبين يدي عدة من الغلمان الرُوقَة[2] مماليك وأحرار يتهافتون تهافت فريد الدر عن أسلاكه. ولم أورد هذا متبجحاً ولا متكثراً بذكره ، بل ذكرته لأن أبا الطيب شاهد جميعه في الحال، ولم ترعه روعته ولا استعطفه زبرجه ، ولا زادته تلك الجملة الجميلة التي ملأت أتهمة طرفه وقلبه إلا عجباً بنفسه وإعراضاً عني بوجهه ، وكان قد أقام هناك سوقاً عند أغيلمة لم تَرُضْهم العلماء ولا عركتهم رحى النظراء ، ولا أنضوا أفكاراً في مدارسة الأدب ، ولا فرقوا بين حلو الكلام ومره وسهله ووعره ، وإنما غاية أحدهم مطالعة شعر أبي تمام وتعاطي الكلام على نبذ من معانيه، وعلى ما تعلقت الرواة مما يجوز فيه ، فألفيت هناك فتية تأخذ عنه شيئاً من شعره . فحين أوذن بحضوري واستؤذن عليه لدخولي ، نهض من مجلسه مسرعاً ووارى شخصه عني مستخفياً ، وأعجلته نازلاً عن البغلة وهو يراني لانتهائي بها إلى حيث أخذها طرفه، ودخلت فأعظمت الجماعة قدري وأجلستني في مجلسه ، وإذا تحته أخلاق عباءة قد ألَحَّتْ عليها الحوادثُ فهي رسوم داثرة وأسلاك متناثرة ، فلم يكن إلا ريثما جلست ، فنهضت[3] ، فوفيته حق السلام غير مشاحٍّ له في القيام، لأنه إنما اعتمد بنهوضه عن الموضع ألا ينهض إلي، والغرض كان[4] في لقائه غير ذلك ، وحين لقيته تمثلت بقول الشاعر :

وفي المَمْشَى إليكَ عليَّ عــارٌ ولكن الهَوَى منَعَ القَرارا

---

١ ت س : في يوم.

٢ ن : الروم .

٣ ن : وإذا به فنهضت ؛ ق : فأتانا فنهضت .

٤ ر : كان لي .

فتمثل بقول الآخر :

يَشْقى رجالٌ ويشقى آخرونَ بِهم ويُسعِدُ الله أقواماً بأقوامِ
وليس رزقُ الفتى من فضل حيلته لكن جُدُودٌ وأرْزاقٌ بأقسام
كالصيد يحرمُه الرامي المُجيد وقد يرمي فيحرزه مَنْ ليس بالرامي

وإذا به لابس سبعة أقبية كل قَباء منها لون ، وكنا في وغرة[1] القيظ وجمرة الصيف وفي يوم تكاد ودائع الهامات تسيل فيه ، فجلست مستوفزاً وجلس متحفزاً[2] ، وأعرض عني لاهياً وأعرضت عنه ساهياً ، أؤنب نفسي في قصده وأستخفُ رأيها في تكلف ملاقاته ، فغبر هنية ثانياً عِطْفه لا يعيرني طرفه ، وأقبل على تلك الزّعنفة التي بين يديه ، وكل يومي إليه ويوحي بلحظه ويشير إلى مكاني بيديه[3] ، ويوقظه من سِنَته وجهله ، ويأبى إلا ازوراراً ونفاراً وعتوّاً واستكبارا ، ثم رأى أن يثني جانبه إليّ ويقبل بعض الإقبال علي ، فأقسمت بالوفاء والكرم ، فإنهما من محاسن القسم[4] ، أنه لم يزد على أن قال: أيش خبرك، فقلت : بخير أنا لولا ما جنيته على نفسي من قصدك ووسمت به قدري من ميسم الذل بزيارتك وجشمت رأيي من السعي إلى مثلك ، ممن لم تهذبه تجربة ولا أدبته بصيرة . ثم تحدرت عليه تحدر السيل إلى قرارة الوادي وقلت له : أبنْ لي مم تيهك وخيلاؤك وعجبك وكبرياؤك؟ وما الذي يوجب ما أنت عليه من الذهاب بنفسك والرمي بهمتك إلى حيث يقصر عنه باعُكُ ولا تطول إليه ذراعك؟ هل هاهنا نسب انتسبت إلى المجد به ؟ أو شرف علقت بأذياله ؟ أو سلطان تسلطت بعزه أو علم تقع الإشارة إليك به ؟ إنك لو قدّرت نفسك بقدرها أو وزنتها بميزانها ولم يذهب بك التيه مذهباً لما عدوت أن تكون شاعراً مكتسباً،فامتقع[5]

---

١ في النسخ ما عدا ر : وعرة .

٢ ر : محتفزاً .

٣ ر : بيده .

٤ ق : الشيم .

٥ ن ر : فانتفع .

أرفه يغص بريقه، وجعل يلين في الاعتذار ويرغب في الصفح والاغتفار، ويكرر الأيمان أنه لم يثبتني، ولا اعتمد التقصير بي، فقلت: يا هذا إن قَصَدَك شريف في نسبه تجاهلت نسبه، أو عظيم في أدبه صغرت أدبه، أو متقدم عند سلطانه خفضت منزلته، فهل المجد تراث لك دون غيرك؟ كلا والله، لكنك مددت الكبر ستراً على نقصك وضربته رواقاً حائلاً دون مباحثتك، فعاود الاعتذار فقلت: لا عذر لك مع الاصرار. وأخذت الجماعة في الرغبة إليّ في مياسرته وقبول عذره، واستعمال الأناة التي تستعملها[1] الحَزَمَةُ عند الحفيظة، وأنا على شاكلة واحدة في تقريعه وتوبيخه وذم خليقته، وهو يؤكد القسم أنه لم يعرفني معرفة ينتهز معها[2] الفرصة في قضاء حقي، فأقول: ألم أستأذن[3] عليك باسمي ونسبي؟ أما كان في هذه الجماعة من كان يعرفني لو كنت جهلتني؟ وهب أن ذلك كذلك، ألم تر شارتي؟ أما شممت عطر نَشْري؟ ألم أتميز في نفسك عن غيري؟ وهو في أثناء ما أخاطبه وقد ملأت سمعه تأنيباً وتفنيداً يقول: خَفِّض عليك، اكفف من غَرْبك، اردد من سَوْرتك[4]، استأنِ فإن الأناة من شيم مثلك، فأصحب حينئذ جانبي له ولانت عريكتي في يده، واستحييت من تجاوز الغاية التي انتهيت إليها في معاتبته، وذلك بعد أن رُضْته رياضة الصعب من الإبل، وأقبل عليّ معظماً وتوسع في تقريظي مفخماً، وأقسم أنه ينازع منذ ورد العراق ملاقاتي ويَعِدُ نفسه بالاجتماع معي ويسوفها[5] التعلق بأسباب مودتي. فحين استوفى القول في هذا المعنى استأذن عليه فتى من فتيان الطالبيين الكوفيين، فأذن له، فإذا حَدَثٌ مرهف الأعطاف تميل به نشوة الصبا، فتكلم فأعرب عن نفسه، فإذا لفظ رخيم ولسان حلو وأخلاق فكهة وجواب حاضر وثغر

---

[1] ر: استعملها؛ س: يستعملها الخدمة.

[2] ر: بها.

[3] رق بر مز: يستأذن.

[4] ر: صوتك.

[5] ر: ويسومها؛ بر: ويشوقها.

باسم ، في أناة الكهول ، ووقار المشايخ[1] ، فأعجبني ما شاهدته من سمته وملكني ما تبينته من فضله ، فجاراه أبياتاً .

ومن هاهنا كان افتتاح الكلام بينهما في إظهار سرقاته ومعايب شعره ؛ وقد طال الكلام لكنه لزم بعضه بعضاً فما أمكن قطعه . وهذه الرسالة تشتمل على فوائد جمة ، فإن كان كما ذكر أنه أبان له جميعها في ذلك المجلس فما هذا إلا اطلاع عظيم ، وقد سماها « الموضحة » وهي كبيرة تدخل في اثنتي عشرة كراسة شهدت لصاحبها بالفضل الباهر ، مع سرعة الاستحضار وإقامة الشاهد . وله كتاب « حلية المحاضرة » يدخل في مجلدين ، وفيه أدب كثير أيضاً .

وتوفي الحاتمي المذكور يوم الأربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

وذكر الحاتمي[2] أنه اعتل فتأخر عن مجلس شيخه أبي عمر الزاهد المذكور في أول هذه الترجمة ، فسأل عنه ، فقيل له : إنه مريض ، فجاءه يعوده ، فوجده قد خرج إلى الحمام ، فكتب على بابه بإسفيداج :

وأعْجَبُ شيءٍ سمِعنا بهِ عليلٌ يُعاد فلا يُوجَدُ

والحاتمي : بفتح الحاء المهملة وبعد الألف تاء مثناة من فوقها مكسورة وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى بعض أجداده اسمه حاتم .

---

1 ر : الشيوخ .

2 ر ق : الحاتمي المذكور ؛ قلت : وقد وردت هذه القصة في ترجمة أبي عمر المطرز ص : ٣٢٩ من هذا الجزء ؛ وفي هامش ن ما يفيد ذلك أيضاً .

٦٥٠

ابن القوطية

أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم ، المعروف بابن القـوطيـّة ، الأندلسي الإشبيلي الأصل القرطبي المولد والدار ؛ سمع بإشبيلية من محمد بن عبدالله بن القوق ، وحسن بن عبد الله الزبيدي ، وسعيد بن جابر وغيرهم ، وسمع بقرطبة من طاهر بن عبد العزيز وابن أبي الوليد الأعرج ومحمد بن عبد الوهاب ابن مغيث وغيرهم[١] . كان من أعلم أهل زمانه باللغة العربية ، وكان مع ذلك حافظاً للحديث والفقه والخبر والنادر[٢] ، وأروى الناس للأشعار وأدركهم للآثار ، لا يلحق شأوه ولا يشق غباره ، وكان مضطلعاً بأخبار الأندلس مَلِيّاً برواية سير أمرائها وأحوال فقهائها وشعرائها ، يملي ذلك عن ظهر قلب ، وكانت كتب اللغة أكثر ما تقرأ عليه وتؤخذ عنه ، ولم يكن بالضابط لروايتـه في الحديث والفقه ولا كانت له أصول يرجع إليها ، وكان ما يسمع[٣] عليه من ذلك إنما يحمل على المعنى لا على اللفظ ، وكان كثيراً ما يقرأ عليه ما لا رواية له به على جهة التصحيح ، وطال عمره فسمع الناس منه طبقة بعد طبقة ، وروى عنه الشيوخ والكهول ؛ وكان قد لقي مشايخ عصره بالأندلس وأخذ عنهم وأكثر من النقل من فوائدهم .

وصنف الكتب المفيدة في اللغة ، منها كتاب « تصاريف الأفعال » وهو

---

٦٥٠ – ترجمته في انباه الرواة ٣ : ١٧٨ والجذوة : ٧١ وتاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٨ والديباج المذهب : ٢٦٢ واليتيمة ٢ : ٧٤ وبغية الوعاة : ٨٤ ومعجم الادباء ١٨ : ٢٧٢ وعبر الذهبي ٢ : ٣٤٥ والنفح ٣ : ٧٣ .

١ سمع . . . وغيرهم : سقط من س ن لي ل بر من والمختار .

٢ لي : والنوادر .

٣ ن : سمع .

الذي فتح هذا الباب فجاء من بعده ابن القَطّاع وتبعه – كما سبق في ترجمته[1] – وله كتاب « المقصور والممدود » جمع فيه ما لا يحد ولا يوصف ، ولقد أعجز من يأتي[2] بعده وفاق من تقدمه .

وكان أبو علي القالي لما دخل الأندلس اجتمع به ، وكان يبالغ في تعظيمه حتى قال له الحكم بن الناصر لدين الله عبد الرحمن صاحب الأندلس يومئذ : من أنبل من رأيته ببلدنا هذا في اللغة ؟ فقال : محمد ابن القوطية ، وكان مع هذه الفضائل من العباد النساك ، وكان جيد الشعر صحيح الألفاظ واضح المعاني حسن المطالع والمقاطع ، إلا أنه ترك ذلك ورفضه .

حكى الأديب الشاعر أبو بكر يحيى بن هذيل التميمي[3] أنه توجه يوماً إلى ضيعة له بسفح جبل قرطبة ، وهي من بقاع الأرض الطيبة المونقة ، فصادف أبا بكر ابن القوطية المذكور صادراً عنها ، وكانت له أيضاً هناك ضيعة ، قال: فلما رآني عرج علي واستبشر بلقائي ، فقلت له على البديهة مداعباً له :

من أينَ أقبلتَ يا من لا شبيه له ... ومن هو الشمسُ والدنيا له فلكُ

قال : فتبسم وأجاب بسرعة :

من منزلٍ يعجب النساك خلوته ... وفيه سترٌ على الفتاك إن فتكوا

قال : فما تمالكت أن قبلت يده إذ كان شيخي ، ومجدته ودعوت له .

وتوفي أبو بكر المذكور يوم الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع وستين وثلثمائة بمدينة قرطبة ، ودفن يوم الأربعاء وقت صلاة العصر بمقبرة قريش رحمه الله تعالى ، وقيل إنه توفي في رجب من السنة المذكورة ، والأول أصح .

والقوطية : بضم القاف وسكون الواو وكسر الطاء المهملة وتشديد الياء المثناة

---

١ الترجمة رقم : ٤٤٧ .

٢ ق : أتى .

٣ ترجمة ابن هذيل في الجذوة : ٣٥٨ وابن الفرضي ٢ : ١٩٣ ونكت الهميان : ٣٠٧ وله شعر في اليتيمة وكتاب التشبيهات والمسالك .

من تحتها[1] وبعدها هاء ساكنة ، هذه النسبة إلى قوط بن حام بن نوح عليه السلام، نسب إليه[2] جده أبي بكر المذكور ، وقوط أبو السودان والهند والسند ، وهي أم إبراهيم بن عيسى بن مزاحم[3] جد أبي بكر المذكور ، وهي ابنة وبة بن غيطشة[4] ، وكان من ملوك الأندلس ، وعليه وعلى أخويه أرطباس قومس الأندلس وسيدة[5] افتتح طارق مولى موسى بن نصير مع المسلمين بلاد الأندلس ، وكانت القوطية المذكورة وفدت على هشام بن عبد الملك[6] متظلمة من عمها أرطباس المذكور فتزوجها بالشام عيسى بن مزاحم المذكور ، وهو من موالي عمر بن عبد العزيز الأموي رضي الله عنه ، وسافر معها إلى الأندلس فكان ذلك سبب انتقال عيسى بن مزاحم إلى الأندلس وإنساله بها، وجاءت القوطية بكتاب هشام إلى الخطاب الشعبي الكلبي[7]، وكان عامله على الأندلس، بالوصاة عليها فكف عمها عنها وأنصفها مما كان لها قبله ورعى حرمتها وتمادت[8] بها الحال وطالت حياتها إلى أيام الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الداخل إلى الأندلس من بني أمية ، فكانت تدخل عليه وتقضي حاجتها[9] ، وغلب اسمها على

1 ر : ثم ياء مثناه من تحتها مشددة .

2 ر : تنسب إليه ، س ن بر من : نسب إلى جدة .

3 زاد في ر ق هنا : واسمها سارة بنت المند (ق : المنذر) بن غيطشة (ق : حنظلة) من ملوك القوط بالاندلس .

4 تصحف الاسمان في النسخ كثيراً ؛ أما وبة (Oppa) فهو أخو غيطشة (Witiza) لا ابنه على الأرجح ، وفي أخبار مجموعة : ٨ أنه ابنه ؛ وأما أبناء غيطشة فهم وقله (Aquila) ويتصحف أحياناً إلى رملة Romulu والمند (Olmundo) وأرطباس (Ardabas) .

5 كذا وردت هذا اللفظة ؛ وفي ق : سنده ،وهي غير معجمة في لي ؛ والأرجح أنها سبرة (Sisiberto) الذي تعده بعض الروايات أخاً لغيطشة ؛ والقومس (Comes) رتبة لأرطباس وفي ن لي ل : أرطباس وقومس ، وزيادة الواو هنا خطأ .

6 زاد في ر : وهو بالشام .

7 كذا في س ن لي ل ت ، وسقطت لفظة الشعبي من س ت ر ق ؛ ووالي الأندلس في زمن هشام هو أبو الخطار حسام الكلبي .

8 وتمادت : هذه هي رواية رق ؛ وفي النسخ الأخرى : وعادت .

9 ر : ويقضي حاجاتها .

ذريتها وعرفوا بها إلى اليوم. ذكر ذلك في كتاب « الاحتفال في أعلام الرجال » مما انتخبه وألفه في أخبار الفقهاء والعلماء المتأخرين من أهل قرطبة الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عفيف التاريخي[1] بما بسطه ونمقه من ذلك الفقيه أبو بكر الحسن ابن محمد بن مفرج بن عبد الله بن مفرج المعافري القرطبي المعروف بالقُبَّشي حامله عنه[2]، قال أبو محمد الرشاطي[3] في كتاب « الأنساب » : عين قُبَّش في الريض الغربي من قرطبة، ينسب بذلك أبو عبد الله محمد بن مفرج المعافري القُبَّشي. وتوفي ليلة الجمعة خامس شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وثلثمائة.

قلت: وهذا المذكور والد أبي بكر الحسن بن محمد المذكور قبله، والله أعلم.

---

١ انظر الجذوة : ٣٧٥ ولعله هو المترجم أيضاً في رقم : ١٧٤ وهو من شيوخ أبي العباس العذري؛ وترجم له ابن بشكوال (الصلة : ٤٢) وقد اختصر ابن حيان كتابه وهذبه وعنه ينقل ابن الابار في التكملة والنباهي في المرقبة العليا.

٢ الصلة : قال ابن بشكوال : « وجمع كتاباً سماه بكتاب الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال في أخبار الخلفاء والقضاة والفقهاء وقد نقلت منه في كتابي هذا ما نسبته اليه، ونقلته من خطه» وقد ابتدأ بتأليفه سنة ٤١٧ بمرسية وأتمه سنة ٤٢٠ وتوفي بعد ٤٣٠ وعن كتابه ينقل النباهي في المرقبة العليا.

٣ وردت كنية الرشاطي « أبو بكر » في النسخ جميعاً ما عدا ق واسمه عبد الله بن علي، انظر الصلة: ٢٨٥ ومعجم شيوخ الصدفي : ٢١٧ وكتابه في الأنساب يسمى : « اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار » وقد جمع اسماعيل بن ابراهيم البلبيسي بين هذا هذا الكتاب وزيادات ابن الاثير على أنساب السمعاني.

٦٥١

أبو بكر الزبيدي

أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج بن محمد بن عبد الله بن بشر الزبيدي الإشبيلي نزيل قرطبة ؛ كان واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة ، وكان أخبر[١] أهل زمانه بالإعراب والمعاني والنوادر ، إلى علم السير والأخبار ، ولم يكن بالأندلس في فنه مثله في زمانه ، وله كتب تدل على وفور علمه[٢] منها « مختصر كتاب العين » وكتاب « طبقات النحويين واللغويين بالمشرق والأندلس» من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى زمن شيخه أبي عبد الله النحوي الرباحي[٣] ، وله كتاب الرد على ابن مسرة وأهل مقالته سماه « هتك ستور الملحدين » وكتاب « لحن العامة » وكتاب « الواضح » في العربية وهو مفيد جداً ، وكتاب « الأبنية في النحو » ليس لأحد مثله .

واختاره الحكم المستنصر بالله صاحب الأندلس لتأديب ولده ولي عهده هشام المؤيد بالله ، فكان الذي علمه الحساب والعربية ونفعه نفعاً كثيراً ، ونال أبو بكر الزبيدي منه دنيا عريضة ، وتولى قضاء إشبيلية وخطة الشرطة ، وحصل[٤] نعمة

---

٦٥١ – ترجمته في الجذوة : ٤٣ وبغية الملتمس (رقم : ٨٠) وتاريخ ابن الفرضي ٢ : ٩٢ والمغرب ١ : ٢٥٠ واليتيمة ٢ : ٧١ والانباه ٣ : ١٠٩ ومعجم الأدباء ١٨ : ١٨٠ والوافي ٢ : ٣٥١ وبغية الوعاة : ٣٤ وصفحات متفرقة من فهرسة ابن خير والمقتبس (ط. بيروت) والمطمح : ٥٣ ونفح الطيب (راجع فهرسه في مادة « الزبيدي ») ؛ وهذه الترجمة اقتصر اكثرها على الشعر في المختار .

١ ق : أحفظ .　　٢ ق : عقله وعلمه .

٣ ر لي : الرياحي ، وهو خطأ ؛ راجع ترجمة الرباحي في طبقات الزبيدي : ٣٣٥ وابن الفرضي ٢ : ٧١ والجذوة : ٩١ وبغية الملتمس رقم : ٣١٢ والقفطي ٣ : ٢٢٩ والوافي ٢ : ٣٧٢ وبغية الوعاة : ١١٣ .

٤ ق : وحصل له .

ضخمة لبسها بنوه من بعده زماناً . وكان يستعظم أدب المؤيد بالله أيام صباه ويصف رجاحته وحجاه ، ويزعم أنه لم يجالس قط من أبناء العظماء من أهل بيته وغيره في مثل سنه أذكى منه ولا أحضر يقظة وألطف حساً وأرزن حلماً، وذكر عنه حكايات عجيبة .

وكان الزبيدي المذكور شاعراً كثير الشعر ، فمن ذلك قوله في أبي مسلم ابن فهر :

أبا مُسْلِمٍ إنَّ الفَتى بِجَنانِهِ ومِقْوَلِهِ لا بالمراكبِ واللبسِ
وليس ثياب المرء تغني قُلامة إذا كان مقصوراً على قصرِ النفس
وليس يفيدُ العلم والحلم والحجا أبا مسلم طول القعود على الكرسي

وكان في صحبة الحكم المستنصر ، وترك جاريته بإشبيلية فاشتاق إليها ، فاستأذنه في العود إليها فلم يأذن له ، فكتب إليها :

ويحكِ يا سلم لا تراعي لا بدَّ للبينِ من زماعِ
لا تحسبيني صبرتُ إلا كصبرِ ميّتٍ على النزاع
ما خلقَ اللهُ من عذابٍ أشدّ من وقفةِ الوداع
ما بينها والحِمام فرقٌ لولا المناجاة والنواعي
إن يفترق شملنا وشيكاً من بعد ما كان ذا اجتماع
فكلّ شملٍ إلى فراقٍ وكلّ شعبٍ إلى انصداع
وكلّ قربٍ إلى بعادٍ وكلّ وصلٍ إلى انقطاع

وكان كثيراً ما ينشد :

الفقرُ في أوطاننا غربة والمالُ في الغربةِ أوطانُ
والأرضُ شيء كلها واحد والناسُ إخوانٌ وجيرانُ

وكان قد قيد الأدب واللغة على أبي علي البغدادي المعروف بالقالي – المقدم ذكره[1] – لما دخل الأندلس، وسمع من قاسم بن أصبغ وسعيد بن فحلون وأحمد

١ أنظر ج ١ : ٢٢٦ .

ابن سعيد بن حزم . وأصله من جند حمص المدينة التي بالشام .

وتوفي يوم الخميس مستهل جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلثمائة بإشبيلية ، ودفن ذلك اليوم بعد صلاة الظهر ، وصلى عليه ابنه أحمد ، وعاش ثلاثاً وستين سنة ، رحمه الله تعالى .

ومذحج : بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وبعدها جيم ، وهو في الأصل اسم أكمةٍ حمراء باليمن ، ولد عليها مالك بن أدد فسمي باسمها ، ثم كثر ذلك في تسمية العرب حتى صاروا يسمون بها ويجعلونها علماً على المسمى ، وقطعوا النظر عن تلك الأكمة .

والزبيدي : بضم الزاي وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة ، هذه النسبة إلى زُبَيد ، واسمه منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج ، وهو الذي سمي بالأكمة المذكورة ، وزبيد قبيلة كبيرة باليمن خرج منها خلق كثير من الصحابة وغيرهم ، رضي الله عنهم .

٦٥٢
القزّاز

أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي المعروف بالقزاز القيرواني ؛ كان الغالب عليه علم النحو واللغة والافتنان في التواليف[1] ، فمن ذلك كتاب « الجامع » في اللغة ، وهو من الكتب الكبار المختارة المشهورة .

وذكر أبو القاسم ابن الصيرفي الكاتب المصري أن أبا عبد الله القزاز المذكور

---

٦٥٢ – ترجمته في انباه الرواة ٣ : ٨٤ وفي الحاشية ثبت بمصادر أخرى ، وقد اقتصر صاحب المختار على ايراد الأشعار المثبتة في هذه الترجمة .

١ ت : في التواريخ ؛ ر : في التأليف .

كان في خدمة العزيز ابن المعز العُبَيْدي صاحب مصر وصنف له كتباً . وقال غيره[1] : كان العزيز بن المعز العبيدي صاحب مصر قد تقدم إليه أن يؤلف كتاباً يجمع فيه سائر الحروف التي ذكر النحويون أن الكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ، وأن يقصد في تأليفه إلى ذكر الحرف الذي جاء لمعنى ، وأن يجري ما ألفه من ذلك على حروف المعجم ؛ قال ابن الجزار : وما علمت أن نحوياً ألف شيئاً من النحو على هذا التأليف ، فسارع أبو عبد الله القزاز إلى ما أمره العزيز به ، وجمع المفترق من الكتب النفيسة في هذا المعنى على أقصد سبيل وأقرب مأخذ وأوضح طريق ، فبلغ جملة الكتاب ألفَ ورقة ، ذكر ذلك كله الأمير المختار المعروف بالمسبحي في تاريخه الكبير. وله كتاب « التعريض » ذكر فيه ما دار بين الناس من المعاريض في كلامهم .

وقال أبو علي الحسن بن رشيق في كتاب « الأنموذج »[2] : إن القزاز المذكور فَضَح المتقدمين وقطع ألسنة المتأخرين ، وكان مهيباً عند الملوك والعلماء وخاصة الناس محبوباً عند العامة ، قليل الخوض إلا في علم دين أو دنيا ، يملك لسانه ملكاً شديداً . وكان له شعر مطبوع مصنوع ربما جاء به مفاكهة ومماحة من غير تحفّز ولا تحفل ، يبلغ بالرفق والدّعَة على الرحب والسعة أقصى ما يحاوله أهل القدرة على الشعر من توليد المعاني وتوكيد المباني ، علماً بتفاصيل الكلام وفواصل النظام ، فمن ذلك قوله :

أما ومحلّ حبك في فؤادي ... وقدر مكانه فيه المكينِ
لو انبسطت ليَ الآمال حتى ... تُصَيّر من عنانك في يميني
لصنتك في مكان سواد عيني ... وخطْتُ عليك من حذَرٍ جفوني
فأبلغ منك غايات الأماني ... وآمن فيك آفات الظنون
فلي نفس تجرَّع كل يوم ... عليك بهن كاسات المنون

---

[1] وذكر ...غيره : سقط من س ن لي ل ت بر من .

[2] احتفظ العمري في مسالك الابصار بقطعة من هذا الكتاب ، وترجمة القزاز تقع في ج ١١ : ٣٧٦ كما أن العمري ذكره في النحويين ٤ : ٣٩٩ .

إذا أمنت قلوبُ الناس خافت عليك خفيَّ ألحاظ العيون
فكيف وأنت دنيـاي ولولا عقاب الله فيك لقلت ديني

ومن شعره أيضاً :

أضمروا لي وداً ولا تظهروه يُهْدِهِ منكمُ إليَّ الضميرُ
مـا أبالي إذا بلغت رضاكم في هواكم لأي حـالٍ أصيرُ

وله أيضاً :

ألا من لركبٍ فرّق الدهرُ شملهم فمن مُنْجد نائي المحل ومُتْهِمِ
كأن الردى خاف الردى في اجتماعهم فقسَّمهم في الأرض كل مُقَسَّمِ

وله أيضاً :

ولنا من أبي الربيعِ ربيعٌ ترتعيهِ هواملُ الآمـالِ
أبداً يذكر العِداتِ وينسى ما له عندنا من الإفضـالِ

وله أيضاً :

أحين علمت أنك نورُ عيني وأني لا أرى حـتى أراكا
جعلت مغيب شخصك عن عياني يغيّب كل مخلوقٍ سواكا

وذكر له مقاطيع كثيرة غير هذه ، ثم قال : وشعر أبي عبد الله – يعني القزاز المذكور – أحسنُ مما ذكرت ، لكني لم أتمكن من روايته ، وقد شرطت في هذا الكتاب أن كل ما جئت به من الأشعار على غير جهة الاختيار .

وكانت وفاته بالحضرة سنة اثنتي عشرة[1] وأربعمائة ، وقد قارب السبعين ، رحمه الله تعالى ؛ والمراد بالحضرة القيروان ، فإنها كانت دار المملكة يوم ذاك .

والقزاز : بفتح القاف وزايين بينهما ألف والأولى منها مشددة ، هذه النسبة إلى عمل القز وبيعه ، وقد اشتهر به جماعة .

---

1 ق : سنة احدى أو اثنتي عشرة .

٦٥٣

المسبـــحي

الأمير المختار عز الملك محمد بن أبي القاسم عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز ، المعروف بالمُسَبِّحي الكاتب ، الحراني الأصل المصري المولد ، صاحب التاريخ المشهور وغيره من المصنفات ؛ كانت فيه فضائل ولديه معارف، ورزق حظوة في التصانيف ، وكان على زي الأجناد ، واتصل بخدمة الحاكم بن العزيز العُبيدي صاحب مصر ونال منه سعادة ، وذكر في تاريخه أن أول تصرفه في خدمة الحاكم صاحب مصر كان في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، وذكر فيه أيضاً : أنه تقلد القيس[١] والبهنسا من أعمال الصعيد ، ثم تولى ديوان الترتيب ، وله مع الحاكم مجالس ومحاضرات حسبما يشهد بها[٢] تاريخه الكبير .

وجمع مقدار ثلاثين مصنفاً ، منها : التاريخ المذكور الذي قال في حقه « التاريخ الجليل قدره الذي يستغنى بمضمونه عن غيره من الكتب الواردة في معانيه ، وهو أخبار مصر ومن حلها من الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء ، وما بها من العجائب والأبنية واختلاف أصناف الأطعمة ، وذكر نيلها ، وأحوال من حل بها إلى الوقت الذي كتبنا فيه تعليق هذه الترجمة ، وأشعار الشعراء وأخبار المغنين[٣] ومجالس القضاة والحكام والمعدلين والأدباء والمتغزلين وغيرهم »

---

٦٥٣ – ترجمته في اللباب : (المسبحي) والوافي ٤ : ٧ والمغرب (قسم مصر) ١ : ٢٦٤ والنجوم الزاهرة ٤ : ٢٧١ وعبر الذهبي ٣ : ١٣٩ والشذرات ٣ : ٢١٥ وحسن المحاضرة ١ : ٢٤٨ وتاج العروس : (سبح) ؛ وقد اقتصر صاحب المختار من هذه الترجمة على ايراد مرثيته في والده ؛ وبهذه الترجمة تبدأ نسخة المجمع العلمي ببغداد ورمزها (مج) .

١ غير معجمة في لي ل ت ر بر وانظر ابن دقماق ٥ : ٤ ؛ ن : الفشن، وقد وردت عند ابن دقماق أيضاً ، وهي والقيس من القرى الاطفيحية ؛ ق : المقيس ، وبالهامش : الفيوم .

٢ ت ل بر من لي مج : به .

٣ ل ن لي : المفتين ؛ ق : المفتيين .

وهو ثلاثة عشر ألف ورقة . ومن تصانيفه كتاب « التلويح والتصريح في معاني الشعر وغيره » وهو ألف ورقة ، وكتاب « الراح والارتياح » ألف وخمسمائة ورقة ، وكتاب « الغرق والشرق في ذكر من مات غرقاً وشرقاً » مائتا ورقة ، وكتاب « الطعام والإدام » ألف ورقة ، وكتاب « درك البغية في وصف الأديان والعبادات » ثلاثة آلاف وخمسمائة ورقة ، و « قصص الأنبيـــاء عليهم السلام وأحوالهم » ألف وخمسمائة ورقة، وكتاب « المفاتحة والمناكحة في أصناف الجماع » ألف ومائتا ورقة ، وكتاب « الأمثلة للدول المقبلة » يتعلق بالنجوم والحساب خمسمائة ورقة ، وكتاب « القضايا الصائبة في معاني أحكام النجوم » ثلاثة آلاف ورقة ، وكتاب « جونة الماشطة » يتضمن غرائب الأخبار والأشعار والنوادر التي لم يتكرر مرورها على الأسماع، وهو مجموع مختلف غير مؤتلف، ألف وخمسمائة ورقة، وكتاب « الشجن والسكن في أخبار أهل الهوى وما يلقاه أربابه » ألفان وخمسمائة ورقة ، وكتاب « السؤال والجواب » ثلثمائة ورقة ، وكتاب « مختار الأغاني ومعانيها » وغير ذلك من الكتب .

وله شعر حسن[1] ، فمن ذلك أبيات رثى بها أم ولده ، وهي :

ألا في سبيل الله قلب تقطّعا وفادحة لم تُبْقِ للعين مدمعا
أصبراً وقد حل الثرى مَنْ أوده فلله هم مـــا أشدّ وأوجعا
فيا ليتني للموت قدمت قبلهـا وإلا فليت الموت أذهبنـا معا

وكان المسبحي المذكور قد استزار أبا محمد عبيد الله بن أبي الجـوع الأديب الوراق الكاتب المشهور ، فزاره ؛ فعمل المسبحي هذه الأبيات وأنشده إياها على البديهة :

حللت فأحللت قلبي السرورا وكاد لفرحته أن يطيرا
وأمطر علمك سحب السماء ولولاك ما كان يوماً مطيرا
تضوّع نَشْرك لمـا وردت وعاد الظلام ضيـاء منيرا

---

[1] ق : جيد حسن .

(187) وكان ابن أبي الجوع المذكور شاعراً أديباً حلواً مقبولاً له أشعار كثيرة في المراسلات والمعاتبات والأهاجي، وكان نَسْخه في غاية الجودة، وكان ينسخ كل[1] خمسين ورقة بدينار، وخطه موجود بأيدي الناس ومرغوب فيه، وكانت وفاة ابن أبي الجوع[2] سنة خمس وتسعين وثلثمائة.

وكانت ولادة المسبحي المذكور يوم الأحد عاشر رجب سنة ست وستين وثلثمائة، كذا ذكره في تاريخه الكبير. وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة عشرين وأربعمائة.

(188) وتوفي والده ضحوة نهار الاثنين تاسع شعبان سنة أربعمائة، وعمره ثلاث وتسعون سنة، وصلي عليه في جامع مصر ودفن في داره، رحمهم الله تعالى أجمعين. ولما توفي الوالد رثاه ولده المسبحي المذكور بهذه الأبيات:

خطبٌ يقل له البكاء وينطوي	عنه العزاء ويظهر المكتومُ
خطبٌ يميت من الصدور قلوبها	أسَفاً ويُقعدُ تارةً ويُقيم
يا دهرُ قد أنشبتَ فيّ مَخالباً	بالأسوَدين لوقعهنّ كُلُومُ
يا دهرُ قد ألبستني حلل الأسى	مذ حلّ شخصٌ في التراب كريم
لو كنت تقبل فدية لفديت من	رضت عظامي فيه وهو رميم
يا من يلوم إذا رآني جازعاً	من طارق الحدثان، فيمَ تلوم
بأبي فُجعتُ فأيّ ثكل[3] مثله	ثكل الأبوّة في الشباب أليم
قد كنت أجزع أن يلم به الردى	أو يعتريه من الزمان هموم

ورثاه جماعة من شعراء عصره[4] ذكرهم ولده في تاريخه وذكر مراثيهم.

والمسبحي: بضم الميم وفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة وفي آخره حاء

---

[1] ق: كل يوم.
[2] مج: وكانت وفاته.
[3] ر: خطب؛ مج: وأي ثكل.
[4] ق ر: الشعراء في عصره.

مهملة[1] قال السمعاني في كتاب « الأنساب » : هذه النسبة إلى الجد ، وعرف بها المسبحي صاحب تاريخ المغاربة ومصر ، يعني الأمير المذكور .

٦٥٤

ابن حمدون صاحب التذكرة

أبو المعالي محمد بن أبي سعد الحسن بن محمد بن علي بن حمدون الكاتب الملقب كافي الكفاة بهاء الدين البغدادي ؛ كان فاضلاً ذا معرفة تامة بالأدب والكتابة ، من بيت مشهور بالرياسة والفضل هو وأبوه وأخواه أبو نصر وأبو المظفر ، وسمع أبو المعالي المذكور من أبي القاسم إسماعيل بن الفضل الجرجاني وغيره ، وصنف كتاب « التذكرة » وهو من أحسن المجاميع ، يشتمل على التاريخ والأدب والنوادر والأشعار، لم يجمع أحد من المتأخرين مثله ، وهو مشهور بأيدي الناس كثير الوجود ، وهو من الكتب الممتعة .

ذكره العماد الأصبهاني الكاتب في كتاب « الخريدة » فقال : كان عارض العسكر المقتفوي، ثم صار صاحب ديوان الزمام المستنجدي، وهو كَلِفٌ باقتناء الحمد وابتناء المجد ، وفيه فضل ونبل وله على أهل الأدب ظل ، وألف كتاباً سماه « التذكرة » وجمع فيه الغث والسمين والمعرفة والنكرة ، فوقف الإمام المستنجد على حكايات ذكرها نقلاً من التواريخ تُوهم في الدولة غضاضةً ، ويعتقد للتعرض بالقدح فيها عراضة، فأخذ من دست منصبه وحُبس، ولم يزل في نَصَبه إلى أن رمس ، وذلك في أوائل سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، وأنشدني لنفسه لغزاً في مروحة الخيش :

---

١ ر : وفي آخرها الحاء المهملة .

٦٥٤ – ترجمته في الخريدة (قسم العراق) ١ : ١٨٤ والفوات ٢ : ٣٧٧ والوافي ٢ : ٣٥٧ والمنتظم ١٠ : ٢٢١ والنجوم الزاهرة ٥ : ٣٧٤ والشذرات ٤ : ٢٠٦ .

ومرسلة معقودة دون قصدها   مقيدة تجري حبيس طليقها
يمرّ خفيف[1] الريح وهي مقيمة   وتسري وقد سدت عليها طريقها
لها من سليمان النبي وراثة   وقد عزيت نحو النبيط عروقها
إذا صدق النوء السماكي[2] أمحلت   وتمطر والجوزاء ذاكٍ[3] حريقها
تحيتها إحدى الطبائع انها   لذلك كانت كل روح صديقها

وأورد له أيضاً :

وحاشا معاليك أن تستزاد   وحاشا نوالك أن يُقتَضى
ولكنما أستزيد الحظوظ   وإن أمَرَتْني النهى بالرضا

وأورد له أيضاً :

يا خفيف الرأس والعقل معاً   وثقيل الروح أيضاً والبدن
تَدَّعي أنك مثلي طيب   طيب أنت ولكن بلبن

انتهى كلام العماد .

وقال غيره : إنه سمع الحديث كثيراً وروى عن الإمام المستنجد قول أبي حفص الشطرنجي في جارية حولاء :

حمدتُ إلهي إذ بليت بحبّها   على حَوَلٍ يغني عن النظر الشزر
نظرت إليها والرقيبُ يخالني   نظرت إليه فاسترحت من العذر[4]

وهذا من المعاني النادرة العجيبة [والإمام في هذا قول مهيار الديلمي يصفُ ناقة :

---

١ لي : هفيف ؛ مج : حفيف .
٢ ل لي مج س ن ت ق بر من والمختار : الشمالي .
٣ لي : دان .
٤ حاول ناسخ لي أن يغير النص فكتب « الينا » ، « يخالها » وعلق على ذلك بقوله إنه لو كان البيت كما هو مثبت هنا فالرقيب هو الأحول لا هي .

هواها وراها والسرى من أمامها   فهن صحيحات النواظر حُول][1]

وكانت ولادة ابن حمدون المذكور في رجب سنة خمس وتسعين وأربعمائة وتوفي يوم الثلاثاء حادي عشر ذي القعدة سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، ودفن يوم الاربعاء بمقابر قريش ببغداد ، وكان موته في الحبس .

(189) وأخوه أبو نصر محمد بن الحسن الملقب غرس الدولة كان من العمال ، وممن يعتقد في أهل الخير والصلاح ويرغب في صحبتهم ، ولد في صفر سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وتوفي في ذي الحجة سنة خمس وأربعين وخمسمائة ببغداد ، ودفن بمقابر قريش .

(190) وكان والدهما من شيوخ الكتاب والعارفين بقواعد التصرف[2] والحساب ، وله تصنيف في معرفة[3] الأعمال ، وعمّر طويلاً ، وتوفي يوم السبت عاشر جمادى الأولى سنة ست وأربعين وخمسمائة[4] ، رحمهم الله تعالى أجمعين .

٦٥٥

ابن قريعة

القاضي أبو بكر محمد بن عبد الرحمن ، المعروف بابن قُرَيْعَة البغدادي ؛ كان قاضي السِّنْدِيَّة وغيرها من أعمال بغداد ، ولاه أبو السائب عتبة بن عبيد الله القاضي ، وكان من إحدى عجائب الدنيا في سرعة البديهة بالجواب عن جميع

١ ما بين معقفين زيادة من مج .
٢ س : الصرف .
٣ لي : تصريف .
٤ وتوفي.... وخمسمائة : سقط من س ت مج .
٦٥٥ – ترجمته في تاريخ بغداد ٢ : ٣١٧ والوافي ٣ : ٢٢٧ والمنتظم ٧ : ٩١ وعبر الذهبي ٢ : ٣٤٥ والبداية والنهاية ١١ : ٢٩٢ .

ما يُسأل عنه في أفصح[1] لفظ وأملح سجع ، وكان مختصاً بحضرة الوزير أبي محمد المهلبي – المقدم ذكره[2] – منقطعاً إليه ، وله مسائل وأجوبة مدونة في كتاب مشهور بأيدي الناس ، وكان رؤساء ذلك العصر وفضلاؤه يداعبونه ويكتبون إليه المسائل الغريبة المضحكة ، فيكتب الجواب من غير توقف ولا تلبث مطابقاً لما سألوه ، وكان الوزير المذكور يغري به جماعة يضعون له من الأسئلة الهزلية على معان شتى من النوادر الطّنزية ليجيب عنها بتلك الأجوبة ، فمن ذلك ما كتب إليه العباس[3] بن المعلى الكاتب : ما يقول القاضي ، وفقه الله تعالى ، في يهودي زنى بنصرانية فولدت ولداً جسمه للبشر ووجهه للبقر ، وقد قبض عليهما ، فما يرى القاضي فيهما ؟ فكتب جوابه بديهاً : هذا من أعدل الشهود على الملاعين اليهود ، بأنهم أُشربوا حُبَّ العجل في صدورهم حتى خرج من أيورهم ، وأرى أن يناط برأس اليهودي رأس العجل ، ويصلب على عنق النصرانية الساق مع الرجل ، ويسحبا على الأرض ، وينادى عليهما ظلمات بعضها فوق بعض ، والسلام.

ولما قدم الصاحب بن عباد – المقدم ذكره[4] – إلى بغداد حضر مجلس الوزير المهلبي المقدم ذكره أيضاً ، وكان في المجلس القاضي أبو بكر المذكور ، فرأى من ظرفه وسرعة أجوبته مع لطافتها ما عظم منه تعجبه ، وكتب الصاحب إلى أبي الفضل ابن العميد كتاباً يقول فيه : وكان في المجلس شيخ خفيف الروح يعرف بالقاضي ابن قريعة ، جاراني في مسائل خِسّتُها تمنع[5] من ذكرها ، إلا أني استظرفت من كلامه ، وقد سأله كهل[6] يتطايب بحضرة الوزير أبي محمد عن حد القفا ، فقال : ما اشتمل عليه جُرُبّانُكَ ، ومازحك فيه إخوانك ، وأدبك فيه سلطانك ، وباسطك فيه غلمانك ، فهذه حدود أربعة[7] .

---

١ لي : بأفصح .

٢ انظر ج ٢ : ١٢٤ .

٣ لي : أبو العباس .

٤ انظر ج ١ : ٢٢٨ .

٥ س ن : حسنها يمنع .

٦ ق : رجل .

٧ وردت هذه القصة على النحو التالي في مج : « وأخبر محمد بن جعفر التميمي قال ، قال أبو–

قلت : وجُرُبّان الثوب : بضم الجيم والراء وتشديد الباء الموحدة وبعدها ألف ثم نون ، وهي الخرقة العريضة التي فوق القب ، وهي التي تستر القفـــا ، والجربان لفظ فارسي معرب[1] .

وجميع مسائله على هذا الأسلوب ، ولولا خوف الإطالة لذكرت جملة منها ، وقد سرد أبو بكر[2] محمد بن شرف القيرواني الشاعر المشهور في كتابه الذي سماه « أبكار الأفكار » عدة مسائل وجواباتها من هذه المسائل .

وتوفي القاضي أبو بكر المذكور يوم السبت لعشر بقين من جمادى الآخرة ، سنة سبع وستين وثلثمائة ببغداد ، وعمره خمس وستون سنة ، رحمه الله تعالى .

وقُرَيْعَة : بضم القاف وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها عين مهملة ، وهو لقب جده ، كذا حكاه السمعاني .

والسِّنْدِية : بكسر السين المهملة وسكون النون وكسر الدال المهملة وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة ، وهي قرية على نهر عيسى بين بغداد والأنبار ، وينسب إليها سندواني ليحصل الفرق بين هذه النسبة والنسبة إلى بلاد السند المجاورة لبلاد الهند .

=الحسن الزهراني لابن قريعة في مجلس المهلبي : ما حدود القفا ؛ فأجابه في الوقت : ما داعبك فيه اخوانك ، وشرطك فيه حجامك ، وأدبك فيه سلطانك ، واشتمل عليه جربانك ، فقال له : ما حد الصفع ؛ قال : الرفع والوضع والضر والنفع . قال هلال بن المحسن الكاتب توفي ابن قريعة في يوم السبت ... الخ » .

١ قلت ... معرب : ثبت في ر ق والمختار .

٢ كذا وردت كنيته والمشهور أنه أبو عبد الله (الذخيرة ٤ - ١ : ١٣٣) .

٦٥٦

الوهـراني

أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد الوهراني الملقب ركن الدين ، وقيل جمال الدين ؛ أحد الفضلاء الظرفاء ، قدم من بلاده إلى الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، وفنه الذي يمتّ به صناعة الإنشاء ، فلما دخل البلاد ورأى بها القاضي الفاضل وعماد الدين الأصبهاني الكاتب وتلك الحلبة[١] علم من نفسه أنه ليس من طبقتهم ولا تنفق سلعته مع وجودهم ، فعدل عن طريق الجد وسلك طريق الهزل، وعمل المنامات والرسائل المشهورة به والمنسوبة إليه، وهي كثيرة الوجود بأيدي الناس ، وفيها دلالة على خفة روحه ورقة حاشيته وكمال ظرفه ، ولو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه ، فإنه أتى فيه بكل حلاوة ، ولولا طوله لذكرته ، ثم إن الوهراني المذكور تنقل في البلاد وأقام بدمشق زماناً[٢] ، وتولى الخطابة بداريّا ، وهي قرية على باب دمشق في الغوطة. وتوفي في سنة خمس وسبعين وخمسمائة بداريّا ، رحمه الله تعالى ، ودفن على باب تربة الشيخ أبي سليمان الداراني . نقلت من خط القاضي الفاضل: وردت الأخبار من دمشق في سابع عشر رجب بوفاة الوهراني[٣] .

والوَهْراني : بفتح الواو وسكون الهاء وفتح الراء وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى وَهْران ، وهي مدينة كبيرة في أرض القيروان ، بينها وبين تلمسان

---

٦٥٦ – ترجمته في الوافي ٤ : ٣٨٦ وعبر الذهبي ٤ : ٢٢٥ والشذرات ٤ : ٢٥٢ وقد سقطت هذه الترجمة من النسخة ر والمختار .

١ ن : الحلة .

٢ جاء بعده في مج ذكر الوفاة وتعريف موجز بالنسبة (الوهراني) وتنتهي الترجمة .

٣ نقلت ... بوفاة الوهراني : سقط من س ن ل لي ت مج بر من .

٤ س : بأرض ؛ ت ل لي ن بر : على أرض .

مسافة يومين ، وهي على ساحل البحر الشامي ، وذكر الرشاطي أنها أسست في سنة تسعين ومائتين على يدي محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدوس وجماعة[1] ، وخرج منها جماعة من العلماء وغيرهم .

وداريّا : بالدال المهملة[2] وبعد الألف راء مفتوحة وبعدها ياء مثناة من تحتها مشددة .

٦٥٧

فخر الدين ابن تيمية الحرّاني

أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ، المعروف بابن تَيْمية الحراني ، الملقب فخر الدين الخطيب الواعظ الفقيه الحنبلي ؛ كان فاضلاً ، تفرد في بلده[3] بالعلم ، وكان المشار إليه في الدين ، لقي جماعة من العلماء[4] وأخذ عنهم العلوم ، وقدم بغداد وتفقه بها على أبي الفتح ابن المني، وسمع الحديث بها من شهدة بنت الإبري وابن المقرب وابن البطي وغيرهم[5] ، وصنف في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، مختصراً أحسن فيه ، وله ديوان خطب مشهور وهو في غاية الجودة، وله تفسير القرآن الكريم، وله نظم حسن، وكانت إليه الخطابة بحران ، ولأهله من بعده ، ولم يزل أمره جارياً على سداد وصلاح حال .

---

١ وذكر الرشاطي .... وجماعة : سقط من س ن ل لي ت مج بر من .

٢ لي : بفتح الدال ؛ وقد سقط ضبط داريا من ق ت مج .

٦٥٧ – ترجمته في طبقات الحنابلة ٢ : ١٥١ وذيل الروضتين : ١٤٦ والوافي ٣ : ٣٧ وعبر الذهبي ٥ : ٩٢ والشذرات ٥ : ١٠٢ وتاريخ إربل : ٦٧ وعقود الجمان لابن الشعار ٦ : ٥٣٦.

٣ س ن لي : بلاده .

٤ ق ر مج : الفضلاء .

٥ وقدم بغداد ... وغيرهم : سقط من النسخ ما عدا ر .

ومولده في أواخر شعبان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، بمدينة حران[1] . وتوفي بها في حادي عشر صفر، سنة إحدى وعشرين وستمائة ، رحمه الله تعالى .

قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي في حقه[2] : كان ضنيناً[3] بحران ، متى نبغ فيها أحد لا يزال وراءه حتى يخرجه منها ويبعده عنها ، ومات في خامس صفر من السنة المذكورة ، وهذا خلاف ما ذكرته أولاً ، قال : وسمعته في جامع حران يوم الجمعة بعد الصلاة ينشد :

أحبابَنا قد نَذَرَت مقلتي　　لا تلتقي بالنوم أو نلتقي
رفقاً بقلب مغرم واعطفوا　　على سقام الجسد المغرق
كم تمطلوني بليالي اللقا　　قد ذهب العمرُ ولم نلتقِ

وذكره أبو يوسف محاسن بن سلامة بن خليفة الحراني في « تاريخ حرّان » وأثنى عليه ، ثم قال : توفي يوم الخميس بعد العصر عاشر صفر سنة اثنتين وعشرين وستمائة[4] .

وذكره أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربل » فقال: ورد إربل حاجاً في سنة أربع وستمائة ، وذكر فضله ، وقال : كان يدرس التفسير في كل يوم ، وهو حسن القَصَص حلو الكلام مليح الشمائل ، وله القبول التام[5] عند الخاص والعام ، وكان أبوه أحد الأبدال والزهاد ، وتفقه بحران وببغداد، وكان حاذقاً في المناظرات صنف مختصرات في الفقه ، وخطباً سلك فيها مسلك ابن نُباتة ، وكان بارعاً في تفسير القرآن ، وجميع العلوم له فيها يد بيضاء ، وسمع من مشايخ الحديث ببغداد وأنشد له :

سلام عليكم مضى ما مضى　　فراقي لكم لم يكن عن رضا

---

١ ر ق : ومولده في حران في الثامن والعشرين من شعبان ، وتوفي بمدينة حران .
٢ لم يرد هذا النص في مرآة الزمان المطبوع .
٣ كذا في ر ق ؛ وفي ذيل الروضتين : خطيباً ، نقلا عن سبط ابن الجوزي .
٤ قال أبو المظفر ...وستمائة : انفردت به النسختان ر ق .
٥ ت ل لي : العام ؛ وكذلك في تاريخ إربل .

سلوا الليل عَنـّيَ مذ غبتمُ أجفنيَ بالنوم هل أغمضا[1]
أأحباب قلبي وحقٌ الذي بمُرٌ الفراق علينــا قضى
لئن عاد عيدُ اجتماعي بكم وعوفيت من كارث[2] أمرضا
لألـتقــين مطـــاياكُمُ بخدّي[3] وأفرشــه في الفضا
ولو كان حَبْواً على جبهتي ولو لفح الوجْهَ جمرُ الغضى
فأحيـا وأنشد من فرحتي سلام عليكم مضى ما مضى[4]

ثم قال : سألته عن اسم تيمية ما معناه ، فقال : حج أبي أو جدي، أنا أشك أيهما ، قال : وكانت امرأته حاملاً ، فلما كان بتيماء رأى جُوَيرية قد خرجت من خباء ، فلما رجع إلى حران وجد امرأته قد وضعت جارية ، فلما رفعوها إليه قال : يا تيمية ، يا تيمية ، يعني أنها تشبه التي رآها بتيماء ، فسمي بها[5] ، أو كلاماً هذا معناه .

وتَيماء : بفتح التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الميم وبعدها همزة ممدودة ، وهي بُلَيدة في بادية تَبُوك إذا خرج الإنسان من خَيْبَر إليها تكون على منتصف طريق الشام ، وتيمية منسوبة إلى هذه البُلَيـــدة ، وكان ينبغي أن تكون تيماوية ، لأن النسبة إلى تيماء تيماوي ، لكنه هكذا قال واشتهر كما قال .

---

١ ق : بالليل... غمضا ؛ المختار وتاريخ إربل : غمضا .
٢ ق : عارض .
٣ تاريخ إربل : بوجهي .
٤ علق ابن المؤلف بعد هذه الأبيات بقوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : وهو جد الشيخ تقي الدين أحمد الموجود الآن بدمشق ، ورأيت أبا التقي ولقبه شهاب الدين واسمه (....) وكان يغشى مجلس والدي قدس الله روحه بدمشق كثيراً وتوفي بها » .
٥ ق مج : به .

٦٥٨

أبو منصور العتابي

أبو منصور محمد بن علي بن إبراهيم بن زبرج ، النحوي المعروف بالعَتّـابي ؛ كانت له معرفة بالنحو واللغة وفنون الأدب ، وله الخط المليح الصحيح[1] الذي يتنافس فيه أهل العلم ، وقرأ الأدب على الشريف أبي السعـادات هبة الله بن الشجري – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – وعلى أبي منصور موهوب بن الجواليقي وغيرهما وسمع الحديث من مشايخ وقته ، وكتب الكثير ، وكل كتاب يوجد بخطه فهو مرغوب فيه . وكانت ولادته في شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة . وتوفي ليلة الثلاثاء الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنـة ست وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

والعَتّـابي : بفتح العين المهملة وتشديد التاء المثناة من فوقها وبعد الألف باء موحدة ، هذه النسبة إلى العتابيين ، وهي إحدى محال بغداد في الجانب الغربي منها ، وكان أبو منصور المذكور قد تركها وسكن في الجانب الشرقي .

وأما أبو عمرو كلثوم بن عمرو بن أيوب العَتّـابي الشاعر المشهور فهو منسوب إلى عَتّاب بن سعد بن زهير بن جُشَم ، وكان شاعراً بليغاً مجيداً ، مدح هارون الرشيد وغيره ، وهو من أهل قنسرين المدينة القديمة التي بالشام مجاورة حلب ، وكان ينبغي ذكره في هذا الكتاب ، وإنما أخللتُ به لأني لم أظفر له بوفاة ، ومبنى هذا الكتاب على من عرفت وفاته .

٦٥٨ – ترجمته في انباه الرواة ٣ : ١٨٨ (وذكرت في الحاشية مصادر أخرى) وقد سقطت الترجمة من ت مج ومن المختار .

١ ر : الصحيح المليح .

٦٥٩

المسعودي شارح المقامات

أبو سعيد – ويقال أبو عبد الله – محمد بن أبي السعادات عبد الرحمن بن محمد ابن مسعود بن أحمد بن الحسين بن محمد المسعودي ، الملقب تاج الدين ، الخراساني المروروذي البَنْدَهي الفقيه الشافعي الصوفي ؛ كان أديباً فاضلاً اعتنى بالمقامات الحريرية فشرحها وأطال شرحها ، واستوعب فيه ما لم يستوعبه غيره ، رأيته في خمس مجلدات كبار لم يبلغ أحد من شراح هذا الكتاب إلى هذا القدر ولا إلى نصفه ، وهو كتاب مشهور كثير الوجود بأيدي الناس ، وكان مقيماً بدمشق[١] في الخانقاه[٢] السُّمَيْساطية ، والناس يأخذون عنه بعد أن كان يعلم الملك الأفضل أبا الحسن علي ابن السلطان صلاح الدين – وقد تقدم ذكره[٣] – وحصل بطريقه كتباً كثيرة نفيسة غريبة ، وبها استعان على شرح المقامات .

وحكى أبو البركات الهاشمي الحلبي قال : لما دخل السلطان صلاح الدين إلى حلب في سنة تسع[٤] وسبعين وخمسمائة نزل المسعودي المذكور إلى جامع حلب وقعد في خزانة كتبها الوقف واختار منها جملة أخذها لم يمنعه منها مانع ، ولقد رأيته وهو يحشوها في عِدْلٍ ، ولقيت جماعة من أصحابه وسمعت منهم وأجازوني.

ورأيت في تاريخ بعض المتأخرين أن البندهي المذكور كانت ولادته سنة إحدى وعشرين وخمسمائة . ونقل بعض الأفاضل من خط البندهي ما صورته :

---

٦٥٩ – ترجمته في الوافي ٣ : ٢٣٣ وعبر الذهبي ٤ : ٢٥٣ والشذرات ٤ : ٢٨٠ ولسان الميزان ٥ : ٢٥٦ ، وقد سقطت هذه الترجمة من ت مج واقتصر منها في المختار على ايراده بعض الشعر .

١ زاد في ر ق : المحروسة .

٢ ق : بالخانقاه .

٣ انظر ج ٣ : ٤١٩ .

٤ ل لي س ن ق بر : سبع ؛ وما أثبتناه موافق لما في سيرة صلاح الدين : ٥٩ .

ولدت وقت المغرب من ليلة الثلاثاء غرة شهر ربيع الآخر[1] سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، والظاهر أن هذا أصح ، لكونه منقولاً من خطه باليوم والشهر . وتوفي في ليلة السبت التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول ، وقيل في مستهل شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وخمسمائة بمدينة دمشق ، ودفن بسفح جبل قاسيون ، رحمه الله تعالى ، ووقف كتبه على الخانقاه المذكورة ، وكان كثيراً ما ينشد :

قالت عهدتكَ تبكي دماً حِذارَ التنائي
فَلِمْ تعوَّضْتَ عنها بعد الدماء بماء ؟
فقلت ما ذاك مني لسلوة أو عزاء
لكن دموعيَ شابت من طول عمر بكائي

ومثله قول الآخر :

قالت سعادُ أتبكي بالدمع بعد الدماء
فقلت قد شاب دمعي من طولِ عمر بكائي[2]

ونسبته بالمسعودي إلى جده مَسْعُود المذكور .
وقد تقدم الكلام على المروروذي فلا حاجة إلى إعادته .
والبَنْدَهي : بفتح الباء الموحدة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء، هذه النسبة إلى بنج ديه من أعمال مَرْوَرُّوذ، ومعناه بالعربي خمس قرى، ويقال في النسبة إليها أيضاً : الفنجديهي والبنجديهي ، بالفاء والجيم أو بالباء الموحدة والجيم ، وخرج منها خلق كثير من العلماء وغيرهم .
وقاسِيُون : بفتح القاف وبعد الألف سين مهملة مكسورة وياء مثناة من تحتها مضمومة ثم واو ساكنة وبعدها نون ، وهو جبل مطل على دمشق من جهتها الشمالية فيه المنازل المليحة والمدارس والرُّبُط والبساتين ، وفيه نهر يزيد،

---

١ ق : الأول أو الآخر .
٢ وكان كثيراً ... بكائي : سقط من س ن ل لي بر من .

ونهر ثورى في ذيله، وفيه جامع كبير بناه مظفر الدين بن زين الدين صاحب إربل – المقدم ذكره في حرف الكاف[1] – رحمه الله تعـــالى ، وفيه يقول ابن عنين – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – في قصيدته اللامية التي مدح بها سيف الإسلام ابن أيوب صاحب اليمن – المذكور في حرف الطاء[2] – فإنه تشوق إلى دمشق فيها ، وذكر مواضع من مستنزهاتها ، وقال في الجبل المذكور[3] :

وفي كبدي من قاسِيُونَ حزازة   تزولُ رَواسيـــهِ وليس تزول

وهي من غـُرَ[4] قصائده ولقد أبدع فيها ، رحمه الله .

٦٦٠

ابن نقطــة

أبو بكر محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجــاع بن أبي نصر بن عبد الله الحنبلي ، المعروف بابن نقطة ، الملقب معين الدين البغدادي المحدث ؛ كان من طلبة الحديث المشهورين به المكثرين من سماعـه وكتابته والراحلين في تحصيله . دخل خراسان وبلاد الجبل والجزيرة والشام ومصر ، ولقي المشايخ وأخذ عنهم واستفاد منهم ، وكتب الكثير وعلق التعاليق النافعة ، وذيل على « الإكمال »

---

١ انظر الترجمة رقم : ٥٤٧ .

٢ انظر المجلد ٢ : ٥٢٣ .

٣ ديوان ابن عنين : ٧٠ .

٤ ر بر من : غرر .

٦٦٠ – ترجمته في ذيل طبقات الحنابلة ٢ : ١٨٢ وتذكرة الحفاظ : ١٤١٢ وعبر الذهبي ٥ : ١١٧ والوافي ٣ : ٢٦٧ والشذرات ٥ : ١٣٢ والرسالة المستطرفة : ١١٧ وتاريخ إربل : ٢٣٤ واقتصر صاحب المختار من هذه الترجمة على شعر ابن الشبل .

كتاب الأمير أبي نصر ابن ماكولا – المقدم ذكره[1] – وما أقصر فيه وجاء في مجلدين. وله كتاب آخر لطيف في الأنساب مثل الذيل على كتابَي محمد بن طاهر المقدسي وأبي موسى الأصبهاني الحافظين – المقدم ذكرهما – وكتاب «التقييد لمعرفة الرواة والسنن[2] والمسانيد[3]» وكنت أسمع به في وقته، ولم أجتمع به .

وذكره أبو البركات ابن المستوفي في «تاريخ إربل» وعده في جملة من وصل إليها وسمع الحديث بها، وأثنى عليه وقال: أنشدني لأبي علي محمد بن الحسين بن أبي الشبل البغدادي، وهو أحد شعراء العراق المجيدين المتأخرين، وقد ذكره ابن الحظيري في كتاب «زينة الدهر»:

لا تظْهِرَنَّ لعاذِلٍ أو عاذرٍ حالَيْكَ في الضراء والسراءِ
فلرحمة المتوجعين مرارةٌ في القلب مثلُ شماتةِ الأعداءِ

وتوفي ابن نقطة المذكور في الثاني والعشرين من صفر سنة تسع وعشرين وستمائة ببغداد، وهو في سن الكهولة، وكنت يومئذ مقيماً بمدينة حلب للاشتغال فوصلنا خبر موته، رحمه الله تعالى[4].

(191) وتوفي أبوه عبد الغني في رابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ببغداد، ودفن في موضع مجاور لمسجده، وكان مشهوراً بالتقلل والإيثار .

ونقطة: بضم النون وسكون القاف[5] وفتح الطاء المهملة وبعدها هاء ساكنة.

(192) وتوفي أبو علي ابن أبي الشبل المذكور سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة، رحمه الله تعالى؛ ذكره العماد الأصبهاني في كتاب «الخريدة».

---

١ ج ٣ : ٥١٦ .

٢ ر لي بر : رواة السنن ؛ وسقطت العبارة من ت مج .

٣ ر ق : والأسانيد .

٤ حاشية بهامش س: قلت : رأيت مكتوباً على أول المجلدة الثانية من تكملة ابن الأبار التي بخط ابن نقطة المذكور ما صورته : «توفي أبو بكر محمد بن عبد الغني ابن نقطة الحافظ البغدادي في عاشر شعبان سنة ثمان وعشرين وستمائة، رحمه الله تعالى».

٥ إلى هنا تنتهي الترجمة في مج .

٦٦١

ابن الدبيثي

أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي سعيد بن أبي طالب يحيى بن أبي الحسن علي ابن الحجاج بن محمد بن الحجاج ، المعروف بابن الدُّبَيثي ، الفقيه الشافعي المؤرخ الواسطي؛ سمع الحديث كثيراً وعلق تعاليق مفيدة، وكانت له محفوظات حسنة، وكان يوردها ويستعملها في محاوراته ، وكان في الحديث وأسماء رجاله والتاريخ من الحفاظ المشهورين والنبلاء المذكورين ، وصنف كتاباً جعله ذيلاً على تاريخ أبي سعد عبد الكريم ابن السمعاني الحافظ – المقدم ذكره[1] – المذيل على « تاريخ بغداد » للخطيب ، وذكر فيه ما لم يذكره السمعاني ممن أغفله أو كان بعده ، وهو[2] في ثلاث مجلدات وما أقصر فيه، وصنف تاريخاً لواسط ، وصنف غير ذلك.

ذكره ابن المستوفي في « تاريخ إربل » فقال : ورد علينا في ذي القعدة سنة إحدى عشرة وستمائة ، وهو شيخ حسن ، وقال : أنشد لنفسه :

خَبَرْتُ بني الأيام طراً فلم أجد ... صديقاً صدوقاً مُسعداً في النوائبِ
وأصفيتهم منّي الودادَ فقابلوا ... صفاءَ ودادي بالقذى والشوائب
وما اخترتُ منهم صاحباً وارتضيته ... فأحمدتــــه في فعله والعواقب

ولم يزل أبو عبد الله المذكور على اجتهاده وتعليقه إلى أن توفي .
وكانت ولادته يوم الاثنين السادس والعشرين من رجب سنة ثمان وخمسين

٦٦١ – ترجمته في الوافي ٣ : ١٠٢ وطبقات السبكي ٥ : ٢٦ وعبر الذهبي ٥ : ١٥٤ وغاية النهاية ٢ : ٤٥٠ والشذرات ٥ : ٥٨١ والرسالة المستطرفة : ١٣١ وابن الشعار ٧ : ٦٤ ولم يأت من هذه الترجمة في المختار سوى الأبيات البائية ، وقد ورد النسب موجزاً في مج .

١ انظر ج ٣ : ٢٠٩ .

٢ ل لي ت مج : رأيته .

وخمسمائة بواسط . وتوفي يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى ، ودفن بالوردية من الغد[1] .

والدُّبَيْثي : بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ثاء مثلثة ، هذه النسبة إلى دُبَيْثى ، وهي قرية بنواحي واسط ، وأصله من كنجة ، وقدم جَدُّه عليّ من دبيثى وسكن واسط وبها توالدوا[2] .

(193) وتوفي والده أبو المعالي سعيد ليلة عيد النحر سنة خمس وثمانين وخمسمائة بواسط ، ومولده بها في السابع والعشرين من صفر سنة سبع وعشرين وخمسمائة .

٦٦٢

ابن ظفر

أبو عبد الله محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظفر الصقلي المنعوت بحجة الدين ؛ أحد الأدباء الفضلاء ، صاحب التصانيف الممتعة ، منها كتاب « سلوان المطاع في عدوان الاتباع » صنفه لبعض القواد بصقلية ، سنة أربع وخمسين وخمسمائة ،

---

١ ر : من الغروب .

٢ هنا تنتهي الترجمة في النسخ ما عدا ر ق ؛ وانتهت عند لفظة « واسط » في ت مج ؛ وعند لفظة « كنجه » في س ن ل لي بر من .

٦٦٢ – ترجم له العماد في الخريدة (قسم الشام) ٣ : ٤٩ والصفدي في الوافي ١ : ١٤١ (محمد بن محمد بن محمد) وانظر أيضاً العقد الثمين ٢ : ٣٤٤ (محمد بن أبي محمد بن ظفر ، وكناه أبا هاشم نقلا عن أبي الحسن القطيعي في ذيل تاريخه لبغداد ، وذكر أنه توفي سنة ٥٦٧ ومولده سنة ٤٩٧ ؛ قال : وذكره القطب الحلبي في تاريخ مصر فقال محمد بن محمد بن ظفر . . . الخ وأن وفاته في عشر السبعين وخمسمائة) ، وبغية الوعاة : ٥٩ ومعجم الأدباء ١٩ : ٤٨ ونقل أماري بعض هذه الترجمات في المكتبة الصقلية (٦٠٥ ، ٦٥٩ ، ٦٧١) وزاد عليها نقلا عن المقفى للمقريزي (المكتبة : ٦٦٥) .

و « خَيْر البِشَر بخيرِ البَشَر »، وكتاب « الينبوع »[1] في تفسير القرآن الكريم ، وهو كبير ، وكتاب « نجباء الأبناء » ، وكتاب « الحاشية على درة الغواص » للحريري صاحب المقامات ، و « شرح المقامات للحريري » وهما شرحان : كبير وصغير، وغير ذلك من التواليف الظريفة المليحة[2] . ورأيت في أول الشرح الذي له يذكر أنه أخبره بها الحافظ أبو الطاهر السلفي عن منشئها الحريري ، والناس يقولون : إن الحافظ السلفي رأى الحريري في جامع البصرة وحوله حلقة ، وهم يأخذون عنه المقامات، فسأل عنه فقيل له : إن هذا قد وضع شيئاً من الأكاذيب وهو يمليه على الناس ، فتنكّبه[3] ولم يعرج عليه ، والله أعلم بالصواب .

وحكي عن الشيخ تاج الدين الكندي – المقدم ذكره[4] – أنه قال : أحلت على ديوان حماة برزقٍ ، فسرت إليها لأجل ذلك ، فلما حللتها جمع الجماعة بيني وبين ابن ظفر المذكور ، وجرت بيننا مناظرة في النحو واللغة ، فأوردت عليه مسائل في النحو فلم يمش فيها ، وكان حاله في اللغة قريباً ، فلما كاد المجلس يتقوض قال ابن ظفر : الشيخ تاج الدين أعلم مني بالنحو وأنا أعلم منه باللغة ، فقلت : الأول مسلم والثاني ممنوع ، وتفرقنا .

وكان ابن ظفر قصير القامة دميم الخلقة غير صبيح الوجه . ويروى لابن ظفر المذكور شعر ، فمن ذلك ما وجدته في بعض المجاميع منسوباً إليه وهو :

حملتكَ في قلبي فهل أنتَ عالمٌ ... بأنكَ محمولٌ وأنتَ مقيمُ
ألا إن شخصاً في فؤادي محلُّه ... وأشتاقُهُ ، شخصٌ عليَّ كريم

[وقد أخذ هذا المعنى من قول بعض العرب :

سقى بلداً كانت سليمى تحلُّه ... من المزن ما تروى به وتشيم

---

[1] المكتبة الصقلية (٦٦٦) : ينبوع الحياة ، وبهامش مج بخط الناسخ نفسه : « من غير الأصل : وينبوع الحياة في تفسير القرآن الحكيم ، ثماني مجلدات كبار » .

[2] راجع أسماء مؤلفاته في المصدر السابق ، نقلا عن المقفى ؛ وقد ورد ذكرها موجزاً في ق مج .

[3] ر : فتركه .

[4] انظر ج ٢ : ٣٣٩ .

وإن لم أكن من ساكنيه فإنه   يحلُّ به شخص علـيٌّ كريم][1]

وأورد له العماد الأصبهاني في كتاب « الخريدة » عدة مقاطيع ، فمن ذلك قوله[2] :

على قدرِ فضل المرء تأتي خطوبه   ويُعرف عند الصبر في ما يصيبه[3]
ومن قلَّ فيما يتَّقيهِ اصطباره   فقد قلَّ فيما يرتجيهِ نصيبه

وكانت نشأته بمكة ، وتنقل في البلاد ، ومولده بصقلية ، وسكن آخر الوقت بمدينة حَماة وتوفي بها سنة خمس وستين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى . ولم يزل يكابد الفقر إلى أن مات ، حتى قيل إنه زوج ابنته في حماة بغير كفء من الحاجة والضرورة ، وإن الزوج رحل بها عن حماة وباعها[4] في بعض البلاد .

وظفر : بفتح الظاء المعجمة والفاء وبعدها راء ، وهو المصدر من قولهم : ظَفِرَ بالشيء يَظْفَر ظَفَراً ، إذا فاز به .

وقد تقدم الكلام على صقلية فلا حاجة إلى إعادته .

---

1 ما بين معقفين لم يرد في النسخ الخطية ، وزدناه عن المطبوعة المصرية .
2 الخريدة : ٥٢ ؛ وهذا الشعر لم يرد في ت مج .
3 في النسخ : فيه نصيبه ، والتصويب عن الخريدة .
4 لي : وأباعها .

٦٦٣

العتبي

أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو[١] بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي ، المعروف بالعُتْبي[٣] ، الشاعر البصري المشهور ؛ كان أديباً فاضلاً شاعراً مجيداً ، وكان يروي الأخبار وأيام العرب ، ومات له بنون ، فكان يرثيهم ، وروى عن أبيه وعن سفيان بن عيينة ولوط بن مخنف ، وروى عنه أبو حاتم السجستاني وأبو الفضل الرياشي وإسحاق بن محمد النخعي وغيرهم ، وقدم بغداد وحدث بها وأخذ عنه أهلها ، وكان مستهتراً[٢] بالشراب ، ويقول الشعر في عُتبة . وكان هو وأبوه سيدين أديبين فصيحين ، وله من التصانيف كتاب « الخيل » وكتاب « أشعار الأعاريب » و « أشعار النساء اللاتي أحببن ثم أبغضن » وكتاب « الذبيح » وكتاب « الأخلاق » وغير ذلك .

وقال العتبي المذكور : سمعت أعرابياً يقول لرجل : إن فلاناً وإن ضحك لك فإن عقاربه تسري إليك ، فإن لم تجعله عدواً في علانيتك فلا تجعله صديقاً في سريرتك[٣] .

---

٦٦٣ – ترجمته في الفهرست : ١٢١ ومعجم المرزباني : ٣٥٦ وطبقات ابن المعتز : ٣١٤ والوافي ٤ : ٣ وتاريخ بغداد ٢ : ٣٢٤ واللباب (العتبي) وعبر الذهبي ١ : ٤٠٣ وله شعر في عيون الأخبار ٣ : ٦٠ والتعازي والمراثي : ٦٤ .

١ س بر : عمر ، وانظر جمهرة ابن حزم : ١١٢ .

٢ مج ق بر : مشتهراً .

٣ وقال العتبي . . . سريرتك : انفردت به ر ق ؛ والنص من قوله « ويقول الشعر . . . سريرتك » سقط من مج وجاء في موضعه : « وأكثر أخباره عن بني أمية ، فمن المنقول عنه قال : حضرت قينة مجلسنا فغنت فأجادت ، فقام إليها شيخ فجلس بين يديها وقال : كل مملوك له حر وكل امرأة له طالق ، لو كانت الدنيا كلها صرراً في كمي لقطعتها لك ، فأما إذ لم يكن فجعل الله كل حسنة=

وذكره ابن قتيبة في كتاب « المعارف »[1] وابن المنجم في كتاب « البارع » وروى له[2] :

رأينَ الغواني الشيب لاحَ بعارضي فأعْرَضْنَ عني بالخدُودِ النَّواضِرِ
وكنَّ متى أبصَرْنَني أو سمعنَ بي سعينَ فرقَّعْنَ الكوى بالمحاجِرِ
فإن عطَفَتْ عني أعنةُ أعينٍ نظَرْنَ بأحداقِ المَها والجآذِرِ
فإنيَ من قومٍ كريمٍ ثناؤهم لأقدامِهم صِيغتْ رؤوس المنابرِ
خلائف في الإسلام، في الشرك قادة بهم وإليهم فخر كل مفاخر

وفي المجموع الذي بخطي أبيات للشريف الرضي، رحمه الله، في هذا المعنى[3].
وأورد له أيضاً :

لما رأتني سُلَيْمى قاصراً بصري عَنها وفي الطَّرْف عن أمثالها زَوَرُ
قالت عهدْتُكَ مجنوناً ، فقلت لها إن الشبابَ جُنُونٌ بُرْؤُهُ الكِبَرُ

وهذا البيت من الأمثال السائرة . وذكر له المبرد في كتاب « الكامل »[4] بيتين يرثي بهما بعضَ أولاده ، وهما :

أضْحَتْ بخدِّي للدموع رُسُومُ أسفاً عليك وفي الفؤاد كُلُومُ
والصَّبرُ يُحْمَدُ في المَواطِنِ كُلِّها إلاَّ عليك فإنه مَذْمُومُ

وهذا البيت أيضاً من الأبيات المشهورة . وشعره كثير جيد ، وهو من

= لي لك ، وكل سيئة لك علي؛ فقالت : جزاك الله خيراً فوالله ما يقوم الوالد لولده بما قمت به لنا؛ فقام شيخ آخر فقعد بين يديها وقال : كل مملوك له حر ، وكل امرأة له طالق إن كان وهب لك شيئاً أو حمل عنك شيئاً لأنه ما له حسنة يهبها لك ولا عليك سيئة يحملها عنك، فلأي شيء تحمدينه ؟».

١ المعارف : ٥٣٨ .

٢ معجم المرزباني : ٣٥٧ وفيه بيتان منها ، وكذلك ورد بيتان في مج .

٣ وفي المجموع . . . المعنى : مذكور في ن لي ل بر من وسقط من س ت ر ق مج .

٤ الكامل ٢ : ٤١ .

فحول الشعراء المحدثين . وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائتين ، رحمه الله تعالى .
والعُتْبي : بضم العين المهملة وسكون التاء المثناة من فوقها وبعدها باء موحدة ، هذه النسبة إلى جده عتبة بن أبي سفيان المذكور ، وقد نسب مثل هذه النسبة إلى عتبة بن غَزوان الصحابي ، رضي الله عنه ، وغيره ويجوز أن تكون نسبته إلى عُتْبَة التي كان يقول الشعر فيها[1] ، والله أعلم .
وروي عنه[2] أنه كان يقول : الزرافة - بفتح الزاي وضمها - الحيوان المعروف وهي متولدة بين ثلاث حيوانات : الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبعان، وهو الذكر من الضباع، فيقع الضبعان على الناقة فتأتي بولد بين الناقة والضبع ، فإذا كان الولد ذكراً وقع على البقرة فتأتي بالزرافة ، وذلك في بلاد الحبشة ، ولذلك قيل لها الزرافة ، والزرافة في الأصل الجماعة ، فلما تولدت من جماعة قيل لها الزرافة ، والعجم تسميها : « اشتر كاو بلنك » لان « الأشتر » : الجمل و « الكاو » : البقرة ، و « البلنك » : الضبع .

٦٦٤

أبو بكر الخوارزمي الشاعر

أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الشاعر المشهور، ويقال له « الطبرخزي » أيضاً لأن أباه من خوارزم وأمه من طَبَرستان فرُكّب له من الاسمين نسبة ، كذا ذكره السمعاني ، وهو ابن أخت أبي جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب

---

١ ويجوز . . . فيها : سقط من س ن ل لي مج بر من .

٢ من هنا حتى آخر الترجمة زيادة من ر ق والمختار ، وقارن بما في الحيوان ١ : ١٤٣ ، وقد سخر الجاحظ ممن يذهبون هذه المذاهب .

٦٦٤ - ترجمته في اللباب : (الطبرخزي) وتاريخ ابن الأثير ٩ : ١٠١ ورسائل البديع : ٢٨ - ٨٤ (مناظرته معه) وبغية الوعاة : ٥١ والوافي ٣ : ١٩١ وله ذكر في أخلاق الوزيرين للتوحيدي وانظر الشذرات ٣ : ١٠٥ .

التاريخ – وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمة ابن جرير –.

وأبو بكر المذكور أحد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير، كان إماماً في اللغة والأنساب، أقام بالشام مدة وسكن بنواحي حلب، وكان مُشاراً إليه في عصره. ويحكى أنه قصد حضرة الصاحب ابن عبّاد وهو بأرّجان، فلما وصل إلى بابه قال لأحد حجابه: قل للصاحب على الباب أحد الأدباء وهو يستأذن[1] في الدخول، فدخل الحاجب وأعلمه، فقال الصاحب، قل له: قد ألزمت نفسي أن لا يدخل عليّ من الأدباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب، فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك، فقال له أبو بكر: ارجع إليه وقل له: هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء؟ فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال، فقال الصاحب: هذا يريد أن يكون أبا[2] بكر الخوارزمي، فأذن له في الدخول، فدخل عليه فعرفه وانبسط له.

وأبو بكر المذكور له ديوان رسائل وديوان شعر. وقد ذكره الثعالبي في كتاب «اليتيمة»[3]، وذكر قطعة من نثره ثم أعقبها بشيء من نظمه، فمن ذلك قوله:

رأيتك إن أيْسَرْتَ خيَّمْتَ عندنا ... مُقيماً وإن أعسرت زُرْتَ لماما

فما أنت إلا البَدْرُ إن قلّ ضَوؤه ... أغبّ وإن زاد الضياء أقاما

[يشير إلى قول ابنة عبيد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة: ما رأيت ألأم من أصحابك، إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت تركوك، فقال: هذا من كرمهم، يأتوننا في حال القوة منّا عليهم ويعافوننا في حال الضعف منا عنهم؛ وأنشدني عثمان بن سعيد بن تولوا لنفسه:

متواضع كالغصن يدنو مثمراً ... فإذا أنالك ما عليه ترفّعا][4]

---

١ ق: يستأذن عليك.

٢ أن: سقطت من ر مج؛ ق: هذا تراه يكون؛ وفي ر مج والمختار: أبو؛ بر: هذا يكون أبا.

٣ اليتيمة ٤: ١٨٤.

٤ زيادة انفردت بها مج.

ومن شعره أيضاً :

يا من يحاول صرف الراح يشربها ولا يفكّ لمـــا يلقاه قرطاسا
الكاسُ والكِيسُ لم يقض امتلاؤهما ففرغ الكيسَ حتى تملأ الكاسا

وفيه يقول أبو سعيد أحمد بن شهيب[1] الخوارزمي :

أبو بكر له أدبٌ وفضْل ولكن لا يدُومُ على الوَفـاءِ
مَوَدَّته إذا دامَتْ لِخِلٍّ فمن وقتِ الصَّباح إلى المساء

وملحه ونوادره كثيرة .

ولما رجع من الشام سكن نيسابور ومات بها في منتصف شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة . وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه أنه توفي سنة ثلاث وتسعين ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى[2] .

وكان قد فارق الصاحب ابن عباد غير راض فعمل فيه :

لا تحمَدَنَّ ابن عباد وإن هَطَلَتْ يَداه بالجود حتى أخجَلَ الدِّيَما
فإنها خَطَرات من وساوِسِهِ يُعْطي ويَمْنَع لا بُخلا ولا كَرَما

فبلغ ابن عباد ذلك ، فلما بلغه خبر موته أنشد :

أقولُ لِرَكبٍ من خُراسانَ قافلٍ أماتَ خوارزميّكم ؟ قيل لي: نعَمْ
فقلت: اكتبوا بالجصّ من فوق قبره ألا لَعَنَ الرحمنُ من كفَرَ النِّعَمْ

قلت : هكذا وجدت هذين البيتين منسوبين إلى أبي بكر الخوارزمي المذكور في الصاحب ابن عباد، ذكر ذلك جماعة من الأدباء في مجاميعهم وفي مذكراتهم .

(194) ثم نظرت في كتاب « معجم الشعراء »[3] تأليف المَرْزُباني، فوجدت

---

١ ل لي ت بر من : شبيب .

٢ هامش ن : وكان مولده في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، هكذا ذكره الثعالبي في « اليتيمة » وغيره ؛ وقوله : وذكر شيخنا . . . تعالى : سقط من س ن لي ل بر من .

٣ معجم المرزباني : ٣١٦ .

في ترجمة أبي القاسم الأعمى، واسمه معاوية بن سفيان، وهو شاعر راوية بغدادي أحد غلمان الكسائي ، اتصل بالحسن بن سَهْل يؤدب أولاده ، فعتب عليه في شيء فقال يهجوه :

لا تحمَدَنْ حسَناً بالجودِ إن مَطَرتْ كفّاهُ غَزْراً ولا تذممه إن زرِما
فليس يَمنَعُ إبقــاءً على نَشَبٍ ولا يجود لِفَضْلِ الحَمْــد مغتنما
لكنّهـــا خطَرات منْ وساوِسه يُعْطي ويَمْنَعُ لا بخلاً ولا كَرَما

والله أعلم بذلك[1] . وقد تقدم الكلام على الخوارزمي .

والطَبَرْخَزي : بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وسكون الراء وفتح الخاء المعجمة وبعدها زاي، وقد سبق في أول الترجمة الكلام على سبب هذه النسبة .

٦٦٥
السلامي الشاعر

أبو الحسن محمد بن عبد الله[2] بن محمد بن محمد بن يحيى بن خليس بن عبد الله ابن يحيى بن عبد الله بن الحارث بن عبد الله بن الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر[3] بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن

---

١ قلت : هكذا . . . أعلم بذلك : سقط هذا النص من أكثر النسخ .

٦٦٥ – ترجمته في تاريخ بغداد ٢ : ٣٣٥ والوافي ٣ : ٣١٧ والمنتظم ٧ : ٢٢٥ والامتاع ١ : ١٣٤ والبداية والنهاية ١١ : ٣٣٣؛ واكتفى صاحب المختار بإيراد الأشعار الواقعة في هذه الترجمة .

٢ ر لي ق بر وتاريخ بغداد : عبيد الله؛ وفي تاريخ بغداد اختلاف في نسبه عما هو هنا، والنسب موجز في كل من س ن ت مج .

٣ ن : عمرو .

نزار بن معد بن عدنان ، المخزومي السَّلامي الشاعر المشهور ؛ هو من ولد الوليد ابن الوليد بن المغيرة المخزومي ، أخي خالد بن الوليد ، رضي الله عنه .

قال الثعالبي في حقه[1] : هو من أشعر أهل العراق قولاً بالإطلاق ، وشهادة بالاستحقاق ، وعلى ما أجريته من ذكره ، شاهد عدل من شعره ، والذي كتبت من محاسنه نزه العيون ، ورُقى القلوب ، ومُنى النفوس . ومن خبره أنه قال الشعر وهو ابن عشر سنين[2] ، وأول شيء قال[3] في المكتب :

بدائع الحسن فيه مفترقَه ... وأعينَ النــاس فيه متفقهْ
سهامُ ألحــاظِهِ مُفوَّقةٌ ... فكلّ مَنْ رام لَحْظه رشَقه
قد كتَبَ الحسنُ فوقَ وجنته[4] ... هذا مليح وحقّ من خلقه

[وركب في صباه سمارية في دجلة ، ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك فقال :

وميدان تجــول به خيولٌ ... تقود الدارعين ولا تقــادُ
ركبت به إلى اللذات طِرفاً ... له جسمٌ وليس له فــؤاد
جرى فظننت أن الأرض وجهٌ ... ودجلة ناظرٌ ، وهو السواد][5]

ونشأ ببغداد وخرج منها إلى الموصل وهو صبي يوم ذاك[6] ، فوجد بها جماعة من مشايخ الشعراء ، منهم أبو عثمان الخالدي أحد الخالديين ، وأبو الفرج الببغاء -المقدم ذكره- وأبو الحسن التلعفري، وغيرهم ، فلما رأوه عجبوا منه لبراعته مع حداثة سنه ، فاتهموه بأن الشعر ليس له ، فقال الخالدي : أنا أكفيكم أمره، واتخذ دعوة جمع فيها الشعراء وأحضر السلامي المذكور معهم ، فلما توسطوا

---

١ يتيمة الدهر ٢ : ٣٩٦ ؛ وهذه الترجمة في أكثرها نقل عن اليتيمة .
٢ ق من : ابن عشرين سنة .
٣ لي : قال وهو .
٤ اليتيمة : عارضه .
٥ زيادة انفردت بها مج .
٦ مج : وخرج من مدينة السلام وورد الموصل وهو صبي حين راهق .

الشراب أخذوا في التفتيش عن[1] بضاعته ، فلم يلبثوا أن جاء مطر شديد وبَرَد ستر وجه الأرض، فألقى الخالدي نارنجاً كان بين أيديهم على ذلك البَرَد، وقال: يا أصحابنا ، هل لكم أن نصف هذا ؟ فقال السلامي ارتجالاً :

لله در الخـــالـــديّ   الأوحـد الندب الخطيرِ
أهدى لمـــاء المزن عنـ   ـد جمـــوده نارَ السعير
حتى إذا صدر العتـــا   بُ إليه عن حرّ الصدور
بعثت إليـــه هديّة[2]   عن خاطري أيدي السرور
لا تعـــذلوه فإنـــه   أهدى الخدودَ إلى الثغور

فلما رأوا ذلك منه أمسكوا عنه . وكانوا يصفونـــه بالفضل ويعترفون له بالإجادة والحذق،إلا التلـّعفري فإنه أقام على قوله الأول حتى قال السلامي فيه:

سمـــا التلـّعْفَريّ[4] إلى وصالي   ونفسُ الكلبِ تكبر عن وصاله
ينـافي خلقـــه خلقي وتأبى   فعالي أن تضـــاف إلى فعاله
فصنعتيَ النفيسة في لســـاني   وصنعته الخسيســـة في قَذاله
فإن أشعر فما هو من رجالي   وإن يُصْفَعْ فما أنا من رجاله[3]

وله فيه أهاج كثيرة .

ودخل السّلامي يوماً على أبي تغلب[4] ، وأظنه الحمداني ، وبين يديه درع ، فقال : صفها لي ، فارتجل :

يا رُبّ سابغـــةٍ حبتني نعمة   كافأتهـــا بالسوء غير مفنّدِ
أضحت تصونُ عن المنايا مهجتي   وظللت أبذلهـــا لكلّ مهنّد

---

١ مج : أخذوا في ملاحاته والتفتيش عن قدر .

٢ اليتيمة : بعذره .

٣ سقط البيت من ن .

٤ ن ر ت ل لي : ثعلب .

وهذا المعنى مأخوذ من قول عبد الله بن المعتز في الخمرة المطبوخة ، وقد سبق ذكر ذلك في ترجمته وهو[1] :

وقَتنيَ من نار الجحيم بنفسها   وذلك من إحسانها ليس يجحدُ

وقصد السّلامي حضرة الصاحب ابن عباد وهو بأصبهان ، فأنشده قصيدته البائية التي من جملتها :

تبسطنا على الآثام لما   رأينا العفو من ثمر الذنوب

وهذا البيت من محاسنه ، وفيه إشارة إلى قول أبي نُواس الحسن بن هانىء من جملة أبيات في الزهد – وقد تقدم ذكرها في ترجمته[2] – وهو قوله :

تعضّ ندامةً كفيك مما   تركتَ مخافة النار السرورا

وفيه إلمام أيضاً بقول المأمون : لو علم أرباب الجرائم تلذذي بالعفو لتقربوا إليّ بالذنوب .

ولم يزل السّلامي عند الصاحب بين خير مستفيض ، وجاه عريض ، ونعم بيض ، إلى أن آثر قَصْدَ حضرة عضد الدولة بن بُوَيه بشيراز ، فحمله الصاحب إليها وزوّده كتاباً بخطه إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف الكاتب ، وكان أحد البلغاء ، وممن يجري عند عضد الدولة مجرى الوزراء ، ونسخة الكتاب : قد علم مولاي[3] أن باعَة الشعر أكثر من عدد الشّعر ، ومن يُوثَق أن حليته التي يهديها من صَوْغ طبعه ، وحلله التي يؤديها من نسج فكره ، أقلُّ من ذلك ، وممن خبرته بالامتحان فحمدته[4] ، وفَرَرْته بالاختبار فاخترته ، أبو الحسن محمد ابن عبد الله السّلامي[5] ، وله بديهة قوية ، توفي على الرويّة ، ومذهبٌ في الإجادة

---

١ انظر ج ٣ : ٧٩ .

٢ ج ٢ : ٩٨ .

٣ زاد في مج : أطال الله بقاءه .

٤ ق ر ل مج : فأحمدته .

٥ زاد في مج : أيده الله .

يهش السمع لوعيه ، كما يرتاح الطرف لرعيه ، وقد امتطى أمله ، وخيِّرَ له[1] إلى الحضرة الجليلة رجاء أن يحصل في سواد أمثاله ، ويظهر معهم بياض حاله ، فجهزت منه أمير الشعر في موكبه ، وحليت فرس البلاغة بمركبه ، وكتابي هذا رائده إلى القَطْر ، بل مَشْرَعه إلى البحر ، فإن رأى مولاي أن يراعي كلامي في بابه ، ويجعل ذلك من ذرائع إيجابه ، فعل إن شاء الله تعالى .

فلما ورد عليه تكفل به أبو القاسم وأفضل عليه وأوصله إلى عضد الدولة ، حتى أنشده قصيدته التي منها[2] :

إليك طَوَى عرض البسيطة جاعل   قصارى المطايا أن يلوح لها القَصْرُ
فكنت وعزمي في الظلام وصارمي   ثلاثة أشباهٍ كما اجتمع النَّسْر
وبشرت آمالي بملْكٍ هو الوَرى   ودار هي الدنيا ، ويوم هو الدهر

وقد تقدم ذلك في ترجمة عضد الدولة في حرف الفاء فليطلب هناك — .

وقد أخذ القاضي أبو بكر أحمد الأرجاني — المقدم ذكره[3] — معنى البيت الأخير وسبكه في قوله :

يا سائلي عنه لما ظلت أمدحه   هذا هو الرجل العاري من العار
لو زرته لرأيت الناس في رجل   والدهر في ساعة والأرض في دار

وهذا البيت وإن كان في معنى ذلك البيت لكن ليس فيه رشاقته ولا عليه طلاوته ؛ وقد استعمل المتنبي أيضاً هذا المعنى المذكور لكنه لم يكمله فأتى ببعضه في النصف الأخير من هذا البيت وهو قوله :

هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى   ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق[4]

---

١ ن : وخيرته ؛ س ت : وخبر له .

٢ لم يرد في ر ق ، إلا البيت الأول ، ثم أحالتنا على ما ورد في ترجمة عضد الدولة .

٣ ج ١ : ١٥١ .

٤ وقد أخذ القاضي . . . الخلائق : ورد في جميع النسخ ما عدا ر ق ، وهو مكرر مع اختلاف يسير ، إذ ورد ما يشبهه في ترجمة عضد الدولة .

رجعنا إلى خبر السلامي مع عضد الدولة :

فاشتمل عليه بجناح القبول ، ودفع إليه مفتاح المأمول ، واختص بخدمته في في مقامه وظعنه، وتوفر من صِلاته حظه، وكان عضد الدولة يقول : إذا رأيت السّلامي في مجلسي ظننت أن عطارد قد نزل من الفلك إليّ ووقف بين يدي . ولما توفي عضد الدولة – في التاريخ المذكور في ترجمته – تراجع طبع السّلامي ورقت حاله ، ثم ما زالت تتماسك مرة وتتداعى أخرى حتى مات .

وله في عضد الدولة كل قصيدة بديعة ، فمن ذلك قوله من جملة قصيد[1] :

نبهتُ ندمـــاني وقــد   عبرت بنا الشعرى العبورُ
والبدرُ في أُفــق السما   ءِ كروضة فيهـا غدير
هُبُّوا إلى شرب المــدا   م فإنمـــا الدنيا غرور[2]
هُبُّوا فقـــد عي الرقيـ   ـب فنام وانتبه السرور
وأشـــار إبليس فقلـ   ـنا كلنا : نعم المشير
صَرْعى بمعركة تعفّ   الوحش عنـــا والنسور
نوّار رَوْضَتنـــا خدو   دٌ والغُصُونُ بها خُصُور
والعيش أستر مـا يكو   ن إذا تهتكت الستور
طاف السُّقاة بهـــا كما   أهدَت لكَ الصَّيْدَ الصُّقور
عذراء يكتمهـــا المزا   جُ كأنهـــا فيه ضمير
وتظُنُّ تَحْتَ حَبابهـا   خَدّاً تقبلـــه ثغور
حتى سَجَدنا والإمـــا   مُ أمامنـــا بِمْ[3] وزير

وله فيه أيضاً من جملة أبيات :

يزور نائلك العافي وصارمك الـ   ـعاصي فتحويهما أيدٍ وأعناقُ

---

١ اليتيمة : ٤١٦ .

٢ تأخر عن هذا الموضع في اليتيمة ، وسقط من مج ل .   ٣ مج واليتيمة : مثنى .

في كل يوم لبيت المجد منك غِنـًى وثروة ، ولبيت المال إمْلاقُ

وله فيه أيضاً :

تشبهه المدّاحُ في البَأس ِ والنّدى بمَنْ لو رآه كان أصغَرَ خادِمِ
ففي جَيْشه خَمسُون ألفاً كعَنتَر وأمضى، وفي خُزّانه[1] ألفُ حاتمِ

ومن شعره أيضاً :

لمّا أُصيبَ الخدُّ منك بعارضٍ أضحى بسلسلة العِـذار مقيَّدا

ومن هاهنا أخذ ابن التلعفري قوله :

هب أن خدّكَ قد أُصيب بعارضٍ فعَلامَ صُدْغكَ راح وهو مسلسلُ

وأنشدني ابن التلعفري – وهو الشهاب محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني – أبياته التي من جملتها هذا البيت .

وبالجملة فأكثر شعره نُخَبٌ وغُرَر[2] . وكانت ولادته آخر نهار الجمعة لست خلون من رجب سنة ست وثلاثين وثلثمائة في كَرْخ بغداد . وتوفي يوم الخميس رابع جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

والسّلامي : نسبة إلى دار السلام بغداد – وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمة محمد بن ناصر الحافظ[3] .

---

١ ق : وفي جيرانه .

٢ وقعت هذه الجملة في ق قبل البيت التالي ، وسقطت من ر .

٣ انظر هذا الجزء : ٢٩٤ .

٦٦٦

ابن سكرة الشاعر

أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد ، المعروف بابن سكرة الهاشمي البغدادي الشاعر المشهور ، وهو من ولد علي بن المهدي بن أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي ؛ قال الثعالبي في ترجمته[1] : هو شاعر متسع الباع في أنواع الإبداع ، فائق في قول الطرف والملح على الفحول والأفراد ، جار في ميدان المجون والسخف ما أراد ، وكان يقال ببغداد : إن زماناً جاد بمثل ابن سكرة وابن حجاج لسخيٌّ جداً ، وما شُبِّها إلا بجرير والفرزدق في عصرهما . ويقال إن ديوان ابن سكرة يُرْبي على خمسين ألف بيت[2] ، فمن بديع تشبيهه ما قاله في غلام رآه وفي يده غصن وعليه زهر ، وهو :

غصنُ بانٍ بدا وفي اليد منه   غُصُنٌ فيه لؤلؤ منظومُ

---

٦٦٦ – ترجمته في تاريخ بغداد ٥ : ٤٦٥ والمنتظم ٧ : ١٨٦ والوافي ٣ : ٣٠٨ وعبر الذهبي٣ : ٣٠ والشذرات ٣ : ١١٧ .

١ اليتيمة ٣ : ٣ .

٢ زاد هنا في مج زيادة نستبعد أن تكون من عمل المؤلف ولهذا نثبتها في الحاشية لا في المتن وهي : « منها في قينة سوداء تسمى خمرة أكثر من عشرة آلاف بيت ؛ وحكى أبو طاهر ميمون بن سهل الواسطي أن ابن سكرة حلف بطلاق امرأته وهي بنت عمه أنه لا يخلي بياض يوم من سواد شعر في هجاء خمرة ، ولما شعرت امرأته بالقصة كانت كل يوم إذا انفتل زوجها من الصبح تجيئه بالدواة والقرطاس وتلزم مصلاه لزوم الغريم ، فلا تفارقه ما لم يقرض ولو بيتاً في ذكرها وهجائها ، وكان يقول ابن سكرة : ما رأيت هجاء بمستحث غير هذا ، فمن قوله فيها :

عجبت لخمرة البخراء أنى   أقامت مع مؤاجرها زمانا

وليس (لفعله) طول ولكن   (يبيك) به ويردفه لسانا

لحاه الله كيف يدس فيها   لساناً ربما درس القرانا »

قلت : وانظر جانباً من هذا الخبر في الهفوات النادرة : ٣٧٧ – ٣٧٨ .

فتحيرتُ بين غصنين في ذا قمرٌ طالعٌ وفي ذا نجومُ

ومن شعره :

قالوا : التحى وستسلو عنه قلت لهم : هل يحسن الروض ما لم يطلع الزهرُ
هَل ِ التَحى طرفه الساجي فأهجره ؟ أم هل تزحزحَ عن أجفانه الحَوَرُ ؟

وله في غلام أعرج :

قالوا بليتَ بأعرج فأجبتهم ألعَيبُ يحدث فيغصون البانِ
إني أحب حديثه وأريـده للنوم لا للجري في الميدانِ

وله أيضاً :

أنا والله هـــالك آيس من ســـلامتي
أو أرى القامة التي قد أقامت قيامتي[1]

وقال أبو الحسن علي بن محمد بن الفتح المعروف بابن أبي العصب – ويقال ابن العصب[2] – الأشناني الملحي البغدادي الشاعر : كتب إليَّ ابن سكرة الهاشمي :

يا صديقاً أفادنيه زمـــان فيه ضَنٌ بالأصدقاء وشُحُّ
بينْ شخصي وبينْ شخصك بُعْدٌ غير أن الخيال بالوصل سَمْحُ

---

١ سقط هذان البيتان من مج وورد في موضعهما : « وله في غلام يعرف بابن برغوث :

بليت ولا أقول بمن لأني متى ما قلت من هو يعشقوه
حبيب قد نفى عني رقـــادي فإن غمضت أيقظني أبوه

وحدث ابن أبي الجوائز الواسطي قال : سمعت محمد بن سكرة الهاشمي يقول : دخلت حماماً وخرجت وقد سرق مداسي فعدت إلى داري حافياً وأنا أقول :

إليك أذم حمام ابن موسى وإن فاق المنى طيباً وحرا
تكاثرت اللصوص عليه حتى لتخفي من يطوف به ويعرى
ولم أفقد بـــه ثوباً ولكن دخلت محمداً وخرجت بشرا

يريد النبي عليه السلام وبشراً الحافي » .

٢ ن : العصيب ؛ ت : العضب .

إنما أوجب التباعدَ منــا أنني سُكّر وأنك مِلْحُ

فكتب إليه :

هل يقول الإخوان يوماً لخِلٍّ شاب منه مَحْضَ المودة قَدْحُ
بيننــا سكر فـلا تفسدنه أم يقولون : بيننا وبينك ملحُ[1]

وله يهجو بعض الرؤساء :

تهت علينا ولست فينا وليّ عهدٍ ولا خليفـه
فَتِـهْ وزد ما عليَّ جارٍ يُقْطع عني ولا وظيفه
ولا تقل ليس فيَّ عيبٌ قد تقذف الحرة العفيفه
والشعر نارٌ بلا دخان وللقوافي رُقًى لطيفه
كم من ثقيل المحلّ سامٍ هَوَتْ به أحرف خفيفه
لو هُجيَ المسك وهو أهل لكلّ مدحٍ لصار جيفه

وله أيضاً :

قيل : ما أعددت للبر د فقد جاء بشِدَّهْ
قلت : دراعة عُرْيٍ تحتهـا جبة رِعْدَهْ

وله البيتان اللذان ذكرهما الحريري في المقامة الكرجية[2] ، وهما :

جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا

---

١ ورد بعد هذا في النسخ ن س ل لي بر من : ذكره العماد في الخريدة وقال : لقيته بدمشق سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، وتوفي بعد ذلك بقليل ؛ والكلام بحسب موقعه ينصرف إلى ابن أبي العصب ، وهو واضح الخطأ ، ولهذا ورد في هامش ن تعليق بخط غير خط الأصل يقول فيه المعلق « لعل هذا سهو من قلم الناسخ إذ لو كان تاريخ وفاة الملحي ذاك ، كيف يمكن المطارحة بينه وبين ابن سكرة... » والترتيب كما أثبتناه عن نسخة ر يصحح هذا الوهم ، فإن كلام العماد ينصرف إلى أبي الثناء محمود لا إلى ابن سكرة .

٢ مقامات الحريري : ٢٥٤ — ٢٥٥ .

كن وكيس وكانون وكاس طلا بعد الكباب وكس ناعم وكسا

وقد نسج ابن التعاويذي – الآتي ذكره في المحمدين إن شاء الله تعالى – على منواله ، فقال :

إذا اجتمعت في مجلس الشرب سبعة فما الرأي في التأخير عنه صوابُ
شِواءٌ وشَمّامٌ وشَهْدٌ وشادن وشمع وشادٍ مطربٌ وشراب

وقال أبو الثناء محمود بن نعمة بن أرسلان النحوي الشيزري[1] :

يقولون كافات الشتاء كثيرة وما هي إلا واحد غير مُفْتَرَى[2]
إذا صح كافُ الكيس فالكل حاصل لديك،وكل الصيد يوجد في الفَرا[3]

وله[4] في الشباب أيضاً :

لقد بان الشبابُ وكان غصناً له ثمر وأوراقٌ تظلُّكْ
وكان البعض منك فمات فاعلم متى ما مات بعضك مات كلك

ومحاسن شعره كثيرة .

وتوفي يوم الأربعاء حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى .

(195) وكانت ولادة ابن أبي العصب المذكور بعد سنة خمس وثمانين ومائتين، وسمع منه الحسن بن علي الجوهري هذه الأبيات سنة أربع وسبعين وثلثمائة .

وتوفي أبو الثناء محمود بن نعمة المذكور سنة خمس وستين وخمسمائة بدمشق[5]،

---

١ ترجمته في الخريدة (قسم الشام) ١ : ٥٧٥ – ٥٧٩ .

٢ الخريدة : وما هي إلا فرد كاف بلا مرا .

٣ قوله «وقد نسج . . . الفرا» سقط من النسخ ما عدا ر ق والمختار .

٤ هنا يعود الضمير إلى ابن سكرة ؛ ولذلك قال في المختار : ولابن سكرة المذكور في الشباب .

٥ ترجم له المؤلف ترجمة عارضة في ج ١ : ٥٢٥ ، ونقل عن العماد قوله إنه توفي بعد سنة خمس وستين وخمسمائة .

وذكر عماد الدين الكاتب في كتاب « الخريدة » أنه رآه بدمشق سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، وأنشده عدة مقاطيع له[1] .

وسكرة : بضم السين المهملة وتشديد الكاف وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة، وهي معروفة فلا حاجة إلى تفسيرها[2] .

٦٦٧

الشريف الرضي الموسوي

الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، المعروف بالموسوي صاحب ديوان الشعر ؛ ذكره الثعالبي في كتاب « اليتيمة » فقال في ترجمته[3]: ابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز عشر سنين بقليل، وهو اليوم أبدع أنشاء الزمان ، وأنجب سادة العراق ، يتحلى مع محتده الشريف ومفخره المنيف ، بأدب ظاهر وفضل باهر وحظ من جميع المحاسن وافر ، ثم هو أشعر الطالبيين مَنْ مضى منهم ومن غَبَر، على كثرة شعرائهم المفلقين ، ولو قلت إنه

---

١ وتوفي . . . له : سقط من س لي ل ت مج بر من .

٢ عند هذا الموطن ينتهي الجزء الثاني من نسخة ولي الدين (ن) وقد جاء هنالك « وكان الفراغ من نسخ هذا المجلد يوم الثلاثاء بعد العصر الخامس والعشرين من شهر رجب الفرد الحرام سنة إحدى وثمانين وثمانمائة من الهجرة النبوية على ساكنها (؟) أفضل الصلاة والسلام؛ وعلقه لنفسه لينظر فيه أقل عبيد الله عملا وأكثرهم زللا المعترف بذنبه الراجي عفو ربه محمد بن يوسف ابن ناصر الدين محمد الميدومي المالكي البرساوي منشأ نزيل طرا غفر الله ولوالديه . . . الخ » قلت : وتستمر نسخة ن حتى آخر الكتاب .

٦٦٧ – انظر دراسة عنه للدكتور إحسان عباس (بيروت : ١٩٥٧) وفيها ذكر لمصادر ترجمته .

٣ اليتيمة ٣ : ١٣٦ .

أشعر قريش لم أبعد عن الصدق ، وسيشهد بما أخبر به[1] شاهد عدل من شعره العالي القِدْح الممتنع عن القَدْح ، الذي يجمع إلى السلاسة متانة وإلى السهولة رصانة ويشتمل على معانٍ يقرب جَناها ويبعد مَداها . وكان أبوه يتولى قديماً[2] نقابة نقباء الطالبيين ، ويحكم فيهم أجمعين ، والنظر في المظالم والحج بالناس ، ثم رُدَّت هذه الأعمال كلها إلى ولده الرضي المذكور في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وأبوه حي .

ومن غرر شعره ما كتبه إلى الإمام القادر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدر من جملة قصيدة[3] :

عَطفاً أميرَ المؤمنين فإننا ... في دوحةِ العلياء لا نتفرقُ
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... أبداً ، كلانا في المعالي مُعْرِق
إلا الخلافة ميزتك ، فإنني ... أنا عاطل منها وأنت مطوق

ومن جيد شعره قوله أيضاً[4] :

رُمْتُ المعالي فامتنعن ولم يزل ... أبداً يُمانعُ عاشقاً معشوق
وصبَرْت حتى نلتهن ولم أقل ... ضجراً : دواء الفارك التطليق

وله من جملة أبيات[5] :

يا صاحبيَّ قفا لي واقضيا وطَراً ... وحَدّثانيَ عن نجدٍ بأخبارِ
هل روضت قاعة الوعساء أم مطرت ... خميلة الطلح ذات البان والغار
أم هل أبيت ودار دون كاظمة ... داري ، وسُمّار ذاك الحي سُمّاري

---

١ ر ل لي ق : أخبرته ؛ اليتيمة : أجريه ؛ مج : أجريه من ذكره .

٢ لي : قديماً متولي .

٣ ديوانه ٢ : ٤٢ .

٤ ديوانه ٢ : ٥٠ ؛ ق مج بر : ومن جيد قوله أيضاً .

٥ ديوانه ١ : ٥١٧ ؛ وقد وردت الأبيات في ر بعد قوله « وديوان شعره . . . ذكره » وسقطت من النسخ الأخرى .

تَضُوعُ أرواح نجدٍ من ثيابهمُ عند القدوم لقربِ العهد بالدار

وديوان شعره كبير يدخل في أربع مجلدات ، وهو كثير الوجود فلا حاجة إلى الإكثار من ذكره .

وذكر أبو الفتح ابن جني النحوي – المقدم ذكره[1] – في بعض مجاميعه أن الشريف الرضي المذكور أُحضِرَ إلى ابن السيرافي النحوي وهو طفل جداً لم يبلغ عمره عشر سنين فلقنه النحو ، وقعد معه يوماً في حلقته[2] ، فذاكره بشيء من الإعراب على عادة التعليم ، فقال له : إذا قلنا « رأيت عمر » فما علامة النصب في عمر ؟ فقال له الرضي : بُغْضُ علي ؛ فعجب السيرافي والحاضرون من حدة خاطره . وذكر أنه تلقن القرآن بعد أن دخل في السن فحفظه في مدة يسيرة . وصنف كتاباً في معاني القرآن الكريم يتعذر وجود مثله دل على توسعه في علم النحو واللغة ، وصنف كتاباً في « مجازات القرآن » فجاء نادراً في بابه .

وقد عني بجمع ديوان الشريف الرضي المذكور جماعة ، وأجود ما جمع الذي جمعه أبو حكيم الخبري[3] .

ولقد أخبرني بعض الفضلاء[4] أنه رأى في مجموع أن بعض الأدباء اجتاز بدار الشريف الرضي المذكور بسر من رأى[5] ، وهو لا يعرفها ، وقد أخنى عليها الزمان وذهبت بَهْجتها وأخلقت ديباجتها ، وبقايا رسومها تشهد لها بالنَّضارة وحسن الشارة ، فوقف عليها متعجباً من صروف الزمان وطوارق الحدثان ، وتمثل بقول الشريف الرضي المذكور[6] :

---

١ ج ٣ : ٢٤٦ .

٢ ر : الحلقة .

٣ الخبري : بفتح الخاء وإسكان الباء نسبة إلى خبر وهي قرية من قرى شيراز نسب إليها أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله المعلم (الأنساب واللباب : الخبري) قلت : والنسخة التي جمعها الخبري من ديوان الشريف لا تزال موجودة ، وقد اعتمدت عليها في دراستي لشعر الرضي .

٤ ن : جماعة الفضلاء .

٥ ل لي ت مج بر : ببغداد .

٦ ديوانه ١ : ١٨١ .

ولقـد وقفتُ على ربوعهمُ وطلولُها بيد البِلى نَهْبُ
فبكيتُ حتى ضج من لَغَبٍ نِضْوي ولج بعذليَ الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت عني الطلول تلفّتَ القلب

فمر به شخص وسمعه وهو ينشد الأبيات ، فقال له : هل تعرف هذه الدار لمن هي ؟ فقال : لا ، فقال : هذه الدار لصاحب هذه الأبيات الشريف الرضي ، فتعجبا[1] من حسن الاتفاق .

ولقد أذكرتني هذه الواقعة حكاية هي في معناها ذكرها الحريري[2] في كتاب « درة الغواص في أوهام الخواص »[3] وهي على ما رواه أن عبيد بن شَرية الجرهمي عاش ثلثمائة سنة وأدرك الإسلام فأسلم ودخل على معاوية بن أبي سفيان بالشام وهو خليفة ، فقال له : حدثني بأعجب ما رأيت ، فقال : مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتاً لهم ، فلما انتهيت إليهم اغرورقَتْ عيناي بالدموع فتمثلت بقول الشاعر :

يا قلب إنك من أسماء مغرورُ فاذكر وهل يَنفَعَنْكَ اليومتذكيرُ
قد بُحْتَ بالحب ما تخفيه من أحد حتى جرت لك أطلاقاً محاضير
فلست تدري وما تدري أعاجلها أدنى لرشدك أم ما فيه تأخير
فاستَقدِرِ الله خيراً وارضَيَنَّ به فبينما العسرُ إذ دارت مياسير
وبينما المرء في الأحياء مغتبطٌ إذا هو الرَّمسُ تعفوه الأعاصير
يبكي الغريبُ عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الحي مسرور

قال ، فقال لي رجل : أتعرف من يقول هذا الشعر ؟ فقلت : لا ، قال : إن قائله هو الذي دفنّاه الساعة ، وأنت الغريب الذي تبكي عليه ولست[4]

---

١ ل ن مج : فتعجبنا ؛ ت : فبقي متعجباً ؛ ق : فعجبنا .
٢ ر : ابن الحريري .
٣ درة الغواص : ٥٥ — ٥٦ .
٤ لي : وليس ؛ وكذلك في الدرة .

تعرفه ، وهذا الذي خرج من قبره أمسُّ الناس رحماً به وأسرهم بموته ، فقال له معاوية : لقد رأيت عجباً ، فمن الميت ؟ قال : هو عِثْيَرُ بن لبيد العذري.

[ويقرب من هذا ما ذكره الأمير المسبحي في كتاب « الحمّة » الذي ألفه للظاهر بن الحاكم سنة اثنتي عشرة وأربعمائة قال ، قال محمود المادرائي : كنت متوجهاً إلى الديوان ، فدخلنا الأبلة فصعدت من السفينة لحاجة ، ووقفت على تل رماد عتيق وعنّ لي أن أنشدت قول الشاعر :

يا رب قائلة يوماً وقد لغبت   كيف الطريق إلى حمام منجابِ

وكان شيخ من أهل الأبلة جالساً على قرب من الموضع ، فقال لي : يا فتى، تعرف حمام منجاب ؟ قلت : لا ، قال : فأنت واقف على مستوقده ؛ فعجبت من الاتفاق في ذلك][1] .

ومثل هاتين القصتين ما ذكره الخطيب أبو زكريا التبريزي في كتاب « شرح الحماسة »[2] وذكره غيره أيضاً أن عمرو بن شاس الأسدي الشاعر المشهور كانت له امرأة من قومه ، وابنٌ من أمة سوداء يقال له عَرَار ، فكانت تعيّر به أباه وتؤذيه ويؤذيها ، فأنكر عمرو عليها أذاها له وقال :

أرادت عَراراً بالهوان ومن يُرِدْ   عَراراً لعمري بالهوان لقد ظلمْ
وإن عَراراً إن يكن غير واضح   فإني أحبُّ الجون ذا المنكب العَمَمْ

وهي عدة أبيات في الباب الأول من كتاب « الحماسة » — والجون : الأسود ، والعمم : التام — وكان عَرار أحد فصحاء العقلاء ، وتوجه من عند المهلب بن أبي صفرة إلى الحجاج بن يوسف الثقفي رسولاً في بعض فتوحه فلما مَثَل بين يدي الحجاج لم يعرفه وازدراه ، فلما استنطقه أبان وأعرب ما شاء وبلغ الغاية والمراد في كل ما سئل عنه ، فأنشد الحجاج متمثلاً :

---

١ زيادة انفردت بها مج ، وقد حذفت منها القصة التالية المتعلقة بعمرو بن شأس وابنه عرار ، وقصة عرار أشار إليها في المختار ولكنه لم يشر إلى هذه القصة المنقولة عن المسبحي .

٢ شرح التبريزي ١ : ١٤٩ ؛ وقد سقطت هذه القصة من س ل لي ت مج بر من .

أرادت عَراراً بالهوان ومن يرد عَراراً لعمري بالهوان لقد ظلم

فقال عرار : أنا – أيد الله الأمير – عرار ، فأعجب به وبذلك الاتفاق .

وشاس : المكان الغليظ .

(196) وعمرو المذكور من أسد بن خزيمة ، وهو مخضرم أدرك الإسلام وهو شيخ كبير .

وعَرار من قولهم « عارّ الظليمُ » بتشديد الراء « يعار عرارا »[1] إذا صاح ؛ يقول : أرادت امرأتي إهانة عرار ، ومن طلب ذلك من مثله فقد وضع الشيء في غير محله ، وهو الظلم .

واجتهد عمرو بن شاس أن يصلح بين امرأته وابنه فلم يمكنه ذلك فطلقها فندم وقال في ذلك شعراً تركته لعدم الحاجة وخشية الإطالة .

رجعنا إلى ذكر الشريف :

قال الخطيب في « تاريخ بغداد »[2] : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الكاتب بحضرة أبي الحسين ابن محفوظ ، وكان أوحد الرؤساء ، يقول : سمعت جماعة من أهل العلم بالأدب يقولون : الرضي أشعر قريش ، فقال ابن محفوظ : هذا صحيح ، وقد كان في قريش من يجيد القول ، إلا أن شعره قليل ، فأما مجيد مكثر فليس إلا الرضي .

وكانت ولادته سنة تسع وخمسين وثلثمائة ببغداد ؛ وتوفي بكرة يوم الأحد[3] سادس المحرم – وقيل صفر – سنة ست وأربعمائة ببغداد ، ودفن في داره بخطّ مسجد الأنباريين بالكرخ ، وقد خربت الدار ودرس[4] القبر . ومضى أخوه المرتضى أبو القاسم إلى مشهد موسى بن جعفر لأنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته ودَفْنه ، وصلى عليه الوزير فخر الملك في الدار مع جماعة كثيرة ، رحمه الله تعالى .

---

١ هذا وجهه بكسر العين . وعرار – اسم الرجل – بفتحها .

٢ تاريخ بغداد ٢ : ٢٤٦ .

٣ ر : الخميس . ٤ ل ر ق : ودثر .

(197) وكانت ولادة والده الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين سنة سبع وثلثمائة ، وتوفي في جمادى الأولى سنة أربعمائة ، وقيل توفي سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد ودفن في مقابر قريش بمشهد باب التبن ، ورثاه ولده الرضي ، ورثاه أيضاً أبو العلاء المعري بقصيدته التي أولها[1] :

أودى فليت الحادثات كَفافِ ... مالُ المُسِيفِ وعنبر المُستافِ

وهي طويلة أجاد فيها كل الإجادة .

وقد تقدم ذكر أخيه الشريف المرتضى أبي القاسم علي[2] .

وعَبيد : بفتح العين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة .

وشرية : بفتح الشين المعجمة وسكون الراء وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة .

والجرهمي : بضم الجيم وسكون الراء وضم الهاء وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى جرهم بن قحطان ، وهي قبيلة كبيرة مشهورة باليمن .

وعِثيَر : بكسر العين المهملة وسكون الثاء المثلثة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ، وهو في الأصل اسم للغبار ، وبه سمي الرجل .

ولبيد : اسم علم مشهور فلا حاجة إلى ضبطه .

وقد تقدم الكلام على العذري ، والله أعلم .

---

١ شروح السقط : ١٢٦٤ .

٢ أنظر ج ٣ : ٣١٣ .

٦٦٨

ابن هانىء الأندلسي

أبو القاسم وأبو الحسن، محمد بن هانىء الأزدي الأندلسي الشاعر المشهور؛ قيل إنه من ولد يزيد بن حاتم بن قَبِيصة بن المهلب بن أبي صُفْرة الأزدي، وقيل بل هو من ولد أخيه روح بن حاتم – وقد تقدم ذكر يزيد وأخيه روح في ترجمة روح في حرف الراء[١] –؛ وكان أبوه هانىء من قرية من قرى المهدية بأفريقية، وكان شاعراً أديباً، فانتقل إلى الأندلس، فولد له بها محمد المذكور بمدينة إشبيلية ونشأ بها واشتغل، وحصل له حظ وافر من الأدب وعمل الشعر فمهر فيه، وكان حافظاً لأشعار العرب وأخبارهم، واتصل بصاحب إشبيلية وحَظِيَ عنده، وكان كثير الانهماك في الملاذ متهماً بمذهب الفلاسفة، ولما اشتهر عنه ذلك نقم عليه أهل إشبيلية وساءت المقالة في حق الملك بسببه، واتهم بمذهبه أيضاً، فأشار الملك عليه بالغيبة عن البلد مدة ينسى فيها خبره، فانفصل عنها وعمره يومئذ سبعة وعشرون عاماً.

وحديثه طويل، وخلاصته أنه خرج إلى عُدْوة المغرب ولقي جوهراً القائد مولى المنصور – وقد تقدم ذكره وما جرى له عند توجهه إلى مصر وفتحها للمعز[٢] – فامتدحه، ثم ارتحل إلى جعفر ويحيى ابني علي – وقد تقدم ذكر جعفر[٣] – وكانا بالمسيلة وهي مدينة الزاب، وكانا واليها، فبالغا في إكرامه والإحسان إليه، فنُمي خبره إلى المعز أبي تميم مَعَدّ بن المنصور العُبَيدي

٦٦٨ – ترجمته في التكملة ١ : ٣٦٨ والمطمح : ٧٤ والمطرب : ١٩٢ والجذوة : ٨٩ وبغية الملتمس (رقم : ٣٠١) والنفح ٤ : ٤٠ (نقلا عن المطمح) والإحاطة ٢ : ٢١٢ ومعجم الأدباء ١٩ : ٩٢ وعبر الذهبي ٢ : ٣٢٨ والشذرات ٣ : ٤١ .

١ انظر ج ٢ : ٣٠٥ .

٢ انظر ج ١ : ٣٧٥ .

٣ انظر ج ١ : ٣٦٠ .

– وسيأتي ذكره[1] في هذا الحرف إن شاء الله تعالى – فطلبه منها ، فلما انتهى إليه بالغ في الإنعام عليه .

ثم توجه المعز إلى الديار المصرية – كما سيأتي في خبره – فشيعه ابن هانىء المذكور ورجع إلى المغرب لأخذ عياله والالتحاق به ، فتجهز وتبعه ، فلما وصل إلى برقة أضافه شخص[2] من أهلها ، فأقام عنده أياماً في مجلس الأنس ، فيقال إنهم عربدوا عليه فقتلوه ، وقيل خرج من تلك الدار وهو سكران فنام في الطريق وأصبح ميتاً ولم يعرف سبب موته ، وقيل إنه وجد في سانية من سواني[3] برقة مخنوقاً بتكة سراويله ، وكان ذلك في بكرة يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من رجب سنة اثنتين وستين وثلثمائة ، وعمره ست وثلاثون سنة ، وقيل اثنتان وأربعون ، رحمه الله تعالى ، هكذا قيده صاحب كتاب «أخبار القيروان» وأشار إلى أنه كان في صحبة المعز ، وهو مخالف لما ذكرته أولاً من تشييعه للمعز ورجوعه لأخذ عياله . ولما بلغ المعز وفاته وهو بمصر تأسف عليه كثيراً وقال : هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك .

وله في المعز المذكور غُرَر المدائح ونُخَب الشعر ، فمن ذلك قصيدته النونية التي أولها[4] :

هل من أعِقَّةِ عالجٍ يَبْرِينُ ... أم منهما بَقَر الحدوج العينُ
ولمن ليالٍ ما ذممنا عهدَها ... مذ كنّ إلا أنهن شُجُون
المشرقاتُ كأنهن كواكب ... والناعماتُ كأنهن غصون
بيضٌ وما ضحكُ الصباحُ ، وإنها ... بالمسك من طُرَرِ الحسان لَجُون
أدمى[5] لها المرجانُ صفحة خدّه ... وبكى عليها اللؤلؤ المكنون

---

١ ت ل لي مج : خبره ؛ ق : ذكره وخبره .
٢ لي : رجل .
٣ مج ل لي : شانية من شواني ؛ والسانية : الساقية ؛ والشانية : نوع من السفن .
٤ ديوانه : ١٧١ .
٥ ر والمختار : أدنى ؛ ق : أهدى .

أعدى الحمامَ تأوّهي من بعدها فكأنه فيما سَجَعْنَ رنين
بانوا سِراعاً للهوادج زَفْرَةٌ مما رأينَ وللمطيِّ حنين
فكأنما صبغوا الضحى بقبابهم أو عصفرت فيه الخدود جفون
ماذا على حُلَل الشقيق لوآنها عن لابسيها في الخدود تَبين
فلأعطشنّ الروض بعدهمُ ولا يُرْويه لي دَمع عليه هَتون
أأعيرُ لحظ العين بهجة منظرٍ وأخونهم ؟ إني إذن لخؤون
لا الجوُّ جو مُشرق ولو اكتسى زهراً ، ولا الماءُ المعين مَعين
لا يبعدنّ إذ العَبيرُ له ثرى والبانُ دَوْح والشموس قَطين
أيام فيه العبقري مُفَوَّف والسابريُّ مضاعف مَوْضون
والزاعبية شُرّع والمشرفية لمع والمقربات صُفُون
والعهد من ظَمْياء إذ لا قومها خُزْرٌ ولا الحربُ الزبون زَبُون
حزني لذاك الجوّ وهو أسنة وكناس ذاك الخِشْفِ وهو عرين
هل يدْنِيَنّي منه أجردُ سابح مرحٌ وجائلة النسوع أمُون
ومهندٌ فيه الفِرِندُ كأنه ردءٌ له خلْفَ الغرار كَمين
عضب المضارب مقفر من أعينٍ لكنه من أنفسٍ مسكون
قد كان رشحُ حديده أجلاً ، وما صاغت مضاربه الرقاق قيون
وكأنما يلقى الضريبة دونه بأسُ المعز أو اسمه المخزون

ومنها في صفة الخيل :

وصواهل لا الهضب يوم مغارها هضب ولا البيدُ الحزونُ حُزُون
عرفت بساعة سبقها ، لا أنها علقت بها يوم الرهان عيُون
وأجلُّ علم البرق فيها أنها مرت بجانحتيه وهي ظَنُون
في الغيث شبه من نداك كأنما مسحت[1] على الأنواء منك يَمين

---

[1] ق : سحبت .

وهذه القصيدة من قصائده الطنانة ، ولولا طولها لأوردتها كلها .

[وله أيضاً :

والله لولا أن يسفهني الهوى ويقولَ بعض القائلين تصابي
لكسرت دملجها بضيق عناقه ورشفت من فيها البرود رضابا][1]

وفي هذا الأنموذج دلالة على علو درجته وحسن طريقته. وديوانه كبير، ولولا ما فيه من الغلو في المدح والإفراط المفضي إلى الكفر لكان من أحسن الدواوين، وليس في المغاربة[2] من هو في طبقته : لا من متقدميهم ولا من متأخريهم ، بل هو أشعرهم على الإطلاق ، وهو عندهم كالمتنبي عند المشارقة ، وكانا متعاصرين ، وإن كان في المتنبي مع أبي تمام من الاختلاف ما فيه .

وما زلت أتطلب تاريخ وفاة ابن هانىء المذكور من التواريخ والمظان التي يطلب منها فلا أجده، وسألت عنه خلقاً كثيراً من مشايخ هذا الشأن فلم أجده، حتى ظفرت به في كتاب لطيف لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني سماه « قراضة الذهب »[3] فألفيته كما هو مذكور هاهنا ، ونقلت مدة عمره من موضع آخر رأيت بعض الأفاضل قد اعتنى بأحواله فجمعها وكتبها في أول ديوانه ، وذكر مدة العمر ، ولم يذكر تاريخ الوفاة لأنه ما عثر عليه .

ويقال إن أبا العلاء المعري كان إذا سمع شعر ابن هانىء يقول : ما أشبهه إلا برَحىً تطحن قروناً ، لأجل القعقعة التي في ألفاظه ، ويزعم أنه لا طائل تحت تلك الألفاظ ، ولعمري ما أنصفه في هذا المقال ، وما حمله على هذا إلا فرط تعصبه للمتنبي ، وبالجملة فما كان إلا من المحسنين في النظم[4] ، والله أعلم .

---

١ زيادة من مج .

٢ ت ل لي بر : للمغاربة .

٣ طبع في سلسلة الرسائل النادرة (مكتبة الخانجي ، القاهرة : ١٩٢٦) .

٤ تعليق بهامش س : لقد صدق المعري وأخطأ القاضي ، ولم يكن له علم بالشعر . ولقد ذكر في هذا الباب في شعراء المغاربة جماعة لا يعد ابن هانىء في طبقتهم ولا يقاربهم ، وحسبك بابن عمار هذا (انظر الترجمة التالية) .

٦٦٩

ابن عمار الأندلسي

ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار ، المَهْري الأندلسي الشِّلْبي الشاعر المشهور؛ هو وابن زيدون القرطبي –المذكور في حرف الهمزة[1]– فَرَسَا رهانٍ ، ورضيعا لبان ، في التصرف في فنون البيان ، وهما كانا شاعري ذلك الزمان . وكانت ملوك الأندلس تخاف من ابن عمار المذكور لبذاءة لسانه وبراعة إحسانه، لا سيما حين اشتمل عليه المعتمد على الله ابن عَبّاد صاحب غرب الأندلس – الآتي ذكره في هذا الحرف إن شاء الله تعالى – وأنهضه جليساً وسميراً وقدمه وزيراً ومُشيراً ثم خلع عليه خاتم الملك ووجهه أميراً ، وكان قد أتى عليه حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ، فتبعته المواكب والمضارب والنجائب والجنائب والكتائب والجنود ، وضُربت خلفه الطبول ونشرت على رأسه الرايات والبنود ، فملك مدينة تُدْمير ، وأصبح راقي منبر وسرير ، مع ما كان فيه من عدم السياسة وسوء التدبير، ثم وثب على مالك رِقّه ومستوجب شكره ومستحقه ، فبادر إلى عقوقه وبخس حقه ، فتحيّل المعتمد عليه وسدّد سهام المكايد إليه ، حتى حصل في قبضته قنيصاً ، وأصبح لا يجد مَحيصاً ، إلى أن قتله المعتمد في قصره ليلاً بيده ، وأمر من أنزله في مَلْحَده ، وذلك في سنة سبع وسبعين وأربعمائة بمدينة إشبيلية .

وكانت ولادته في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وقصته مشهورة ، ولما

---

٦٦٩ – ترجمته في بغية الملتمس (رقم : ٢٢٧) والمغرب ١ : ٣٨٢ والذخيرة ٢ الورقة : ٧٤ والقلائد : ٨٣ والحلة السيراء ٢ : ١٣١ والمطرب : ١٦٩ والمعجب : ١٦٩ ورايات المبرزين : ٢٥ وأعمال الأعلام : ١٦٠ والنفح ١ : ٦٥٢ (نقلا عن القلائد) والوافي ٤ : ٢٢٩ وعبر الذهبي ٣ : ٢٨٨ والشذرات ٣ : ٣٥٦ وللدكتور صلاح خالص مؤلف عنه (ط. بغداد: ١٩٥٧).

[1] انظر ج ١ : ١٣٩ .

قتله المعتمد رثاه صاحبه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الأندلسي المُرْسي[1] بقوله من جملة قصيدة :

عجباً له أبكيه ملء مدامعي وأقول لا شَلَّتْ يمينُ القاتلِ

وقال أبو نصر الفتح بن خاقان صاحب « قلائد العقيان »[2]: لقد رأيت عظمي ساقي ابن عمار قد أخرجا بعد سنين من حَفْرٍ حُفر بجانب القصر وأساودهما بهما ملتفة ، ولبلـَتهما[3] مُشْتَفَّة ، ما فغرت أفواهها ، ولا حل التواؤهما ، فرمق الناس العبر ، وصدق المكذب الخبر .

يعني بالأساود القيود .

ومن مشاهير قصائد ابن عمار المذكور قوله :

أدرِ الزجاجةَ فالنسيمُ قد انبرى والنجم قد صَرَفَ العنانَ عن السُّرى
والصبحُ قد أهدى لنا كافورَهُ لما استردّ الليلُ منا العنبرا

ومن مديحها ، وهي في المعتضد[4] بن عباد :

ملكٌ إذا ازدحم الملوك بموردٍ ونَحاه لا يَرِدُون حتى يصدُرا
أنْدى على الأكباد من قطر الندى وألذ في الأجفان من سِنَةِ الكَرى
قدّاح زندِ المجد لا ينفكّ من نارِ الوغى إلا إلى نارِ القِرى

وهي طويلة وفائقة .

ومن جيد شعره أيضاً القصيدة الميمية ، وهي أيضاً في المعتضد بن عباد[5] ، وأولها :

---

١ ترجمته في القلائد : ٢٤٢ والذخيرة ٢ : ١٩٢ وصفحات متفرقة من نفح الطيب .
٢ س : القلائد ؛ وانظر هذا المصدر : ٨٣ .
٣ س : ولبلهما ؛ ر ن : وليلتهما ؛ ق : وليتها ؛ مج : ولبنتهما .
٤ لي بر والمختار : المعتمد ؛ وهو خطأ ، راجع القلائد : ٩٦ .
٥ انظر صلاح خالص : ٢٠٩ .

عليّ ، وإلا ما بكاءُ الغمائم وفيَّ ، وإلا فيمَ نَوْحُ الحمائم

ومنها أيضاً[1] في وصف وطنه :

كساها الحَيا بردَ الشباب ، فإنها بلاد بها عقَّ الشَّبابُ تمائمي
ذكرت بها عَهْدَ الصبا فكأنما قدَحْتُ بنار الشوق بين الحيازم
لياليَ لا ألوي على رُشْدِ لائم عناني ، ولا أثنيه عن غي هائم
أنال سهادي من عيونٍ نواعس وأجني عَذابي من غصونٍ نواعم
وليل لنا بالسُّدِّ بين معاطف من النهر ينسابُ انسيابَ الأراقم
تمرُّ علينا ثم عنا كأنها حواسدُ تمشي بيننا بالنمائم
[بحيث اتخذنا الرَّوْض جاراً تزورنا هداياه في أيدي الرياح النواسم][2]
وبتنا ولا واشٍ يحسّ كأنما حللنا مكانَ السر من صدر كاتم

ومن مديحها :

ملوكٌ مُناخُ العز في عرَصاتهم ومَثوى المعالي بين تلك المعالم
همُ البيت ما غير الظُّبا لبنائه بأسٍ ولا غير القَنا بدعائم
إذا قصر الروعُ الخطا نهضَتْ بهم طوالُ العَوالي في طوال المعاصم
وأيدٍ أبتْ من أن تؤوب ولم تفز بجز النواصي أو بجز الغلاصم
ندامى الوغى يُجرُون بالموت كأسها إذا رجعت أسيافهم بالجماجم
هناك القنا مجرورة من حفائظٍ وثَمَّ الظبا مهزورة من عزائم

ومنها :

إذا ركبوا فانظره أولَ طاعن وإن نزلوا فارصده آخر طاعم

وهي أيضاً طويلة وطنانة .

---

١ أيضاً : سقطت من ت س ن بر من ؛ من : في صفة .
٢ زيادة لم ترد في النسخ الخطية .

ومن جملة ذنوبه عند المعتمد بن عباد ما بلغه عنه من هجائه وهجاء أبيه المعتضد في بيتين ، هما كانا من أكبر أسباب قتله ، وهما :

مما يقبّح عندي ذكر أندلس سماع معتضد فيها ومعتمد
أسماء مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

ومحاسن ابن عمار كثيرة .

والمَهْري : بفتح الميم وسكون الهاء وبعدها راء ، هذه النسبة إلى مَهْرة بن حَيْدان بن إلحاف بن قضاعة ، وهي قبيلة كبيْرة ينسب إليها خلق كثير .

والشّلْبي : بكسر الشين المعجمة وسكون اللام وبعدها باء موحدة ، هذه النسبة إلى شِلْبٍ ، وهي مدينة بالأندلس على ساحل البحر .

وتُدْمير : بضم التاء المثناة من فوقها وسكون الدال المهملة وكسر الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ، وهي مدينة مُرْسية ، وكان المعتمد ابن عباد قد سيّر إليها أبا بكر ابن عمار المذكور نائباً عنه ، فعَصى بها ، ولم يزل المعتمد يحتال عليه حتى وقع في قبضته ، وقتله بيده كما تقدم أولاً ، وشهرة هذه الواقعة تغني عن الإطالة في تفصيلها[1] .

وذكر عماد الدين الأصفهاني الكاتب في كتاب « الخريدة » في ترجمة ابن عمار المذكور : وقتله المعتمد ، وكان أقوى الأسباب لقتله أنه هجاه بشعر ذكر فيه أم بنيه المعروفة بالرميكية ، وهي أبيات منها :

تخيّرتها من بنات الهجان رميكيةً لا تساوي عِقالا
فجاءت بكلّ قصير الذراع لئيم النّجارين عماً وخالا

قلت : وهذه الرميكية كانت سُرّية المعتمد ، اشتراها من رميك بن حجاج ، فنسبت إليه ، وكان قد اشتراها في أيام أبيه المعتضد فأفرط في الميل إليها وغلبت عليه ، واسمها اعتماد ، فاختار لنفسه لقباً يناسب اسمها ، هو المعتمد ، وتوفيت بأغمات قبل المعتمد بأيام ، ولم ترقأ له عبرة ولا فارقته حسرة حتى قضى

[1] هنا تنتهي الترجمة في س ل لي ت بر من .

نحبه أسفاً وحزناً[1] ، وهي التي أغرت المعتمد على قتل ابن عمـــار ، لكونه هجاها ؛ وقيل إن هذا الشعر ليس لابن عمار[2] ، وإنما نسبته[3] إليه لكي توغر صدر[4] المعتمد عليه ، والله أعلم .

٦٧٠

أبو بكر ابن الصائغ الأندلسي

أبو بكر محمد بن باجه التُّجِيبي الأنـدلسي السَّرَقُسْطي ، المعروف بابن الصائغ ، الفيلسوف الشاعر المشهور ؛ ذكره أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد بن خاقان القيسي ، صاحب « قلائد العقيـــان » في كتابه[5] ، ونسبه إلى التعطيل ومذهب الحكماء والفلاسفة وانحلال العقيدة ، وقال في حقه في كتابه الذي سماه « مطمح الأنفس »[6] ما مثاله : نظر في كتاب التعاليم ، وفكر في أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم ، ورفض كتاب الله الحكيم ، ونبذه من وراء ظهره ثاني عِطْفه ، وأراد إبطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، واقتصر على الهيئة ، وأنكر أن يكون لنا إلى الله فيئة ، وحكم للكواكب بالتدبير ، واجترم على الله اللطيف الخبير ، واجترأ عند سماع النهي والإيعاد ، واستهزأ بقوله تعالى ﴿ إن

---

١ ق : ولم ترقأ لها . . . فارقتها . . . قضت نحبها .

٢ ق والمختار : ليس له .

٣ ر ق والمختار : نسب .

٤ ق : يوغر قلب .

٦٧٠ – ترجمته في المغرب ٢ : ١١٩ والنفح ٧ : ١٧ ، ٢٧ – ٣٠ وتاريخ الحكماء : ٤٠٦ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٦٢ والشذرات ٤ : ١٠٣ .

٥ انظر القلائد : ٣٠٠ – ٣٠٦ .

٦ هذا النص موجود في قلائد العقيان ، وليس له وجود في المطمح المطبوع .

الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ (القصص : ٨٥) فهو يعتقد أن الزمان دَوْر ، وأن الإنسان نبات أو نَوْر، حمامه تمامه ، واختطافه قطافه[١] ، قد مُحي الإيمان من قلبه فما له فيه رسم ، ونسي الرحمن لسانه فما عر عليه له اسم.

ولقد بالغ ابن خاقان في أمره وجاوز الحد فيما وصفه به من هذه الاعتقادات الفاسدة ، والله أعلم بكُنه حاله ، وأورد له مقاطيع من الشعر، فمن ذلك قوله:

أسكانَ نعمان الأراك تيقنوا　　بأنكمُ في ربع قلبيَ سكانُ
ودوموا على حفظ الوداد فطالما　　بلينا بأقوام إذا استؤمنوا خانوا
سلوا الليل عني مذ تناءت دياركم　　هل اكتحلَتْ بالغمض لي فيه أجفان
وهل جَرَّدَتْ أسيافَ برقٍ سماؤكم　　فكانت لها إلا جفونيَ أجفان

وكان قد أنشدني هذه الأبيات بعض[٢] أشياخ المغاربة الفضلاء بمدينة حلب منسوبة إلى ابن الصائغ المذكور، ثم وجدتها بعد ذلك بعينها في ديوان أبي الفتيان محمد بن حيوس – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – فبقيت شاكاً فيما أنشدني ذلك الشيخ ، وقلت : لعله وهم في نسبتها إلى ابن الصائغ ، إلى أن وجدتها في كتابه[٣] « مطمح الأنفس »[٤] أيضاً منسوبة إلى ابن الصائغ المذكور ، والله تعالى أعلم لمن هي منهما .

وله[٥] :

ضربوا القبابَ على أقاحة روضةٍ　　خطر النسيمُ بها ففاح عبيرا
وتركتُ قلبي سار بين حمولهم　　دامي الكلوم يسوق تلك العيرا
هلا سألت أسيرهم هل عندهم　　عانٍ يفك ولو سألت غيورا

١ ق : اقتطافه .
٢ ر ت ل مج بر من : أحد .
٣ ر ل ج بر من : كتاب .
٤ ر بر من : المطمح .
٥ ق : وله أيضاً .

لا والذي جعل الغصونَ مَعاطفاً لهمُ وصاغ الأقحوانَ ثغورا
ما مرَّ بي ريحُ الصبا من بعدهم إلا شهقت له فعـــاد سعيرا[1]

ولما حضرته الوفاة كان ينشد :

أقول لنفسي حين قابلها الردى فراغت فراراً منه يُسرى إلى يمنى
قفي تحملي بعض الذي تكرهينه فقد طالما اعتدتِ الفرار إلى الأهنا

وتوفي في شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، وقيل سنة خمس وعشرين وخمسمائة مسموماً في باذنجان بمدينة فاس ، رحمه الله تعالى .

وباجّه : بالباء الموحدة وبعد الألف جيم مشددة ثم هاء ساكنة، وهي الفضة بلغة فرنج المغرب .

والتجيبي[2] : بضم التاء المثناة من فوقها وفتحها وكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها باء موحدة ؛ هذه النسبة إلى تجيب ، وهي أم عـــدي وسعد ابني أشرس بن شبيب بن السكون ، نسب ولدها إليها ، وهي تجيب بنت ثوبان بن سليم بن مذحج .

والسَّرَقُسطي : بفتح السين المهملة والراء وضمّ القاف وسكون السين المهملة وبعدها طاء مهملة ، هذه النسبة إلى سرقسطة، وهي مدينة بالأندلس خرج منها جماعة من العلماء واستولى عليها الفرنج سنة اثنتي عشرة وخمسمائة .

---

١ سقط البيت من ت مج .

٢ سقط هذا التعريف من مج .

٦٧١

الرصافي الشاعر

أبو عبد الله محمد بن غالب الرفّاء الأندلسي الرصافي الشـــاعر المشهور ؛ له أشعار ظريفة ومقاصد في النظم لطيفة ، وشعره سائر في الآفاق ، ومن أشهر شعره أبياته التي نظمها في غلام صنعته النسج فأجاد فيها كل الإجادة[1] ، وهي :

قالوا وقد أكثروا في حبه عذلي ... لو لم تَهِمْ بمذال القدر مبتذلِ
فقلت لو كان أمري في الصبابة لي ... لاخترت ذاك ولكن ليس ذلك لي
أحببته حَبَبِيَّ الثغر عـــاطره ... حلو اللمى ساحر الأجفان والمقل
غـُزَيّلاً لم تزل في الغزل جائلة ... بنـانه جولان الفكر في الغزل
جذلانَ يلعب بالحواك أنمـــله ... على السدى لعب الأيام بالدول[2]
جذباً بكفيه أو فحصاً بأخمصه ... تخبّطَ الظبي في أشراك محتبل

وله غير هذا المقطوع أشياء رائقة ، فمن ذلك قوله في غلام يبلّ عينيه بريقه ويظهر انه يبكي وليس بباك :

عذيريَ من جذلانَ يبكي كآبةً ... وأضلعه ممـــا يحاوله صِفْرُ
يبلّ مآقي زهرتيـــه بريقه ... ويحكي البكا عمداً كما ابتسم الزهر

---

٦٧١ — ترجمته في المعجب : ٢٨٦ والتكملة ٢ : ٥٢٠ والمغرب ٢ : ٣٤٢ والمقتضب من التحفة : ٥٦ ورايات المبرزين : ٨٤ وجذوة الاقتباس : ١٦٤ وأدباء مالقة لابن عسكر ، الورقة : ١٨ وأماكن متفرقة من نفح الطيب ، والوافي ٤ : ٣٠٩ والشذرات ٤ : ٢٤١ ومقدمة ديوانه (ط . دار الثقافة ١٩٦١) .

١ فأجاد . . . الإجادة : سقط من ق ر بر مج .

٢ مج ر ت ل ق بر من : بالأمل .

ويوهمُ أن الدمعَ بَلّ جفونَه وهل عُصرت يوماً من النرجس الخمر

وله أيضاً :

ومُهفهفٍ كالغصن إلا أنه تتحيّر الألباب عند لقائه
أضحى ينام وقد تكلّلَ خدُّهُ عرقاً ، فقلت : الورد[1] رش بمائه

وتوفي في شهر رمضان ، سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بمدينة مالَقَة ، رحمه الله تعالى .

والرُّصافي : بضم الراء وفتح الصاد المهملة وبعد الألف فاء ، هذه النسبة إلى الرُّصافة ، وهي بُليدة صغيرة بالأندلس عند بلَنسِيَة ، وبالأندلس أيضاً بُليدة أخرى صغيرة اسمها الرصافة[2] ، وهي عند قرطبة ، أنشأها عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك الأموي أول ملوك الأندلس من بني أُمية ، ويعرف بالداخل ، لأنه دخل إلى الأندلس من بلاد الشام خوفاً من أبي جعفر المنصور العباسي ، وقصته مشهورة ، فلما دخلها ملكها وبويع له بقرطبة يوم عيد الأضحى سنة ثمان وثلاثين ومائة ، وعمره يومئذ خمس وعشرون سنة ، وبنى هذه الرصافة وسماها برصافة جده هشام بن عبد الملك بن مروان ، وهي بُليدة مشهورة بالشام ، كذا قاله ياقوت الحموي – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – في كتابه المسمى بـ « المشترك وضعاً المختلف صقعاً » وذكر أن الرصافة اسم تسع مواضع ، وعدّدها ، ولولا خوف التطويل لذكرتها ، غير أنه لم يذكر رصافة بلنسية ، وبهذه الرصافة تكون عشرة[3] مواضع ، والله تعالى أعلم .

---

١ لي : الخمر .

٢ ل : رصافة .

٣ في النسخ الخطية جميعاً : عشر .

٦٧٢

أبو بكر ابن زهر

أبو بكر محمد بن أبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زُهْر بن أبي مروان عبد الملك بن أبي بكر محمد بن مروان بن زُهْر الإيادي الأندلسي الإشبيلي ؛ كان من أهل بيت كلهم علماء رؤساء حكماء وزراء ، نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك ونفذت أوامرهم .

قال الحافظ أبو الخطاب ابن دحية في كتابه المسمى « المطرب من أشعار أهل المغرب »[1] : وكان شيخنا أبو بكر – يعني ابن زُهْر المذكور – بمكان من اللغة مكين ، ومورد من الطب[2] عذب مَعين ، كان يحفظ شعر ذي الرمة ، وهو ثلث لغة العرب مع الإشراف على جميع أقوال أهل الطب والمنزلة العليا عند أصحاب المغرب ، مع سمو النسب ، وكثرة الأموال والنشب ، صحبته زماناً طويلاً ، واستفدت منه أدباً جليلاً .

وأنشد من شعره :

وموسَّدين على الأكف خدودَهم قد غالهم نومُ الصباح وغالني
ما زلت أسقيهم وأشرب فَضلهم حتى سَكرت ونالهم ما نالني
والخمر تعلم حين تأخذ ثارها أني أمَلْتُ إناءها فأمالني

ثم قال : سألته عن مولده فقال : ولدت سنة سبع وخمسمائة ، وبلغتني وفاته

---

٦٧٢ – ترجمته في المغرب ١ : ٢٦٦ وزاد المسافر : ٧١ والذيل والتكملة ٦ : ١٦٠ (نسخة باريس) والتكملة : ٢٥٥ والمعجب : ١٤٥ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٦٧ والنفح ٢ : ٢٤٧ ومعجم الأدباء ١٨ : ٢٥٦ والوافي ٤ : ٣٩ وعبر الذهبي ٤ : ٢٨٨ والشذرات ٤ : ٣٢٠ وله موشحات في دار الطراز .

١ المطرب : ٢٠٦ .

٢ ر بر مج من والمطرب : الطلب .

في آخر سنة خمس وتسعين وخمسمائة، رحمه الله تعالى؛ انتهى كلام ابن دحية.

قلت أنا: وقد ألم ابن زُهْر المذكور في هذه الأبيات بقول الرئيس أبي غالب عبيد الله بن هبة الله بن الاصباغي وهو:

عقَرَتْهُمُ مشمولة لو سالمت شُرّابها ما سميت بعُقارِ
ذكرت حقائدها القديمة إذ غدَتْ صَرْعى تداس بأرجل العَصّار
لانَتْ لهم حتى انتشَوْا وتمكنت منهمْ، وصاحتْ فيهمُ بالثار

ومن المنسوب إليه أيضاً في كتاب جالينوس الحكيم المسمى «حيلة البرء» — وهو من أجل كتبهم وأكبرها — قوله:

حيلة البرء صنفت لعليل يترجى الحياة أو لعليلَهْ
فإذا جاءت المنيّة قالت: حيلة البرء ليس في البرء حيله[1]

ومن شعر ابن زُهْر أيضاً يتشوق ولداً له صغيراً:

ولي واحدٌ مثلُ فرخ القطا صغيرٌ تخلّفَ قلبي لديه
نأتْ عنهُ داري فيا وحشتا لذاكَ الشخيص وذاك الوجيه
تَشَوّقَني وتَشَوّقته فيبكي عليّ وأبكي عليه
لقد تعب الشوق ما بيننا فمنه إليّ ومني إليه

وله وقد شاخ وغلب عليه الشيب:

إني نظرْتُ إلى المرآة إذ جليتْ فأنكرتْ مقلتايَ كلّ ما رأتا
رأيتُ فيها شُيَيْخاً لست أعرفه وكنت أعهده من قبل ذاك فتى
فقلتِ: أين الذي بالأمس كان هنا متى ترحل عن هذا المكان متى؟
فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة: إن الذي أنكرَتهُ مقلتاك أتى
كانت سليمى تنادي يا أخَيّ وقد صارت سليمى تنادي اليوم يا أبتا

---

1 ومن المنسوب ... حيله: سقط من مج س ل لي ت والمختار.

والبيت الأخير من هذه الأبيات ينظر إلى قول الأخطل الشاعر المشهور[1] :

وإذا دعونكَ عمهنّ فإنـــهُ نسَبٌ يزيدُكَ عندهن خَبالا
وإذا دعونكَ يا أخيّ فإنـــهُ أدنى وأقربُ خلة ووصالا

وأوصى أنه إذا مات يكتب على قبره هذه الأبيات ، وفيها إشارة إلى طبه ومعالجته للناس ، وهي :

تأمل بحقـــك يا واقفاً ولاحِظْ مكاناً دُفعنا إليه
ترابُ الضريح على وجنتيَّ كأنيَ لم أمش يوماً عليه
أداوي الأنام حذار المنون وها أنا قد صرت رَهناً لديه

وهذه المقاطيع إنما أخذتها من أفواه العلماء منسوبة إلى ابن زُهْر المذكور ، والله أعلم بصحتها ، والعهدة عليهم في نقلها .

وقال ابن دحية أيضاً في حقه[2] : والذي انفرد به شيخنا وانقادت لتخيله طباعه وصارت النبهاءَ فيه خولَهُ وأتباعه ، الموشحات ، وهي زبدة الشعر ونخبته وخلاصة جوهره وصفوته ، وهي من الفنون التي أغربت بها أهل المغرب على أهل المشرق ، وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق ؛ وأورد له موشحاً حسناً .

(198) وقال في حق جده أبي العلاء زُهْر : إنه كان وزير ذلك الدهر وعظيمه ، وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه ، وتوفي ممتحناً من نغلة[3] بين كتفيه سنة خمس وعشرين وخمسمائة بمدينة قرطبة .

(199) ثم قال في حق جد أبيه عبد الملك[4] : إنه رحل إلى المشرق ، وبه تطبَّب زماناً طويلاً ، وتولى رياسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم بالقيروان ، ثم استوطن

---

١ انظر ديوان الأخطل : ٤٣ وسقط بيتا الأخطل من س ل لي ت مج بر من .
٢ المطرب : ٢٠٤ .
٣ كذا في المطرب و ر ؛ وفي النسخ الأخرى : بعلة .
٤ المصدر نفسه : ٢٠٣ .

مدينة دانية وطار ذكره منها إلى أقطار الأندلس والمغرب ، واشتهر بالتقدم[1] في علم الطب حتى بذ أهل زمانه ، ومات بمدينة دانية .

(200) ثم قال في حق جد جده محمد بن مروان: إنه كان عالماً بالرأي حافظاً للأدب ، فقيهاً حاذقاً بالفتوى مقدماً في الشورى ، متفنناً في الفنون ، وسيماً فاضلاً ، جمع الرواية والدراية ، وتوفي بطلبيرة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وهو ابن ست وثمانين سنة ، حدث عنه جماعة من العلماء الأندلسيين[2] ووصفوه بالدين والفضل والجود والبذل ، رحمه الله تعالى .

وقد تقدم الكلام على الإيادي وعلى طلبيرة فلا حاجة إلى الإعادة .

وزُهْر : بضم الزاي وسكون الهاء وبعدها راء[3] .

وذكر عماد الدين الكاتب في كتاب « الخريدة » لأبي الطيب ابن البزاز[4] في بعض بني زُهر وكنيته أبو زيد ، ولم يذكر اسمه ، قوله[5] :

قل للوَبا انت وابن زُهْر ... جاوزتما الحد في النكايَهْ

ترفقا بالورى قليـــلاً ... فواحد منكما كفــايَهْ

(201) ثم وجدت هذين البيتين لأبي بكر أحمد بن محمد الأبيض[6] ، وأنه توفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

---

١ ر : بالتقدمة .

٢ ر والمطرب : علماء الأندلس ؛ بر : من العلوم بالأندلس .

٣ هنا تنتهي الترجمة في س ل لي ت مج .

٤ ق ن : البزار .

٥ أوردهما المقري في النفح ٣ : ٤٣٤ ونسبهما لابن باجه ، وقد سقطا مع سائر النص من س ل لي ت بر من ووردا في زاد المسافر : ١١١ منسوبين للأبيض وقال : وينسب أيضاً لابن الصائغ (أي ابن باجه).

٦ سماه في زاد المسافر : ١٠٨ أحمد بن محمد الأبيض وكنيته أبو بكر ، وفي المطرب : ٧٦ والمغرب ٢ : ١٢٧ والنفح ٣ : ٤٨٩ أنه محمد بن أحمد الأنصاري المشهور بالأبيض ؛ وفي ق : محمد بن محمد الأبيض .

٦٧٣

ابن حيوس الشاعر

أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حَيُّوس بن محمد بن المرتضى بن محمد بن الهيثم بن عدي بن عثمان الغنوي الملقب مصطفى الدولة ، الشاعر المشهور ؛ كان يدعى بالأمير لأن أباه كان من أمراء العرب ، وهو أحد الشعراء الشاميين المحسنين ومن فحولهم المجيدين ، له ديوان شعر كبير . لقي جماعة من الملوك والأكابر ومدحهم وأخذ جوائزهم ، وكان منقطعاً إلى بني مِرْداس أصحاب حلب — ذكر الجوهري في الصحاح في فصل (ردس) « المرداس : حجر يرمى به في البئر ليعلم أفيها ماء أم لا ، وبه سمي الرجل » — وله فيهم القصائد الأنيقة .

وقضيته مشهورة مع الأمير جلال الدولة وصمصامها أبي المظفر نصر بن محمود ابن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس الكلابي صاحب حلب ، فإنه كان قد مدح أباه محمود بن نصر فأجازه ألف دينار ، فلما مات وقام مقامه ولده نصر[1] المذكور قصده ابن حَيُّوس المذكور بقصيدته الرائية يمدحه بها ويعزيه عن أبيه ، وهي[2] :

كفى الدينَ عزاً ما قضاه لك الدهر فمن كان ذا نذرٍ فقد وجب النذرُ

ومنها :

ثمانيةٌ لم تفترق مذ جمعتها فلا افترقت ما ذَبَّ عن ناظرٍ شفْر

---

٦٧٣ — ترجمته في زبدة الحلب ٢ : ٤٠ والوافي ٣ : ١١٨ ومعاهد التنصيص ٢ : ٢٧٨ وعبر الذهبي ٣ : ٢٧٩ والشذرات ٣ : ٣٤٣ ومقدمة ديوانه (ط . دمشق ١٩٥١) .

١ ق : المنصور نصر .

٢ ديوانه ١ : ٢٤٢ .

يقينك والتقوى، وجودُك والغنى، ولفظك والمعنى، وعزمك والنصر

يذكر فيها وفاة أبيه وتوليته الأمر من بعده بقوله :

صبرنا على حكم الزمان الذي سطا على أنه لولاك لم يكنِ الصبر
غزانا ببؤسى لا يماثلها الأسى تقارن نعمى لا يقوم بها الشكر

ومنها :

تباعدت عنكمْ حرْفَةً لا زهادة وسرت إليكم حين مَسَّنيَ الضرُّ
فلاقيتُ ظل الأمن ما عنه حاجز يصد، وبابَ العز ما دونه سِتر
وطال مقامي في إسار جميلكم فدامت معاليكم ودام ليَ الأسر
وأنجز لي ربُّ السموات وعده الـ كريم بأن العسر يتبعه[1] اليسر
فجاد ابن نصر لي بألف تصرَّمَتْ وإني عليمٌ أن سيخلفها نصر
لقد كنتَ مأموراً[2] ترجّى لمثلها فكيف وطوعا أمرك النهي والأمر[3]
وما بي إلى الإلحاح والحرص[4] حاجة وقد عرف المبتاع وانفصل السعر
واني بآمـالي لديك مُخَيِّم وكم في الورى ثاوٍ وآماله سَفْر
وعندك مـا أبغي بقولي تصنعاً بأيسر ما توليه يستعبد الحرُّ

فلما فرغ من إنشادها قال الأمير نصر: والله لو قال عوض قوله « سيخلفها نصر »: سيضعفها نصر، لأضعفتها له، وأعطاه ألف دينار في طبق فضة .

وكان قد اجتمع على باب الأمير نصر المذكور جماعة من الشعراء، وامتدحوه وتأخرت صلته عنهم، ونزل بعد ذلك الأمير نصر إلى دار بولص النصراني، وكانت له عادة بغشيان منزله، وعقد مجلس الأنس عنده، فجاءت الشعراء الذين

---

١ الديوان : من بعده .
٢ ن : مأمولا .
٣ الديوان : النفع والضر .
٤ الديوان : الأشطاط في السوم .

تأخرت جوائزهم إلى باب بولص ، وفيهم أبو الحسن[1] أحمد بن محمد بن الدويدة المعري الشاعر المعروف[2] ، فكتبوا ورقة فيها أبيات اتفقوا على نظمها ، وقيل بل نظمها ابن الدويدة المذكور، وسيروا الورقة إليه ، والأبيات المذكورة هي :

على بابك المحروس منا عصابةٌ   مفاليس فانظر في أمور المفاليسِ
وقد قَنِعَتْ منك الجماعة كلها   بعشر الذي أعطيته لابن حَيُّوس
ومـــا بيننا هذا التفاوت كله   ولكنْ سعيدٌ لا يقاس بمنحوس

فلما وقف عليها الأمير نصر أطلق لهم مائة دينار ، فقال : والله لو قالوا « بمثل الذي أعطيته لابن حيوس » لأعطيتهم مثله .

وذكر العماد[3] في « الخريدة » أن هذه الأبيات لأبي سالم عبد الله بن أبي الحسن[4] أحمد بن محمد بن الدويدة وأنه كان يعرف بالقاق[5] ، والله أعلم .

(202) وكان الأمير نصر سخياً واسع العطاء، ملك حلب بعد وفاة أبيه محمود في سنة سبع وستين وأربعمائة، ولم تطل مدته حتى ثار عليه جماعة من جنده فقتلوه في ثاني شوال سنة ثمان وستين وأربعمائة — وقد تقدم ذكر جد أبيه صالح بن مرداس في حرف الصاد[6] — .

وقدم ابن حَيُّوس حلب في شوال سنة أربع وستين وأربعمائة ، وداره بها هي الدار المعروفة الآن بالأمير علم الدين سليمان بن حيدر .

ومن محاسن شعر ابن حَيُّوس القصيدة اللامية التي مدح بها أبا الفضائل سابق

---

١ ق مج بر : أبو الحسين .

٢ قال العماد (الخريدة – قسم الشام ٢ : ٥٢) شعراء بني الدويدة فيهم كثرة ، قد أورد منهم الباخرزي في دمية القصر جماعة فمن جملتهم أحمد بن محمد بن الدويدة وله ثلاثة أبناء : هم علي ومحمد وعبد الله الملقب بالقاق .

٣ ق : العماد الكاتب .

٤ ق : أبي الحسين .

٥ لي س : بالواف ؛ ل : بالعاف ، بر : بالقاف ؛ وانظر الخريدة ٢ : ٥٤ .

٦ أنظر ج ٢ : ٤٨٧ .

ابن محمود وهو أخو الأمير نصر المذكور ، ومن مديحها قوله[1] :

طالما قلت للمُسائل عنكم واعتمادي هدايةُ الضُّلّال
إن ترد علمَ حالهم عن يقين فالْقَهُمْ في مكارمٍ أو نزال
تَلقَ بيضَ الأعراض سود مُثار النقع خضر الأكناف حمر النصال

وما أحسن هذا التقسيم الذي اتفق له ، وقد ألم فيه بقول أبي سعيد محمد بن محمد بن الحسين الرستمي الشاعر المشهور من جملة قصيدة يمدح بها الصاحب بن عَبّاد – المقدم ذكره في حرف الهمزة[2] – وهي من فاخر الشعر ، وذلك قوله :

من النفر العالِينَ في السّلْم والوغى وأهل المعالي والعوالي وآلها[3]
إذا نزلوا اخضرّ الثرى من نزولهم وإن نازلوا احْمَرّ القنا من نزالها

هذا والله الشعر الخالص الذي لا يشوبه شيء من الحشو .

وكان ابن حَيُّوس المذكور قد أثرى وحصلت له نعمة ضخمة من بني مرداس، فبنى داراً بمدينة حلب وكتب على بابها من شعره[4] :

دارٌ بنيناها وعشنا بها في نعمةٍ من آل مرداسِ
قومٌ نفوا بؤسي ولم يتركوا عليّ للأيام من باس
قل لبني الدنيا ألا هكذا فليصنع الناس مع الناس

وقيل : إن هذه الأبيات للأمير الجليل أبي الفتح الحسن بن عبد الله بن عبد الجبار ، المعروف بابن أبي حصينة الحلبي ، وهو الصحيح[5] .

ومن غرر قصائده السائرة قوله[6] :

---

١ ديوانه ٢ : ٤٦٠ .
٢ انظر ج ١ : ٢٢٨ .
٣ مج ر ت لي : واللها .
٤ لم ترد في ديوان ابن حيوس .
٥ انظر ديوان ابن أبي حصينة ١ : ٣٦٠ .
٦ ديوان ابن حيوس ١ : ٣١٢ ، وسقطت الأبيات من مج ، وكذلك الأبيات الميمية بعدها .

هو ذاك ربع المالكية فاربَعِ ... واسأل مَصيفاً عافياً عن مربعِ
واستسق للدِّمَنِ الخوالي بالحمى ... غرَّ السحائب واعتذر عن أدمعي
فلقد فَنِينَ أمام دانٍ هاجر ... في قربه ، ووراء ناءٍ مزمِعِ
لو يخبر الركبانُ عني حدثوا ... عن مقلة عَبْرَى وقلب موجع
رُدِّي لنا زمن الكثيب فإنه ... زمن متى يرجِعْ وصالك يرجع
لو كنتِ عالمةً بأدنى لوعتي ... لرددت أقصى نيلك المسترجع
بل لو قنعتِ من الغرام بمظهر ... عن مُضمر بين الحشى والأضلع
أعتبت إثر تعتب ، ووصلت غبَّ تجنب ، وبذلت بعد تمنع
ولوأنني أنصفت نفسي صنتها ... عن أن أكون كطالبٍ لم يَنْجَعِ

ومنها :

إني دعوتُ ندى الكرام فلم يجب ... فلأشكرنَّ نَدًى أجاب وما دعي
ومن العجائب ، والعجائب جمة ، ... شكر بطيء عن ندى متسرع

ومن شعره أيضاً[1] :

قفوا في القلى حيث انتهيتم تذمما ... ولا تقتفوا مَنْ جار لما تحكّما
أرى كل مُعْوَجِّ المودّة يصطفى ... لديكم ويلقى حتفه من تقوّما
فإن كنتمُ لم تعدلوا إذ حكمتمُ ... فلا تعدلوا عن مذهب قد تقدما
حنى الناس من قبل القِسِيَّ لتُقتَنى ... وثُقّفَ منآد القنا ليقوما
ومـا ظلم الشيب الملم بلمتي ... وإن بزّني حظي من الظَّلم واللَّمى
ومحجوبةٍ عزت وعز نظيرها ... وإن أشبهت في الحسن والعفة الدُّمى
أعَنّفُ فيها صبوةً قطُّ ما ارعوت ... وأسأل عنها معلماً ما تكلما
سلي عنه تُخبِرْ عن يقينٍ[2] دموعُهُ ... ولا تسألي عن قلبه أين يمما

---

١ ديوانه ٢ : ٥٩٨ .
٢ ق : باليقين .

فقد كان لي عوناً على الصبر برهة وفارقني أيامَ فارقتم الحمى
فراقٌ قضى أن لا تأسّيَ بعد أن مضى منجداً صبري وأوغلتُ متهما
وفجعة بينٍ مثل صرعة مالك ويقبح بي أن لا أكون متمما
خليليَّ إن لم تسعداني على الأسى فلا[1] أنتما مني ولا أنا منكما
وحَسَّنتما لي سلوة وتناسياً ولم تذكرا كيف السبيلُ إليهما
سقى الله أيام الصبا كلَّ هاطل مُلِثٍّ إذا ما الغيث أثجم أنجما
وعيشاً سرقناه برغم رقيبنا وقد مل من طول السهاد فهوّما

وهي طويلة[2] .

وحكى الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » قال : أنشدنا أبو القاسم علي ابن إبراهيم العلوي من حفظه سنة سبع وخمسمائة قال : أخذ الأمير أبو الفتيان ابن حَيُّوس بيدي ونحن بحلب، وقال : ارو عني هذا البيت وهو في شرف الدولة مسلم بن قريش :

أنت الذي نفق الثناء بسوقه وجرى الندى بعروقه قبل الدم

وهذا البيت في غاية المدح؛ وقد تقدم في ترجمة أبي بكر بن الصائغ الأندلسي ذكر الأبيات النونية، وكونها منسوبة إليه، وهي موجودة في ديوان ابن حيوس المذكور ، والله أعلم بجلية الحال فيها .

وكان أبو عبد الله أحمد بن محمد بن الخياط الشاعر – المقدم ذكره[3] – قد وصل إلى حلب في بعض شهور[4] سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة ، وبها يومئذ أبو الفتيان المذكور فكتب إليه ابن الخياط المذكور قوله :

لم يبق عندي ما يباع بدرهم وكفاك مني منظري عن مخبري

---

١ س ق : فما ، وعلق في س بأنها « فلا » في نسخة أخرى وهي كذلك في بر ر لي ل .
٢ زاد في ن : جداً .
٣ انظر ج ١ : ١٤٥ وفي هامش لي : هذه الحكاية تقدمت في ترجمة ابن الخياط .
٤ بعض شهور : زيادة من ر ق .

إلا بقية مـــاء وجـه صنتها عن أن تباع وأين أين المشتري[1]

فقال : لو قال[2] « وأنت نعم المشتري » لكان أحسن .

وكانت ولادة ابن حَيُّوس يوم السبت سلخ صفر سنة أربع وتسعين وثلثمائة بدمشق ، وتوفي في شعبان سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة بحلب . وهو شيخ أبي عبد الله أحمد بن محمد المعروف بابن الخياط الشاعر المشهور ، وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمته .

وحَيُّوس : بالحاء المهملة المفتوحة والياء المشددة المثناة من تحتهـا المضمومة والواو الساكنة وبعدها سين مهملة .

وفي شعراء المغاربة ابن حَبُوس مثل الأول ، ولكن بالباء الموحدة المخففة ، وإنما ذكرته لئلا[3] يتصحف على كثير من الناس بابن حيوس . ورأيت خلقـاً كثيراً يتوهمون[4] أن المغربي يقال له ابن حَيُّوس أيضاً ، وهو غلط ، والصواب ما ذكرته ، والله تعالى أعلم .

٦٧٤

الأبيوردي الشاعر

أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي العباس أحمد بن إسحاق ابن أبي العباس الإمام محمد بن إسحاق ، وهو أبو الفتيـان بن أبي الحسن[5] ابن

---

١ ن ر ق : وقد وجدتك مشتري .

٢ ل : لو كان قال .   ٣ ر بر من مج : لأنه .

٤ ق ل ت مج : يتوهم .

٦٧٤ – ترجمته في معجم الأدباء ١٧ : ٢٣٤ والوافي ٢ : ٩١ ومرآة الزمان : ٤٨ وطبقات السبكي ٤ : ٦٢ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٠٦ والشذرات ٤ : ١٨ واللباب : (المعاوي) .

٥ ر ل لي س : أبن الحسن .

[أبي][1] مرفوعة بن منصور بن معاوية الأصغر بن محمد بن أبي العباس عثمان بن عنبسة الأصغر بن عتبة[2] بن الأشرف بن عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان صخر ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، القرشي الأموي المعاوي الأبيوردي الشاعر المشهور ؛ كان من الأدباء المشاهير ، راوية نسابة شاعراً ظريفاً ، قسم ديوان شعره إلى أقسام : منها العراقيات ومنها النجديات ومنها الوجديات ، وغير ذلك ، وكان من أخبر الناس بعلم الأنساب ، نقل عنه الحفاظ الأثبات الثقات[3] ، وقد روى عنه الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي في غير موضع من كتابه الذي وضعه في الأنساب، وقال في حقه في ترجمة المعاوي: إنه كان أوحد زمانه في علوم عديدة ، وقد أوردنا عنه في غير موضع من هذا الكتاب أشياء ، وكان يكتب في نسبه المعاوي ، وأليق ما وصف به بيت أبي العلاء المعري :

وإني وإن كنت الأخيرَ زمانُهُ   لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

انتهى كلام المقدسي بعد أن ذكر له أبياتاً يفتخر بها لا حاجة بنا إليها[4] .

وذكره أبو زكريا ابن منده في « تاريخ أصبهان » فقال : فخر الرؤساء أفضل الدولة ، حسن الاعتقاد جميل الطريقة ، متصرف في فنون جمة من العلوم، عارف بأنساب العرب ، فصيح الكلام حاذق في تصنيف الكتب ، وافر العقل كامل الفضل ، فريد دهره ووحيد عصره . وكان فيه تيه وكبر وعزة نفس ، وكان إذا صلى يقول : اللهم ملكني مشارق الأرض ومغاربها .

وذكره الحافظ ابن السمعاني في كتاب « الأنساب » في ترجمة المعاوي ، وفي كتاب « الذيل » وقال : كان ينسب إلى معاوية الأصغر المقدم ذكره في عمود نسبه ، وأخبر عنه أنه كتب رقعة إلى أمير المؤمنين المستظهر بالله وعلى رأسها

---

١ زيادة من ل لي س ت .

٢ كذا في أكثر النسخ ؛ وفي بر واللباب : « عنبسة » .

٣ الثقات : سقطت من ر .

٤ ر : إلى ذكرها . ق : بذكرها .

« الخادم المعاوي » ، فكره الخليفة النسبة إلى معاوية ، فحكّ[1] الميم من المعاوي ورد الرقعة إليه ، فصار « العاوي »[2] .

ومن محاسن شعره قوله :

ملكنا أقاليم البلاد فأذعنت   لنا رغبةً أو رهبة عظماؤها
فلما انتهت أيامنا علقت بنا   شدائدُ أيامٍ قليل رخاؤها
وكان إلينا في السرور ابتسامُها   فصار علينا في الهموم بكاؤها
وصرنا نلاقي النائبات بأوجُهٍ   رقاق الحواشي كاد يقطر ماؤها
إذا ما هممنا أن نبوحَ بما جنت   علينا الليالي لم يدعنا حياؤها

وقوله أيضاً[3] :

تنكر لي دهري ولم يدر أنني   أعزٌّ وأحداث الزمان تهونُ
فبات يريني الخطبَ كيف اعتداؤه   وبتّ أريه الصبر كيف يكون

ومن شعره أيضاً :

وهيفاء لا أصغي إلى من يلومني   عليها ويغريني بها أن أعيبها
أميلُ بإحدى مقلتيَّ إذا بدت   إليها ، وبالأخرى أراعي رقيبها
وقد غفل الواشي ولم يدر أنني   أخذت لعيني من سليمى نصيبها

---

١ ر : فكشط ، مج : فحك الخليفة .

٢ علق ابن المؤلف هنا في المختار بقوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : ومثل هذا ما حكاه لي بعض أدباء بغداد أن رجلا متشيعاً مر بباب مدرسة ببغداد وكان بيده قوس بندق وكان حاذقاً بالرمي ، فرأى على ذلك الباب مكتوباً بالآجر حروفاً نابتة ، مضمونها « معاوية خال المؤمنين » فغاظه ذلك ، فرمى ببندقة أصاب بها وسط الشكل القائم من حرف اللام في « خال » فزال موضع البندقة فبقي سفل اللام يشبه النون وما هي من الشكل القائم كالنقطة عليه فقرىء « خان » وهذا من لطيف الاتفاقات » .

٣ ق : ومن شعره أيضاً .

وله في أبي النجيب عبد الرحمن بن عبد الجبـــار المراغي ، وكان من أفراد زمانه فضلاً ، وكان يستعمل في شعره لزوم ما لا يلزم ، وكانت إقامته بثغر حيرة[1] :

شعر المراغيّ وحوشيّهُ ... كعقله أسْلَمُهُ أسْقَمُهْ
يلزم مـا ليس له لازماً ... لكنه يترك مـا يلزمُهْ

وله أيضاً :

أأميم إن لم تسمحي بزيارة ... بخلاً فجودي بالخيال الطارقِ
والله لا تمحو الوشاة ولا النوى ... سِمَةً لحبكِ في ضمير العاشق

قلت : ومن معنى البيت الأول أخذ سبط ابن التعاويذي — الآتي ذكره — قوله من جملة قصيدة :

إن كنتِ ليلى بالسلام بخيلةً ... فمري الخيالَ يمر بي فيسلمُ
وعِدي بوصلِكِ في المنام لعلها ... ترجو لقـاءكِ مقلتي فتهوّم

ومن نجدياته :

نزلنا بنعمان الأراك وللندى ... سَقيطٌ به ابتلّتْ علينا المطارفُ
فبتُّ أعاني الوجد والركبُ نوّم ... وقد أخذت مني السرى والتنائف
وأذكر خوداً إن دعاني إلى[2] النوى ... هواها أجابته الدموع الذوارف
لها في مغاني ذلك الشِّعْب منزل ... لئن أنكرته العين فالقلب عارف
وقفتُ بـــه والدمع أكثره دم ... كأنيَ من جفني بنعمان راعف

[وله وقد أخرج من الحلة المزيدية مكرهاً ، وكان سنياً :

---

١ ق ر بر : بحيرة ؛ س : جندة ، ولعل الصواب « جنزة » .

٢ ر والمختار : على .

أبابل ما واديكِ بالرفد مفعم لدينا ولا ناديكِ بالوفد آهلُ
لئن ضقتِ عنـا فالبلادُ فسيحة وحسبكِ عاراً أنني عنكِ راحل
لئن كنتِ بالسحر الحرام مدلةً فعندي من السحر الحلال دلائل
قوافٍ تعير الأعين النجل سحرها فكلُّ مكان خيمت فيه بابل][1]

ومن معانيه البديعة قوله من جملة أبيات في صفة[2] الخمرة :

ولها من ذاتها طرب فلهذا يرقص الحببُ

وله من جملة قصيدة :

فسد الزمان فكل من صاحبته راجٍ ينافق أو مُداجٍ خاشي[3]
وإذا اختبرتهمُ ظفرتَ بباطن متجَهّمٍ وبظاهر هشاش

وهذا المعنى مأخوذ من قول أبي تمام الطائي من جملة قصيدة أجاد فيهـا كل الإجادة[4] :

إن شئت أن يسودّ ظنك كله فأجِلْهُ في هذا السواد الأعظمِ
ليس الصديق بمن يعيرك ظاهراً متبسماً عن باطنٍ متجهم

وقد خرجنا عن المقصود بالتطويل .

وله تصانيف كثيرة مفيدة : منها « تاريخ أبيورد ونسا » وكتاب « المختلف والمؤتلف » و « طبقات كل فن » و « ما اختلف وائتلف[5] في أنساب العرب »

---

١ زيادة انفردت بها مج ، وقد سقط ما قبلها ابتداء من قوله « وله في أبي النجيب » حتى آخر الأبيات الفائية .

٢ س لي ن : وصف .

٣ ت لي ل مج : حاشي .

٤ ديوان أبي تمام ٣ : ٢٥٠ ؛ كل الإجادة : سقطت من ق س ت ل مج بر من .

٥ وطبقات . . . وائتلف : سقط من ر ن ق .

وله في اللغة مصنفات كثيرة لم يسبق إلى مثلها[1]. وكان حسن السيرة جميل الأثر، له معاملة صحيحة .

وكانت وفاة الأبيوردي المذكور بين الظهر والعصر يوم الخميس العشرين من ربيع الأول سنة سبع وخمسين وخمسمائة بأصبهان مسموماً ، وصلي عليه في الجامع العتيق بها ، رحمه الله تعالى .

والأبيوردي : بفتح الهمزة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الواو وسكون الراء وبعدها دال مهملة ، هذه النسبة إلى أبيورد ، ويقال لها أباورد وباورد ، وهي بُليدة بخراسان خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم[2]،وذكر السمعاني في كتاب «الأنساب» في ترجمة الكُوفَني – بضم الكاف وسكون الواو وفتح الفاء[3] وبعدها نون – هذه النسبة إلى كُوفَن ، وهي بُليدة صغيرة على ستة فراسخ من أبيورد بخراسان بناها عبد الله بن طاهر، وخرج منها جماعة من المحدثين والفضلاء ، منهم الأديب أبو المظفر محمد بن أحمد الكوفَني المعروف بالأديب الأبيوردي ، والله أعلم .

---

١ بهامش ن ، بخط غير خط الأصل : «وقفت على مؤلف له سماه زاد الرفاق واستصحبته بحمد الله سبحانه وهو من الكتب الممتعة ويشتمل من نوادر الظرف والآداب على ما يروق العيون ويعجب الاسماع ؛ حرره الفقير عارف » .

٢ هنا تنتهي الترجمة في ت مج .

٣ ق : الكوفني . . . وفتح القاف؛ وانظر اللباب : (الكوفني) ؛ وقد كتبت اللفظة كوقن –بالقاف– في المختار .

٦٧٥

ابن أبي الصقر الواسطي

أبو الحسن محمد بن علي بن الحسن بن عمر، المعروف بابن أبي الصقر الواسطي ؛ كان فقيهاً شافعي المذهب ، تفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، رحمه الله تعالى ، لكنه غلب عليه الأدب والشعر واشتهر به ، ورأيت له بدمشق ديوان شعر في الخزانة الأشرفية التي في الجامع المشهور في تربته شمال الكلاسة التي هي زيادة في الجامع الكبير ، والديوان مجلد واحد[1] ، وكان شديد التعصب للطائفة الشافعية ، وظهر ذلك في قصائده المعروفة بالشافعية ، وله في الشيخ أبي إسحاق الشيرازي مراث ، وكان كاملاً في البلاغة والفضل وحسن الخط وجودة الشعر .

وذكره أبو المعالي الحظيري – المقدم ذكره[2] – في كتاب « زينة الدهر » وأورد له عدة مقاطيع ، فمن ذلك قوله :

كلُّ رزقٍ ترجوه من مخلوقٍ ... يعتريه ضربٌ من التعْويقِ

وأنا قائل واستغفر الل ... ه مقالَ المجاز لا التحقيق

لست أرضى من فعل إبليس شيئاً ... غير ترك السجود للمخلوق

وذكر له أيضاً[3] :

وحرمة الود ما لي عنكمُ عوض ... لأنني ليس لي في غيركم غرض[4]

---

٦٧٥ – ترجمته في معجم الأدباء ١٨ : ٢٥٧ والمنتظم ٩ : ١٤٥ والوافي ٤ : ١٤٢ والبدر السافر ، الورقة : ١٣٢ وطبقات السبكي ٣ : ٨٠ .

١ ورأيت له . . . واحد : سقط النص من لي ل ت بر من .

٢ انظر ج ٢ : ٣٦٦ .

٣ زاد في لي : قوله ؛ وفي ق بر : وهي سائرة ؛ وقد سقطت الأبيات من مج .

٤ ت وهامش س : وليس لي في سواكم بعدكم غرض .

أشتاقكم وبوُدّي لو يواصلني لكم خيال ولكن لست أغتمض
وقد شرطتُ على قوم صحبتهمُ بأن قلبي لكم من دونهم، ورضوا[1]
ومن حديثي بكم قالوا به مرضٌ فقلت لا زال عني ذلك المرض

وكان قد طـَعَنَ في السن وضعف عن المشي فصار يتوكأ على عصا ، فقال في ذلك :

كل أمري[2] إذا تفكرت فيه وتأملتـه رأيتَ ظريفـا
كنت أمشي على اثنتين قوياً صرت أمشي على ثلاث ضعيفا

قلت : ولي أبيات أشير فيها إلى مثل هذا المعنى وهي :

يا سائلي عن حالتي خذ شرحها ملخصا
قد صرتُ بعد قوة تفضُ أفـلاذ الحصى
أمشي على ثلاثـة أجْوَدُ ما فيها العصا[3]

ولابن أبي الصقر[4] أيضاً في اعتذاره عن ترك القيام لأصدقائه[5] :

علة سُمّيَتْ ثمانين عامـا منعتني للأصدقاء القيامـا
فإذا عُمّرُوا تمهـد عذري عندهم بالذي ذكرت وقاما

وله في كبره أيضاً :

ولما إلى عشر تسعين صرتُ وما لي إليها أبٌ قبلُ صارا
تيقنت أنيَ مستبـدِلٌ بداريَ داراً وبالجـار جارا

---

١ ر : فرضوا .
٢ ل ن بر : أمر .
٣ قلت . . . العصا : سقط من س لي ل ت مج بر من .
٤ كذا في ر ق ؛ وفي النسخ الأخرى : وله .
٥ ر : لبعض أصدقائه .

فتبت إلى الله ممـــا مضى ولن يُدْخِلَ اللهُ من تاب نارا

وله أيضاً وقد حضر عزاء صغير وهو يرتعش من الكبر، فتغامز عليـــه الحاضرون كيف مات الصغير وبقي هذا الشيخ في هذا السن ، فقال :

إذا دخل الشيخ بين الشباب عزاء وقد مات طفل صغيرْ
رأيت اعتراضاً على الله إذ توفى الصغير وعاش الكبير
فقل لابن شهر وقل لابن ألف وما بين ذلك : هذا المصير[1]

وله أيضاً في ذلك :

ابن أبي الصقر افتكر وقال في حال الكبرْ
والله لــولا بَوْلَـةٌ تحرقني وقت السحر
لما ذكرت أنــ لي ما بين فخذيَّ ذكر

وله كل مقطوع مليح[2] .

وكانت ولادته ليلة الاثنين ثالث عشر ذي القعدة سنة تسع وأربعمائة . وتوفي يوم الخميس رابع عشر جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة بواسط ، رحمه الله تعالى .

---

١ وله أيضاً . . . المصير : سقط من س ل لي ت مج ، وقبله سقطت من مج الأبيات الرائية المطلقة .
٢ ق : مقطوع حسن .

٦٧٦

ابن الهبارية

الشريف أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح بن حمزة بن عيسى بن محمد بن عبد الله ابن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي العباسي المعروف بابن الهَبّارية ، الملقب نظام الدين[1] البغدادي الشاعر المشهور ؛ كان شاعراً مجيداً حسن المقاصد ، لكنه كان خبيث اللسان كثير الهجاء والوقوع في الناس لا يكاد يسلم من لسانه أحد .

وذكره العماد الكاتب في « الخريدة » فقال[2] : من شعراء نظام الملك ، غلب على شعره الهجاء والهزل والسخف ، وسبك في قالب ابن حجاج وسلك أسلوبه وفاقه في الخلاعة ، والنظيفُ من شعره في غاية الحسن ؛ انتهى كلام العماد .

وكان ملازماً لخدمة نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن إسحاق وزير السلطان ألب أرسلان وولده ملك شاه – وقد تقدم ذكره في حرف الحاء[3] – وله عليه الإنعام التام والإدرار المستمر ، وكان بين نظام الملك وتاج الملك أبي الغنائم بن دارست شحناء ومنافسة ، كما جرت العادة بمثله بين الرؤساء ، فقال أبو الغنائم لابن الهبارية : إن هجوت نظام الملك فلك عندي كذا ، وأجزل له الوعد فقال : كيف أهجو شخصاً لا أرى في بيتي شيئاً إلا من نعمته ؟ فقال : لا بد من هذا ، فعمل[4] :

---

٦٧٦ – ترجمته في اللباب : (الهباري) والوافي ١ : ١٣٠ ومرآة الزمان : ٥٨ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢١٠ ولسان الميزان ٥ : ٣٦٧ والشذرات ٤ : ٢٤ وقد أوجزت النسخ س ل لي ت في نسبه.

١ لي : نظام الملك .

٢ الخريدة (قسم العراق) ٢ : ٧٠ .

٣ انظر ج ٢ : ١٢٨ .

٤ ق : فقال .

لا غرو إن ملك ابن إسـ حاق وساعَدَهُ القَدَرْ
وصَفَتْ له الدنيا وخُـ صَّ أبو الغنائم بالكدر
فالدهـر كالدولاب ليـ س يـدور إلا بالبقر

فبلغت الأبيات نظام الملك ، فقال : هو يشير إلى المثل السائر على ألسن الناس ، وهو قولهم « أهل طوس بقر » وكان نظام الملك من طوس ، وأغضى عنه ولم يقابله على ذلك بل زاد في إفضاله عليه ، فكانت هذه معدودة من مكارم أخلاق نظام الملك وسعة حلمه . وكان مع فرط إحسان نظام الملك إليه يقاسي من غلمانه وأتباعه شر مقاساة لما يعلمونه من بذاءة لسانه ، فلما اشتد عليه الحال منهم كتب إلى نظام الملك :

لذ بنظام الحضرتين الرضى إذا بنو الدهر تحاشوكْ
واجْلُ به عن ناظريك القَذى إذا لئـام القوم أعشوك
واصبر على وحشة غلمانه لا بـد للورد من الشوك

وذكر العماد الأصبهاني في « الخريدة » أنه أنفذ هذه الأبيات مع ولده إلى نقيب النقباء علي بن طراد الزينبي ، ولقبه نظام الحضرتين أبو الحسن .
ومن شعره أيضاً :

وجهي يرق عن السؤا ل وحالتي منه أرقْ
دقت معاني الفضل فيَّ وحِرْفَتي منها أدق

ومن معانيه الغريبة قوله في الرد على من يقول إن السفر به يبلغ الوطر :

قالوا أقمت ومـا رزقت وإنما بالسير يكتسب اللبيب ويُرْزَقُ
فأجبتهم مـا كلُّ سير نافعاً الحظ ينفع لا الرحيـل المقلق
كم سفرة نفعت ، وأخرى مثلها ضرت ، ويكتسب الحريص ويُخْفِق
كالبدر يكتسب الكمال بسيره وبه إذا حرم السعـادة يمحق

وله أيضاً :

خذ جملةَ البلوى ودع تفصيلها ... ما في البرية كلها إنسانُ
وإذا البياذق في الدَّسُوتِ تفرزنت ... فالرأي أن يتبيذق الفِرْزانُ

وله على سبيل الخلاعة والمجون :

يقول أبو سعيد إذ رآني ... عفيفاً منذ عام ما شربتُ
على يد أي شيخ تبت قل لي ... فقلت على يد الإفلاس تبت

وله في المعنى أيضاً :

رأيت في النوم عرسي وهي ممسكة ... أذني ، وفي كفها شيء من الأدَمِ
معوّج الشكل مسودٌ به نقط ... لكنّ أسفله في هيئة القدم
[تظل ترقعني كيما ترنّخني ... فصرت ألتذ بالإيقاع والنغم][1]
حتى تنبهت محمّر القَذال ، ولو ... طال المنام[2] على الشيخ الأديب عمي

وله أيضاً :

المجلس التاجيُّ ، دام جماله ... وجلاله وكماله ، بستانُ
والعبد فيه حَمامةٌ ، تغريدُها ... فيه المديح وطَوقُها الإحسان

[وله :

وعنديَ شوق دائم وصبابةٌ ... ومن أنا ذا حتى أقول له عندي
إلى رجل لو أن بعض ذكائه ... على كل مولود تكلم في المهد
فلولا نداه خفت نار ذكائه ... عليه ولكن الندى مانع الوقد][3]

وله أيضاً :

---

١ زيادة من المختار .

٢ ر : الرقاد .

٣ زيادة من مج ، سقط كثير مما قبلها .

دعوه ما شاء فعل سيان صد أو وصلْ

فكم رأينـــا قبلها أسود من ذا ونصل

ومحاسنه كثيرة .

وله كتاب « نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة » وقد سبق في ترجمة البارع الدباس في حرف الحاء ذكر الأبيات الدالية وجوابها وما دار بينهما[1] ، وسيأتي في ترجمة الوزير فخر الدولة محمد بن جهير واقعة لطيفة جرت له مع السابق الشاعر المعري ، إن شاء الله تعالى .

وديوان شعره كبير يدخل في أربع مجلدات[2] ، ومن غرائب نظمــه كتاب « الصادح والباغم» نظمه على أسلوب « كليلة ودمنة » وهو أراجيز ، وعدد بيوته ألفا بيت ، نظمها في عشر سنين ، ولقد أجاد فيه كل الإجادة ، وسير الكتاب على يد ولده إلى الأمير أبي الحسن صدقة بن منصور بن دبيس الأسدي صاحب الحلة – المقدم ذكره في حرف الصاد[3] – وختمه بهذه الأبيات ، وهي :

هذا كتاب حَسَنُ تَحار فيه الفطنُ

أنفقت فيه مدّهْ عشر سنين عـدّهْ

منذ سمعت باسمكا وضعتـــه برسمكا

بيوتـــه ألفـــان جميعهـــا معـاني

لو ظل كل شاعر ونـــاظم ونــــاثر

كعمر نوح التـــالد في نظم بيت واحد

مِنْ مثله لَـما قدر ما كل من قال شعر

أنفذته مع ولدي[5] بل مهجتي وكبدي

---

١ انظر ج ٢ : ١٨١ .

٢ المختار : في ثلاث أربع مجلدات .

٣ انظر ج ٢ : ٤٩٠ .

٤ لم يرد منها في ت إلا بيتان ، واكتفى في المختار بايراد المطلع .

٥ ل لي بر : وولدي .

وأنت عند ظني أهلٌ لكل مَنّ
وقد طوى إليكا توكلاً عليكا
مشقة شديده وشُقّةً بعيده
ولو تركت جيت سعياً وما ونيت
إن الفخار والملا إرثُكَ من دون الورى

فأجزل صلته وأسنى جائزته[1] .

وتوفي ابن الهبارية المذكور بكرمان سنة أربع وخمسمائة ، هكذا قال العماد الأصبهاني في كتاب « الخريدة » بعد أن أقام مدة بأصبهان وخرج إلى كَرْمان وأقام[2] بها إلى آخر عمره ، وقال ابن السمعاني : توفي بعد سنة تسعين وأربعمائة .

والهَبّارية : بفتح الهاء وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف راء ، هذه النسبة إلى هَبّار ، وهو جد أبي يَعْلى المذكور لأمه .

وكرمان : بكسر الكاف وقيل بفتحها وسكون الراء وفتح الميم وبعد الألف نون ، وهي ولاية كبيرة تشتمل على مدن كبار وصغار ، وخرج منها خلق من الأعيان ، وهي متصلة بأطراف أعمال خراسان[3] ، ومن جانبها الآخر البحر ، والله أعلم .

---

١ ق : فأجزل جائزته وأسنى صلته .
٢ ر بر : فأقام .
٣ ق مج بر ر : بأطراف خراسان .

٦٧٧

الخالدي المعروف بابن القيسراني الشاعر

أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير بن داغر بن محمد بن خالد بن نصر بن داغر بن عبد الرحمن بن المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي ، الخالدي الحلبي الملقب شرف المعالي عُدّة الدين، المعروف بابن القيسراني، هكذا أملى عليّ نسبه بعض حفدته ، الشاعر المشهور ؛ من الشعراء المجيدين والأدباء المتفننين[١] ، قرأ الأدب على توفيق بن محمد وأبي عبد الله ابن الخياط الشاعر — المقدم ذكره[٢] — وكان فاضلاً في الأدب وعلم الهيئة ، سمع بحلب من الخطيب أبي طاهر هاشم بن أحمد الحلبي وغيره ، وسمع منه الحافظان أبو القاسم ابن عساكر وأبو سعد ابن السمعاني[٣] ، وذكراه في كتابيهما ، وكذلك أبو المعالي الحظيري ، وذكره في كتاب « الملح »[٤] أيضاً .

وكان هو وابن منير — المذكور في حرف الهمزة[٥] — شاعري الشام في ذلك العصر ، وجرت بينهما وقائع وماجرايات وملح ونوادر ، وكان ابن منير ينسب إلى التحامل على الصحابة ، رضي الله عنهم ، ويميل إلى التشيع ، فكتب إليه ابن القيسراني المذكور وقد بلغه أنه هجاه :

ابنَ منيرٍ هجوتَ مني   حبراً أفاد الورى صَوابه

---

٦٧٧ — ترجمته في الروضتين ١ : ٩١ والخريدة (قسم الشام) ١ : ٩٦ — ١٦٠ ومرآة الزمان : ٢١٣ وذيل ابن القلانسي : ٣٢٢ ومعجم الأدباء ١٩ : ٦٤ وعبر الذهبي ٥ : ١٣٣ والشذرات ٤ : ١٥٠ .

١ ر ل لي مج بر من : المتعينين .

٢ انظر ج ١ : ١٤٥ .

٣ ق : وأبو سفيان السمعاني .

٤ ق : الملح والنوادر .

٥ ج ١ : ١٥٦ .

ولم تضيّق بذاك صدري   فإن لي أسوة الصحابه

ومن محاسن شعره قوله :

كم ليلة بت من كاسي وريقته   نشوانَ أمزج سلسالاً بسلسالِ
وبات لا تحتمي عني مَراشفُهُ   كأنما ثغره ثغرٌ بلا والي

وظفرت بديوانه وجميعه بخطه وأنا يومئذ بمدينة حلب ونقلت منه أشياء فمن ذلك قوله في مدح خطيب :

شُرحَ المنبر صدراً   لتلقيك رحيباً
أترى ضَمَّ خطيباً   منك أم ضُمّخَ طيباً

وهذا الجناس في غاية الحسن ؛ ثم وجدت هذين البيتين لأبي القاسم ابن زيد ابن أبي الفتح أحمد بن عبيد بن فضل[1] الموازيني الحلبي المعروف أبوه بالماهر ، وأن ابن القيسراني المذكور أنشدهما للخطيب ابن هاشم لما تولى خطابة حلب فنسبا إليه[2] ، ورأيت الأول على هذه الصورة ، وهو :

قد زها المنبرُ عُجْباً   إذ ترقيت خطيبا

وله في الغزل :

بالسفح من لبنان لي   قمر منازله القلوبُ
حملت تحيته الشما   لُ فردّها عني الجنوب
فَرْدُ الصفات غريبها   والحسن في الدنيا غريب
لم أنس ليلة قال لي   لما رأى جسدي يذوب[3]
بالله قل لي من أعلّـ   ـك يافتى؟ قلت: الطبيب

---

١ ق : فضال .

٢ ما تقدم يفيد أن المؤلف نقل البيتين من ديوان ابن القيسراني وهو يقول إن الديوان كله بخطه وهذا يستوقف النظر .

٣ سقط البيت سهواً من ق .

وله أيضاً[1] :

وقالوا لاح عارضه ومـــا ولّت ولايته
فقلت عذار من أهوى أمـــارته إمارتـــه

ومن معانيه البديعة قوله من جملة قصيدة رائقة[2] :

هذا الذي سلب العشاق نومهمُ أما ترى عَيْنَه ملأى من الوَسَنِ

وهذا البيت ينظر إلى قول المتنبي في مدح سيف الدولة بن حمدان :

نهبتَ من الأعمارِ ما لو حويتهُ لهنئتِ الدُّنيا بأنك خالدُ[3]

وكان كثير الإعجاب بقوله من جملة قصيدة :

وأهوى الذي أهوى له البدرُ ساجداً ألستَ ترَى في وجهِ أثر التُّرْبِ

وحضر مرة في سماع وكان المغني حسن الغناء ، فلما طربت الجماعة وتواجدت عمل[4] :

والله لو أنصف العشاق أنفسهم فدوك منها بما عزوا وما صانوا
ما أنت حين تغني في مجالسهم إلا نسيم الصبا والقوم أغصانُ

وأنشدني صاحبنا الفخر إسحاق بن المختص الإربلي لنفسه دوبيت ، وأخبرني أنه كان في سماع وفيه جماعة من أرباب القلوب ، فلما طابت الجماعة[5] كان هناك فرش منضودة على كراسي فتساقطت ، قال : فعملت في الحال :

داعي النغماتِ حلقةَ الشوقِ طَرَقْ وَهْناً فأجابَتهُ شُجونٌ وحُرَقْ

---

١ سقط البيتان التاليان من مج .
٢ رائقة : سقطت من ق .
٣ وهذا البيت . . . خالد : سقط من س ل لي ت ق مج بر من .
٤ ق : عمل فقال .
٥ الجماعة : سقطت من ل لي ت ق مج بر من .

لو أسمعَ صخرةً لخرّت طربا   من نغمته فكيف قطن وخرَقْ

وكانت ولادة ابن القيسراني المذكور سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بعكا. وتوفي ليلة الأربعاء الحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بمدينة دمشق، ودفن بمقبرة باب الفراديس، رحمه الله تعالى.

والخالدي: بفتح الخاء المعجمة وبعد الألف لام ثم دال مهملة، هذه النسبة إلى خالد بن الوليد المخزومي، رضي الله عنه؛ هكذا يزعم أهل بيته، وأكثر المؤرخين وعلماء الأنساب يقولون: إن خالداً رضي الله عنه، لم يتصل نسبه بل انقطع منذ زمان، والله أعلم.

والقَيْسَراني: بفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة والراء وبعد الألف نون، هذه النسبة إلى قَيْسارية، وهي بُليدة بالشام على ساحل البحر.

٦٧٨

الكيزاني

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ثابت بن إبراهيم بن فرح[١]، الكناني المقرىء الاديب الشافعي الحامي[٢] المصري المعروف بابن الكيزاني، الشاعر المشهور[٣]؛ كان زاهداً ورعاً، وبمصر طائفة ينسبون إليه ويعتقدون مقالته، وله ديوان شعر أكثره في الزهد، ولم أقف عليه، وسمعت له بيتاً واحداً أعجبني، وهو:

---

٦٧٨ – ترجمته في اللباب: (الكيزاني) والوافي ١: ٣٤٧ والخريدة (قسم مصر) ٢: ١٨ والنجوم الزاهرة ٥: ٣٦٧، ٣٧٦ والمغرب (قسم مصر) ١: ٢٦١.

١ س ن بر: فرج.

٢ ق: الحامي؛ بر: الحاتمي.

٣ ر ن: المعروف.

وإذا لاق بالمحب غــــرام فكذا الوصلُ بالحبيب يليقُ

[ويروى له :

يا ضنى جسمي تحكم أو فدع ليس في السلوان عن ليلى طمعْ
عنفــوني والهـــوى يغلبني وأطالوا العتبَ لو كان نفع
سألوني هل يوافي طيفهــــا إنمــا يعلم هذا من هجع][1]

وفي شعره أشياء حسنة[2] . وتوفي ليلة الثلاثاء التاسع من شهر ربيع الأول ، وقيل بل توفي في المحرم سنة اثنتين وستين وخمسمائة بمصر ، ودفن بالقرب من قبة الإمام الشافعي، رضي الله عنه ، بالقرافة الصغرى ، ثم نقل إلى سفح المقطم بقرب الحوض المعروف بأم مودود ، وقبره مشهور هناك يزار ، وزرته مراراً ، رحمه الله تعالى .

والكيزاني : بكسر الكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الزاي وبعد الالف نون ، هذه النسبة إلى عمل الكيزان وبيعها[3] ، وكان بعض أجداده يصنع ذلك ، والله أعلم .

---

١ زيادة انفردت بها مج .

٢ نقل الصفدي في الغيث المسجم (٢ : ٧٨) هذين البيتين :

يا من يسود شعره بخضابـــــه لعساه من أهل الشبيبة يحصل
ها فاختضب بسواد حظي مرة ولك الأمان بأنه لا ينصل

ثم قال : ووجدتهما بخط القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان في بعض مسوداته لابن الكيزاني المصري.

٣ وبيعها : سقطت من ن ر ق .

٦٧٩

الأبله الشاعر

أبو عبد الله محمد بن بختيار بن عبد الله المولد ، المعروف بالأبله البغدادي ، الشاعر المشهور أحد المتأخرين المجيدين ، جمع في شعره بين الصناعة والرقة ، وله ديوان شعر بأيدي الناس كثير الوجود .

وذكره العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب « الخريدة »[١] فقال : هو شاب ظريف يتزيّا بزي الجند ، رقيق أسلوب الشعر حلو الصناعة رائق البراعة عذب اللفظ[٢] ، أرق من النسيم السَّحَري وأحسن من الوشي التستري ، وكل ما ينظمه ، ولو أنه يسيرٌ ، يسير ، والمغنون يغنون برائقات أبياته عن أصوات القدماء ، فهم يتهافتون على نظمه المطرب تهافتَ الطير الحوّم على عذب المشرب . ثم قال : أنشدني لنفسه من قصيدة سنة خمس وخمسين وخمسمائة ببغداد :

زار من أحيا بزورته ... والدجى في لون طرّته

قمر يثني معاطفَهُ[٣] ... بانةٌ في طيِّ بردته

بتُّ أستجلي المدام على ... غِرّةِ الواشي وغُرّته

يا لها من زورة قصرت ... فأماتت طول جفوته

آه من خصرٍ له وعلى ... رَشْفةٍ من بَرْد ريقته

يا له في الحسن من صنمٍ ... كلنا من جاهليته[٤]

---

٦٧٩ – ترجمته في مرآة الزمان : ٣٧٩ والوافي ٢ : ٢٤٤ والنجوم الزاهرة ٦ : ٩٥ وعبر الذهبي ٤ : ٢٣٨ والشذرات ٤ : ٢٦٦ .

١ ن : في الخريدة .

٢ س : الألفاظ .

٣ ق ر بر : قمر تثني معاطفه .

٤ سقطت هذه الأبيات من س ت مج .

ومن أبياته السائرة قوله من جملة قصيدة أنيقة :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابـة إلا من يعانيها

ومن رقيق شعره قوله في غزل[1] قصيدة :

دعني أكابد لوعتي وأعـاني أين الطليق من الأسير العاني
آليتُ لا أدع الملام يغرني من بعد ما أخذ الغرام عناني
أولا تروض[2] العاذلات وقد أرى روضات حسن في خدود حسان
ولديَّ يلتمس السلو ، ولم أزل حيٌّ الصبابة ميتَ السلوان
يا برق إن تجف[3] العقيق فطالما أغنته عنك سحائب الأجفان
هيهات أن أنسى رباك ووقفة فيها أُغيرُ بها على الغيران
ومهفهف ساجي اللحاظ حفظته فأضاعني وأطعته فعصـــاني
يُصْمي قلوبَ العاشقين بمقلةٍ طرف السنان وطرفها سيان
خَنِثُ الدلالِ : بشَعْره وبثغره يومَ الوداع أضلني وهَداني
ما قام معتدلاً يهزُّ قوامــه إلا وبانت خَجلةٌ في البان
يا أهلَ نعمانٍ إلى وجناتكم تعزى الشقائق لا إلى نعمان
ما يفعل المران من يد قُلَّب في القلب فعل مرارة[4] الهجران

وهي قصيدة طويلة ومديحها جيد، وجميع شعره على هذا الاسلوب والنسق[5] وتخالصه من الغزل إلى المدح في نهاية[6] الحسن ، وقلَّ من يلحقــه فيها ، فمن ذلك قوله من قصيدة أولها :

---

١ مج : قوله من قصيدة .
٢ ت بر : أولى بروض ؛ ل : بروض .
٣ ر ن ق : إن تجز .
٤ ق : في فعله ومرارة .
٥ ت ل مج برمن : على هذا النسق .
٦ ق : غاية .

جنيتُ جنيَّ الوردِ من ذلك الخدّ وعانقت غصن البان من ذلك القدّ

فلما انتهى إلى مخلصها قال :

لئن وقرت يوماً بسمعي ملامة لهند فلا عِفْتُ الملامة في هند
ولا وجدت عيني سبيلاً إلى البكا ولا بتّ في أسر الصبابة والوجد
وبحت بما ألقى ورحت مقابلاً سماحة مجد الدين بالكفر والجحد

وقوله من قصيدة أخرى :

فلا وجد سوى وجدي بليلى ولا مجد كمجد ابن الدوامي

وقوله في أخرى :

فأقسم أني أفي الصبابة واحد وأن كمال الدين في الجود واحد

إلى غير ذلك .

وكانت وفاته ، على ما قاله ابن الجوزي في تاريخه ، في جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين ، وقال غيره : سنة ثمانين وخمسمائة ببغداد ، ودفن في باب أبرز محاذي التاجيّة ، رحمه الله تعالى .

والأبله : معروف فلا حاجة إلى ضبطه ، وإنما قيل له أبله لأنه كان فيه طرف بله ، وقيل لأنه كان في غاية الذكاء ، وهو من أسماء الأضداد ، كما قيل للأسود : كافور .

وكان له ميل إلى بعض أبناء البغاددة ، فعبر على باب داره فوجد خلوة ، فكتب على الباب ، قال العماد الكاتب : وأنشدنيهما :

دارك يا بدر الدجى جنة بغيرها نفسيَ ما تلهو
وقد رُويْ في خبرٍ أنه أكثر أهل الجنة البلهُ

ولابن التعاويذي المذكور بعده فيه هجاء أفحش فيه ، فأضربت عن ذكره مع أنها أبيات جيدة ، والله أعلم[1] .

---

[1] هنا تنتهي نسخة كوبريللي (ل) وقد جاء في آخرها : «آخر الجزء الثاني ولله الحمد والمنة ويتلوه =

٦٨٠

ابن التعاويذي الشاعر

أبو الفتح محمد بن عبيد الله[١] بن عبد الله الكاتب المعروف بابن التعاويذي ، الشاعر المشهور؛ كان أبوه مولى لابن المظفر واسمه نشتكين ، فسماه ولده المذكور عبيد الله ، وهو سبط أبي محمد المبارك بن المبارك بن علي بن نصر السراج الجوهري الزاهد المعروف بابن التعاويذي[٢] ، وإنما نسب إلى جده المذكور لأنه كفله صغيراً ، ونشأ في حجره فنسب إليه .

وكان أبو الفتح المذكور شاعر وقته ، لم يكن فيه مثله ، جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها ، وهو في غاية الحسن والحلاوة ، وفيما أعتقده لم يكن قبله بمائتي سنة من يضاهيه ، ولا يؤاخذني من يقف على هذا الفصل فإن ذلك يختلف بميل الطباع ، ولله القائل :

وللناس فيما يعشقون مذاهب

وكان كاتباً بديوان المقاطعات ببغداد، وعمي في آخر عمره سنة تسع وسبعين، وله في عماه أشعار كثيرة يرثي بها عينيه ويندب زمان شبابه وتصرفه، وكان قد جمع ديوانه بنفسه قبل العمى ، وعمل له خطبة طريفة ، ورتبه أربعة فصول ،

=في الثالث أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله الكاتب المعروف بابن التعاويذي إن شاء الله تعالى ، وكتبه العبد الفقير إلى رحمة ربه الراجي عفوه ومغفرته أحمد بن محمد بن حمدان الحراني الحنبلي ، عامله الله بلطفه ، وكان الفراغ منه يوم الأربعاء الثالث عشر من شعبان سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والرحمة » .

٦٨٠ – ترجمته في الروضتين ٢ : ١٢٣ ومعجم الأدباء ١٨ : ٢٣٥ ونكت الهميان : ٢٥٩ والوافي ٤ : ١١ وعبر الذهبي ٤ : ٢٥٣ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٠٥ والشذرات ٤ : ٢٨١ .

١ س : محمد بن محمد بن عبيد الله ، وهو خطأ كما يتضح مما يلي .

٢ زاد في ر ن : الملقب جمال الدين ؛ وجاء في المختار « وكان يلقب بجمال الدين » بعد لفظة «صغيراً».

وكل ما جدده بعد ذلك سماه « الزيادات » فلهذا يوجد ديوانه في بعض النسخ خالياً من الزيادات ، وفي بعضها مكملاً بالزيادات ، ولما عمي كان باسمه راتب في الديوان ، فالتمس أن ينقل باسم أولاده ، فلما نقل كتب إلى الإمام الناصر لدين الله هذه الأبيات يسأله أن يجدد له راتباً مدة حياته ، وهي[1] :

خليفة الله أنت بالدين والدنـ يا وأمر الإسلام مضطلعُ
أنت لما سنه الأئمة أعـ لام الهدى مُقتَفٍ ومتبع
قد عدم العدم في زمانك والـ جور معاً والخلاف والبدع
فالناس في الشرع والسياسة والإحسان والعدل كلهم شَرَع
يا ملكاً يردع الحوادث والأيام عن ظلمها فترتدع
ومن له أنعم مكررة لنا مصيف منها ومرتبع
أرضِيَ قد أجدبت وليس لمن أجدب يوماً سواك مُنتَجَع
ولي عيال لا درّ درّهم قد أكلوا دَهْرَهم وما شبعوا[2]
إذا رأوني ذا ثروة جلسوا حولي ومالوا إلي واجتمعوا
وطالما قَطّعوا حباليَ إعـ راضاً إذا لم تكن معي قطع
يمشون حولي شَتّى كأنهم عقارب كلما سعوا لسعوا
فمنهم الطفل والمراهق والرضيـ ع يحبو والكهل واليَفع
لا قارح منهم أؤمل أن ينالني خيره ولا جَذَع
لهم حلوق تُفْضي إلى معد تحمل في الاكل فوق ما تسع
من كل رحب المعاء أجوفُ نا ريّ الحشا لا يمسه الشبع
لا يحسن المضغ فهو ينزلُ[3] في فيه بلا كلفة ويبتلع

---

١ ديوانه : ٢٧٢ .

٢ بعده في الديوان :

لو وسموني وسم العبيد وبـا عوني بسوق الأعراب ما قنعوا

٣ الديوان : يطرح ؛ المختار : يترك .

ولي حديث يُلهي ويعجب من   يوسع لي خُلْقَه فيستمع
نقلت رسمي جهلاً إلى ولد   لست بهم ما حييت أنتفع
نظرت في نفعهم وما أنا في اجـ   ـتلاب نفع الاولاد مبتـدع
وقلت هذا بعدي يكون لكم   فما أطاعوا أمري ولا سمعوا
واختلسوه مني فما تركوا   عيني عليه ولا يدي تقع
فبئس والله ما صنعت فأضـ   ـررت بنفسي وبئس ما صنعوا
فإن أردتم أمراً يزول به الـ   ـخصام من بيننـــا ويرتفع
فاستأنفوا لي رسماً أعود على   ضَنْكِ معاشي به فيتسع
وإن زعمتم أني أتيت بهـا   خديعـة فالكريم ينخدع
حاشا لرسمي الكريم ينسخ من   نسخ دواوينكم فينقطـع
فوقّعوا لي بما سألت فقد   أطمعت نفسي واستحكم[1] الطمع
ولا تطيلوا معي فلست ولو   دفعتموني بالراح أندفـــع
وحلفوني أن لا تعود يدي   ترفع في نَقْله ولا تضع

فما ألطف ما توصل به إلى بلوغ مقصوده بهذه الأبيات التي لو مرت بالجماد لاستمالته وعطفته ، فأنعم عليه أمير المؤمنـين بالراتب ، فكان يصله بصلة من الخشكار الرديء ، فكتب إلى فخر الدين صاحب المخزن أبياتاً يشكو من ذلك أولها[2] :

مولاي فخر الدين أنت إلى الندى   عَجِل وغيرك محجم متباطي

ومنهـــا :

حاشاك ترضى أن تكون جرايتي   كجرايـــة البواب والنفـــاط
سوداء مثل الليل سعر قفيزهـــا   مـــا بين طسّوج إلى قيراط

---

١ ن : فاستحكم .
٢ ديوانه : ٤٨٧ .

أخنت عليّ الحادثات وأفرطت   فيها الرداءة أيما إفراط
قد كدرت حسّي المضيء، وغيرت   طبعي السليم ، وعفنت أخلاطي
فتولّ تدبيري فقد أنهيت ما   أشكوه من مرضي إلى بقراط

وكان وزير الديوان العزيز شرف الدين أبو جعفر أحمد بن محمد بن سعيد بن إبراهيم التميمي وزير الإمام المستنجد بالله المعروف بابن البلدي[1] ، وقد عزل أرباب الدواوين وحبسهم وحاسبهم وصادرهم وعاقبهم ونكل بهم ، فعمل سبط ابن التعاويذي المذكور في ذلك قوله[2] :

يا قاصداً بغداد حِد[3] عن بلدة   للجور فيها زخرة وعبابُ
إن كنت طالب حاجة فارجع فقد   سدت على الراجي بها الأبواب
ليست ، وما بعد الزمان ، كعهدها   أيام يعمر رَبْعَها الطلاب
ويحلها الرؤساء من ساداتها   والجلة الأدباء والكتاب
والدهر في أولى حداثته ولل   أيام فيها نضرة وشباب
والفضل في سوق الكرام يباع بال   غالي من الأثمان ، والآداب
بادت وأهلوها معاً ، فبيوتهم   ببقاء مولانا الوزير خَراب
وارتهمُ الأجداث أحياء تُها   لُ جنادل من فوقهم وتراب
فهم خلود في محابسهم يصب   عليهم بعد العذاب عذاب
لا يرتجى منها إيابهمُ ، وهل   يرجى لسكان القبور إياب
والناس قد قامت قيامتهم ، فلا   أنساب بينهم ولا أسباب
والمرء يسلمه أبوه وعرسه   ويخونه القرباء والأحباب
لا شافعاً تغني شفاعته ، ولا   جانٍ له مما جناه مَتاب

---

١ ت لي برمن : أبو جعفر ابن البلدي ؛ مج س : أبو جعفر ابن البكري ، وسقط سائر النسب من هذه النسخ .

٢ ذلك : سقطت من ت س ؛ وفي ن : في ذلك شعراً . وانظر ديوانه : ٤٧ .

٣ ق ر مج بر من والديوان : جز .

شهدوا معادهمُ فعاد مصدقاً مَنْ كان قبلُ ببعثه يرتاب
حشر وميزان وعرض جرائد وصحائف منشورة وحساب
وبها زبانية تبث على الورى وسلاسل ومقامع وعذاب[1]
ما فاتهم من كل ما وعدوا به في الحشر إلا راحم وهّاب

وله في الوزير المذكور :

يا رب أشكو إليك ضراً أنت على كَشْفه قديرُ
أليس صِرنا إلى زمــان فيـــه أبو جعفرٍ وزير

وذكر محب الدين المعروف بابن النجار في « تاريخ بغداد » أن الإمام المستنجد بالله توفي يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة وتولى بعده ولده المستضيء بأمر الله وجلس للمبايعة يوم الثلاثاء ثاني اليوم المذكور ، فخرج أستاذ الدار عضد الدين[2] أبو الفرج المذكور عقيب هذا ومعه ابن السيبي[3] فقال له: إن الخليفة قد تقدم أن يستوفى القصاص من هذا، وأشار إلى الوزير، فأخذ وسُحب وقطع أنفه ويده ورجله ، ثم ضربت رقبته ، وجمع في ترس وألقي في دجلة ، وكان هذا الوزير قد قطع أنف أم ابن السيبي[3] المذكور ويد أخيه ورجله في أيام ولايته ، فاقتص منه في هذا اليوم ، نعوذ بالله من سوء العاقبة[4] .

وكتب سبط ابن التعاويذي إلى عضد الدين[2] أبي الفرج محمد بن المظفر ، وهو من أبناء مواليه يطلب منه شعيراً لفرسه ، وهو الذي فعل بالوزير ابن البلدي[5] تلك الفعلة المذكورة قبل هذا[6] :

مولاي يا من له أيادٍ ليس إلى عَدّها سبيلُ

---

١ سقط البيت من س لي ت مج وجاء آخراً في ر .
٢ ر : عضد الدولة ، وورد كلاهما في ق .
٣ ق : ابن السبّي .
٤ وذكر . . . العاقبة : سقط من س لي ت بر من .
٥ ق : ابن البكري . ٦ ديوانه : ٣٥٧ .

ومن إذا قلَّتِ العطايا فجوده وافر جزيل
إليه إن جارت الليالي نأوي، وفي ظله نقيل
إن كمَيتي العتيق سِنـّاً له حديث معي يطول[1]
كان شراتي له فضولاً فاعجب لما يجلب الفضول
ظننته حاملاً لرحلي فخاب ظني به الجميل
ولم أخَلْ للشقاء أني لثقل أعبائه حَمول
فإن أكن عالياً عليه فهو على كاهلي ثقيل
أرجل[2] كاليوم ليس فيه خير كثير ولا قليل
ليس له مَخْبَر حميد ولا له منظر جميل
وهو حَرونٌ وفيه بطء ولا جواد ولا ذلول
لا كفل معجب لراءٍ إذا رآه ولا تليـل
مقصر إن مشى، ولكن إن حضر الاكل مستطيل
يعجبه التبن والشعير الـ مفسول والقَتّ والقصيل
إذا رأى عكرشاً رأيت اللعاب من شدقه يسيل
وليس فيه من المعاني شيء سوى أنه أكول
فهب له اليوم ما تسَنّى وهبه من بعض ما تنيل
ولا تقل إن ذا قليل فالجل في عينه جليل

وإنما أوردت هذه المقاطيع من شعره لكونها مستملحة . وأمـــا قصائده المشتملة على النسيب والمدح فإنها في غاية الحسن ، وصنف كتاباً سماه « الحجبة والحجاب » يدخل في مقدار خمس عشرة كراسة ، وأطال الكلام فيه ، وهو قليل الوجود .

وذكر العماد الأصبهاني في كتاب « الخريدة » أن ابن التعاويذي المذكور كان

---

١ ر ق بر من والديوان : طويل .
٢ ر ق والديوان : أرحل .

صاحبه لما كان بالعراق، فلما انتقل العماد إلى الشام واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين كتب إليه ابن التعاويذي رسالة وقصيدة يطلب منه فروة ، وذكر الرسالة، وهي « وقد كلف مكارمه وإن لم يكن للجود عليها كلفه ، وأتحفه بما وجهه إليه من أمله وهو لعمر الله تحفه ، أهدى فروة دمشقية ، سرية نقية ، يلين لمسها ، ويزين لبسها، ودباغتها نظيفة ، وخياطتها لطيفة، طويلة كطوله ، سابغة كأنعمه حالية كذكره ، جميلة كفعله ، واسعة كصدره ، نقية كعرضه ، رفيعة كقدره، موشية كنظمه ونثره ، ظاهرها كظاهره ، وباطنها كباطنه، يتجمل بها اللابس، وتتحلى بها المجالس ، وهي لخادمه سربال ، وله — حرس الله مجده — جمال ، يشكره عليها من لم يلبسها ، ويثني عليه بها من لم يتدرعها ، تذهب خميلة وبرها، ويبقى حميد أثرها ، ويخلق إهابها وجلدها ، ويتجدد شكرها وحمدها ، وقد نظم أبياتاً ركب في نظمها الغرر، وأهدى بها التمر إلى هجر، إلا أنه قد عرض الطيب على عطاره ، ووضع الثوب في يد بزازه ، وأحل الثناء في محله ، وجمع بين الفضل وأهله، وهي في حسنه وخفارة كرمه » ثم ذكر القصيدة التي أولها[1]:

بأبي من ذبت في الحـ ب له شوقاً وصَبْوَه

وهي موجودة في ديوانه . وكتب العماد جواب القصيدة على هذا الرويّ أيضاً ، وهما طويلتان .

وذكر العماد قبل ذكر الرسالة والقصيدة في حقه: هو شاب فيه فضل وآداب ورياسة وكياسة ومروة وأبوة وفتوة، جمعني وإياه صدق العقيدة في عقد الصداقة، وقد كملت فيه أسباب الظرف واللطف واللباقة ؛ ثم أتى بالرسالة والقصيدة وجوابها ، وهذه الرسالة لم أر مثلها في بابها ، سوى ما سيأتي في ترجمة بهاء الدين ابن شداد —في حرف الياء إن شاء الله تعالى— فان ابن خروف المغربي كتب إليه رسالة بديعة يستجديه فروة قرظ[2] .

وكانت ولادة ابن التعاويذي المذكور في العاشر من رجب يوم الجمعة سنة تسع عشرة وخمسمائة . وتوفي في ثاني شوال سنة أربع ، وقيل ثلاث

---

١ ديوانه : ٤٥٣ .
٢ ت: قرص؛ لي بر من: قرض؛ ن: قرظ؛ وسقطت العبارة من مج .

وثمانين وخمسمائة ببغداد، ودفن في باب أبرز، رحمه الله تعالى . وقال ابن النجار في تاريخه : مولده يوم الجمعة ، وتوفي يوم السبت ثامن عشر شوال .

والتعاويذي : بفتح التاء المثناة من فوقها والعين المهملة وكسر الواو بعد الألف وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم ذال معجمة، هذه النسبة إلى كتبه التعاويذ وهي الحروز .

(203) واشتهر بها أبو محمد المبارك بن المبارك بن السراج التعاويذي البغدادي الزاهد ، المقدم ذكره في أول هذه الترجمة ، وكان صالحاً . ذكره ابن السمعاني في كتاب « الذيل »[1] وكتاب « الأنساب » وقال : لعل أباه كان يرقي ويكتب التعاويذ ، وسمع منه ابن السمعاني المذكور ، وقال : سألته عن مولده ، فقال : ولدت في سنة ست وتسعين وأربعمائة بالكَرْخ . وتوفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، ودفن بمقبرة الشونيزي، رحمه الله تعالى. وقال السمعاني: أنشدني أبو محمد المبارك المذكور لنفسه قوله :

اجعل همومك واحداً ... وتخلَّ عن كلّ الهمومِ
فعساك أن تحظى بما ... يغنيك عن كل العلوم

ثم قال ، قال لي ابن التعاويذي : ما قلت من الشعر غير هذين البيتين .

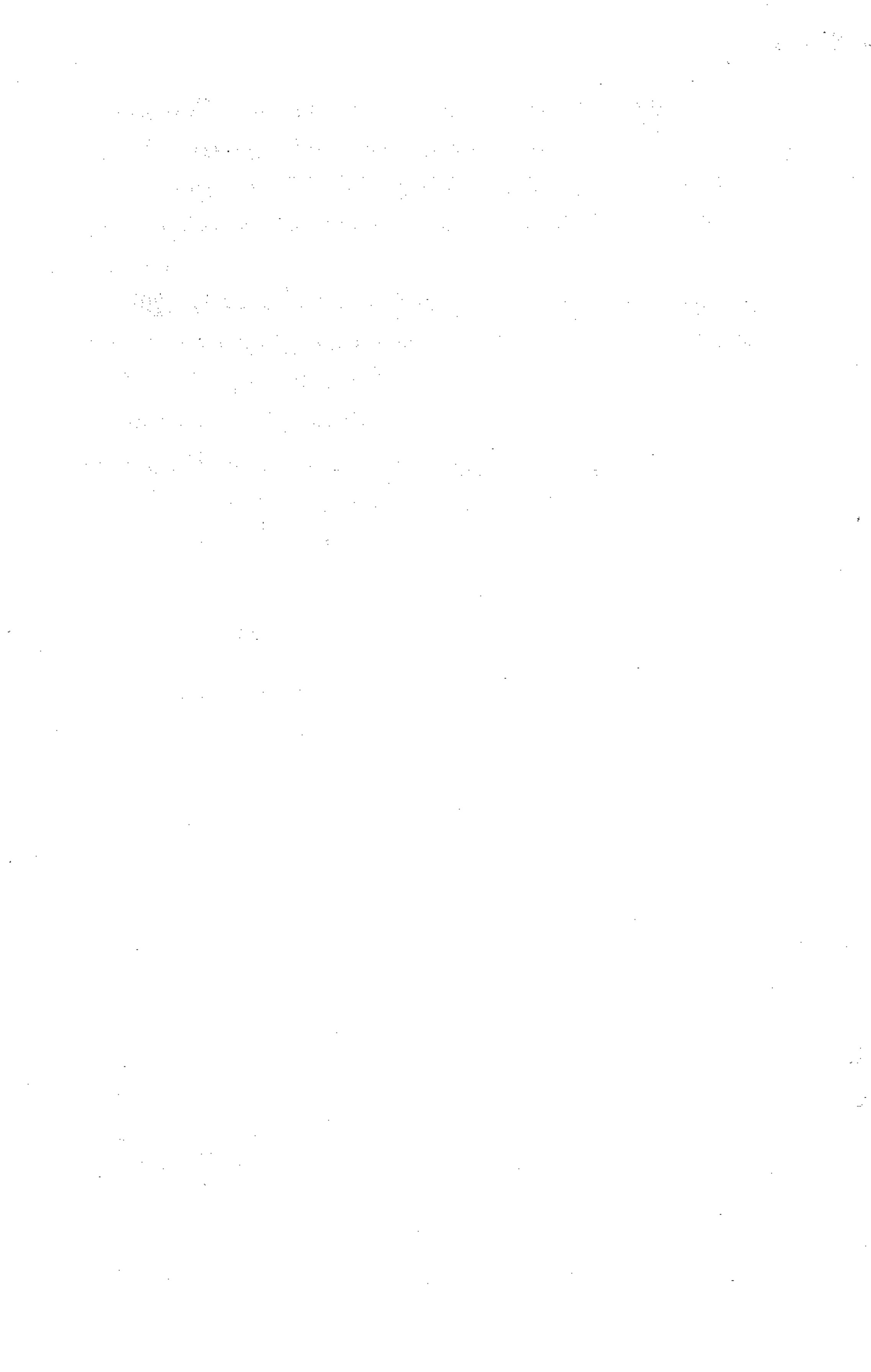
ونشتكين : بضم النون وسكون الشين المعجمة وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم نون ، وهو اسم أعجمي تسمى به المماليك ، وقد تقدم في أول الترجمة أنه كان من مماليك أحد بني المُظَفَّر رئيس الرؤساء[2]، وله فيهم مدائح بديعة، وأفرد مدائحهم في فصل من الفصول الأربعة المرتبة في ديوانه لكونهم مواليه ، وكانوا يحسنون إليه ، والله أعلم[3] .

---

١ ق : المذيل .

٢ مج ر بر من: ابن رئيس الرؤساء .

٣ إلى هنا تنتهي نسخة لا له لي (لي) وفي آخرها أنها نجزت في أواخر سنة أربع وعشرين وسبعمائة ؛ وهذه النسخة تمثل الجزء الثاني ، والمفروض أن يليه الثالث وأوله ترجمة أبي الغنائم محمد بن علي ابن فارس . . . المعروف بابن المعلم الواسطي .



محتويات الكتاب

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

فهرست التراجم العارضة